اليمن الخضراء مهد الحضارة

للمؤلف
محمد بن علي الاكوع الحوالي

مكتبة الجيل الجديد

محمد الأكوع الحوالي

اليمن الخضراء
مهد الحضارة

الطبعة الثانية

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

المكتبة اليمنية

مشروع ثقافى لنشر ذخائر التراث اليمنى

صدر منها :

١ – طبقات ابن سمرة لابن أبى سمرة الجعدى
تحقيق الأستاذ فؤاد سيد

٢ – الجزء الأول من الإكليل للهمدانى
تحقيق الأستاذ محمد على الأكوع

٣ – الجزء الثانى من الإكليل للهمدانى
تحقيق الأستاذ محمد على الأكوع

٤ – المفيد فى أخبار صنعا وزبيد لعمارة اليمنى
تحقيق الأستاذ محمد على الأكوع

٥ – قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون للديبع
تحقيق الأستاذ محمد على الأكوع

٦ – صفة جزيرة العرب للهمدانى
تحقيق الأستاذ محمد على الأكوع

٧ – تفسير الدامغة للهمدانى
تحقيق الأستاذ محمد على الأكوع

---

٨ – الجزء الثامن من الإكليل للهمدانى
تحقيق الأستاذ محمد على الأكوع

٩ – الجزء العاشر من الإكليل للهمدانى
تحقيق الأستاذ محمد على الأكوع

١٠ - نظام الغريب لعيسى بن ابراهيم الربعى الوحاظي الحميري

تحقيق الاستاذ محمد بن علي الاكوع الحوالى

١١ - المقالة العاشرة من سرائر الحكمة للهمداني

تحقيق الاستاذ محمد بن علي الاكوع الحوالى

١٢ - السلوك في طبقات العلماء والملوك للبها الجندي

تحقيق الاستاذ محمد بن علي الاكوع الحوالى

تحت الطبع

١٣ - نزهة المعتبر ، في فضائل جبل صبر للخلافي

تحقيق الاستاذ محمد بن علي الاكوع الحوالى

١٤ - الجوهرتان العتيقتان للحسن بن احمد الهمداني

تحقيق الاستاذ محمد بن علي الاكوع الحوالى

١٥ - التقصار، في جيد علامة الأمصار لمحمد بن الحسن الشجني الذمار

تحقيق الاستاذ محمد بن علي الاكوع الحوالى

١٦ - اسرار الباطنية لمحمد بن مالك الحمادي المعافري

تحقيق الاستاذ محمد بن علي الاكوع الحوالى

١٧ - الجزء الاول من مسالك الابصار ، لمحمد بن صالح العصامي الصنعا

تحقيق الاستاذ محمد بن علي الاكوع الحوالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق الحمد ، له الثناء وله المجد ، والصلاة والسلام على خير أنبيائه محمد وعلى أتباعه ومن والاه .

وبعد ، فقد حفزنى الواجب المقدس ، وعَنّ لى فى هذه الحقبة التاريخيّة الحاسمة بين عهد الظلم والتخلف والجمود ، وعهد النور والتقدم والنشاط ، أن أضع تاريخاً متواضعاً لوطنى الحبيب ، كوحدة طبيعية متماسكة الأجزاء ، وسياسية محكمة الحلقات ، كسلسلة تاريخية مرتبطا أوائله بأواخره ، وآخذاً بعضه برقاب بعض ، يصل حاضرها بماضيها المشرق ، وصلا وثيق العرى ، ومثبتاً حقائق تاريخية ، مستندة على المنهج التحليلى المدعوم بالدليل المقنع ، والحجة الناصعة ، والبرهان القاطع .

وذلك من أقدم عصور التاريخ ، إلى أن طلع الفجر الصادق ، وتبلج الإصباح وضاء بانبثاق نور الثورة المجيدة ، ليلة الخميس ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٨٢ هـ ، الموافق ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ م

والتزمت أن لا يكون بالطويل الممل ، ولا المختصر المخل ، بل عوان بين ذلك مستقص للحوادث قدر الطاقة ، ومستوف لمتفرق الأحداث والشوارد ، وتفاصيلها بمبلغ ما وصل إليه علمى ، وما انتهى إليه تنقيبى وبحثى الذى استفرغت فيه الوسع ، وأفنيت فيه السنين الطوال .

ومما زادنى نهوضاً بهذا العبء ، أن الفرصة واتتنى فى هذا العصر الزاهر الذى نفضت الخضراء عن كاهلها رداء المذلة والهوان ، واستبدلت به ثوب العزة والكرامة ، بعد أن سجل أبناؤها أروع صفحات التضحية والفداء ، وأنصع

سجل عرفه التاريخ فى النضال التحررى ، ودفعت الثمن غالياً وباهظاً من دماء أبنائها الزكية ، وأرواح شهدائها الطاهرة ، وتوّجت هذا النضال برفع علم الحرية مشمخراً وهاجاً على ربوع الخضراء ، كأنه علم فى رأسه نار .

وبهذا التاج المكال بأنفس جواهر الفخر والاعتزاز ، وأعظم يواقيت المجد والسؤدد غيرت مجرى التاريخ ، ودخلت من أوسع أبوابه ، وفتحت صفحة جديدة مشرّفة ومشرِقةً مليئة بالإعجاب والإكبار ، فتربعت مكاناً علياً .

هذا والوقت – كما يقال – من ذَهب ، قد أتاح الفرصة فى هذا العهد السعيد للأقلام الحرة النزيهة غير الحاقدة أن تعلّ وتنهل وتعب حتى تملأ الوطاب ، وتثير العقول من مكامنها ، وتكشف النقاب عن مخدراتها ، وتبعثر الأرض عن آثارها وجواهرها ، وتغترف فى أسجالها ما تملأ سِجَالها من الفنون والعلوم ، وتعبىء الوعى اليمنى المبعثر ، كى ترمى عن قوس واحد ، صخرة الجهل العاتية التى كانت جاثمة على صدور الملايين من أبناء هذا الوطن العزيز ، فتفتتها وتحولها من صحراء قاحلة إلى روضة غناء ، زاهية زاهرة بالعلم والعرفان ، وجنات ذات أفنان صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ، هو ماء المعرفة ، والمعرفة الكاملة الصحيحة حقاً ، فالمرء عدو ما جهله .

معتقداً أن من بين العوامل الأساسية للنهضة الحديثة التى نأمل تحقيقها على أيدى أبناء الخضراء الخلص الأمناء صدقاً ، هو بعث التراث اليمنى من مرقده بشتى صوره وأشكاله ، فإن الشقيقات العربيات ، قد جاوزت هذه المرحلة إلى مستوى عال رفيع ، ونحن فى بداية الطريق ، وفى أول مراحل البناء ، وهى شاقة وعسيرة ، فالليل طويل وأنت القمر .

لا سيما والأمة العربية جمعاء قد استيقظت من نومها العميق ، وكأنما نشطت من عقال لتبنى صرح مجدها من جديد فى اتجاه سليم ، تخبُّ وتضع بخطى

ثابتة وئيدة نحو القومية العربية ، والوحدة الشاملة التى يقول عنها كاتب الشرق أمير البيان « شكيب إرسلان » : إنها - أى الوحدة العربية - آتية لا ريب فيها ، ولو بعد مائة سنة[١] ، وإن كانت حالة العرب تدعو إلى الرثاء والحزن لافتراق كلمتهم واختلاف ما بينهم .

وقد قطعت شوطا كبيراً نحو الغاية المنشودة ، سدد الله خطاها ، وقدر لها الخير إلى كل ما تصبو إليه النفوس المؤمنة الموقنة ، ووفق قادتها وزعمائها ورؤسائها إلى ما فيه خير الأمة العربية وإسعادها ، ورفع صوتها وإعادة مجدها .

ولكى نعطى القارىء صورة حية عن الوطن الحبيب ، فقد زودتُ هذا السفر بجغرافية وافية لتُعرفَ الخضراء عن كثب وعلى حقيقتها ، وكأنك مشاهد لها ومعاين لجملتها وتفصيلها ، ومزينا بالخرائط والرسوم للأماكن الأثرية والبقاع المشهورة ، والملوك القُدامى من سبأيين ومعينيين وحِمْيَريين ، وغيرهم ممن وصلنا خبرهم ، ونمى إلينا علمهم ، وكذا الشخصيات اليمنية البارزة التى شغلت مكانا فى التاريخ وضّاء ، والمدن الشاخصة ، إلى غير ذلك مما حلينا به جيد هذا الكتاب .

واليوم ونحن على عتبة عهد جديد ، لَبِست فيه الخضراء أبهى حلل المجد والسؤدد فى أمس الحاجة ، وأزيد من الضرورة إلى دراسة تاريخنا القديم منه والحديث ، ليعيد سيرته الأولى الذى كان غرة مضيئة فى جبين الدهر ، ولتعرف الناشئةُ أخبار عظمائها ، وتاريخ أمجادها وحضارة أسلافها ، فتأخذ بأسباب نهضتها ، وَتنسج على منوالها ، وَتقفوا آثارها وَتهتدى بهديهم ، فلا تضل السبيل :

لسنا وَإن كَرُمت أوَائلُنا ... يوماً على الأحساب نتكل
نبنى كما كانت أوَائلنا ... تبنى وَنفعل مثل ما فعلوا

---

(١) الارتسامات اللطاف .

فمسئولية التاريخ عظيمة لأنه شاهد عِيان ، وحاكم عدل لن يغادرُ صغيرةً ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولو محقرات الأمور وأتفه الأشياء ولن يحابى أحداً .

كما وإن مسئولية المرء تجاه أمته وبنى جلدته وتجاه الأجيال المتلاحقة كبيرة مضافة إلى مسئولية الأوطان الذى هو دَيْنٌ فى ذمة كل حرّ وحق لازب عظيم وأعظم بكثير لمن ألقى السمع وهو شهيد .

ولأهمية التاريخ الذى به تبنى الأوطان وتحيا به الأمم وتُعرف ميزة الشعوب ومقدار حضارتها ورقيها ، وهو القسطاس الحق الذى يصدر حكمه العادل على الأمة فيضعها فى الصدارة أو فى الأعقاب ، وهو الوسام الذى تتقلده الأمة على جيدها فخورةً عزيزةً ، وهو الإكليل المتلألىء على مفرق الشعوب يضىء للأجيال قدوة حسنة ، والرسام الذى يلتقط صور الماضى ، فينقلها بريشة الفنان البارع إلى الخلف والأجيال ، فتبقى على مدى الدهور ترجمة ناطقة وضوءاً ساطعاً يرسم على ضوئه خطط المستقبل مما كان لتلك الأمة من سلطان وعظمة ومجد ـ سُجّلت كلمات مأثورةٌ لأرباب الأقلام وذوى النُّهى ، وأولو الحكمة وفصل الخطاب الذين أشادوا بالتاريخ ، وما للأوطان من حقوق وواجبات ، فقالوا : « من لا ماضى له لا حاضر له ، ومن لا حاضر له لا مستقبل له » ، وقال الشاعر على الجارم :

إذا ضيـع التاريخَ أبناء أمةٍ   فأنفسهم فى شرعة الحق أضيع

وقال السيد جمال الدين الأفغانى : لا حاجة لقوم لا لسان لهم ، ولا لسان لقوم لا أدب لهم ، ولا عز لقوم لا تاريخ لهم ، ولا تاريخ لهم إذا لم يقم منهم من يحيى رجال تاريخهم ، فيعمل عملهم وينسج على منوالهم .

وقال السلطان الظاهر بيبرس : « سماع التاريخ أجدى من التجارب » .

وقال أناتول فرانس : إن كل أمة نسيت أصلها ، ونبذت قديمها ، وفرحت بجديدها ، وأنكرت رميمها ، فأحر بها أن تكون أمةً ساقطة من الأمم ، وأن تُمَدَّ خِلطًا لا تُعْرَفُ من بين الأمم[1] .

وإن الأمة اليمنية ـ ولله الحمد ـ وهُمُ الملأ صانعوا التأريخ ، ومخترعوا الحضارة أنصار الإسلام ، ومدوخوا الممالك والأمصار ، هى المجلية فى هذا المضمار كما سيمر بك فى هذه الوريقات ، ولكن « ما ينفع الجد الأعلا إذا جاء الآخر خلوفة » .
فهيَّا بنا إلى ما فوق النجوم لنبنى وطننا الحديث ، ونعيد سالف أيامه الزاهرات ، ونُبَيِّضُ الوجوه ، فلا تكن من الخوالف .

وسميته « اليمن الخضراء مهد الحضارة » وقسمته إلى قسمين : العصر الحضارى القديم ، ويشتمل على مقدمة وثلاثة أبواب . والقسم الثانى : العصر الإسلامى وهو يحتوى على أجزاء بيناها فى صدر الجزء الثانى إنشاء الله .

وقد توخيت جهد الطاقة اختيار أوثق المصادر ، وأصدق المراجع مع العرض على مصبك التمحيص والتحليل ، كما اعتمدت أيضاً على العيان والمشاهدة للأماكن الأثرية وعلى الاستقراء غير متجانف عن الحقيقة ، ولا سالك وعر الطريق .

مؤمناً بأنى بهذا العمل الضئيل ، قد أدّيت بعضَ الواجب ، ووضعت عن كتفى ما أنوء به من العبء الثقيل ، عبء المسئولية التاريخية ومسئولية العلم .

وسددت فيما أعلم ثغرةً كانت فى أشد الحاجة إلى وضع لبنةٍ متينةٍ على نافذتها وملأت الفراغ الذى كان دائما يوخز ضميرى ويؤرقنى كل حين ، ويشغل بالى وكل بال يمنى غيور ، ولعلى فيما أظن قد عوضت النقص الذى كان يلحق المكتبة اليمنية بل والعربية .

---

(١) تعريب الأمير « شكيب أرسلان » .

١٢

فإليك أيها القارىء الكريم أزف إليك هذه الباكورة الجنية والثمرة اليانعة المنية دانية القطاف ، قريبة التناول من ثمار الثورة المباركة .

آملا أن يتلقاه الجيل الذى نحن فيهم ، والناشئة من أبنائنا وأفلاذ أكبادنا بصورة خاصة بكل ترحاب ، وأن تفتح له من قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم ما تستلهم بها العمل الجاد والوثبة الجريئة الحميدة ، نحو البناء والمجد والفخر والرقى والإصلاح بنقاوة ضمير وصفاء ، سريرة وإخلاص ونيّة وأمانة قوية ، حتى تكون مثلا صالحا يحتذى بها ، وقدوة حسنة يهتدى بنورها ، ويقال : هذا الشبل من ذاك الأسد .

ضارعا إلى الله الذى بيده الحول والقوة أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يوفقنى لكل مبرة وخير ، وأن يهدينا إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين ؟

محمد بن على الأكوع الحوالى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

لنفاق الطبعة الاولى من كتابنا « اليمن الخضراء ، مهد الحضارة » والحاح القوا بشدة على اعادة طبعه فقد استجبنا لرغبة الجماهير لذلك بعد ان اجرينا عليه قلم التصحيح .

وهذا التلهف لاعادة طبع الكتاب المذكور ان دل على شيء فانما يدل على انتشار الوعي بين الشبيبة الناشئة الذين هم رجال الغد ورواد المستقبل ، وعلى اقبالهم على القراءة والمطالعة واكتساب المعالي عن طريق المعارف والعلوم فيها تشاد الحضارة وتبنى بروح المجد والخلود والامن والاستقرار .

فإليك ايها القارى كتاب « اليمن الخضراء ، مهد الحضارة » في طبعته الثانية منقحة مهذبة مزهوة بثوبها الجديد وحلتها الشبراء سائلاً من الله ان يوفق الجميع لصالح الاعمال .

تحرر في ٢٧ رجب سنة ١٤٠١ هـ
« ٣١ يونيو سنة ١٩٨١ م

المؤلف خادم العلم الشريف
محمد بن علي بن الحسين الاكوع الحوالي

مقدمة عامة

تبحث عن التاريخ وأصوله

التَّاريخ والتأْريخ ، والتُّوريخ ، لغة التوقيت ، وفى اصطلاح العلماء هو معرفة أحوال الأمم الخالية والأجيال الغابرة وسبر أخلاقها وسيرة عظمائها وخبر ملوكها واستطلاع أمورها وأحوالها من حيث معيشتهم وسياستهم وأديانهم وعقائدهم وآدابهم ولغتهم وحضارتهم ليربط الحاضر بالماضى والمستقبل بالحاضر .

أقسام التاريخ

قسم التاريخَ مؤرخو العرب إلى قسمين : التاريخ القديم ويبتدى من أول الخليقة إلى ظهور الإسلام ، والقسم الثانى التاريخ الإسلامى ويبتدىء من الهجرة النبوية إلى يوم الناس هذا ، وكل مؤرخٍ إلى العصر الذى عاش فيه ، بينما قسمه المتأخرون المعاصرون إلى أربعة أدوار : الدور الأول ما كان قبل أن يُعنَى الإنسانُ بتدوين أحوال مجتمعه فأسموه ما قبل التاريخ أو التاريخ المجهول أو التاريخ الحجرى.

والدور الثانى يبتدى من أول قيام المدنيات القديمة وعناية أهله بتخليد حوادثه إما بالنقوش والتصوير أو بالكتابة وينتهى إلى سنة ٣٩٥ ق . م . خمس وتسعين وثلثمائة بعد ميلاد المسيح .

والدور الثالث يبتدى من سنة ٣٩٥ ، المذكورة بعد الميلاد إلى سنة ١٤٩٣ م ألف وأربعمائة وثلاث وتسعين بعد الميلاد أى سنة ٨٥٧ هـ . ثمانمائة وسبع وخمسين هجرية عندما افتتح الأتراك المسلمون القسطنطينية ، ويسمونه بالقرون الوسطى.

الدور الرابع من سنة ٨٥٧ هـ الموافق ١٤٩٣ م إلى أيامنا هذه وما بعدها ويسمونه بالتاريخ العصرى .

ثم قسم المؤرخون التاريخ إلى تاريخ عام وتاريخ خاص فالتاريخ العام يتناول أكثر وأغلب أخبار المعمورة كتاريخ ابن جرير مثلا وتاريخ ابن الأثير وتاريخ أبي الفدا وغيرها ، والتاريخ الخاص يتناول وطنا بعينه كاليمن ومصر والعراق أو نحو ذلك .

وقد يَعْنُون بالخاص تاريخ تراجم أعيان الرجال وأعلامهم ونُبلائهم كتاريخ ابن خلكان القاضى أحمد بن محمد المسمى وفيات الأعيان ، وكالبدر الطالع للامام الشوكانى محمد بن على وغيرهما كثير مما لا يدخل تحت الحصر .

ثم قسموا التاريخ إلى تاريخ سياسى وهو وصف الحكومة وما يندرج من معاملتها وسياستها وأحداثها وجباياتها وأموالها وغير ذلك .

وتاريخ طبيعى : يبحث عن وصف الأرض وطبائعها ومساحتها وحدودها ووصف الحيوانات التى عليها والنباتات وما يكتنفهما من أعراض وأجواء وتقلبات وَمناخ وهو ما يسمى « بالجغرافيا » : علم تقويم البلدان عند العرب .

أزمنة ما قبـــل التاريخ(١)

قسم المعاصرون أهل التمدن الحديث أزمنة التاريخ إلى ثلاثة أقسام العصر الحجرى القديم حينما كانت أدوات الإنسان الرئيسية مصنوعة من الحجارة كالحيف والشظاة المحددة والقرن .

والعصر الحجرى الحديث حينما تقدم به العقل إلى استعمال الأدوات المصقولة المشحوذة .

العصر المعدنى حينما كرت عليه العصور ونَبُهَ ذكره واهتدى الى استعمال

---

(١) انظر التاريخ العام لفيليب فارس مرن الأمريكى

الحديد واكتشاف النار كما اهتدوا إلى إنسان ما قبل التاريخ وكيف كانوا يعيشون بما تركوا من آثار عديدة يستدل فيها على ما كانوا عليه فى الأزمنة الغابرة .

وما توصل الإنسان القديم إلى معرفة خواص النار ومنافعها المتعددة إلا بالتاريخ وكذلك الآلات والمعادن وبذر الحبوب وغرس الأشجار وأشباه ذلك .

التاريخ عند العرب

كان عامة العرب إذا تذاكروا فى منتدياتهم وعند سمرهم عن أحداثهم — يؤرخون بالحوادث العظام والنوازل الكبار أو عند لزبة أصابتهم أو محنة نزلت بهم كخراب السد ـ سد مأرب ـ أو عام الفيل ويوم ذى قار ويوم بعاث وأشباهها ولا زال هذا معروفاً ومتّبعاً عند العامة إلى هذه الغاية فيقولون كان هذا سنة الزلازل أو سنة الفنا أو سنة الانسحاب ، أو سنة القراقر أو سنة الدستور أو سنة الحطمة أو سنة النفر وما شاكل ذلك .

أما اليمنيون المتحضرون أصحاب التمدن العريق فكانوا يؤرخون بالشهر والسنة ويقيدونه بالكتابة على صميم الأحجار ويزبرونه على المساند الدهرية وربما كانوا يؤرخون باسم الملك الحاكم كما نص على ذلك (لسان اليمن أبو محمد الحسن الهمدانى) رضوان الله عليه فى بعض كتبه وصادقته على ذلك النقوش التى عثر عليها وكانت بمثابة حجة دامغة على صدق كلام الهمدانى وعظمته وأمانته ومعرفته لتاريخ قومه كما سجلوا حوادثهم وغزواتهم وانتصاراتهم وما يقدمونه من قرابين لآلهتهم لجلب نفع أو دفع ضرّ وهذا شىء معروف ومبعثر فى أرض الآثار .

وسنبين أسماء الأشهر الحميرية فى فصل الحضارة إذ التاريخ من مستلزماتها هذا وقد ظل التاريخ اليمنى القديم معمولا به بين الأسرة اليمنيّة حتى ظهور الإسلام بزمن متراخى .

ولشعور اليمنيين بحتمية التاريخ أرشدوا الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى وضع التاريخ الهجرى وذلك أن رسائل الخليفة المذكور كانت ترد إلى عامله بالكوفة أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه غير مؤرخةٍ فيستنكر عليه ذلكَ وَيكتب إليه مرشدا له فى وَضع تاريخ الإسلام من جديد فجمع عمر أكابر الصحابة ليتشاور معهم فى وَضع تأريخ للاسلام ومتى يكون ابتداؤه وبينما هم فى تبادل الآراء اذ قدم من اليمن رجل فقال : يا أمير المؤمنين رأيتُ فى اليمن شيئا يسمونه بالتاريخ يكتبونه من عام كذا وشهر كذا فقال عمر : هذا حسنٌ فأرخوا فمن ذلك الحين ابتدأ التاريخ الهجرى .

وعلى ضوء هذه الإرشادات والمعلومات سُجِّل التاريخ واجتمع رأيهم أن يبتدىء من العام الهجرى ومن أول المحرم [١] .

وأول من أرخ الكتب يعلى بن أمية بحكم ولايته لليمن واقتباس التاريخ منهم [٢]

واليمنيّون أيضاً هم السابقون الأولون الذين ابتكروا تدوين التاريخ فى العصر الإسلامى بالتَصنيف والتأليف فيه .

• وأول من وضع الحجر الأساسى لتدوين التاريخ منهم علامة اليمن فى عصره « عَبيدُ بن شَرْية الجرهمى » الذى استدعاه الخليفة معاوية بن أبى سفيان من صنعاء أو من الرحبة أو نجران على خلاف بين المؤرخين حيث وُصِفَ له ليكون له سميرا ومنادما فأقام فى جواره ما شاء أن يقيم وهو يسامره وينادمه وَلا يُعيد عليه حديثا ولا قصةً لبراعة أسلوبه وشدة عارضته وسعة اطلاعه ثم كلفه معاوية بتأليف كتب فى التاريخ فألّف كُتُباً منها : الملوكَ وَأخبار الماضين المعروفة بأخبار عبيد بن شَرْية

---

(١) بغية المستفيد فى أخبار صنعاء وزبيد للحافظ الديبع
(٢) الأمم والملوك لابن جرير ج ٢ — ١١٢

الجرهمى المطبوع بحيدر أباد (الدكن) فى الهند ، وكتباً غيرها ، ثم قفاه عروة بن الزبير ، فوهب ابن منبّه الصنمانى فهلم جرّا ، والفضل للمتقدم .

وبالتاريخ عرف الناس أمرَ حجهم ، وصومهم ، وانقضاء عِدَدِ نسائهم ، ومحل أجلُ ديونهم ، وغير ذلك .

يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » سورة البقرة الآية ١٨٩ .

وقال تعالى : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون » سورة يونس الآية ٥٠ .

وقال تعالى : « وَجعلنا الليل وَالنهار آيتين فمحونا آية الليل وَجعلنا آية النهار مبصرةً لتبتغوا فضلا من ربكم وَلتعلموا عدد السنين وَالحساب وَكلّ شىء فصلناه تفصيلا » سورة الإسراء الآية ١٢ .

وللأمم الأخرى تواريخ يطول الحديث عنها ، ولكن لا يعرف بالضبط أول أمة ألهمت التاريخ .



الجزيرة العربية فى رأى « لسان اليمن » ومن تبعه

الباب الأول

جغرافية جزيرة العرب

وفيه فصول

الفصل الأول

معنى الجغرافيا – جزيرة العرب – مهد شعوب العرب ، أو الجنس السامى أصلهم ، أقسامهم : القحطانيون ، العدنانيون .

الجغرافيـا

الجغرافيا والجغرافية : كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين ، إحداهما « جيه » أى أرض ، و « غرافيا » أى أنا أرسم الأرض ، وهى علمُ وصف الأرض ، ودرس الحوادث التى تحصل فيها ، وعلى سطحها وتقسيماتها ، ويعرف عند العرب بعلم تقويم البلدان .

الجزيرة العربية ، أو بلاد العرب

موقعها ، حدودها ، أقسامها ، سكانها ، مساحتها

تقع بلاد العرب فى الجنوب الغربى من أسياء العظماء ، وأسماها «طه الهاشمى» فى جغرافيته « آسيا العربيّة » .

حـــدودها

ذهب البعض وعلى رأسهم مؤرخ اليمن الكبير لسان اليمن أبو محمد الحسن

ابن أحمد الهمدانى ، الذى تبعه واعتمده الكثير من فحول المحققين المعاصرين من من العرب « كطه الهاشمى » ، و « جميل بيهم » ، وأضرابهما ، وكذلك من المستشرقين إلى أن حدود بلاد العـــرب ، أو الجزيرة العربية يحدها شمالا الجبال الواقعة شمال ديار بكر ، وماردين ، ونصيبين المتاخمة لأرمينية ، وجبال أطلس المتاخمة للأناضول ، وسهول الرافدين دجلة والفرات ، ويحدها من الشرق جبال إيران ، وخليج البصرة من الخليج العربى ، ويحدها من الغرب البحر الأبيض المتوسط ، والبحر الأحمر ، ويحدها من الجنوب بحر العرب ، وخليج عدن .

وعلى هذا الرأى لهذه الحدود وافق «الشريف الحسين بن على» ملك مكة والحجاز فى عقد اتفاقيته ومعاهدته مع المندوب البريطانى « مكماهون » التى بمقتضاها قامت الثورة بالحجاز فى الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣٤ هـ ، الموافق ١٩١٦ م [٢] .

ويذهب البعض الآخر من مؤرخى العرب أنها هى التى يحدها شرقاً الخليج العربى ، وغرباً بحر القُلْزم (البحر الأحمر) ، وجنوباً خليج عدن ، والبحر العربى الذى يسمى تارة بالبحر الهندى ، ومن الشمال الغربى برزخ السويس ، ومن الشمال أيضاً مدينة غزة المشهورة الواقعة على شواطىء البحر الأحمر ، ويمر من خط جنوب البحر الميت إلى شرق الأردن ، ثم يمر من دمشق إلى الفرات ، فيتبع مجراه إلى منتهى الخليج العربى .

---

(١) راجع صفة جزيرة الهمدانى بإخراجنا .

(٢) مذكرة الشريف عبد الله بن الحسين ص ١٠٢ ، والثورة العربية الكبرى .

وعلى هذا النمط يقول بعض الأدباء :

جزيرة هذه الأعراب حدّت ... بحدّ حـــدّه فى الحسن راق
فأما الطول عنـــد محققيهم ... فمن يمنٍ إلى أقصى العراق
وساحل جُدّةٍ إن رمتَ عرضاً ... إلى أطراف الشآمِ على اتفاق

وثم آراء غير هذين تركناها ، رعاية الاختصار .

قال لسان اليمن : وإنما سميت بلاد العرب الجزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأطرارها وصاروا منها فى مثل الجزيرة من جزائر البحر .

أقســام الجزيرة

تنقسم الجزيرة العربية باعتبار الرأى الأول إلى قسمين : القسم الشمالى وهو يتألف من الشام بما فيه فلسطين والأردن ولبنان والجزيرة الفراتية ثم العراق وأكثر أراضيه خصبة ، وتؤلف البرارى التى يحتضنها الهلال الخصيب : بادية واسعة تسمى بادية الشام أو بادية السماوة التى قامت فيها حضارة تدمر الأثرية مملكة زنوبيا « الزباء » .

والثانى القسم الجنوبى ، وهو ما يطلقه البعض بجزيرة العرب التى نشأ منها العرب على اختلاف بطونهم وقبائلهم وأخصبها مهد العروبة « اليمن الخضراء » وأكثر باقيها قاحل مجدب .

ويتألف القسم الثانى من خمسة أقسام : تهامة ، والحجاز ، ونجد ، والعروض ، واليمن ، وذلك أن جبل السراة ، وهو أعظم جبال السراة ، وأذكرها أقبل من قُعْرَة اليمن حتى بلغ بوادى الشام فَسَمَّته العرب حجازاً ، لأنه حجز بين الغور

وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر ، فصار ما خلف الجبل فى غربيّه إلى أسياف البحر بلاد الأشعريين وعك وحكم وكنانة ، وغيرها إلى ذات عرق والجحفة وما صاقبها ، وغار من غورها « الغور » غور تهامة ، وتهامة تجمع ذلك كله .

وصار ما دون ذلك الجبل من شرقيه من صحارى نجد إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجداً ، ونجد تجمع ذلك كله .

وصار ما احتجز به فى شرقيه من الجبال إلى ناحية « فَيد » ، وجبلى « طىء » ـ أجا ، وسلمى ـ إلى المدينة ، وراجعاً إلى أرض مذحج من تثليث وما دونها إلى ناحية « فيد » حجازاً ، والعرب تسميه نجداً وجلساً وحجازاً ، والحجاز يجمع ذلك كله .

وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها « العروض » وفيه نجد وغور لقربها من البحار ، وانخفاض مواضع منها ، ومسايل أودية فيها ، والعروض يجمع ذلك كله .

وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء وما والاها إلى حضرموت والشحر وعُمَان وما يليها اليمن ، وفيها التهائم والنجد واليمن ، يجمع ذلك كله[1] .

الوصف الكامل لجزيرة العرب على الرأى الأول

تتكون جزيرة العرب من بلاد النهرين « دجلة والفرات » هضبة مائلة تدريجا من الغرب إلى الشرق محاطة بسلاسل جبلية توازى سواحل البحر ،

---

(١) صفة جزيرة العرب .

وتتألف من جبال طورس وكردستان فى الشمال ، وجبال لبنان والحجاز فى الغرب وجبال اليمن بما فيها حضرموت فى الشرق الجنوبى ، وجبال عمان فى الشرق .

ويتكون وسط الهضبة من بادية الشام وصحراء النفود فى الشام ، وبادية نجد وصحراء نجد « الدهناء » ، وفلاة اليمن : الربع الخالى فى الجنوب .

وهنالك سهوب ساحلية ضيقة ما بين السلاسل الجبلية والبحر ، أطولها سهول الشام الواقعة بين جبال لبنان والبحر الأبيض المتوسط ، وتهامة الواقعة على البحر الأحمر .

وهذه البلاد الواقعة فى آسيا العربية ، والتى ينطق أهلها بالضاد ، ويدينون بدين الإسلام كانت فيما مضى قاعدة لأعظم « عائلة » إمبراطورية عرفها التاريخ حكمها العرب قروناً كثيرة ، وكانت عاصمة ملكها « المدينة المنورة » ، ثم « الكوفة » ، ثم « دمشق » ، ثم « بغداد » ، وكانت فى زمن المملكة العثمانية تؤلف كتلة عربية منقسمة إلى عدة ولايات يحكم أهلها العرب أنفسهم بأنفسهم ، والسلطان الظاهر للدولة العثمانية .

ولما نشبت الحرب العالمية الأولى هب العرب لنصرة الحلفاء أملاً منهم فى الحصول على استقلالهم السياسى ، بَيْد أنه خاب الأمل ، فلما انتهت الحرب باندحار الأتراك تألّب الحلفاء على العرب ، ونقضوا العهود والمواثيق ، ورموها وراء الحائط ، وتقاسموا الغنيمة ، وَجَزَّأت البلاد ، وباعدت بين الأقطار بفرض قوانين وأنظمة تخالف الدين الإسلامى ، وحكم الأجنبى بعضها مباشرة ، وهو ما يسمى بالاحتلال أو الاستعمار ، وبعضها بالانتداب والوصاية ، والبعض الآخر بالحماية ، وما هى إلا أسماء سموها لأنفسهم ليتسنى لهم الحكم كيف شاءوا .

والآن وقد انتهى الاستعمار الأجنبى بعد نضال مرير دام نصف قرن تقريباً ، فهل أخذ العرب العبرة والعظة واتحدوا اتحاداً صادقاً بخلوص نية وحسن طوية

لينتزعوا البقية الباقية والفلذة الغالية والدرة الثمينة ألا وهى « فلسطين » السليبة ، وتعود « آسيا العربية » إلى سابق عهدها مملكة موحدة ، عظيمة الجانب ، مرهوبة الشباة .

كما انتهى الاستعمار أيضاً من أفريقية العربية ، فتنضم هذه البلاد إلى أختها آسيا العربية لتشكل قوة هائلة يتراوح عدد نفوسها مائة مليون نسمة ، وتصبح الأغنية التى يرددونها من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر حقيقة واقعة .

ولكن ــ والعين تترقرق بالدموع ، والقلب يتمزق حزناً وكمداً ، بل يجرى دماً ــ لا يزال القادة يتصارعون على الكراسى ، والملوك والرؤساء ليس همهم إلا إشباع رغباتهم ، إلا من رحم ربك ، والعدو الإسرائيلى آخذ بتلابيبهم ، ومسيطر على البلاد المقدسة ، ويحاول التوسع على حساب الأمة العربية .

سكان جزيرة العرب ، واشتقاق اسم العرب

اصطلح المؤرخون المعاصرون من مستشرقين وغيرهم أن يسموا من تفاهم بالعربية والعبرانية والسريانية والحبشية ، أو التى كانت تتفاهم بالفينيقية والآشورية والآرامية ، شعوباً سامية نسبة إلى سام بن نوح ، لأنه جاء ذكره فى التوراة ، ولغتهم اللغة السامية لتشابكها واشتباه بعضها ببعض فى ألفاظها وتراكيبها .

والأولى أن تسمى الشعوب العربية بدلاً عن السّامية والساميين .

بينما مؤرخو العرب يقسمون شعوب العالم إلى عرب وعجم على سبيل الجملة وينسبونهم إلى أجداد وأصول تسمت بأسماء اشتهرت الأحفاد بها ، فيدخل فى ضمن مسمى العجم : الترك ، والروم ، والبربر ، وفارس ، واليونان ، والرومان ، والصقالبة الإفرنج ، والهند ، والصين ، وغيرهم ممن لم يتكلم اللغة العربية ، كما يقسمونها إلى ساميين ، وحاميين ، ويافثيين ، أولاد نوح عليه السلام

وما تفرع من ذلك ، وَأن العرب من قسم الساميين المنسوبين إلى سام بن نوح ، وكلا الرأيين مستقى من التوراة .

أما اشتقاق لفظ عرب فيذهب مؤرخو العرب ، وَفى مقدمتهم اللغويون إلى أن كلمة عرب مشتقة من الإعراب الذى هو الإبانة والإفصاح ، وَقالوا : إن أول من تكلم بالعربية هو يعرب بن قحطان كما سيأتى .

وَحاوَل بعض المستشرقين أن يعلل اشتقاق لفظ العرب وَالأعراب ، وَفى أى زمن ظهرت هذه الكلمة ، وَجاراهم فى ذلك المؤرخون المعاصرون من العرب ، وَلم يأتوا بما يشفى الغليل ، وَغاية ما وَصلوا إليه أن معنى لفظ عرب الحقيقى هو صحراء أو بدو ، وَظهرت فى زمن محاط بالغموض لأنها وَردت فى آداب اليونان وَالإغريق .

قال لسان اليمن فى صفة جزيرة العرب ص ٣٧ : وَإنما سماها بطليموس أرض الأعراب ، لأجل أن أكثر العرب بادية ، وَسماها خصبة لأنها أكثر البلاد كلأً دون المزارع .

وَجاء ذكرهم فى التوراة ، وَفى القرآن الكريم : « الأعراب أشد كفراً ونفاقاً »[١] . وَفى المساند الحميرية بلفظ: « وَأعرابهم » .

تعداد سكان ومساحة الجزيرة العربية
(أو آسيا العربية)

يقدر تعداد سكان آسيا العربية ، أو الجزيرة العربية ما يربو على ثلاثين مليون نسمة ، وهى فى تزايد مطرد ، منها مجموع تعداد العرب ما يزيد على خمسة وعشرين مليوناً ، والباقى أقليات كردية ويهودية وتركية وأرمن وهنود ، وأكثر

---

(١) من الآية ٩٧ من سورة التوبة .

الـكرد فى العراق ، واليهود المغتصبين لفلسطين الذين زادهم ضراوةً تناحرُ العرب فيما بينهم ، وفى موقف مخزٍ يذيب القلوب ، أعادها الله إلى حظيرة الإسلام وللعرب ، أما الترك فقسم قليل منهم فى العراق والباقى فى شمال سوريا ، وكذا الأرمن والهنود فى عُمَان والمشيخات التى على الخليج العربى .

هذا وَلا شك أن إحصاء تعداد السكان فى الأقطار الشقيقة كالعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن أمر مقطوع به وبصفة رسمية لـما دخل عليها الاستعمار وأنضج أفـكارهم .

وأما الحجاز وَنجد وَالمشيخات التى على ساحل الخليج العربى ، وَاليمن بأجزائه ، فليس هناك إحصاء رسمى إذ ما زالت فى دور النمو والتطور .

وأما مساحة آسيا العربية فتبلغ على أقل تقدير تسعمائة ألف متر مربع ، ومن أراد تحقيق ذلك فليرجع إلى مواطنها وجغرافية كل قطر .

أصل العرب ومنبتهم ، وأين وُجدوا

وكما اختلف المؤرخون فى سكان الجزيرة العربية اختلفوا فى مهدهم وَأين كان أول ظهورهم ، فمنهم من يقول : إن مهد العرب جزيرتهم على الرأى الآخر ، بينما يذهب آخرون إلى أن أصل العرب كان بالعراق العربى : بابل وبلاد الرافدين وَمنها تبلبلت الألسن — أى تفرقت — وَيرون أن يعرب بن قحطان لـما نفر من بابل تـكلم بالعربية وَقال :

أنا ابن قحطان الهمام الأفضل   وَذو البيان وَاللسان الأكمل
نفرتُ وَالأمــــةُ فى تبلبل   نحو يمين الشمس فى تمهّل
وَكنتُ منهم ذا الرعيل الأوّل

وَالقائل بهذا الرأى هم مؤرخو العرب ، وَلهم فى ذلك أخبار وَروَايات يطول ذكرها ، وَكل ذلك مستقى من كلام الإخباريين وَمن التوراة .

وَيذهب نقاد المستشرقين الذين منهم عبدالله فلبى الإنجليزى إلى أن مهد العرب وَمنشأ أصولهم هو « اليمن » وَمنهم « جان جان بيرون » من المتأخرين فى مقدمة كتابه « الجزيرة العربية » ص ١٢ ، حيث قال : إن الجزيرة العربية صحراوية فى أكثرها ، وَزاوية ضيقة منها كثيفة السكان هى التى أصدرت موجات من سكانها إلى الشرق الأوسط حتى إلى الغرب ، كما وَإنها « العربية السعيدة » فيما مضى ، أو « اليمن » اليوم ، بلد الجبال الخضراء ، أو السكان المتحضرون حيث سادت مملكة سبأ .

وَسيأتيك مزيد من أقوال المستشرقين .

وَأنا شخصيا أميل إلى هذا الرأى لدليلين استنبطتهما عن طريق دراستى المتعمقة الطويلة للتواريخ الحديثة منها وَالقديمة .

الدليل الأول أن مما يشهد على أن « اليمن » مهد الشعوب العربية أنها لازالت طوال أدوار التاريخ، تمد الجزيرة العربية وما جاورها من سواحل أفريقية كالحبشة التى كانت مستعمرة عربية جنوبية وغيرها ، وإلى ما هو أبعد من ذلك بثروة هائلة من البشرية ، سواء قبل ظهور الإسلام بزمن متوغل أم بعده ، فالتاريخ يحدثنا عن قبائل جرهم الأولى والثانية ، وعن العمالقة والكنعانيين والهيكسوس والفينيقيين وغيرها من الأمم ، وإنها كانت موجات بشرية من جنوب الجزيرة « اليمن » واستوطنت مكة وما بين النهرين ، وسواحل الشام وصحراء سينا إلى النيل ، والله أعلم ما كان قبل ذلك ، مما أغفله التاريخ ولم يصل إلينا خبره .

وتلتها أيضاً موجات بشرية أخرى من نفس الموطن بعد زمن متأخر، أقدمها قضاعة التى منها سليح وتنوخ وأخواتها بلى وجهينة ، وسواها من قضاعة .

ثم قبائل غسان ولخم وعاملة والأزد ، الذين منهم الغساسنة والأوس والخزرج وطى وكندة وجذام ونحوها ومواطنها معروفة إلى يوم الناس هذا .

وقد نظر « لسان اليمن الهمدانى » إلى الغيب بستر رقيق ، فسبق المستشرقين بهذا الرأى قبل ألف سنة ، ولكن بروح ذلك العصر وطبيعته ، فارجع إلى دامغته وتفسيرها ترى عجباً .

أما أيام الفتح الإسلامى وتدفق هجرتهم وانسياحهم شرقاً وغرباً ، فلا يحتاج النهار إلى دليل ، فهم الذين دوخوا الدنيا ، وسلبوا مملكتى فارس والروم وفتحوا مصر وأفريقيا والأندلس ، وخفقت أعلامهم على جبال البرانس ، وأطلوا على الأرض الكبيرة « فرنسا » بقيادة الزعيم اليمنى الكبير عبد الرحمن الغافقى ، وبلغوا القاصية ، وقبضوا على الناصية ، وأدخلوا الإسلام إلى كل رقعة من المعمورة .

والحاضر يشهد للغائب وللماضى البعيد ، فلا زالت تتدفق هجرة اليمنيين فتغص بها الجزيرة العربية والحبشة والسودان وسواحل أفريقيا ، فإلى أمريكا وأوربا وأندونوسيا ، حتى قال بعض المستشرقين ، إن « اليمن مصنع العرب »[1] .

والدليل الثانى : هو أن أوربا كانت قبل الميلاد بمئات السنين يغطيها الجليد وغير صالحة للسكنى ، كما كان مناخ « أفريقيا » بحكم الجوار للبحر الأبيض المتوسط لا يزال شديد البرودة ، وكانت الصحراء الكبرى من أفريقيا مغطاة بالمياه .

وكما يؤخذ مما نقله العرب إبان تمدنهم عن أحوال مصر ، ومما جاء فى أخبارها القديمة ، أن حدودها الزراعية كانت أوسع منها اليوم بكثير ، إذ ذكروا أنها كانت تمتد من الغرب وراء صحراء الإسكندرية إلى برقة ، وتتصل من جهة الشرق بحدود السويس إلى العريش ، ومعظم المسافة هناك اليوم رمال قاحلة ،

---

(١) اسم المستشرق « لورنس » جزيرة العرب — ١٢٨ .

بينما كانت قديماً تزرع الزعفران والعصفر وقصب السكر ، وكان ماؤها غزيراً ولا تزال آثار العمارة باقية فى تلك البقاع .

وكان الصعيد عامراً وممتداً من جهة الشرق إلى البحر الأحمر وأراضى البجة وكانت أطيان الفيوم ممتدة إلى ما وراء العمارة المعروفة اليوم بمسافة ، والآن قد انحسر عنها الخصب والريف والعمارة .

كما كان خليج البصرة يغمر العراق الأسفل ، وكان البحر أو بعبارة أقرب الخصب وهطول الأمطار ، يغمر الربع الخالى ، ولهذا قيل إنه بعد أن انحسرت عنها المياه سكنته قبيلة وبار والرس وغيرها من الأمم البائدة التى لم تصلنا من أخبارها إلا النادر الشاذ .

وكانت « الخضراء » تهطل عليها الأمطار بغزارة فائقة لا سيما فى منطقة جبال السراة المطلة على تهامة التى كانت أمطارها تشبه أمطار الحبشة فى مواسمها إلى حد بعيد ، وتخلف بعدها السيول المتدفقة نحو الشرق والغرب ، وذات الشمال وذات الجنوب ، ولهذا قال الشاعر الحميرى :

ويمطرها المهيمن فى زمان   به كل البرية يظمـــؤنا

وكانت المياه تجرى فى الوديان على الدوام والغابات تكتنف تلك الوديان وكانت الأرض منبتة ، والمراعى كثيرة خصبة قابلة للسكنى .

وذكر ما يدل على هذا « بلينوس المؤرخ اليونانى » أن المعينيين يقيمون فى بلاد كثيرة الغاب والغروس ، وقال بعض التبابعة فى اليمن :

إن قحطان إذ بناها بناها   بين برية وبين بحـــار
نطقت بالكروم والنخل والسـدر وأصناف طيب الأشجار
وأسيح العيون فيها فلا   تسمع إلا تسلسل الأنهـــار

وهو اليوم أقل بقليل مما كانت عليه أو تلاشت كلية ، وحينئذ فلم يلق

البشر فى هذه البيئة الصالحة كبير عناء فى الحصول على معيشة هنيئة ، والخصب هو الذى يفسر لنا قيام دولة حضارية قديمة فى البلاد السعيدة ، ولهذا سنح لهم بنا السدود وخزانات المياه فى كل أرجاء « اليمن الخضراء » ، لكى لا تذهب السيول هباء ، كما أن حيوانات الصيد كانت متوفرة لتوفر الغابات والأنهار ، وكذلك الماشية وَالأغنام ، فكثر توالد العرب ، وَتكاثف السكان ، وَأنت إذا اطلعت على المساند التى عثر عليها ، وَسجلوا فيها بعض حروبهم وَما غنموه من الماشية وَالحيوانات لقضيت العجب .

وَأكبر من هذه قول الله عز وَجل : « بلدة طيبة ورب غفور » .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان لتراجم السكان وتكاثف المواليد والتضايق فى المساكن والتنافس بين الأقوياء ، واستطالتهم على الضعيف أثر بالغ الأهمية فى فيضان الهجرة إلى خارج اليمن .

أضف إلى ذلك أن المناخ لم يبق على حالته من الخصب ، لأن الأحوال الجوية غيَّرت مناخ الأقطار المجاورة على مر السنين ، فالمياه انحسرت عن الصحراء الكبرى ، وجفت عن فلاة اليمن : الربع الخالى ، وعن الأحقاف التى كانت مساكن عاد قوم نبى الله هود ، وكانت فيها مَدَنيةٌ زاهرة وإرم ذات العماد إن صحت الرواية ، وهى اليوم مضرب الأمثال فى الجفاف ، كما وأن الأمطار قلت وحلت الحرارة محل الاعتدال ، وأخذت تلك الأودية تجف تدريجا ، وقد ذكر ذلك الهمدانى فى ج ١ من الإكليل وفى الثامن والأمير نشوان فى شمس العلوم ، ويأتى ذكر ذلك.

والتاريخ يحدثنا أنه كان فى نفس مدينة صنعاء عدة غيول تسح على الأرض وتسق إلى الرحبة ، واليوم لا شىء ، وقل فى ذلك ذمار وغيرها من القرى والأودية .

والهمدانى نفسه يحدثنا فى أحد كتبه أن الأمطار كانت فى أيامه غزيرة ، وكما حدثنا آباؤنا عن ما عهدوه فى أزمانهم ، وعن أجدادهم وأسلافهم عن غزارة الأمطار ، وكثرة الغيول والجداول ، وكانت تسقى إلى مسافة شاسعة ، وهى اليوم قد اختفت أو قلت ، وإن مقادير المطر فى الأعصر الأخيرة صارت أقل مما كانت من العصور الخوالى يظهر ذلك للمتأمل فى كثرة الغيول والأدوية الجافة وعمقها المتناقص .

وقد تنبه لهذه الظاهرة وهى قلة المياه الإمام « لسان اليمن » . ولكنه عزاها إلى تأثير الزلازل ، وهى بلا شك عامل من عوامل إخفاء الغيول ودفنها تحت أنقاض الزلازل ، فقال فى كتابه الجزء الثانى من الإكليل عند كلامه على غيل (وادى ضهر) : وكان هذا الغيل على ضعف ما هو اليوم حتى وقعت فى اليمن زلازل قطعت بعض مياهه .

والله أعلم ما هو اليوم بالنسبة إلى ما كان فى عهد الهمدانى، فإنه اليوم لايسقى كامل وادى ضهر .

فأثّر الجفاف فى المواطنين ، فجعلوا يرحلون عن هذه البيئة الشحيحة الموارد لاسيما بعد خراب السدود ، ويهاجرون إلى أطراف الجزيرة وإلى غيرها .

وهكذا هاجر العرب من « اليمن الخضراء » بموجات متعاقبة إلى أنحاء الجزيرة ، وكونوا الحضارة الأولى فى الهلال الخصيب[1] .

---

(١) كنت سجلت هذا البحث كرءوس أقلام فى مذكراتى منذ زمن ، فلما عزمت على تدوين هذا التاريخ عثرت على مايشف بالموضوع في جغرافية «طه الهاشمى» وعلى ألماع فى الجزء الخامس (ص ١٠٤) من التمدن الإسلامى للمؤرخ الكبير « جرجى زيدان » ، فكان ذلك من توافق الخواطر ، كما يقال وقع الحافر على الحافر .

ولآسيا العربية شأن خطير من حيث موقعها فى ملتقى القارات الثلاث ، إذ تميزها خطوط المواصلات القصيرة التى تربط هذه القارة بعضها ببعض ، فالطرق البحرية تمر بقناة السويس ، والطرق البرية تمر بسوريا والعراق ، والطرق الجوية تمر بسماء سوريا والعراق .

كما لها خطورة أخرى من الوجهتين التاريخية والاجتماعية ، فهى مبعث الحضارات ومهد الأقوام العربية والسامية التى وضعت الأديان السماوية التى يدين بها معظم البشر ، ومنها انتشرت مقومات الحضارة التى عمت مظاهر العالم .

ولها شأن عظيم فى المستقبل القريب فيما إذا تمت الوحدة الشاملة والاتحاد الصحيح ، وارتفع فيما بين قادة العرب حب الأثرة والأنانية ، واتحدث كلمتهم ويسر الله زعماء للقيادة الجماعية ، وما ذلك على الله بعزيز .

طبقات العرب وأقسامهم

يقسم نُسّاب العرب قبائلهم إلى طبقتين ، بائدة وباقية ، فالعرب البائدة هى : عاد وثمود والعمالقة الأولى ، وجرهم الأولى ، وطسم وجديس ووبار والرس وغيرها ، ومعنى البائدة التى لم يبق من أخبارها إلاَّ نُتَفٌ حينما جاء الإسلام ولم يبق لهم عقب معروف لاندماجهم فى الأمم التى خلفتها ، أو انقراضهم تدريجاً .

والعرب الباقية ترجع إلى أصلين أحدهما العرب العرباء التى تسمى العرب العاربة أى الراسخة فى العروبة ، وهم أبناء قحطان بن نبى الله هود عليه السلام والأخرى العرب المستعربة ، وهم العدنانيون أبناء نبى الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام لأنه صاهر جرهم الأولى ، فتعلم منهم العربية وأخذها عنهم ، فسمى أولاده العرب المستعربة ، ولهذا قال شاعر الإسلام حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه :

تعلمتمو من منطق الشيخ يعرب أبينا فصرتم معربين ذوى نجر
وكنتم قديما ما بكم غير عجمة كلاماً وكنتم كالبهائم فى القفر

وارجع إن شئت إلى معرفة تسلسل بطون هذا الشعبين إلى كتب الأنساب كما نلم فيما يأتى بتفصيل بطون قحطان بحسب المكنة .

وللمستشرقين حول أنساب العرب فذلكة تكاد تكون مثار شكوك وأوهام صرفنا النظر عن نقدها وحظها السقوط إذ يقصد من ورائها هدم ما بناه الأجداد .

والعجب من مؤرخى العرب المحدثين حيث انجرفوا وراء هذه الأفكار الهدامة لما بناها أسلافهم من المجد والفخر بدون تمحيص أو تحليل ، بل تقليد أعمى وهذا تراث السلف يجب الاحتفاظ به على علاته أو بنقد بمناقشة واردة .

هذا وصف إجمالى لجغرافية الجزيرة العربية ، تاركين التفصيل أو التفنين للكتب المؤلفة فى هذا الشأن لكل قطر من هذه الأقطار الشقيقة فما يهمنى الآن هو « اليمن الخضراء » الذى هو جزء من الوطن الكبير والذى وضعنا له جهدنا فى هذا التأليف كما اجتزينا بوضع الخرائط التى تعطى القارىء صورة كاملة عن ملامح كل قطر عن جغرافيته بما هو أقرب وأرفق من الوصف الكتابى ، كما قال المؤرخ الشهير « غستاف لابون » الإفرنسى فى كتابه « حضارة العرب » .

وقد أصاب من قال : « إن صورةً متقنة خيرٌ من مائة صفحة فى الوصف » وليس من المبالغة أن يقال : إنها خير من مئة مجلد .

الفصل الثاني

اليمن الخضراء

تسميتها ـ موقعها ـ مساحتها ـ طبيعة البلاد ـ جبالها ـ أوديتها ـ المناخ ـ الزراعة ـ السكان ـ المدن ـ عالم الحيوان ـ الصناعة ـ التجارة ـ الثروة المعدنية ـ المواصلات ـ الهجرة ـ المذاهب ـ القبائل ـ التشكيلات الإدارية

الاسم

سمى اليمن يمنا لوقوعه يمين الكعبة أو لِيُمْنِه وبركته وخِصْبه أو سمى بأيمن ابن الهميسع بن حمير وقد جاء ذكره فى النقوش بلفظ يمنات .

وسماه الله ، بلدة طيبة ورب غفور وسماه قدماء أجدادنا الحميريين « اليمن الخضراء » لاخضرار جبالها وكثرة أشجارها وثمارها وفواكهها وزروعها وإدرار خيراتها قال شاعرهم وهو ذو الكلاع الحميرى :

هى الخضرا فانظر فى رباها　　يخـبرك اليقين المخبرونا

وتمطرها المهيمن فى زمان　　به كل البرية يظمئونا

وفى اجبالها عز عزيزٌ　　يظل لها الورى متقاصرينا

وأشجار منورة وزرع　　وفاكهة تروق الناظرينا

وأسماها الرومان واليونان : « بلاد العرب السعيدة » لخصوبة أرضه واختلاف مناخه عن مناخ الجزيرة العربية ، وفى التورات : الأرض الغنيّة واسماه قدماء المصريين : الأرض المقدسة كما كان يقال لها : اليمن مهد الحضارة القديمة وحضرموت بلد التجارة وعمان بلد الملاحة واسماها بعض المستشرقين : بلاد الغرائب وبلاد القصور كما سماها الأخباريون ، وبلاد الطيب كما سماها استرابون .

موقعه وحدوده

تقع اليمن الخضراء فى الجنوب الغربى من جزيرة العرب وحدوده الطبيعية : آخذٌ من الزاوية الشرقية الشمالية من رمال يبرين منعطفا نحو الشمال الغربى فيأخذ ما تاخم تثليث وبيشه وجرش وتباله ثم ينحدر غربا على جبال سراة الازدو عسير طاعنا بطن تهامه بام جَحْدَم وحلى بن يعقوب وما صاقب ذلك ويطيف بها غربا البحر الأحمر وجنوبا خليج عدن وبحر العرب ثم ينجر فيحتضن حضرموت ومهرة والأسعا والأحقاف فعمان وشرقا رمال وبار والخليج العربى فراجعا فيلتقى برمال يبرين المذكورة أولا .

وبالاختصار شمالا اعراض نجد والعروض : بيشه ويبرين وما ذكر آنفا وام جَحْدَم فى بطن تهامة وغربا البحر الأحمر وجنوبا خليج عدن والبحر العربى وشرقا رمال وبار والخليج العربى ، وهكذا حددها «غلاسير النمساوى» والهمدانى .

فاليمن الطبيعى بحدوده المذكورة يشمل حضرموت بما فيها مَهْرة والأحقاف والأسعا وعمان ففلاة اليمن : الربع الخالى . وجبال الأزد بما فيها عسير فنجران فبلد زُبَيْد المذحجيّة وخثعم وبجيلة فالمخلاف السليمانى مخلاف حكم فى بطن تهامة لأنه كان وحدةً طبيعيةً وسياسيةً ولأن قبائله يمنية بحته وَحكامُه منذ العصور القديمة ملوك يمانيون رفرفت أعلامهم على هذه الربوع وَخفقت راياتهم على جبالها ووهادها وسهولها بل إلى ما هو أبعد من ذلك من وراء الجزيرة .

قال « لسان اليمن » وتأييد ذلك فى جميع اليمن لهذه المواضع كتب العهود من الخلائف لولاة صنعا اليمن ومخاليفها وعك وعُمَان وحضرموت وكلامهم على الوفود وأخبار الردة . وسيأتى إن شاء الله فى عصور الإسلام تحقيق ذلك .

مساحتـــه

ليس هناك ضبط دقيق لمساحة « اليمن الخضراء » لا الطبيعى منه ولا السياسى فى عهدنا الحاضر رغم وجود وسائل لذلك وكما عرف عن ذلك انما هو من كلام الأجانب الرحل والضباط الأتراك وكله لا يعدو الحدس والتخمين والأسباب لذلك معروفة .

قال طه الهاشمى فى جغرافيه الذى عرف اليمن مرتين زمن الأتراك وبعده :

واليمن مستطيل الشكل أقصى طوله (٢٥٠٠) كيلو متر وأقصى عرضه زها (٢٥٠) كيلو مترا وتبلغ مساحته ما يقارب (٢٠٠ر٠٠٠) كيلو متر مربع : ولعله يريد بهذا اليمن الذى كان فى حوزة الأتراك والإمام يحيى حميد الدين وان كان هذا أحسن تحقيق اطلعنا عليه .

بينما مندوب اليمن فى هيئة الأمم المتحدة سنة ١٣٦٦ هـ سنة ١٩٤٧ م وزع نشرة تفهد أن مساحة اليمن هى مايةٍ وعشرين الف كيلو متر وثم مراجع أخرى رصينة جدا تعطى أرقاما تتراوح بين مائة وخمسة وتسعين ألف كيلو متر مربع وبين مائتى ألف كيلو متر مربع ويذكر هذا المصدر أن مساحة الجنوب اليمنى مائتان وتسعون الف كيلومتر مربع وأن مساحة عمان مائتان وخمسون ألفا .

طبيعة البــلاد

تتــكون اليمن الخضراء الأم والكبرى من هضبتين وسهول فى الغرب وسهول فى الشرق وزوايا وأضلاع فى الشرق والشمال .

أما الهضبة الكبرى فهى سلسلة الجبال المؤلفة من الهضاب المرتفعة التى تعلوها قمم يتراوح ارتفاعها بين ثلاثة آلاف وخمسمائة متر أو أكثر أو أقل من ذلك كما يأتى

فى مقياس ارتفاعات الجبال . وهذه الجبال هى الآخذة بعضها برقاب بعض كأنها قطار الجمال يتخللها أودية وشعاب ومنافذ وطرقات ، مصداقاً لقوله تعالى : « وجعلنا فى الأرض رواسيا أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون »[1] .

وهذه الجبال هى التى يطلقون عليها جبال السَّراة ـ بالفتح ـ مأخوذ من سراة الظهر ، وهى فقراته كما يطلق عليها العامة ساق الغراب ، لأنها تشبه ساق الغراب فى انتصابه ولونه الداكن عندما تتراءى من بُعد .

وهذه الجبال هى المطلة على تهامة من جهة الشرق ، وَالْمُنفصلة عنها من أعماق التكوين ، وهى العمود الفقرى ، والحاجز الطبيعى بين نجد اليمن وسرواته وبين الغور تهامة ، وتسمى أيضاً حجازاً .

وتبتدىء هذه الجبال طولا من عُرّ « عدن » فالحيق (البريقا) فقُمْرة للعافر الحجرية ، وتنتهى بجبال الطائف وما جاورها إلى لُبْنان وجبال الشام .

وقد فصلها على انفراد إمامُ المؤرخين « لسان اليمن » فى كتابه « صفة جزيرة العرب » .

وهذه المنطقة أو هذه الجبال الشماء هى الجزء الذى يمثل الخِصْب من اليمن الخضراء ، وفيها مدن وقرى لا يأتى عليها الحصر ، ونحن ذاكروا البعض منها فيما يأتى كما وأنها بالبلاد المتحضرة أشبه منها بالبداوة ، إذ لاحظ لها فى ذلك ، كما أن سكانها أهل قرار فلا حَطّ عندهم ولا ترحال لطلب الكلا والمرعى ، أو الارتزاق والامتيار ، وهى مشتبكة العمران لا يفارق نظر المسافر القرى والقصور والمعاقل فى انتقاله من مكان إلى آخر .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٢ .

وهذه الشماريخ المنتصبة التى كأنها العملاق هى قاهرة الغزاة التى تتحدّى كبرياءهم ، وتنكسر على صفاتها الصلبة تلك المنجهية الموجاء ، فيرتد عنها متنكبًا وهو حسير .

وهى نفسها أيضًا التى أوجدت اختلاف اللهجات وتعدد اللغات والفوارق الطبيعية والاجتماعية ، وغير ذلك .

وهى أيضًا التى ساعدت وتساعد على انقسام اليمن إلى دويلات وإمارات وإقطاعات بمجرد أن تحس بضعف الحكومة المركزية ووجود اختلاف داخلى .

وكانت هذه العوامل الطبيعية أساسًا من عوامل التفرقة والمباعدة ، لأنه لم يكن فيها إلا منافذ وَمخارم ضيقة الاجتياز وَالاتصال ، وَمن هذا كونت قبائل وَشعوبًا مختلفة اللهجات وَالسّمات وَالسحنات لقسم الجبال وَنجدها وَالتهائم وَالسهول الشرقية وَالغربية ، هذا من ناحية ، وَمن ناحية أخرى تقلب الأجواء ، فمن جاف مرتفع إلى معتدل إلى ليونة وَرطوبة إلى حار شديد ، إلى غير ذلك .

وَتقدر مسافة هذه الهضبة عرضًا من خيف الجبال وَأسافلها المتصلة بتهامة غربًا حتى أعالى قممها شرقًا المتصلة بجبال نجد اليمن بمسيرة أربعة أيام لطاف يزيد كسر يوم فى بعض هذه المواضع ، وَقد ينقص مثلها فى بعضها ، وَبمسافة ثمانية وأربعين ميلا (٤٨) أو ما يقارب (٧٢) كيلو متر ، إلا أن المرور فى جوف هذه الهضبة وعر شاق .

والهضبة الثانية هى التى يقال لها « نجد اليمن » وهى أيضًا سراة إلا أن هذه يتدرج الارتفاع شيئًا فشيئًا ، فيميل إلى آكام وربوات ، وتنحدر رويدًا رويدًا نحو الشرق حتى تضيع بين فلاة اليمن : الربع الخالى .

كما أنه يفرق بينها وبين الهضبة الغربية فارق طبيعى يدركه المرء عندما ينتقل من النجد إلى السروات أو العكس ، فيحس باختلاف ملموس من الجفاف

الذى هو طبيعة نجد اليمن إلى الرطوبة التى هى طبيعة السروات ، ومن الخشونة إلى اللين ، ومن الجدب إلى الخصب ، ومن مروج خضراء داكنة إلى يبوسة قاحلة ، ومن كثرة العضاة والحشائش إلى صخور جرداً وهكذا .

كما تختلف بالملامح البشرية وسحناتها ورقة القلوب وقساوتها ، وكذلك الملابس ونبرات الكلام ، ولهجات اللسان إلى غير ذلك من الظواهر التى تتبع البيئة والمناخ .

وتبتدىء هذه الهضبة من تخوم السروات الغربية بالفارق الطبيعى الذى ذكرناه حتى تحاذى مأرب وبيحان شرقا ، ثم فلاة اليمن هذا الامتداد من جهة العرض .

وتقدر مسافة ذلك تقريباً بأربع أو خمس مراحل ، أى معدل (٤٨) ميلا أو ما يساوى (٧٢) كيلو متراً إلا أن السفر فى هذا النهج سهل مريح لأنها لا توجد فيها كثير من العقبات والنُّقُل .

وطول هذه الهضبة تبتدىء من جنوب اليمن بالجبال المطلة على مخلاف لحج وبين أبين ، وهى جبال حرير وجحاف وردفان والصهيب والحواشب ، وبلاد العوالق والعوذلى والواحدى ، ثم تتجه بخط يميل نحو الشرق الجنوبى ، فَيحضن جبال دَثينة وبلاد النخع وجبال سر وحمير : يافع وسر مذحج : بلاد البيضاء ، وينتهى شمالا إلى أعراض نجد تثليث وبيشة وتبالة ، حيث تبتدىء الحدود الطبيعية لليمن من الشمال فى هذا النهج كما سلف ذكر ذلك .

وفى هذه الكتل الجبلية أو المنطقة النجدية قرى ومدن وأودية ومزارع يأتى لبعضها ذكر ، وفيها تربض أضخم ثروة للآثار المَدَنيَّة التى سلفت ، وفيها حقول اليمن المشهورة .

ويتراوح مسافة طول هذه الهضبة بين اثنى عشر يوما إلى خمسة عشر يوماً

على جهة التقريب وما يساوى (٢٠٠) مائتى ميل أو ما يقارب (٢٥٠) مائتين وخمسين كيلوا متراً على جهة التقريب .

تهامـــة

تهامة بكسر التاء : من التهم ، وهو شدة الحر وركود الريح وتغير هوائها من قولهم تهم الدّهْن وتمه إذا تغيرت رائحته ، وهى السهول الغربية التى عنيناها فيما سلف ، وكلمة تهامة يختلف مدلولها اختلافا شديداً ، فهى تمتد طولا ما بين « عدن وتيه أبين » إلى تخوم الشام مسايرة لشاطىء البحر الأحمر ، وتنكمش أحيانا من الشمال أو من الجنوب . وأصدق دليل على هذا ما ذكره « عَرّام » فى صدر كتابه « جبال تهامة » أن أول تهامة هو رَضوى ، وهو من ينبع على يوم فيما بين مكة والمدينة .

ولا شأن لنا فى تهامة الحجاز . إذ المهم المقدم هو الذى يسيطر على مشاعرنا وهو الكلام على تهامة « اليمن الخضراء » الذى نحن بصدده .

فهو السهل الممتد الذى يغسله ماء البحر الأحمر ، وكما تسمى تهامة يُسمّى غوراً أو المنطقة الساحلية .

وتبتدىء جنوبا من تيه أبين فتشمل مخلاف لحج وأبين وأحوار الساحلية فى جنوب شرق اليمن إلى منتهى حدوده الطبيعى بأم جحدم وحضة وحلى بن يعقوب فى بطن تهامة حيث تتاخم تهامة الحجاز ، فالبحر الأحمر وبعض البحر العربى محيط بها من الغرب والجنوب ، والهضبة الشرقية السروات من الشرق .

تـكوين تهامة

تتكون أراضى تهامة من أراضى رملية ملحة قرب الساحل ، ومن أراضى خصبة زراعية بما جاور ذلك حتى تنتهى شرقاً إلى خَلْف الجبال وحازاتها لما تمدها السيول الدافعة من الهضبة الشرقية من الرواسب الغرينيّة والطمى .

ويتراوح طول تهامة اليمن من الجنوب الشرقى إلى شمالها الطبيعى ما بين عشرين مرحلة إلى ثلاثين مرحلة ، وما بين (٢٨٨) مائتين وثمانية وثمانين ميلا ، وما بين (٤٢٢) كيلو مترا وزيادة .

كما أن المسافة العرض من الساحل إلى حزاز الجبال بمسافة يومين ، وفيما بين ستين كيلو مترا إلى سبعين كيلو مترا .

ويصب إلى تهامة أودية نحن ذاكروها باختصار فيما بعد إن شاء الله وتكثر فى تهامة المياه الجوفية الغزيرة .

حاصـــــلاتها

محصولات تهامة من الحبوب : الذرة والدخن بصورة مستكثرة ، واللوبيا الدجرة وغير ذلك .

ومن منتوجاتها: النخيل والقطن(العطب) والقبغ ، التتن (التنباك) الذى أدخل إليها قريباً ، ومن الفواكه الموز والتين والرمان والليمون الحلو والحامض ، ويصلح العنب (الكرم) ومن الخضراوات الشىء الكثير ، وكذا الرياحين والأزهار والورود والبطيخ الحبحب والجلجان السمسم والنيلة (الحور) ونحو ذلك .

والبوادر تدل أنها قد دبت إليها الحياة العمرانية ، ونشطت يد العلم فى استصلاح أراضيها واستثمار خيراتها بادخال الآلات الزراعية الحديثة واستخراج المياه الجوفية باستعمال الآلات الرافعة والمضخات وتمبيد الطرقات إلى جميع الأودية الغنية بالمياه وعلى شاطىء ميازبها .

ولو ثوبر على دوام الإصلاح وكثرت الأيدى العاملة المخلصة الأمينة ، وتوفرت الوسائل الحديثة بسهولة ويُسْر فى طول هذه المناطق الطيبة وعرضها ، لفاضت على اليمن بخيراتها العديمة ، وأصبحت تضاهى أعظم مقاطعة فى أخصب بلاد الله .

كما أن الفلاحين اليمنيين وغيرهم من ذوى اليسار ورؤس الأموال لو توحدوا وتضامنوا لتأسيس شركة وطنية لمسح تهامة والجوف ومأرب والحقول المشهورة باليمن بحفر آبار إرتوازية ، وإصلاح قنوات مياه السيول والغيول بالطرق الحديثة لزرعت من كل فاكهة وأبا ، ولأصبح الشعب والحكومة فى سعادة ورخاء ولاستغنوا عن إيرادات الحبوب وغيرها من الخارج أو لقلل من استيرادها ، وهذا بغض النظر عن الإصلاح الزراعى فى عموم « اليمن الخضراء » ، ولعاد على اليمن أسمائها القديمة الخضراء والسعيدة إلى آخره .

المناطق التهامية

تشكل تهامة ثلاث مناطق رئيسية إحدها المنطقة الجنوبية وقصبتها « عدن » ومن مخاليفها لحج ومخلاف أبين ، ومخلاف أحور ، وكلها من اليمن الجنوبى ، ويسميه « لسان اليمن » مضيفاً إليه « دثينة وبيحان » « جرز اليمن » ، ويأتى بيان ذلك .

والمنطقة الثانية هى الواقعة فى اليمن المستقل وتحت نفوذ صاحبة الحق الشرعى « الجمهورية العربية اليمنية » ، وتمتد من باب المندب جنوباً إلى حرض شمالا ، وعاصمتها اليوم « الحديدة » ، وإن كان يعزى اليوم « قضاء المخا » إلى لواء تعز .

وكانت تنسب أعمال تهامة بما فيها مخاليف « عدن » فى دواوين الخلفاء عند ظهور الإسلام إلى عمل مدينة « الجند »[1] إلى سنة ٢٠٤ مائتين وأربع من الهجرة حينما استقل محمد بن زياد بتهامة — على رأى عمارة اليمنى — واتخذ عاصمته مدينة « زَبِيْد » المشهورة بالقطر التهامى .

وهذه المنطقة هى أخصب المناطق التهامية وأمرعها وأوسعها ، وفيها قرى ومزارع تفوت الحصر يأتى ذكر المشهور منها .

---

(١) صفة جزيرة العرب .

المنطقة الثالثة : المخلاف السليمانى المسمى قديماً مخلاف حكم بن سعد العشيرة ، وهو الذى يسيطر عليها النفوذ السعودى لأسباب ذكرناها فى التاريخ ، وهو من تعشر المتاخم لوادى حرض إلى نهاية حدود اليمن الطبيعى ، ومركز هذا المخلاف اليوم « مدينة » جازان » جيزان ، وكان فى القديم مدينة « عثر » .

وأما السهول الشرقية ، فنعنى بها ما يسمى بالغائط ، ويشمل مأرب وحريب وبيحان ، ثم فلاة اليمن ، وتارة بفلاة « صيهد » ، والذى تسمى حالياً « بالربع الخالى » وهى تسمية حديثة .

وتختلف هذه الفلاة باختلاف موقعها ، فيطلق على الجزء الواقع بين شرق مأرب والجوف وبيحان ونجران ، وشمالى غربى حضرموت « بمفازة صيهد » كما يسمى الجزء الواقع فى شمال حضرموت الشرقى باسم الأحقاف ، ويطلق ما جاوز هذا السمت باسم « وبار » على المفازة التى تقع شمالى مَهرة ، كما يطلق منها بالدهنا ، وكثيراً ما يطلق اليوم « بالربع الخالى » لخلو السكان منه .

وكانت هذه الفلاة من أخصب بقاع اليمن حيث قامت أول حضارة عرفها التاريخ وهى التى كانت مساكن عاد وثمود ، وأصحاب الأيكة ووبار ، وأصحاب الرس ثم انحسرت إلى جوارها مأرب وبيحان وشبوة .

ويليها فى الخصب منطقـــة مأرب ، وكر قحطان الآتى ذكرها ، وهى منطقة حارة جافـة ، إلا أنها أصح من مناطق تهامة مناخا وأرق هواء ، وأعذب نسيما .

ولا تختلف زراعتها عن زراعة تهامة ، والمياه الجوفية فيها متوفرة ، وهى تنتظر اليوم الذى يعود فيها مجدها وسالف أيامها النضرات .

وأما الزوايا الشرقية فهى : حضرموت ومهرة وعمان وسيأتى الكلام عنها كما يأتى الكلام عن الزوايا الشمالية والأضلاع .

جبال الخضراء

منح الله تعالى « الخضراء » جبالا شماء ، وشماريخ عصماء ، وقمماً عالية ، وشناخيب تناطح السحاب ، ومعاقل منيعة ، وحصونا تناغى الجوزاء ، ومصانع كثيرة يرتد الطرف عنها وهو حسير .

وغاية ما يقال عنها أنها كتلة جبلية تمثل عظمة الله وقدرته صانع كل شيء القائل : (وخلقنا الجبال أوتادا ، والجبال أرساها) .

وهى كثيرة يقصر عنها الوصف والحصر ، وأذكر جبالها وأبعدها صيتاً جبال السرات المتقدمة الذكر التى تشكل الهضبة الغربية المطلة على تهـامة ، فهى أبدع الجبال مصيفاً ، وأطيبها نُجْعَةً ، وأمرعها بُقْعَةً ، وأنقاها رُقعة ، وأنزهها إقليماً ، هواؤها سجسج ، لا حرور فيها ولا برود يؤذى ، حتى قال الأمير شكيب أرسلان » : إنها أطيب هواء من جبال لبنان وسويسرا ، وأنه لا يوجد فى جبال لبنان مكان يعلو عن سطح البحر أكثر من (١٥٠٠) ألف وخمسمائة قدم ، بينما يبلغ ارتفاع بعض هذه الجبال آلاف الأقدام عن سطح البحر ، وعن (٣٧٠٠) ثلاثة آلاف وسبعمائة متر .

وتمتاز هذه الجبال على جهة العموم عن الجبال الأخرى بعلو ذراها ، وصعوبة مرتقاها ، وكثرة شناخبها ، وصلاحيتها للسكنى فيها المعاقل المنيفة ، والقلاع الشماء والحصون الباذخة ذات الزروع والغروس والغدران التى تسمع لها خرير وترجيع كأنها الأنغام ، والأرض الخصبة ذات المدرجات النضرة ، والمروج الخضراء ذات الزهور والرياحين والوديان المتفتحة المثمرة .

ومن أوصافها البارزة أنها شديدة الانحدار والتعاريج بعضها متواصل ، وبعضها منفصل ، فترى القرية فى الجبل الشاهق البالغ عنان السماء ، ومعقل أمامه تناطح النجوم عليه هالة من القصور الأنيقة البرّاقة ، وبجانبه أكمة صغيرة كأنها

الطفل فى حضن أمه ، فتحار كيف تربط هذا بذاك ، ومنها عدم الارتباط فيها من المخارم والأودية ، وكأن الطبيعة نثرتها نثراً ، ومثلا لذلك المسافة بين بطن السحول إلى قمة « سمارة » عن الطريق الجنوبية آب صنعاء البالغ تقريباً (٤٠) أربعون كيلو متراً ، أى مسافة يومين على ظهور الجمال ، وكذلك عن الطريق القديمة « الحديدة صنعاء » بين الحجيلة فى الطريق الشرقى لتهامة إلى مناخة (٣٠) ثلاثين كيلو متراً ، أى مسافة ست ساعات على ظهور الدواب ، ومثل ذلك أو ما يقاربها فيما بين الطور إلى حجة من متوسط السراة ، وكذا ما بين عقبة ساقين إلى مدينة أبها للقادم من القنفذة ، وهكذا القياس سارٍ فى جميع جبال السراة مع تفاوت بين قمم أعلاها وأواسطها وأدانيها .

وأقصى ارتفاع قمم جبال هذه الهضبة سجله مقياس الارتفاع هو « جبل حضور » جبل النبى شعيب عليه السلام ، كما يسمى بيت خولان ، الواقع غربى صنعاء ٧٦٠٠ قدم .

وهذه قائمة لِأرقام قياسات الارتفاع لبعض جبال هذه السفوح الغربية ، نقلا عن الارتسامات اللطاف للأمير « شكيب أرسلان » الذى نقل ذلك عن كتب مؤلفة من ضباط أركان الجيش التركى ، الذى أطالوا الإقامة باليمن ، وكتبوا عنه ، ونقلا عن جغرافية « طه الهاشمى » ، وعن غيرهما ممن يوثق بكلامه ، ولم نذكر إلا الأشهر منها بادئين على التوال من الجنوب إلى الشمال ، كما أن الغالب فيها من السراوات مع ذكر المناطق الواقعة بها :

متر	أسماء الجبال	أسماء المناطق	الملحقات والملاحظات
٢٠٠٠	جبل ذخر : حبشى	لواء تعز	وهو من موطأ السراة
٢٠٠٠	« شمير : مقبنة	»	» »
٢٥٠٠	« صبر	»	متوسط
٣٠٠٠	« التعكر	الكلاع : آب	أعلا من ذلك

متر	أسماء الجبال	أسماء المناطق	الملحقات والملاحظات
٢٥٠٠	جبل الشوافى	الـكلاع: آب	أعلاه نمان ونهرة ووحاظة
٣٢٠٠	« ريمان : بعدان	«	«
٣٥٠٠	« حصن : حب	«	«
٣٧٠٠	« المنار : بعدان	آب	أعلا السراة
٣٧٠٠	« سمارة وأدم	يحصب العلو	«
٣٧٠٠	« إرياب: بنى الحارث	«	«
٣٧٦٠	« قلة بنى مسلم	«	«
٣٧٠٠	« ضوران: مخلاف أنس والهان		«
٢٥٠٠	« نعمان وصاب		متوسط
٣٢٠٠	« الجبين : ريمة		أعلا
٢٩٠٠	« عاز : الحيمة		متوسط
٢٩٣٠	« شبام : حراز		«
٣٧٦٠	« حضور : بيت خولان		أعلا قمم السراة
٢٦٦١	جبل شبام حمير كوكبان		أعلا قمم السراة
٣٧٠٠	« مسور المنتاب	لواء حجة	« «
٣٨٠٠	« المصانع	ثلا	« «
٣٢٠٠	« شهارة	الأهنوم	« «
٣٢٠٠	« خطارير	خولان صعدة	« «
٣٢٠٠	« العرّ	« «	« «
٣٢٠٠	« فيفا وبنو مالك	« «	المخلاف السليمانى
٨٩٠٠	« أبها	عاصمة عسير عن فؤاد حمزة « فى بلاد عسير »	
٧٦٠٠	« زهران وبارق ألمع وبلاد الأزد		« «

وفى تقدير الأمتار فى أبها وما جاورها تبعنا فؤاد حمزة وفيها ما فيها إذ هى رقبة من هذا العنق الذى يجىء من عرّ عدن ، وقس على هذا النمط ما تاخمها من الجبال المتاوحة لها من هذه الهضبة الغربية .

أما جبال الهضبة النجدية أو السفوح الشرقية ، فمن الصعب وصفها لأنها غير منتظمة وغير متجانسة ، فقد سبق لنا أنها تنحدر رويداً رويداً ، فبينما ترى جبالا شاهقة ، إذ بك فى تلال وربوات ، ثم تفاجأ بسهول ممتدة ، وهضاب مسطحة ، وآكام متناثرة ، وأقواز غير متجاورة ، بل أنها تشكل مناطق جبال متفرقة ، وربوات غير متوازية يتخللها حقول فسيحة وأودية واسعة أكثر ما تشكل سلسلة متآخية متقاربة .

فمثلا جبلا صنعاء نقم شرق صنعاء وعيبان غربيّها ، وعن شمالها وجنوبهما هضاب وآكام وجيوب كثيرة ، وأمام الجبلين المذكورين حقل صنعاء المعروف وكذلك براش أمامه وادى سعوان ، وهكذا جبال هذه الهضبة على هذا النحو .

والتى تشكل شبه سلسلة جبلية كالسروات هى الجبال الشرقية الممتدة من الشمال والمطلة على غائط مأرب ، أما الجبال المتوسطة فهى بالمتناثرة والمبعثرة أشبه وهى جبال جرداء قابلة للتشجير لو هناك استغلال للمياه الجوفية .

وهذه أرقام قياسات الارتفاع لبعض هـذه الهضبة الشرقية ، وتكاد لا تختلف الأرقام بعضها عن بعض ذاكرين الأشهر منها على التوالى من الشمال إلى الجنوب :

متر	أسماء الجبال	أسماء المناطق
٣٩٤٢	جبل برط	شمال الجوف من همدان الكبرى
٢٩٤٢	» براش	صعدة فى همدان جنوب شرق منها
٢٩٧٠	» هيلان	بين الجوف ومأرب
٢٩٦٠	» أنف اللوذ	الجوف

متر	أسماء الجبال	المناطق
٢٨٠٠	جبل خرفان	أرحب مرهبة الدعام
٢٨٠٠	« ذروة	حاشد
٢٩٦٠	« ناعط	«
٢٦٤٨	« ذى مرمر	بنى حشيش
٢٩٦٠	« براش	صنعاء
٢٩٤٢	« نقم	«
٢٩٧٠	« الطيال	خولان العالية
٢٧٨٥	« كَنِن	سنحان
١٠٠٥	« يسلح	بلاد الروس من ذى جُرة قديما
٧٨٠٠	« اسبيل	عنس
٦٠٠٠	« الدَّقرار	مراد
٧٦٠٠	« موكل	عنس
٧٧٠٠	« مثوة	ذى رعين
٧٠٠٠	« حصن كحلان	«
٦٨٠٠	« هَيْوة	مخلاف بنى عامر صباح
٦٨٠٠	« مُنيف	ذو رعين آل عمار
٨٥٠٠	« العود	العود
٦٧٠٠	« الربيعتين	جبن
٧٥٠٠	« ردفان	الأجعود
٨٠٠٠	« حرير وجحاف	بلاد الضالع
٨٢٤٥	« ثمر	يافع
٨٢٤٧	« الكور والنخع	سرو مذحج بلاد البيضاء

هذا على سبيل المثال ، ويقاس عليها غيرها من هذا النهج .

أودية اليمن الخضراء

إن أودية اليمن الخضراء كثيرة ومآتيها وروافدها مذكورات أتى على أكثرها وأشهرها « لسان اليمن » فى كتابه الفنى عن الوصف « صفة جزيرة العرب » ونحن نقفو أثره ، فإن التشبه بالكرام فلاح .

ونحن ذاكروا أشهرها ، والأودية الرئيسية دون الفروع ، وتنقسم إلى أربعة أقسام : أودية غربية ، وأودية جنوبية ، وأودية شرقية ، وأودية شمالية ، وهى التى تسمى الميازيب ، لأنها عند هطول الأمطار الغزيرة تهريق إلى هذه الأودية كالميازيب .

والأودية الغربية هى التى تهريق من سفوح السراة الغربية إلى بطن تهامة :

(٢) أولها وادى مَوْزع .

مصباته من ذبحان المعافر ونجد مُعادن بقدس وغربى جبل سامع وجميع بنى يوسف الغربى منها ويمانى الجبْزْيَة وما صاقب ذلك من الشعاب والأودية ويهريق إلى موزع .

(٢) الوادى الثانى : وادى الجريبة .

مأتيه غرب جبل صَبِر ، وَجبا الأثرية ، والمصراخ ، وجميع قاع السامقة ويمانى برداد ويمانى جبل ذَخِرْ وبلدة يفرس وشمالى عزلة السواء والُخسَيْد ومعافر ذخر وعِزّان وغيرها ويخرج ما بين الجريبة وموزع .

(٣) الثالث : وادى رِشْيان :

يهريق إليه جبل نامة المناهض لجبل التعكر من الغرب وجميع عزلة السيف وشوائط وتمده عزلة الأشراف والوحص وأشراف ظُباء الغربية وشعاب شقح ينزل هذا إلى وادى حِبير الشرقى ويمده جبال الجماشن الجنوبية من الحبلة

وبنى عبد الله ودُهر وجبل الثومان وشعاب معاين وذى الحود وترفده شعاب شظه ووادى حبير إلى الأَصَبة ويجتمع مع الفرع الأول فى وادى « عُريق » من حيمة تعز ثم يأتى غرب الجند وأشراف غربى القاعدة ، ويجىء فرع رابع من بلد خولان الكلاع والعدانى وشعاب الدمن ، وينزل هذا إلى وادى الحاجب ، ثم يجتمع مع الأجناد وما ذكرنا فى القُصَيْبَة شمال تعز ، ثم تأتى الشعبانية العليا والسفلى ووجوه صبر بما فيها مدينة تعز ، وتنزل إلى عصيفرة ويجتمع مع السيول الآنفة الذكر أسفل عصيفرة ، ثم يأتى الوجه الثانى من غرب صبر مع مناهل برداد والضَّبَاب وحذرار ، وتجتمع مع ما سلف فى الملتقى ويدخل رسيان وتنضاف إليه جبال شرعب الجنوبية وأودية وادى الذراع ومخلاف أسفل ومن جبال ذخر الشمالية ومجدة وشعابها الجنوبية والشمال فمنها ما يذهب البرح ، ثم يعرج على رسيان ، ومنها ما يدخل رسيان ، ويجتمع جميعها فى الهاملى ويخرج إلى شمال المخا فالبحر .

(٤) الرابع من الأودية الغربية وادى نخلة :

مصباته القَفاعة والأشموب وقيَاض وبلاد حمير والأشموب وجنوب قُرْعد من بلاد الذَّيخرة وأيفوع أعلا وأسفل ويجتمع فى الموكف ، ثم يمدها أسافل الكلاع وجبال شرعب الشمالية والغربية وغيرها من الروافد والشعاب فيدخل وادى نخلة ومنها إلى حيس القنا ثم إلى الصحارى فالبحر .

(٥) الوادى الخامس : وادى زَبيد ، وهو بعيد المآتى :

مآتيه من قرية ذى جزب ودار الحنش وسيّة والشرفة والسِّملال وسَحَمر ، وكلها تجتمع إلى وادى الحار ويمدها شعاب وأودية كثيرة ، وتخرج إلى حَمَض فترفده جبال عتمة الجنوبية وحمر ونعمان : وصاب .

ثم تأتى سيول بَعْدَان من عارضة المنار وشمال حصن حب وأشراف جبال بنى الحارث وأرياب وبنى سبأ ونصف مدينة آب الشمالى وصدور بعدان ، وجميع

ظاهر مخلاف الشواف الشرقى وحُبَيْش تلتقى هذه السيول العظما أسافل القفر بين وصاب وحُبَيْش ، ثم تأتى سيول عنة التى يقال إنها خمسون واديا وتلتقى مع ما ذكرنا فى الفنج بعزلة المزاحن ، ثم تجتمع مرة أخرى بروافد من الشمال والجنوب بمحل أعلا وادى زَبيد يسمى مسجد معاذ ومنه تتفرع الشُّرج إلى وادى زبيد إلى أن يدخل البحر .

(٦) وادى رِمَع :

يهريق إليه أودية قرية دفينة وحالة وسدها وشمال قرية حمد ، وهذه غرب مدينة دمار وينصب إلى وادى القضب وتجىء مياه أخرى ، وتلتقى فى سربة ثم يمدها أشراف جهران من ذى خشران ومصنعة آنس والمنار وشمال عتمة وشمال جُبلان العركبة جَعِر وجنوب جبال ريمة وشعاب كثيرة ، ثم تدخل رِمَع شمال زبيد إلى الحُسَينية وغيرها .

(٧) الوادى السابع ، وادى سِهام :

يصب إليه قريتى مذاب من ظاهر ضوران ، وضوران والظفر والمنشية إلى قاع بكيل وشمال الهان وبلاد حمير والحقلين ، ثم يأتى من قمة نقيل يسلح الشمالى وجميع المضايق التى على طريق صنعاء : خدار ووعلان ، ويمده وادى دبرة الذى يأتى من غرب وشمال كنن وتجتمع قرب أعشار ، ويرفدها نقيل السود الواقع فى الجنوب الغربى من صنعاء وجنوب حضور بما فيها مخلاف دايان وبنى قيس وجنوب الحيمة الداخلية والحيمة الخارجية وجنوب حراز وجبل بُرع وجبال ريمه ويظهر فى الكدرا وواقر ، ثم يظهر شمال المراوعة وغربى باجل ، ويخرج شمال الحديدة إلى البحر .

(٨) الثامن من الأودية وادى سُرْدد :

ورأسه أجر شبام فمساقط حضور الغربية وجبال حراز الشمالية والغربية

والحيمة الداخلية وجنوب تميس ونضار من بلاد الحويت ووادى بكيل هناك وقيهمة وبنى سعد وجنوب حفاش وملحان ، ويظهر شمال شرق باجل على طريق السيارة اليوم صنعاء الحديدة ، ثم المهجم قرب الزيدية ثم يسقى ما خف إلى البحر.

(٩) الوادى التاسع وادى مور وهو ميزاب تهامة الأعظم .

ومَساقطه كثيرة وبعيدة المأتى فتأخذ غربى بلاد السودة وغربى جبال عيال يزيد والأشمور والسود وكحلان عفار وهمل وقطابة وبلاد ظليمة وحبور وعذر وهِنوَم وتنصب هذه الأودية فى أخرف ، ثم يأتى شمال بلاد حمير مسور وقيلاب وعسم والمصانع وظاهر بنى شاور وبنى الطنبي وبنى موهب وأعشب وتنصب هذه إلى وادى شرس ، ويجتمع باخرف ، ثم يجيء أيضاً شمال بلاد حمير وغربيها كتيس ونضار وحفاش وملحان وينصب إلى لاعة وبلاد جحة الغربية تجتمع فى أعلا الطور من بنى قيس ، ثم يهريق جبال خولان (قضاعة) خولان صعدة كعيدان وبنى شهاب والنضير ومطرق وجنوب حجور وتجتمع فى مَيْر وتلتقى تلك الفروع العديدة فيما بين كُمَيْدنة وبلاد الشرف الذى هى أحد روافد هذا الوادى العظيم وأعلا الزهرة ونسقى تلك الأراضى الشاسعة إلى أن يخرج إلى البحر شمال اللّحيّة .

(١٠) الوادى العاشر وادى حرض :

ولوادى حرض فرعان : الفرع الجنوبى يأتى من غربى بلاد عذر وبلاد حجور الشام وغربى الأهنوم .

والشمالى من بلد خولان صعدة من مَطْرق وعَنمل وغيرها من الشعاب ، ويظهر فى اللصاب أمام قفل حرض فيسقى ما أخذ أخذه إلى البحر .

(١١) وادى تعشر مأتيه من خولان صعدة .

(١٢) وادى الحيد مأتيه من خولان صعدة .

(١٣) وادى الملحة مأتيه من خولان صعدة .

(١٤) « لِيَة « « « «

(١٥) « خُلَب « « « «

(١٦) « جازان « « « «

(١٧) « ضمد « « « «

(١٨) « بَيش « « « «

(١٩) « بَيض من سراة جنب والأزد

(٢٠) « عِثْود من سراة جنب ومن عسير والأزد

(٢١) « ريم وعرعرم « « «

الأودية الجنوبة ، وهى ثلاثة

(١) وادى العُمَيْرة والعارة ، ومصباته من جبال المعافر .

(٢) وادى تِـبَن ، وهو ما يسمى وادى لحج ، له ثلاثة فروع رئيسية : وادى ورزان ، وادى السودان ، وادى تبن .

فوادى ورزان مساقطه من شرق جبل صبر وسامع وبلاد الأشموب وشرق وشمال جبل الصلو وبلاد الأعبوس وحيفان وجميع مياه مخلاف خدير الذى يشقه ورزان وجنوب وشرق الجند وجميع مياه جبل حُمَر : ماوية .

الثانى وادى السودان مأتيه من جنوب وغرب جبل التعكر وشعاب الثوابى ، ويهبط وادى ظُبَاء فيأتى مع شعابه وما اكتنفهُ من المصَبَّات ، ثم وادى ضراس وشعابه وذى أشرق من مخلان . ومن أعلاه وأعلا جنوب التعكر وشعابه وأعراض الخضراء والنقيايين وتجتمع الجميع أعلا وادى خِنوة من مخلان ثم إلى السودان الأعلا وما حل من شعاب وهضاب نعيمه (صهبان الغربية) إلى السودان الأسفل إلى وادى حَقَب ويجتمع بأسافل ورزان ثم فى كَرِش .

والثالث وادى تِبَن وبه سمى سيل لحج ومساقطه من أشراف النجد الأحمر بمخلاف نعيمة وشمال جبل التعكر وشرقيه وجميع عزلة المكتب ومخلاف نعيمة صبهان وظاهر مدينة جبله وبلادها كلها الشرقية ونصف عزلة ثُوب العليا ومن كريف أبلان والخلقه أعلا ظهار مدينة إب وجنوب نفس مدينة إب ونصف عزله المويه ويجتمع فى فوهة وادى ميتم ويرفده مخلاف نعيمة (صهبان) وجنوب وغرب مخلاف بَعْدَان والشمر ، ويجتمع كلها فى فجره الدكام ، ثم يلتقى مع الفرعين السابقين أعلا وادى لحج ويسمى تَبِن إلى أن تخرج إلى خليج عدن .

(١) الوادى الثالث من الأودية الجنوبية ، وادى أبين له فرعان :

الفرع الأول الميزاب الغربى وهو ما يصب إلى وادى بنا ، ومأتيه من ذى حيفان أعلا جبل منار بعدان ونجد قيظان ، فجرة قيظان الشرقى وجميع سفوح بنى الحارث وَجميع مياه بنى العثمانى والوسط والتوبتى تهريق هذه إلى قرية الواطئة من بنى الحارث حيث يسمى سيل الدلانى ، وَمن روافده ما يأتى من أشراف إرياب وبنى سبأ ومساقط قُلّة بنى مسلم ومن المريمة منهل مدينة يريم ومن ظفار الملك ومنكث وجميع حقل قتاب تصب هذه إلى سد ذى الماء ، ثم ينزل إلى واد هلال ، فيلتقى بسيل الدلانى أعلا قرية السدة ، ويسمى من هناك سيل بنا وتمده جبال الأعماس وشعاب حورة خبان ، وبظهر أعلا السدة ، ثم يرفده السيل الرداعى من الحقاين والعرافة وبيت الأشول وجنوب ظفار الملك ويظهر أمام شعب الطلَب ثم يهريق السيل الأعور من مساقط حرية عمار وآل عمار وما قابله غربا من جميع بلاد الشعر ، وآل عمار هذه جميعاً تجتمع فى دمت وَوَادى ثرَيْد .

الفرع الثانى : وَهو الميزبا الشرقى لوادى أبين مساقطه من سد طمحان وَمدينة يريم وَبلاد رعين الداخليـة تنزل إلى خَاو وماور ومِلْيـان وَأودية

ذى الصولع وتهريق فى وادى الحفى ثم إلى وادى سَبان من ذى أشرع وتمده يحير ووادى عصام وكلان وسفوح وادى خُبَانَ .

ومن روافد هذا الفرع ما يأتى من منهل الدنان جنوب شرعة وحرة مطران وشرق رعين فتنزل وادى الشلالة شراد قديماً ، ثم مساقط مثوة والمطاحن وجميع جبال زُبَيْد من عنس وصفوح بنى عامر : صباح وبنى قيس ، وتلتقى بمياه يريم المذكورة وجميع ما وافته فى أعلا بيت البذرى وقرية الأجلب ، ثم تمد هذه جبال أزال والبكرة وبلاد الحدى وآل بلحارث وهَيْوَة ، ويسمى هذا السيل سيل خُبَان فيلتقى مع وادى بنا فى حمام دَمتْ ووادى نَرَيد ، ثم يمدها بلاد الرياشية والحبيشية والقرانة تجتمع إلى أسافل وأعالى جسر السلطان عامر بن عبد الوهاب ، وتأتى أودية جُبن ومريس ، وتلتقى كلها فيما بين الربيعتين ومريس والشعيب وحالمين وردفان والأجعود وحَرير وجَحاف ، ويدخل وادى أبين فيلقاه وادى حطيب من يافع فيسقى وادى أبين إلى البحر .

أما أودية المشرق فأعظمها مورداً وأبعدها مآتيا ميزاب « مأرب » فهو فى العظم وبُعْد المأتى مثل ميزاب « مور » الغربى .

ومأتى هذا الميزاب من مدينة ذمار وأوديتها الغربية والجنوبية ومن قرية يفاع ونمارة جنوب ذمار وقرية حُنُض وباب الفلاك وسواد هران وجميع مياه رخمه والخرابة وذى حَولان كل هذه تهريق إلى باب الدرج من قرية المواهب فى الشرق الشمالى من مدينة ذمار ، وجميع ما اكتنف وادى منقذة وهضاب ذى ماجد ، ثم أعلا جنوب نقيل يسلح وجميع مياه حقل جهران وشعابه وهضابه الغربية وينحدر إلى مضيق السواد من عنس سابقا والحدا اليوم ، ثم إلى نَيْسَان فمأرب ، ثم تمده حقل شِرْعة من نجد الأسلاف وأشراف الشرفة وظاهر قرية دِلان ويمر إلى أسفل شرعة ، وينقسم إلى فرعين : فرع ينزل عرش رداع فمأرب،

وفرع ينزل ورقة فشوكان ويمده جبال كثيرة وأودية كثيرة ثم إلى نيسَان فأرب ، ثم ترفده مياه عنس الشرقية كإسْبيل وبينون ، وجميع بلاد رداع وردمان ، وسارع السوادية وقائفه : قيفة ومياه جنوب وشرق خولان العالية وبلاد مُراد ، وتلتقى كل ما ذكرناه فى أعلا وادى أذنة ويصب فى سد مأرب العظيم الأثرى حيث كان يسقى الجنتين ذات اليمين وذات الشمال إلى فلاة صيهد وحضرموت ، كما قيل .

ومن الأودية الشرقية : وادى حريب ، ووادى بيحان .

ومن الأودية الجنوبية : وادى يرامس ، وادى دثينة ، وادى أحور .

وذكر مآتيها يطول تعداده وأغلبها من سرو مذحج ، وسرو حمير .

وادى الجوف

له أودية كثيرة ، ويقع شمال شرقى « صنعاء » وتتكون مصـــباته من أربعة أودية :

(١) أولهـا الخارد ومساقيه من مخلاف خولان العالية بمـا فيه غَيمان بنى بهلول وظبوة وحزيز فأشراف نقيل المسود الشرقية فبيت بوس فما بين جبل عيبان ونقم جبلى صنعاء ووادى السر وسعوان فجبل ذَبَاب وذى مرمر فشبام الغراس ، وتمر هذه المواضع بعضها بالرحبة وبعضها أسفل من ذلك إلى خطم الغراب «دُقْم الغراب» من بلد أرحب ووَادى شرع ومطرة ، ويلتقى هذه الأودية سيلُ مخلاف مأذن: همدان وبعض حضور وجميع مياه بيت حَنبص وحقل سِنهمان من شرقى متنة وجميع سفوح جبل حضور الشرقية ومحيب ومسيب وقرية حاز تَنْصَب إلى وادى ضَهرْ ثم يخرج الرحبة لخدَقان لخطم الغراب فالخارد .

ثم يأتى سيل مصانع حمير وشبام حمير وحضور الشيخ : أزاد وقاعة وجميع قيمان البون فظاهر جبل عيال بزيد وغولة عجيب وتجتمع أسفل « ريدة » ثم يمدها

ناعط بلد الخارف وبلد الصيد فيكون هذه المياه إلى شُوَابة وهران وَوَرْوَر وَ يمدها سيل القَفْل والكساد من مرهبة وأ كانط من خارف وَوَادى محصم من أرحب وما تساقط من مدر وإتوَة من بلد أرحب وقاع الخشب من أرحب فيمر بهران والمناحى وتلتقى بمياه الخارد التى هبطت من صنعاء ومخاليفها السالفة الذكر ، ثم يصبان بعمران الجوف وهو اليوم خراب ويقع بجوار الحزم اليوم .

(٢) الوادى الثانى : وَادى خَبَش ومآتيه من سراة وَادعة وَظاهر همدان ، وينحدر إلى خيوان فيسقيها وَ يمده سيل بويان وَالأدمة وَملساء وَ يلج الفج إلى خبش حيث تمده سيول حُوث : بلاد حرب بن وَادعة وَجبل رَمِيض وَ يضامُه سيلُ الفقع وَالمصرع « مصرع حاشد » وَدمَّاج وَخَرْفان وَجبل ذَيْبَان من أرحب وَرحمات وَحاوَتين وَالسَّبيع من حاشد .

(٣) والوادى الثالث من أودية الجوف يظهر فى زاويته التى بين شماله ومغربه ، وفروعه من جبال خولان صعدة الشرقية كجبل أبذر وَوِتْرَان والسرير وَأسَل ومساقط برط وَالمراشى وكتاف ، وغير ذلك من الأماكن والشعاب التى يطول تعدادها فيظهر بغُرَق « سوق لعَام » ويلتقى بالخارد .

(٤) والوادى الرابع وَادى المَذْبِج ، ومأتيه من بلد مرهبة نهم مِلْح وَ بَرَّان وَمَشْورة ، وجبال نهم مما يصالى مهنون من بَلد خولان العالية ويمده وَادى أوبن ويصب إلى الجوف .

ومن الأودية الشمالية وَادى نجران وَمساقيه من وَادعة الشام وجميع قيعان مدينة صعدة وأشراف جبالها وغير ذلك مما ذكره الهمدانى فى كتابه صفة جزيرة العرب ، وحققناه هنالك فارجع إليه ، وتجتمع هذه الأودية فى المضيق الواقع بين جبلين ويتقدم فى شوكان من أعلا وَادى نجران فيسقيه وَ ينتهى إلى العائط .

وَثَمَّ أودية تعترض بين تثليث ونجران وبيشة أهملناها رعاية للاختصار ،

كما أن هناك فى اليمن الكبرى أودية لطاف تركناها مكتفين بما جاء منها فى صفة جزيرة العرب وعلى ما أجمعنا أمرنا فى وضع معجم اليمن الخضراء إن شاء الله .

أودية حضرموت وعُمان

فأم أودية حضرموت واديها الرئيسى الذى يمتد على حافته أهم المدن والقرى فى البلد الداخليّة مثل تريم وسيئون .

ومآتيه من سراة كندة وتصبُّ أوديتها فى حضرموت ثم يصب حضرموت إلى بلد مَهْرَة فالبحر ، ويقال لهذا الوادى وادى دوعن .

ثم وادى العرْمة ، ووَادى رشاع ، ووادى عمد ، ووادى العين ، ووادى أبى على ، ووادى آد .

والجميع تصب فى وادى حضرموت الذى من الشرق إلى الغرب ، ثم تنعطف إلى الجنوب الشرقى حتى يصب فى البحر فى غرب سيحوت من مَهْرة .

وفى بلاد عمان واديان كبيران : أحدهما وادى إسماعيل الذى ينبع من الرقبة بين هجر الغربى وهجر الشرقى وتجرى نحو الغرب وينصب فى البحر شمال مسقط.

الثانى : وادى الحقلين الذى ينبع أيضاً من الرقبة المذكورة ويتوجه نحو الجنوب وينصب فى بحر العرب قبالة المصهرة .

المناخ والظواهر الجوية

يختلف مناخُ اليمن الخضراء باختلاف مناطقه السالفة الذكر ، فمناطق تهامة والبرارى المنخفضة على حافة البحر الأحمر وخليج عدن فلَحج وأبين وأحْور وسواحل حضرموت ومهرة وعمان ، الجوُّ فيها شديد الحرارة على العموم لا يطاق وإن كانت تتفاوت درجات الحرارة فى هذه المناطق ولشدتها قد تُسبب إلى إصابات وخسائر فى النفوس لا سيما لمن لا يعتاد الإقامة فى تلك المناطق أو من لا يملك وسائل الوقاية الحديثة كالمكيفات والمراوح ونحو ذلك .

وتبلغ درجة شدة الحرارة فى شهور حزيران وتموز وآب « أغسطس » ٨٠° درجة وزيادة ، وتكون فيها الشمس ملهبة محرقة ، أما شهور الشتاء كتشرين الأول والثانى ، وكانون الأول والثانى وبعض شهرى الربيع ، شباط وآذار ، فإنها تعتبر هذه المناطق مصيفاً لأهل المناطق الباردة ومعتدلة لأهلها ، وإن كان يشعرون أحياناً بشدة ضربة البرد ويألمون له .

وهواء تهامة وما ذكرنا من المناطق ـ رطب ساخن ، وقد يحصل من جرّاء هذا تفشى الوباء والحميات ، لهذا ترى أهل الجبال يفرون كلياً عن نزولهم تهامة ويرون فيها الموت الزؤام إلا فى حالات استثنائية ولداعى الضرورة ، وكانت هذه الفكرة هى السائدة فيما سبق ، أما اليوم وبعد أن تسهلت طرق المواصلات وخدم العلمُ الإنسانية ، واعتنى الطب الحديث بقتل الجراثيم ، وإبادة الحشرات المسببات للأوبئة والحميات ، ووجدت آلة التبريد والمكيفات ، وتوفرت وسائل المكافحات للهوام وغيرها ، فقد أصبح من السهل الحياة فيها ، وأن يعيش الجبلى فى هذه المناطق والإقامة بها ذات السنين الطوال بدون أن يتأثر لحرارة الشمس ورطوبة الجو وسُخُونته ، وخصوصاً فى فصلى الربيع والشتاء فهواؤها مُريح جميل .

وأما منطقة الجبال المرتفعة والأطواد الشامخة ، والقمم الناطحة للسحاب المُعصّبة بالغيوم جبال السراة ، فهى المنطقة التى لا يلحق لها نظير ، والتى تعتبر من أروع جبال العالم ذات الهواء الطلق والنسيم العليل والمناظر الخلابة المكسوة بأصناف الأزهار والرياحين والجنان الغناء ذات الأشجار المدوحة ، والأعشاب المترنحة ، والمروج الخضراء ، والجبال الدكنا والمياه الكثيرة المدارة الخرّارة خصوصاً فى فصلى الصيف والخريف ، وجادت عليها السماء مدراراً ، فإن دنياها ترقص مرحاً وجوها يتيه طرباً ويخال المرؤ أنه سابح على لوح الهواء .

وهى منطقة معتدلة الجو فى جميع فصول السنة صيفاً وخريفاً وشتاء وربيعاً

فلا حرها يؤذى ولا بردها قارس ، وتعتبر مصيفاً من أبدع مصائف العالم ، وأروعه وأجمله ، لو توفرت لها أسباب السياحة وفى مقدمتها الاستقرار[1] العام والمواصلات .

وقد سلف وصف الأمير شكيب أرسلان لهذه المناطق ، كما أبدع فى وصفها بعض الشعراء المعاصرين ، وهو من الشعر الشعبى المعروف عندنا معاشر اليمنيين بالشعر الحُمينى :

يا صاحب العقل الرجيح السليم	إن كنت تُحْفَى بالسلامه
فاسْكُنْ بلاداً حُسْنها مستديم	تغنيك عن حزوى ورامه
الحرّ ممزوج ببرد النسيم	فى سوحها مزج المدامه
جبالها خضراء كعدن النّعيم	ودورها بيضاء كدر الغمامه

وقال الشاعر المشهور سليمان بن الحسن الحجورى الهمدانى يمدح عاصمته مدينة الجريب من أرض السراة بالشرف من قصيدة له :

بلاد تساوَى بردُها وحرورها فسيَّان كانون بها وأبيبُها[2]

وأما نجد اليمن وهو ما قد سلف ذكره ، فهو وإن كان يَغلبُ عليه الجفافُ وعدم الرطوبة ، فإن هواءه معتدل يولد انتعاشاً ونشاطاً وحيوية كاملة ، ولهذا تجد الفرق ظاهراً بين رجال نجد اليمن وبين سروانه ، غير أن جميع فصوله غير مؤذيةٍ لا برداً ولا حروراً .

ففى فصل الشتاء يكون البرد شديداً قارصاً وصقيعاً حاداً ، ولكن بمجرد أن

---

(١) تحرر هذا قبل أن تضع الحرب أوزارها .

(٢) كانون : شهر من الشهور الرومية التى توافق عندنا فصل البرد الشديد ، وأبيب شهر من الشهور القبطية التى توافق شدة القيظ ، وهو تموز (يوليه) ، وراجع القصيدة تاريخ عمارة — ٢٦٥ .

تتدثر بالثياب القطنية ، أو الصوفية ، أو تغلق عنك باب الغرفة ذهب عنك حدة البرد .

قال « لسان اليمن » فى وصف صنعاء ، وهذا الوصف سار فى عموم نجد اليمن:

وأما ما يغلب على هذه الكورة فالاعتدال فى هذا الهواء ، وقد يكون البرد أرجح ، وذلك لا يضر ، وغذاء النسيم وطيب المساكن ، وإن الرجل المسن يلبس اللباس الرقيق فى الشتاء الشديد البرد وجمود الماء فلا يضره ذلك ، ويلبسُ الشابُ الصت[1] فى الصيف والصوف والخز فلا يضره ، ويدخل الرجل إلى منزله بحزيران ، وقد حرد بدنه وتعب ، فيفتح باب خلوته ويكشف ستره ويدخل فى فراشه فيبرد الخ[2] .

هذا وينجم من شدة البرد فى بعض السنين إضرار فى المزارع والثمار ، وهو ما يسمى عندنا « الضريب » وهو محق الثمار بعد بدو صلاحها لشدة ضربة البرد كما تجمد المياه التى فى البركات الواقعة فى أعالى الحصون وشناخيب الجبال والمياه التى تعرض ليلا فى سطوح الدور ونحوها كميازيب المراحيض ، ومياه السواقى المكشوفة .

وفى بعض السنين ينزل الثلج على جبل حضور « جبل النبى شعيب عليه السلام » الواقع غربى صنعاء ، وعلى غيره من هذا النهج ، وهو شىء يشبه « القطن المحلوج ، العطب المندوف » كما شوهد فى شتاء سنة ١٣٨٤ هـ ، حينما تساقط على ما بين خمر وسمارة ، ولكنه سرعان ما يتلاشى .

وأما المنطقة الشرقية كنائط مأرب وبيحان وشبوة وحريب ، وما أخذ

---

(١) الصت : للتلاحم النسج الذى لا يخرقه الماء ، لغة يمنية فصحى .

(٢) راجع الجزء الثامن الإكليل بإخراجنا .

أخذها ، فقد سلف الكلام عنها ولزيادة الإيضاح فإن هوأها حار جاف غير مؤذى ولا يسبب حمياتٍ ولا وَباء للطارىء عليها بل تكسبه صحة وَحيوية ، وذلك لطلاقة الهواء ، وتفتح الأرجاء وانفساح نهوجها ولأنها بعيدة عن البحر الذى تتصاعد منه الأبخرة التى تجلب الرطوبة وَتنشأ عنها الجراثيم المؤذية التى تنقل الحميات وتسمم الجسم .

وَهذه هى المنطقة التى اختارها أسلافنا فى سالف العصور فرفعوا فيها ، وفيما جاوَرها لواء أول حضارة عرفها التاريخ للظواهر التى كانت متوفرة فيها لذلك الحين.

وَأما الظواهر الجوية : فنقصد بها مجموع الرعد وَالبرق المتولد من تصادم السحب التى تتصاعد من أبخرة البحر ، وتكوّن الذرات الذى تجمعها الرياح بالتأثيرات المتفاعلة بإرادة الله وقدرته ، ثم يسوقها الله بالذاريات ذرواً إلى حيث يريدها الله أن تمطر ، فيسقى بها قوماً عطاشى ، ويَرْوى بها بلداً جدبا ويحيى بها أرضاً موات .

وَأغلب الرياح المبشرة غربيّة جنوبية يمانية وَجنوبية غربية ، وَقد تكون شمالية أو أعصار مؤذية غير مبشرة بخير ، وكم شاد شعراء العرب بالريح اليمانية وَهى الجنوب ، وكذا البرق اليمانى ، وَمن ذلك قول بعضهم بالتيمن بالجنوب[1] .

فتى خلقت أروَاحه مستقيمة　　له نفحــات ريحهن جنوب

وقال آخر :

وإنى لتحيينى الصّبــا ويميتنى　　إذا ما جرت بعد العشاء جنوب

وارتاح للبرق اليمــانى كأننى　　له حين يبدو فى السماء نسيب

وقال آخر :

أما من جنوب تذهب الغل طلة　　يمانية من نحو ليلى ولا ركب

---

(١) راجع تفسير الدامغة .

يمانون نستوحيهم عن بلادهم   على قُلُصٍ تدمى بأحسنها الحدب

وَقال آخر من قصيدة :

خليلى طال الليل والتبس القذا   بعينى واستأنست برقا يمانيا[1]

ومصداق ما قلناه آيات بينات كثيرة من القرآن الكريم منها على جهة المثال قوله تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح) سورة الحجر – ٢٣ ، وقال تعالى : (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعلهُ كِسَفاً فترى الودقَ يخرج من خلالِهِ ، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) سورة الروم – ٤٦ ، وانظر الآية ١٦٤ ، من سورة البقرة والآية ٥٧ من سورة الأعراف ، وَالآية ١٣ من سورة الرعد ، وَالآية ١٤ من سورة النباء وغيرها كثير .

مواسم الأمطار

وللأمطار فى اليمن الخضراء مواسم لا تتخلف عنها موسم الربيع ويبتدىء من أوَاسط كانون الثانى « يناير » آذار ، « مارت » مارس ، وهو آخر فصل الربيع ، ويبذر عليه كثير من البقولات والخضراوات والحبوب كالحنطة والشعير والعدس ، وتنتفع به الأراضى فى عموم المقاطعات إلا إنها فى المضبتين الشرقية والغربية أنفع وَأمرع كما وأنها تمد الغيول وَالجداول والآبار بما يزيدها فيضاًوغزارة كما تمد الأشجار المثمرة وغير المثمرة التى ليس لها مياه تسقى بها والتى يقال لتلك الأراضى بالأعقار – والفتوق وجريان المـاء فى العود ويساعدها على النمو إلا شجرة البن ، فإنه لا يساعدها المياة فى كانون ولا فى شباط ويساعدها مطر آذار لأنه موسم بدو الزهر إلا ما كانت أعقاراً .

وتسمى محصولات هذا الفصل بالقياظ وبالربيع وبالربعى ، ويسمى ما يبذر

---

(١) معجم البلدان .

فى شهر أذار « بالدثى » وهى لغة عربية أصيلة جاء ذكرها فى النقوش الحميرية وكذا القياظ .

ثم تهطل الأمطار بغزارة فى شهر نيسان : ابريل ، وهو الغالب ، ويُعْتَبر أول فصل الصيف وهو موسم الذرة والفول : القلا واللوبيا : الهجرة والكشدو البطاط التى على ضرع السماء وهذا الموسم الذى يبذر فيه هذه الحبوب يكون فى جبال السروات وفى الاودية التى فى جنوب هضبة نجد اليمن كوادى بنا ووادى خُبان وغيرها أما سنام هذه الهضبة ونعنى بهذا اعلا نجد اليمن الشمالية غير الأودية فإنه يتأخر بذر الذرة إلى شهر مايس : مايوه ، لصغر حجم الذرة ولتخلف الأمطار على أنه لو بذرت الذرة فى نيسان بواسطة غيل او على المطر اصلحت إلا أنها ربما تتعرض للعطش فتتلف .

وينتهى فصل الصيف فى تسع من شهر « حزيران » يونيه ، حيث يبتدى فصل الخريف ، وفى هذا الشهر تجتمع فى الأسواق جميع الفواكه على اختلاف أصنافها وأنواعها وفى نفس هذا الشهر يحين موسم بذر الحنطة : القمح : البُرّ ، والشعير والعدس وهو البلسن والعتر وما شاكل ذلك .

وينتهى فصل الخريف فى اثنين وعشرين أيلول حيث لا مطر بعد ذلك فتنقشع السحب وتذوى الحشائش وتستهدف لصرمها وحشها لادخارها لأيام الشتا وتشرف الذرة بأن تنزع أوراقها منها وتدخر علفا للماشية وتبدو امارات الحصاد وتشير إلى فصل الشتاء وقد هجم .

والخلاصة أن الأمطار فى اليمن نافعة جدا فى أى وقت هطلت وأى موسم نزلت لأن خيرات اليمن كلها الزراعية متوقفة على الأمطار فلا أنهار فياضة بالمعنى المعروف ولا ثلج يولد غزارة الميـــاه ولا شىء غير المطر وفى السماء رزقكم وماتوعدون[١] .

---

(١) سورة الذاريات الاية ٢٢

ولكن التجارب أعطت الزراع اليمنيين الخبرة التامة فى مواسم التلام البذر لجرا على ألسنتهم المثلى « من تلم فى غير معلام ، صرب إلى غير مجران » أى من بذر فى غير موسم حصد إلى غير مجران : الجرين . لأنه عرض الزرع وأتعابه إلى التلف وما لا جدوى منه لأنه ربما يصادف غزارة الأمطار أو الجفاف أو عاهة ونحو ذلك فتذهب أتعابه كل ذلك أدراج الرياح .

وأما موسم تهامة فتتوقف خيراتها وتستمد حياتها من السيول المنهمرة من قمم الهضبة الشرقة جبال السروات ابان الصيف والخريف فبعد أن تملأ الأرض بطونها بمياه السيول يتركونها ليغيض ماؤها ثم يشرعون فى بذر الذرة والدخن والجاجلان و العطب : القطن ، واللوبيا الدجرة والتبغ وذلك من شهر ايلول وتشرين أول والثانى إلى كانون ثانى والأرض قابلة للزراعة فتصبح الأرض مخضرة قد اهتزت وربت وانبتت من كل شىء وكأنها سندسة خضرا وخالطها جميع أنواع الخضروات والبقول من طماطيس طماطم وبامية وبسباس وفجل وفاصوليه ودباء (القرع) وحبحب (بطيخ) وغيرذلك لاسيا البقاع التى قدأنعم عليها بالمضخات ولم يصلها السيول فتكون قد أخذت زخرفها وازينت وكأنها جنة نضرة وهكذا تظل طيلة أيام الشتاء حتى يأتى فصل الصيف فتشتد فيها الحرارة فلا زرع بعد ذلك الا ما كان على المضخات أو هطلت أمطار فى الصيف والذرة بتهامة التى أسقتها السيول تحصد ثلاث مرات وتأتى بأعظم ما تخرج أرض ثمارها .

وقد تنزل الأمطار فى تهامة بكمية فائقة فلا ينتفع بها مثل ما ينتفع بمياه السيول الدافعة اللهم إلا الحشائش والعضة ومراعى الإبل والأغنام والأبقار وللمياه الجوفية وللآبار وقد يبذر عليها فى الأراضى التى لم تصلها السيول كالدخن واللوبيا وكذلك الأراضى الواقعة من حازة الجبال فإنه يبذر فيها ما ذكرناه .

ومن حكمة الله جلت قدرته وهو الذى قدر فيها أقواتها وأخرج منها مائها ومرعاها أن جعل لكل بلد خاصية ولكل قطر مميزاته ولكل وطن طبيعته ذلك تقدير العزيز الحكيم .

ومن خاصة اليمن الخضراء أن الأمطار لا تهطل فى الغالب إلا بعد الظهر وفى الزوال إلى العصر وإلى المغرب وربما اتصل إلى آخر الليل ويصبح الناس فى معايشهم إلى مثلها قال علقمة ذى جدن :

أزال مطار بعجز النهـــار وصحواً من الصبح شان زوالى

وقد ذكر مثل هذا ابن خرداذبة الذى خرج من العراق إلى اليمن وهو من أعيان القرن الثالث الهجرى وكذا ابن بطوطة الرحالة من أعيان الثامن الهجرى ، وفى مقدمتهم الهمدانى .

فبينما ترى السماء صاحية نقية إذ بالسحب تتجمع وتتكاثف وينضم بعضها إلى بعض وإذا بالرعود تقصف والبروق تلمع وتومض وإذا بالسماء غربال بوبله المنهمر ومزنه المتدفق فما تمضى بضع ساعات حتى تنقشع عن ثورة عارمة وقد ملأ السهل والجبل من وابله وأفعم الأودية والشعاب من ودقه المنصب ثم لا تسمع إلا هدير السيول وخرير المياه وانحدار الصخور وتضاحك الزهور وتعانق دوحات الأشجار بنسمات النسيم فترى منظراً رائعاً خلاّبا فسبحانه من قادر عليم .

وقد تستديم السحب مطبقة هطالة اياما ذات عدد وذلك فى فصل الخريف شهر تموز واب أغسطس، وهذه الأيام هو ما يسميه عامة الزراع بسهيل والروابع ، وفى أمثال العامة: أنا سهيل فى ليلتى سبعين سيل بعد سيل أنزل على الحبلة بليل واقطف كحيل : الحبلة فصيلة من شجرة العنب : الكرم ، وكحيل : العنب الأسود أى أنه قد حان قطافه لبد وصلاحه ولهم أمثال غيرها ذكرناها فى موضع آخر .

فإذا فصل الشتاء جفت الأرض واختفت الأمطار وأقبلت الأرض بأثقالها وخيراتها .

ولكن لا تفارق الأرض هذه الأمطار إلا وقد تركت خلفها ثروة هائلة من المياه الغزيرة التى اختزنتها الجبال وبطون الأرض فتمد الأودية والقيعان والهضاب بماء غزير قد ترشح وتحلّب وكأنه ماء مقطر عذب سائغ للشاربين

فيظهر ينابيع وغيول وعيون وجداول ، فمنه ما يَسِيح على وجه الأرض وينحدر من الجبال ، ومنه ما يتوصل إليه تارة بحفر الآبار وبالتفجير تارة أخرى .

ومصداق ذلك قوله تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فَسَلَكَهُ ينابيعَ فى الأرضِ ثم يخرجُ به زرعاً مختلفاً ألوانُه ثم يهيجُ فتراه مُصْفَرّاً ثم يجعله حطاما إن فى ذلك لعبرة لأولى الألباب) الآية ٢١ – من سورة الزمر .

وهذه المياه هى التى يعتمد عليها اليمنى للشرب ورى أراضيه وسقيها فى فصل الشتاء ، وفى أوقات انقطاع الأمطار ويبذر عليها أنواع الخضر والبقول وسائر الحبوب ما عدا الذرة والدخن .

أما الأمطار التى تنزل فى أوائل تشرين ثانى عند نهاية حصاد الذرة ، فيسمى المطر الوسمى لأنه يسم الأرض أى يعلمها بقطراته وَيزرع عليه فى الغالب العاس والبر والقلا والشعير والحلبة ، وَيأتى غلته على مطرة واحدة غزيرة ، فإن سخت السماء بعدها بمطرات متفرقات كان من الجودة مالا نهاية له وَإن شَحّت عليه أو كانت المطرة غير كافية ضعف الحاصل .

وغالب ما تهطل هذه الأمطار فى جبال السرات وتزرع الأشياء المذكورة فى متوسط الجبال المذكورة لتوسط البرودة والرطوبة والحرارة ، كما تمد المياه بوفرتها .

وإذا هطلت فى النجاد أو فى غيره ، فإن ذلك مفيد جداً ونافع أيضاً .

ومما امتازت به الخضراء أن بعض أراضى الأودية تؤدى محصولاتها بأحسن ما يكون بمجرد سيل واحد يغمرها أو مطرة تُشْبِعهَا ومنها « الأعقار » ، وهى الأرض التى تمطر فى آخر فصل الخريف وتزرع فى الشتاء[١] .

---

(١) انظر صفة جزيرة العرب وتفسير الدامغة .

ومن مميزاتها أن الخضارات والبقول إذا اختفت فى المناطق الحارة كتهامة وغائط مأرب ونحوهما فى فصلى الخريف والصيف ظهرت فى المناطق المعتدلة لتموين المناطق التى اختفت فيها تلك الأشياء ، وكذا العكس إذا اختفت فى المناطق الباردة لشدة البرودة ظهرت فى تهامة فتمون المناطق الباردة .

أما منطقة السروات وهى المنطقة الوسطى بين نجد اليمن وتهامته ، فإن الخضراوات فيها متصلة الحلقات فى كل فصول السنة ما عدا فصل الخريف لغزارة الأمطار فإنها تنقطع يوما ما .

كما أنه قد أصبح من السهل على سكان تهامة والبلاد الحارة أن يَنتَقلوا لشدة الحر إلى أقرب منطقة معتدلة فى السروات أو إلى نجد اليمن ليصطافوا ويقضوا أيام وأشهر الحر ، وكذلك إذا أحس سكان المنطقة النجدية بشدة البرد ولذعاته أن ينتقلوا إلى منطقة معتدلة فى السروات أو إلى منطقة تهامة ليعيشوا فى راحة وسلام .

ومواسم فصول السنة عندنا فى اليمن الخضراء تختلف عن شمال الجزيرة التى عرّفناك سابقاً ، ففصل الشتاء عندنا هو فصل الخريف فى الأقطار الشقيقة العربية كالعراق وبر الشام (سوريا ولبنان وفلسطين والأدرن) ويقرب منه القطر المصرى ، وفصل الربيع عندنا هو فصل الشتاء عندهم ، وفصل الصيف عندنا هو فصل الربيع عند هؤلاء ، وفصل الخريف عندنا هو فصل القيظ عندهم .

الإنتاج الزراعى

الزراعة التى هى غذاء الأبدان وبها حياة الإنسان تحتَلُّ المقام الأول فى نفس اليمنى لأن أرضه « الخضراء » زراعيةٌ بالطبع فتنتج كثيراً من أنواع الحبوب كالبر « الحنطة : القمح » بأنواعه ، وأعلاه الوسنى والميسانى ، ثم العنسى ثم

« البونى » والسمرا وأجودها الجوفى والنجرانى وَالشمير بأنواعه والعلس وهو أجود من البر ، وفى الأمثال الحميرية « جاءت التراخم حتى أكلت البر » لأنها ما كانت تأكل إلاَّ أُبابَ الْعَلس وَهو صنفان أبيض وهو الأجود وأحمر وهو حبٌ كالبر ينبت فى غلافات فى كل غلاف حبتان أو ثلاث ، ولا يتخلص حبُّه من الغلافات إلا أن يجرش بين حجرى الرحا ، وتسمى الجشة أو يلكد بملكد خشب وعود يقال له المنجاز كما يصنع بالأرز ، وإذا تخلص من غلافه يسمى حبه « النسُول » ، ويكون دقيقه أمتن من خبز البر ، وله مواسم فى بذره ، وأكثر ما يزرع فى الأودية المغيولة .

ثم الذرة بأنواعها ، وهى كثيرة الأنواع ، وأحسنها البيضاء والجراعه ، والشام وهو ما يسمى فى بعض المناطق بالرومى ، وفى بعضها الحبشة وفى البعض الآخر الهند ، ويبدو من اختلاف أسمائه أنه وافد إلى الخضراء وليس بأصلى فيها ، والفول « القلا » والعدس « البِلْسِن » والفاصولية بأنواعها والخردل والعَتَر « البزاليا » والحلبة واللوبيا « الدجر » .

ومن الحبوب الطفـ وهو حب يشبه الدخن ويزرع فى مأرب ، والأرز فى منطقة جحة نيسة وبلاد الشرف أفلج وأسلم ، وجحور يَبِنة وغيرها من بلد جحور التابع لمركز جحة ، وهو يصلح أيضاً فى مناطق أخرى إلا أن الفلاحين لا يميلون إلى زراعته لكثرة عَنَاهُ والتعب فيه .

وَهذا الإنتاج الزراعى لا يسد حاجة كل بلد ببلده فى الأزمات التى تتعرض لها البلاد كجائحة سماوية أو نحوها بل لابد من حط وترحال لنقل الحبوب من منطقة لأخرى ، وسبب ذلك هو إهمال الأراضى الزراعية وميلهم إلى العاجل القريب هذا من ناحية ، وَمن ناحية أخرى تحملهم الضرائب الفادحة بأكثر من الإنتاج كما كان فى العهد المباد ، وقد زال إلى غير رجعة .

وَمن البقول وَأصناف الخضراوات : الثوم والبصل والبصّالة والبراصة

« والدبا » القرع : اليقطين بأنواعه « والقثاء » الخيار والبطيخ « الحبحب » ، وأجوده المحجى الذى لا نظير له ، والبطاط واللهانة « الكوبيش » والبسباس بأنواعه وَالبطلمجان والكبزرة والفجل « القشم : البقل » ، والجزر بأنواعه والجزر المندى الحلو ، والسلطة والمدس « الآس » وَالكراث ، وَغير ذلك مما يطول تعداده .

وَمن الأشجار المثمرة وَالفواكه الجيدة كثيرة الأنواع متعددة الأشكال فمنها « الكرم » العنب بأصنافه التى تقدر بثمانية عشر نوعاً وَأكثر من ذلك ذكرها «لسان اليمن» فى الجزء الثامن من الإكليل ، وَنظم بعضها العلامة الأديب عبد الله بن على الوزير المتوفى سنة ١١٤٧ ﻫ بقوله :

تبدّت بأطراف العيُون بنانها وَجوّدت زيتون القُرآنِ لَعاصِم
وَجادت على القهمى أصابيع زينب بصهباء خضير فى قوارير حاتم
وَقلتُ لدوّالِ أرأى سيسبانةً كأنّ به عشقاً كَبَيْضِ الحمائم
وَعرقى كريم من مناصب حاتم إلى جرش فخراً يفعلِ المكارم
وَحبٌ العذارى حل قلبى صبابةً فيا رازقى جد لى بحسن الخواتم

وَهى على هذا التفصيل : الأطراف العيون ، البنان ، الزيتون العاصمى القهمى أصابيع زينب ، قوارير الدوالى ، السيسبان البياض ، العرقى الحاتمى الجرشى العذارى الرازقى .

وَمن طيب أرض اليمن أن فى جبل المراشى من برط يأتى العنب فى السنة مرتين وَكذا فى مأرب ويأتى مِنْ غرسه على ستة أشهر كما أخبرنى السبائيون .

وكانت جبال اليمن الخضراء مكسوة بشجر الكرم العنب وبالورس حتى لقد سئل بعض اليمانية : ما تزرع بلادكم ؟ فأجاب : أما جبالها فكروم وَوَرْس ، وَأمّا أوْديتها فالذرة وَالبر وَالعلس وَالشعير .

قال الأصمعى : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا ولا تكون إلا باليمن الورس والكندر «اللبان» والخَطِر نبات يختضب به ، والعَصْب ، ضرب من البرود اليمانية يعصب غزله ثم يصبغ ثم يُحاك وهو يشبه الأرجوان الأحمر ؟ وقد أطال الهمدانى فى وصف الورس فى كتابه صفة جزيرة العرب وغيره .

ولا زالت جبال السرات تغطيها الشجرتان الكريمتان المذكورتان إلى القرن التاسع الهجرى حيث تغلبت عليهما شيئاً فشيئاً شجرةُ القات التى عمت البلوى به وخدرت الشعب بأجمعه ، وشجرةُ البن المشهور بجودته ، واختفت شجرة الكرم فى السروات ما عدا جبال الشرف وجبال الأزدَ «عسير وزهران ونحوهما» كما كادت تختفى شجرة الورس اللهم إلا القليل النزر فى جبال المذيخرة من الكلاع وجبال بَعْدَان وريمة وجبال آخره نادرة كيافع .

ومن الأشجار المثمرة النخل ، وهو فى منطقة زبيد بكثرة وسائر تهامة وحازة جبالها وأوديتها ونجران وبيحان ومأرب وحضرموت وعُمَان وتبلغ أنواعه إلى خمسين نوعا ، ومن فصيلته شجرة المقل ، ويقال له الدوم وهو يشبه النخل إلا أنه دونه وثمره يقال له البَهْش .

ومن المنتوجات أيضاً قصب السُّكّر « المضار : القَنْد » ومواطنه جبال السراة وأشهرها بنى حماد وبنى يوسف والشرار من المعافر وعنّة من الكلاع ووادى نخلة وعمان وفى غيرها بكمية ضئيلة وهو أصدق حلاوة من مضار مصر ويستخرج منه السكر المطوى .

ومن المؤسف أنه اليوم يقلع ويزال ويستبدل بشجرة القات وبينما كنا نأمل تعميمه إذ بهم يجرّونه إلى الفناء والاختفاء كل ذلك طمعاً فى المادة العاجلة ولو نظروا إلى المصلحة العامة وسمعة البلد وَزينتها وما يرجى له من مستقبل باهر

لزادم الإكثار منه خصوصاً مناطق تهامة ذات الأراضى الشاسعة ، فإنه يصلح فيها جيداً ، وستعود بالأرباح الطائلة على المزارعين وعلى الحكومة ، وربما يسد حاجة البلد فيما إذا أحسنوا استخراجه بالوسائل الحديثة ، فقد أصبح السكر من الضروريات .

كما أنه لو استبدلت شجرة القات بالتدريج وعلى مهل بشجرة القطن وبالكرم « العنب » الذى كان يغطى جبال السراة وبشجرة الشاهى الذى أعتقد أنها فصيلة من القات أو تشبهها إلى حد بعيد وبالعُنّاب والحمضيات كالبرتقال وَاليوسفى وَالليمون واللايم لكانت هذه الأشجار تَدرُّ على اليمن أضعاف أضعاف محاصيل القات فى داخل البلاد وَخارجها ولكن لامسئوليّة ولا ضمائر .

وَالرُّمان الحلو الذى لا نظير له ولا عجم فيه وَأجوده فى بستان ثعبات بتعز ثم وَادى ضهر ثم الرداعى وَالعذى ، وَمنه الرمان المُزّ : المزوج وَمنه الحامض وَالتين « البَلَس » الضخم وَأجوده العبدانى من ظاهر جبل صبر إذا أكمل نضاجه وَالبرقوق « المشمش » وَأجوده فى حَدَّة وغابر وفى وادى ضهر من ملحقات صنعاء وفى البيضاء والفرسك الِحْميرى والخلاصى وهو الخوخ وأجوده العنسى والأجاص وأجوده الوحاظى من حبيش والشراعى من الكلاع والثلاثى والبيضانى والتوت « الفرصاد » والموز بأنواعه وَأجوده اللحجى وَالعنبا المندى الذى له حبوب يشبه الفلفل وَعِنَب المظام « المنجة » وَأجوده المعافرى وَالعنبرود « الكمثرى » وَأجوده البيضانى وَالدثينى والجوز واللوز والليمون الحلو واللايم الحامض والأترج والخرنوب « القرناط » والبرتقال ويوسف أفندى مما جلب حديثاً والعباسى فى لحج والزيتون ذو الحبوب غير الزيتون المشهور والصُّبَّيرُ « الباس التركى » ، البلس الشوكى أجوده الميتمى وغير ذلك .

ومن أشهر منتوجات اليمن « الخضراء » اليوم شجرة البن التى تتمتع فى الخارج بسمعة طيبة وكسبت لليمن شهرة عظيمة بدون جهاز للدعاية ينفق عليها ولو استغل كما ينبغى لضرب أضعاف الرقم القياسى فى الأرباح .

وكما اشتهر حبه الصافى فى الخارج استُغِلَّ قشره فى الداخل الذى اشتهر عندنا بالقهوة وقد أثبت العلم الحديث بعد تحليله علمياً أن قشر البن فيه منافع وفيه فيتامينات

ومواطن شجرة البن فى هضبة السروات وتتفاوت جودته باختلاف المناطق فمنه المطرى والأنسى والسكربى والعصمانى .

وهو صالح وقابل للانبات فى أسافل أودية جنوب هضبة النجد كما يوجد منه كمية كبيرة فى سرو حمير « يافع » .

ومن البن نوع يثمر فى السنة مرتين أو طوال السنة وذلك فى جبل بُرع المطل على تهامة من الشرق وفى ريمة الأشابط .

ومما عمت به البلوى فى داخل البلاد شجرة القات وكان ظهوره فى أوائل القرن التاسع ولا زال يجتاح مناطق الهضبة الغربية إلى أن اكتسحها وتعداها إلى المناطق الأخرى خصوصا فى الآونة الأخيرة فإنه عم البلاد وطم غرسه جميع اليمن سهله ووعره ونجده ووهاده حتى المناطق التى لا يصل إليها إلا بشق الأنفس رغم أنه يسبب أضرارا فادحة فى الأجسام وخسارة فى الأموال ويوْرث ضعف النسل فإن الإقبال عليه متزايد ، وان كان من ناحية أخرى يدر على أهله أرباحا طائلة وأموالا جسيمة ينتفع بها فى اقتصادية البلاد .

ومن منتوجات السعيدة المطب : القطن فإنه ينتج بكثرة ومن أفخر الأقطان لا سيما قطن الجوف ، واغلب مزارع تهامة بما فيها ابين ولحج وفى بيحان وحريب وجبال السراة .

ولقد كان القطن من المنتجات الرئيسية لعهد التبابعة وإلى عهد غير بعيد وقبل أن تطغى المصانع الميكانيكية على الصناعة اليدوية وكان منتشرا فى كل قرية ومدرة وصرم وَحِلَّةٍ ، وكانت نساء القرية يغزلن الصوف والقطن وعلى رؤوسهن جرار الماء ذاهبات رَاجِعات من المناهل كيلا يذهب الوقت فراغا أما فى غير

لزادم الإكثار منه خصوصاً مناطق تهامة ذات الأراضى الشاسعة ، فإنه يصلح فيها جيداً ، وستعود بالأرباح الطائلة على المزارعين وعلى الحكومة ، وربما يسد حاجة البلد فيما إذا أحسنوا استخراجه بالوسائل الحديثة ، فقد أصبح السكر من الضروريات .

كما أنه لو استبدلت شجرة القات بالتدريج وعلى مهل بشجرة القطن وبالكرم « العنب » الذى كان يغطى جبال السراة وبشجرة الشاهى الذى أعتقد أنها فصيلة من القات أو تشبهها إلى حد بعيد وبالعُنّاب والحمضيات كالبرتقال وَاليوسفى وَالليمون والليم لكانت هذه الأشجار تَدرُّ على اليمن أضعاف أضعاف محاصيل القات فى داخل البلاد وَخارجها ولكن لامسئوليّة ولا ضمائر .

وَالرُّمان الحلو الذى لا نظير له ولا عجم فيه وَأجوده فى بستان ثمبات بتعز ثم وَادى ضهر ثم الرداعى وَالعذى ، وَمنه الرمان المُزّ : المزوج وَمنه الحامض وَالتين « البَلَس » الضخم وَأجوده العبدانى من ظاهر جبل صبر إذا أكمل نضاجه وَالبرقوق « المشمش » وَأجوده فى حَدَّة وغابر وفى وادى ضهر من ملحقات صنعاء وفى البيضاء والفرسك الِحْميرى والخلاسى وهو الخوخ وأجوده العنسى والأجاص وأجوده الوحاظى من حبيش والشراعى من الكلاع والثلاثى والبيضانى والتوت « الفرصاد » والموز بأنواعه وَأجوده اللحجى وَالعنبا الهندى الذى له حبوب يشبه الفلفل وَعَنْب العظام « المنجة » وَأجوده المعافرى وَالعنبرود « الكمثرى » وَأجوده البيضانى وَالذئبى والجوز واللوز والليمون الحلو واللَيم الحامض والأترج والخرنوب « القرناط » والبرتقال ويوسف أفندى مما جلب حديثاً والعباسى فى لحج والزيتون ذو الحبوب غير الزيتون المشهور والصُّبَّيرُ « الباس التركى » ، البلس الشوكى أجوده الميتمى وغير ذلك .

ومن أشهر منتوجات اليمن « الخضراء » اليوم شجرة البن التى تتمتع فى الخارج بسمعة طيبة وكسبت لليمن شهرة عظيمة بدون جهاز للدعاية ينفق عليها ولو استغل كما ينبغى لضرب أضعاف الرقم القياسى فى الأرباح .

وكما اشتهر حبه الصافى فى الخارج استُغلّ قشره فى الداخل الذى اشتهر عندنا بالقهوة وقد أثبت العلم الحديث بعد تحليله علميًا أن قشر البن فيه منافع وفيه فيتامينات

ومواطن شجرة البن فى هضبة السروات وتتفاوت جودته باختلاف المناطق فمنه المطرى والآنسى والكربى والعصمانى .

وهو صالح وقابل للانبات فى أسافل أودية جنوب هضبة النجد كما يوجد منه كمية كبيرة فى سرو حمير « يافع » .

ومن البن نوع يثمر فى السنة مرتين أو طوال السنة وذلك فى جبل بُرع المطل على تهامة من الشرق وفى ريمة الأشابط .

ومما عمت به البلوى فى داخل البلاد شجرة القات وكان ظهوره فى أوائل القرن التاسع ولا زال يجتاح مناطق الهضبة الغربية إلى أن اكتسحها وتعداها إلى المناطق الأخرى خصوصا فى الآونة الأخيرة فإنه عم البلاد وطم غرسه جميع اليمن سهله ووعره ونجده ووهاده حتى المناطق التى لا يصل إليها إلا بشق الأنفس رغم أنه يسبب أضرارا فادحة فى الأجسام وخسارة فى الأموال ويوْرث ضعف النسل فإن الإقبال عليه متزايد ، وان كان من ناحية أخرى يدر على أهله أرباحا طائلة وأموالا جسيمة ينتفع بها فى اقتصادية البلاد .

ومن منتوجات السعيدة المعطب : القطن فإنه ينتج بكثرة ومن أفخر الأقطان لا سيما قطن الجوف ، واغلب مزارع تهامة بما فيها ابين ولحج وفى بيحان وحريب وجبال السراة .

ولقد كان القطن من المنتجات الرئيسية لعهد التبابعة وإلى عهد غير بعيد وقبل أن تطغى المصانع الميكانيكية على الصناعة اليدوية وكان منتشرا فى كل قرية ومدرة وصرم وَحِلَّةٍ ، وكانت نساء القرية يغزلن الصوف والقطن وعلى رؤوسهن جرار الماء ذاهبات رَاجِعات من المناهل كيلا يذهب الوقت فراغا أما فى غير

هذه الأوقات فشيء كثير وكذلك الرعاة فى أيديهم المغازل وهم بين الشاة والنّعم والضال والسلم. وكانت المصانع البدوية شائعة فى كل مقاطعة ومخلاف.

ومن الأشجار الغير مثمرة الصالحة للأخشاب ومواد النجارة وأشهرها « الطنب » ثم العِلْب السِّدرْ فالأثل الذى منه النّضار فالطالوق والأثب والذّرح ذات الجذور الضخمة والقوائم الذاهبة فى عنان السماء، والسار « الجميز » والطلح الأحمر والغَرب وغير ذلك.

ومما جلب حديثا شجرة الكافور والزرزف وبلغنى أن أول من استجلبها الأمير الجواد اسماعيل بن محمد باسلامه الكندى رحمه الله وغرسها فى بستانه بإب ومنه انتشرت ثم جاء منه بذور.

ومن مزروعات اليمن التتن «التنباك: التبغ» وأصله هندى فانتقل منه إلى حوم من حضرموت » وصار يلقب بالتتن الحومى ثم تسرب إلى تهامة فيما بين سنة ١٣٥٤ إلى سنة ١٣٥٩ هـ ولا زال ينتشر ويكثر حتى أصبح من الموارد الطبيعية لتهامة ويسد حاجة البلاد.

ويوجد فى أودية جبال السروات تتن يعرف بالتتن الحميرى وهو من فصيلة التتن الحومى مما يدل أن الحميريين سباقون لزراعته.

ومن الرياحين العطرية والأزهار المتفتحة عن أريج وعَرْف متوهج طيّب الشى الكثير مثل الياسمين والورد النيسانى الذى يظهر فى شهر نيسان والورد الذى لا يزال على الدوام والكاذى والفلّ الأبيض والأصفر والنرجس والأقاح والبنفسج البرى والبستانى وشقائق النعمان والخزامى والبشام والعَرار والنسرين « الحوجم» وكذلك الأعشاب التى تحمل روائح عطرية كالحوخة « المنصيف » والأزّاب « البردقوش » والشذاب والآنسون والريحان بأنواعه والفِروق « مفرح القلب » والزئبق والوالة ذات العرُوق الفواحة بالريح الطيب.

ومن العضاة ومالا ساق له شىء لا يدخل تحت الحصر.

ومن العقاقير الزنجبيل والمرد والخولجان ونحوها وتزرع هذه العقاقير فى جبل

برع ، وجبال ريمه وحُفاش ومِلْحان وحراز وبنى سعد وبنى اسماعيل وبلاد الشرف ولكن لا يكفى للاستهلاك المحلى فضلا عن التصدير

والخلاصة أن تربة اليمن خصبة كريمة قابلة لكل الغروس من الأشجار ومن الحبوب والبذور والبقول ، وانما تنتظر اليد العاملة النشيطة التى تحمل الفأس والمِسْحاة المجرفة وسكة الفلاحة وتدخل المصنع والمنجم وتدأب جاهدة فى حياة أفضل ، حياة رخية سعيدة بدلا من آلة الدمار ـ البندقية والرشاش والمدفع ـ المصوبة إلى صدر أخيه وابن جلدته وشقيق بطنه ووطنه ويدخر ذلك للعدو الألد الصائل من خارج البلاد : الاستعمار وأذناب الاستعمار .

معالم الزراعة

للمُزارع اليمنى والفلاح المواطن خبرة تامة بمعالم الزراعة ومواسم البذر وغرس الأشجار ومعرفة دقيقة تفوق التصوّر وحِساب دقيق لفصول السنة ومتى تبذر الحبوب والخضروات والبقول وغرس الأشجار المثمرة وغير المثمرة ومتى تقطع كما لهم المام فائق بالعاهات التى تصاب بها الثمار وتتعرض للأمراض من جرا الحشرات والهوام ومتى تسمد الأرض وتدمل بالدمال «الزبل» وتُثَرّى وتُقَابُ ولهم أيضا معرفة بمطالع النجوم ومَهابّ الرياح وما تحمل من ضرر ونفع ودوران الشمس ومنازلها التى يقال لها « المعلامة » وكذلك منازل القمر وما يخالف ذلك والنتائج التى تسببه هطول الأمطار فى غير مواسمه من خسائر وفساد الثمار ولهم فى ذلك أمثال وأقوال وحكايات يروونها كابرا عن كابر ، والمتتبع لأقوالهم يجدها كالقانون الطبيعى الذى لا يكاد يتخلف عنها ويخيل إلى مَنْ يَسْمَعهم أنهم خرجوا من مدرسة زراعية فنية راقية وإنما هى التجارب التى تعودوا عليها والدروس التى تلقوها عن أسلافهم وعن الآباء والأجداد ولكن هذا غير كاف مالم تزود الخضراء بالعلم الحديث وتتسلح بالمعرفة التامة والخبراء الفنيين الأمناء فتبنى اليمن السعيد الجديد.

وأحسن من وضع فى علم الفلاحة فيما اطلعت عليه كتبا نافعة الملوك

النسانيون آل رسول الذين عمروا اليمن وخلفوا ذكرا حسنا منها كتاب التفاحة فى علم الفلاحة للملك الأشرف عمر بن الملك المظفر يوسف بن الملك المنصور عمر بن على رسول وكتاب الإرشاد للملك المجاهد على بن الملك المؤيد داود بن الملك المظفر وكتاب بغية الفلاحين فى الأشجار المثمرة والرياحين للملك الأفضل العباس بن الملك المجاهد المذكور[1] وكلها تعنى فى فلاحة الأرض اليمنية وأشجارها وحبوبها وبزورها وكل ما فيها مع تفاصيل شيقة مفيدة جدا .

ويا ليت أن الحكومة تعنى بطبعها بعد أن تشرف على تصحيحها وتحقيقها نخبة من العلماء لنشرها بين اليمنيين ليضيفوا إلى معلوماتهم علما قائما على الخبرة والتجربة الطويلة .

السكان

ليس هناك مقياس صحيح لإحصاء نفوس « اليمن الخضراء » لا لجميعه ولا لأبعاضه وما يقال إنه خمسة عشر مليونا أو أكثر أو أنقص فلا تتجاوز الظن والخرص وكذا يقال عن الإحصائيات السنوية التى أنجزتها هيئة الأمم المتحدة سنة ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م أن مجموع سكان اليمن أربعة ملايين وخمسمائة ألف إذ أنها اعتمدت على السجلات الحكومية للضرائب وهذا لا يصح مقياسا للإحصاء إذ تلك السجلات إنما تخص المزارعين الذين يدفعون الضرائب (الزكاة) أو ما نسميه فطرة شهر الصيام فهو أثبت للمعنى الذى قصدت به هيئة الأمم المتحدة مع أن باقى السكان وهو ما يقدر بالربع لا يدفع زكاة الفطر إلى الحكومة كالفقراء أو أرباب الحكومة ونحوهم لأن الآخرين يتصدقون بها لذوى المسكنة والحاجة .

وهذا الإحصاء هو فيما يخص « اليمن المستقل » إذ هو المتبادر عند الإطلاق ومما لا شك فيه أن بعد قيام الثورة مما تزايد المواليد نظرا لعودة بعض المهاجرين

---

(١) وبلغنى والكتاب ماثل للطبع أن المستشرق « سرجنت » الإنجليزى يقوم بتصحيح وطبع كتاب « بغية الفلاحين » للملك الأفضل ، كما يقوم بنشره بعض اليمنيين فى القاهرة .

إلى أوطانهم بعد أن تحرر من رق عبودية الاستبداد وضمنت لهم الأمن والاستقرار ومن جهة أخرى توفر لعموم المواطنين الرخاء ورفاهة العيش الأمر الذى أتاح لهم أن يكوّن كل واحد منهم أسرة ، ويبنى له مسكناً ، وما هذه الثورة العمرانية التى يندهش العقل لها إلا ثمرة من ثمار الثورة المباركة ، ولتداول العملة الورقية .

يضاف إلى ذلك قاعدة التزايد الخام ، وعلى هذه الاعتبارات فيمكن على جهة التقريب أن نقدر تعداد سكان اليمن المستقل ما بين سبعة ملايين إلى عشرة ملايين نسمة .

وليس إحصاء السكان من مخترعات المدنية الغربيّة ، بل هو نظام شرقى قديم ذكر ذلك أبو الحسن على بن الحسين المسعودى المتوفى سنة ٣٤٤ هـ فى كتابه « مروج الذهب » : أنّ إحصاء السكان عادةُ أهل الصين .

كما وأن أجدادنا إبان التمدن الإسلامى وفى أزمنة معينةٍ كان إحصاء السكان بأمر رسمى لالمعرفة النفوس بل لتعديل الجزية والخراج[1] أى فى عموم الإمبراطورية العربية الإسلامية .

مدن الخضراء

وهذه أسماء المدن المشهورة فى وقتنا الحاضر ، قسمناها على حسب المناطق السالفة الذكر مبتدئين بمدن نجد اليمن مع قياسات الارتفاع ، ثم نتبع ذلك بوصف موجز لبيان معالم كل مدينة .

أما المدن الحضارية القديمة التى يقول عنها « بطليموس اليونانى » الذى كانت وفاته ١٦١ فى القرن الثانى الميلادى: إنه كان فى البلاد السعيدة مائة وسبعون مدينة عد من ذلك خمس عواصم . فسنذكر منها ما خولتنا المعلومات والمصادر

---

(١) جورجى زيدان .

فى الفصل الحضارى ، كما أن « لسان اليمن » ذكر مدناً كانت حية فى عصره وهى اليوم قد اندثرت ولا يعرف منها شىء .

وإليك أسماء مدن نجد اليمن مع قياس الارتفاع على التوالى من الشمال إلى الجنوب :

عدد	أسماء المدن النجدية	قياسات الارتفاعات	
		قدم	متر
١	صعدة	٠٠٠٠	٢٢٦١
٢	عمران	٠٠٠٠	٢٣٠٢
٣	الروضة	٠٠٠٠	٢٢١٦
٤	صنعاء	٧٤٥٠	٢٣٤٢
٥	ذمار	٧٦٥٠	٢٤٣١
٦	يريم	٩٠٢٠	٠٠٠٠
٧	رداع	٧٠٢٥	٠٠٠٠
٨	البيضاء	٧٠٠٠	٠٠٠٠
٩	قعطبة والنادرة	فيما بين ٦٩٠٠ إلى ٦٠٠٠	

الوصف الموجز لهذه المدن ، تعتبر مدينة « صعدة » منتهى المدن الشمالية النجدية ، ثم لا مدينة بعدها إذا لم تُعدّ مدينة « نجران » آخر المدن الشمالية فى نجد اليمن .

صـــــعدة

وصعدة كورة خولان المدينة الأثرية ، ومصنع الحديد والدباغ ، وتقوم فى فسيح من الأرض مسورة بسور من اللبن ، لها أربعة أبواب ، وفى فوهة وادى رحبان قام السد العظيم الذى أخربه إبراهيم الجزار على رأس ٢٠٠ مائتين

من الهجرة ، وهى محفوفة بالكروم الطيبة والفواكه اللذيذة الكثيرة الكبيرة الحجم ، وفيها أفرخ المذهب الهادوى وترعرع ومنها انطلق .

عَمْـــران

هى مدينة مسورة بالابن ، ولها بابان ، وهى غنية بالآثار الحميرية ، وتعتبر فى الدعوة حاشدية .

وتقع بين حقل البون الأسفل والبون الأعلا ، وحقلها المشهور حافل بالمياه الجوفية ، وقد أثمرت هذه المياه وأتت خيراتها بفضل ذكاء أهلها وانصياعهم إلى صوت الخير والسلام ، واشتراكهم بأحدث المضخات المائية .

ومما عد « لسان اليمن » من المدن فى بلد همدان مدينة « ريدة » بلدُه ومنزله ومثواه ، وتقع فى أسفل البون الأسفل ، وهى أيضاً غنية بالآثار والقصور الحميَرية ، وهى سوق لبكيل وحاشد وإن كان عدادها فى بكيل .

وكذا مدينة « ثافت » كانت مدينة لعهد الهمدانى ، وهى اليوم خراب ، وتقع فى بنى صريم ثم فى قصر آل أبى الحسين من حاشد .

كذا مما يعده المعاصرون مدينة « حُوث » منزل الأمير نشوان بن سعيد الحميرى ومولده ، وتقع فى بنى حرب من حاشد ، ومدينة « ذى بين » من حاشد وتعد المدينتان المذكورتان من الهِجَر التى أنجبت علماء جلة ، ومدينة « خَمِر » مولد أسعد التبع الكامل وبها تخرّج وترشح للملك .

صـــنعاء

عاصمة الخضراء وحاضرة البلاد السعيدة ، وجوهرة الجزيرة العربيّة ، وأحد جنان الدنيا ، ومملكة بنى حمير الذى جاء ذكرها فى عدة مساند ، ومحط كل سميدع ومليك .

وهى مدينة أزلية قديمة يقال إنها أول مدينة عمرت بعد الطوفان وسميت باسم بانيها سام بن نوح ، ومدينة « أزال » التى لا زالت تسمى بهذين الاسمين إلى يوم الناس هذا .

وقد جمعت فى عصر النُور بين طابع الفن المعمارى اليمنى الشرقى والحضارة الحميرية وبين مبتكرات الفن المعمارى الحديث فهى اليوم تزهو بجمالها ودلها .

وتقوم فى حقلها الفسيح بين جبلى عيبان من الغرب ونقم من الشرق ، وقد قفزت من سورها الأثرى الذى أحاطه عليها الملك « شَمِر أوتر » فقد ظلت حبيسة بين جدرانها طوال القرون .

ومن معالمها الأثرية النادرة المثال جامعها الكبير المقدس الذى يُعتبر تحفة فنية أثرية تمثل عظمة اليمنيين وهو أثر من آثار ملوك اليمن بنى يُعْفِر الحواليين الذين أسسوه على ما هو اليوم ، وأوقفوا له أوقافاً جسيمة فى شاهرة وغيل الريشة من ضلع ماذن وغيرهما وسجلوا أسمائهم على أخشابه وأحجاره ، ولا زالت واضحة حتى جاء بعض المهو سين من الأئمة فحاول إزالتها فشوهه وترك لنفسه سبة لا تمحى .

كما وأنه أول جامع أسس على التقوى فى الإسلام هو وجامع الجند وجامع صعدة وجامع ذمار .

وفيها كان قصر غمدان الشهير الآتى ذكره فى القسم الحضارى .

ويقدر تعداد سكان صنعاء بمائتى ألف نسمة وزيادة بعد أن كانت فى العصر المباد لا يتجاوز الخمسين ألفاً .

الروضـــــة

تُعتبر الروضة مدينة ، وهى مخرف صنعاء ومنتزه جميل وكانت تسمى المَنْظَر ، وأول من مصرها السلطان أحمد بن عمران بن الفضل اليامى الهمدانى ، وولده السلطان حاتم بن أحمد اليامى الهمدانى فى أول القرن السادس .

وهى فى شمال صنعاء بما يقدر بين ثلاثة أو أربعة أميال ، والعمران اليوم يزحف عليها ويكاد يتصل بصنعاء .

ومما يعد من المدن فى هذا الحيّز مدينة « ثُلا » ومدينة شِبام حمير التى تسمى تارة بشبام أقيان ، وشبام يَحْبُس ، وشبام بُغْفر وشبام كوكبان ، وكلاهما أثريتان يقعان فى الغرب الشمالى من صنعاء بمسافة ساعتين بالسيارة ، وهما متقاربتان بمسافة فرسخ .

ذمار

بفتح الذال لا سوى ، وهى المدينة الفيحاء باهية المحيّا منبع الفضلاء ومعدن العلماء الأتقياء ، مدينة العلم والحِلم وَالحِمْيَرِيَة ومملكة « اليمن الخضراء » كما جاء فى المساند .

سُميت باسم الملك ذمار على ، أو ذمار بن دهمان ، وتقع على بساط من الأرض الكريمة التربة الغزيرة المياه التى تنال ماء آبارها باليد ، وجامعها الكبير من أول ما بنى فى الإسلام ، وهى فى جنوب العاصمة بمسافة ساعة ونصف بالسيارة وبمسافة خمسة عشر فرسخاً ويقدر سكانها بأربعين ألف نسمة .

مدينة يَرِيم

سميت باسم القيل الكبير يريم ذى رعين ، وتقع بين جبلى شربوب من الجنوب ويصبح من الشمال ، ولم تظهر على مسرح التاريخ الإسلامى كمدينة إلا فى القرن الثامن الهجرى ، وتقع جنوب مدينة ذمار بمسافة نصف ساعة بالسيارة وبمساية ثلاثة عشر ميلا وتقدر تمداد سكانها بعشرة آلاف نفس .

رداع

بفتح الراء لا غير ، المدينة العربية التى تمثل حسن البداوة عروسة للشرق اليمنى ، والمستشفى الطبيعى والمنتزة الجميل الرائع .

وتقوم فى ضاحية نضرة نزهة عليها سور حجرى ومن اللبن ، وقصورها المقصورة متناثرة كنثار العروس يتقدمها قلعة شماء كالحارس الأمين .

ومن معالمها الأثرية قلعتها المذكورة ، ومسجدها العامرية ذات القباب العظيمة التى هى أثر من آثار الخليفة أمير المؤمنين عامر بن عبد الوهاب الطاهرى والمدارس والمقاصير ، وهى فى الشرق الجنوبى من مدينة ذمار بمسافة سبعة عشر ميلا تقريباً .

ويتراوح تعداد سكانها بين خمسة عشر ألف نسمة إلى عشرين ألفاً ، وفى ضاحيتها الحدائق والقصور والحِلَل الأنيقة .

البيضـــاء

هى كاسمها بيضاء الأديم بضة الرّواء مبللة الأردان عطرية الأنفاس والنسمات، وتبدو وكأنها غانية الجمال فارعة القوام بدوية المثال « مشرق الله حيث أم رغادة وأم جمال » .

ولم تظهر كمدينة لمشرق اليمن إلا فى القرن التاسع الهجرى خَلَفاً عن مدينة « حمى » الأثرية .

ويتراوح تعداد سكانها بين عشرة ألف نسمة إلى خمسة عشر ألفاً .

قعطبة والنادرة

هما مدينتا مخلاف ذى رعين والعود وهما حديثتا العهد بالتمصير ، إذ كانت مدينة المخـلافين مدينة « جيشان » الأثرية ، وتقع فى جبل العود ، ثم فى عزلة الأعشور .

ومما يعدّ اليوم من المدن مدينة السّدّة من ذى رعين التى تشرع على نهر « بناء » ومما ذكره « لسان اليمن » فى هذا النهج مدينة «منكث» الواقعة فى أعلا يحصب وكانت مقر السخطيين سلالة التتابعة ، ومدينة « حمى » فى سرو مذحج بلادالبيضاء ، والبترا ، والخنق فى السّرو أيضاً .

ثم لا مدينة بعد هذه فى نجد اليمن اللهم إلا قرى كبيرة هى بالمدن أشبه مثل القارة فى يافع ونحوها .

وهذه مدن الهضبة الغربية الشـهيرة بالسروات ، مبتدئين من الجنوب إلى الشمال .

عدد	اسم المدينة	قياسات الارتفاع	
		قدم	متر
١	الجند	٠٠٠٠	١٤٠٠
٢	تعز	٠٠٠٠	١٣٤٧
٣	إب	٦٧٥٠	٠٠٠٠
٤	جبلة	٦٧٤٥	٠٠٠٠

وصف موجز لهذه المدن .

الجنـــد

تعد مدينة الجند من أقدم وأعرق مدن الخضراء بعيدة الصوت ذائعة الذكر وأحد أسواق العرب المشهورة ، وحاضرة الإقليم الأخضر بما فيها تهامة ، فقد كانت معدودة فى دواوين الخلفاء بعمل الجند ، وأحد البقـاع المباركة ، ومسجدها الأثرى الذى يقرن ذكره بذكر بانيه الصحابى الجليل مُعاذ بن جبل الأنصارى رضى الله عنه من أول ما أسس فى الإسلام .

وتقوم فى بحبوحة حقلها المشهور ، وهى اليوم بُليدة صغيرة قد تشعثت ولم يبق من معالمها غير جامعها المبارك .

وتقع فى شرقى مدينة تعز بمسافة فرسخين .

تعـــز

كرسى مملكة الغساسنة الرسوليين ومقر عزهم الذين خلفوا فيها آثاراً خالدة والمصيف العالى والعاصمة الثانية للجمهورية العربية اليمنية .

وهى اليوم لابسة حلة مزهوة من مبتكرات الفن الحديث ، وقد ظهرت على الربوات متناثرة هنا وهناك كالدر المنثور وكأنها قطعة من بيروت لبنان العربية .

وتقع على سفح جبل صبر المبارك الحاضن لها والحانى عليها بالخيرات وبالمياه العذبة المقطرة وفواكهه اللذيذة .

ويبلغ عدد سكانها اليوم ما يزيد على مائة ألف نسمة بينما كانت فى العهد الأسود لا يتجاوز عشرة آلاف .

ولم تظهر على مسرح التاريخ إلا فى القرن السادس الهجرى .

إب الخضراء

بكسر الهمزة لا سواء ، وهى اليوم قصبة اللواء الأخضر ، وسويسرة اليمن والتى قال فى وصفها الرحالة العربى الأستاذ الكبير « أمين الريحانى » كأنها قبضة لؤلؤ على بساط أخضر ، وتقول الأعراب : إب الفنجاء مرحبة بمن جاء .

وهى أول مدينة أنشأت فيها جمعية إصلاحية ذات نظام وبرامج وأهداف فى العصر الحديث كما يأتى ذكر ذلك فى الجزء الذى سميناه « نضال ربع قرن » .

وتقوم على ربوة ذات قرار ومعين وعلى جيدها طوق زبرجدى كأنها الغادة الحسناء فى سفح جبل « ريمان » المشهور الذى يقول فيه أعشى قيس :

بيعدان أو ريمان أو راس سلية   شفاء لمن يشكو السمائم بارد

ومن معالمها الأثرية مسجدها العُمَرِى المنسوب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويقال : والدار البيضاء التى نسبت إلى « البيضاء بنت شمر يُرْعِش » .

ويتراوح سكانها بين عشرين ألف إلى ثلاثين ألف نسمة ، وقد خرجت من سورها طليقةً مرحة إلى الربوات التى أمامها وخلفها لتشارك شقيقاتها فى البناء والتعمير والفرح والمرح .

جبلة

ويقال لها ذو جبلة نسمة السحر وشقيقة القمر ربة الحسن والإحسان والعلم والعرفان ومقر عز الملكة بلقيس الصغرى السيدة بنت أحمد الصليحى المقرونة بعظمتها وما خلفته من آثار ومبرات حسان ومسجدها الجامع أحد مفاخرها .

وأول من مصرها وجعلها دار ملك الأمير الكبير عبد الله بن محمد الصليحى شقيق الملك الكامل على بن محمد الصليحى سنة ٤٥٨ هـ ، وفيها يقول عبد الله ابن يعلى الصليحى :

ما مصر ما بغداد ما طبرية ... بمدينة قد حفها نهران
خَدِدٌ لها شام وَحب مشرق ... والتعكر العالى المنيف يمانى

وتقع على هضبة مسرطحة متدرجة معاندة لمدينة إب من الغرب الجنوبى بينهما أربعة أميال تقريباً .

ويقدر تعداد سكانها ما بين سبعة آلاف إلى عشرة آلاف نسمة .

هذه هى المدن التى تعطى معناها الحقيقى ، كما أن « لسان اليمن » عدّ مدينة « جبا » الواقعة فى فجوة جبل صبر من غربيه من المدن الرئيسية لعهده ، وكذلك الدّملوة والجوءة ، وهما اليوم فى خبر كان .

ومما استجد حديثاً مدينة « الراهدة » الواقعة جنوب مدينة تعز فى مخلاف خدير ، وتمصرت لوقوعها على ممر التجارة بين « عدن » وتعز ، وغيرها من المدن ومدينة « القاعدة » الواقعة فى الشرق الشمالى من تعز بسبعة فراسخ وشمال الجند ، وهى من أسواق اليمن الشهيرة المتوفر فيها كل أسباب المدنية القديمة والحديثة ، وتقع فى منبسط من الأرض عليلة النسيم طيبة الهواء .

ومن المدن التى تعد فى هذه الهضبة ، وتعتبر مراكزاً للمخاليف ، وهى كما يلى بدون وصف :

تُرْبة ذُبْحَان لمخلاف المعافر : الحجرية

يفرس لجبل ذخر : حبشى

ذو السفال لمخلاف نعيمة صهبان وبعض الكلاع

المُذيخرة للكلاع : المدين فى قمرة الكلاع

المخادر فى بطن السحول شمال مدينة إب

ضوران لمخلاف أنس وجهران ومعبر فى نجد اليمن شرق ضوران وشمال ذمار بثلاثة فراسخ

مناخة لمخلاف حراز

المحويت « ملحان وحفاش وغيرها

الطويلة « لبلد حمير مغرب صنعاء

حجة « حجة من حاشد السروات

كحلان عفار « « « « «

حبور « ظليمة حاشد السّروات

السودة « لحاشد وبكيل

المحابشة « الشرف لحاشد

حيدان « لخولان الغربية فى صعدة

النضير « لرازح من خولان فى صعدة

سافين « لخولان فى صعدة

ومن المدن الجاهلية التى ذكرها « لسان اليمن » « سلوق » بمخلاف خدير ومدينة العركبة فى مخلاف وصاب للشّراحيين من حمير .

ثم لا مدينة بعد هذه اللهم إلا مراكز لإدارة أعمال الحكومة وهى كثيرة ، وقد سبق لنا أن هذه الهضبة أكثر ما تكون عُمْراناً ، وأنهم حضريون لا يعرفون البداوة فى شىء .

أما مدينة (أبها) التى لمخلاف عسير وسروات المخلاف السليمانى فيأتى ذكرها .

* * *

وهذه أم المدن التهامية ، وموانى « اليمن الخضراء » مبتدئين من الجنوب إلى الشمال .

عـــدن

هى المينا الطبعى للخضراء ، وأم المدن التهامية وهمزة الوصل بين الشرق والغرب حتى أسموها « جبل طارق الشرق الأوسط » ، والنافذة التى يطل منها على العالم الخارجى ، والسوق الكبير لجزيرة العربية ، وملتقى قارتى آسيا وأفريقيا .

سميت بعدن بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام ، وتقع فى فوهة بركانية تحيط بها الجبال من ثلاث جهاتها جبل العرّ « شمسان » ، من الغرب والشمال ، وجبل صِيْرة من الجنوب الغربى ، وكأنها شبه جزيرة ، إلا من ناحية الجنوب ، فإن أمامه بحر حُقّات الميناء والرصيف القديم الذى كانت ترسو فيه السفن وتقلع ، ولهذا تسمى باللغة الإنجليزية « كريتر » ، أى فوهة البركان ويقول لها العرب : مقط التراب لأنها تَنْقَطع الأرض دونها ، ويبلغ مساحة قطرها نحو ثمانين ميلا مربعاً .

وتشكل اليوم ثلاث مناطق : (١) « عدن » : المدينة التى وصفناها . (٢) المعلا : وتشرف على شبه البحيرة الموصلة إلى باب البحر الأحمر ، وفى طريقها المضيق المعروف بباب السلب وهو باب البر ، وتصنع فى المعلا السفن الشراعية والزوارق كما ترسو بعض البواخر الصغار . (٣) التواهى وهى المدينة التى كان يسكن فيها الأجانب ومقر الحكومة الجمهورية الديمقراطية ، وفى التواهى يقع الميناء الوحيد وترسو وتقلع منه البواخر على اختلاف أصنافها .

ومن مآثرها القديمة « الشّمر » الذى شقه أسلافنا ملوك حمير كطريق موصل إلى البر ، ومنها النفق المعروف ، ومنها خزانات المياه « الصهاريج » ، وتقدر بخمسين صهريجاً ، وتكاد تكون إحدى معجزات الإنسان القديم وكلها من أعمال الملوك اليمانيين القدامى والإسلاميين الذين آخرهم ملوك آل طاهر[1] .

وفيها غير هذا ، ويتراوح عدد نفوسها من مائة وخمسين ألف نفس إلى مائتى ألف نسمة من جميع الملل والنحل ويمثل العرب اليمنيون الأغلبية الساحقة .

وفى ضواحى عدن قامت مدينة الشيخ عثمان ، وهى فيما بين لحج وعدن .

لحـــج

لحج مخلاف فى منتهى اليمن ومدينته « الحوطة » ذات قصور شامخة وحدائق غنّاء وبساتين فينا ، وكانت عاصمته القديمة « الرّعارع » التى كانت تقوم على شط نهر « تبن » .

أبين

أبين مخلاف من مخاليف اليمن الخضراء الجنوبية ومدينته اليوم جُعَارو زنجبار وكانت قديماً مدينة « الرواغ ، وخنفر » .

وفى تيه أبين قامت فى العصور الخوالى والمتوغلة فى القدم حضارة راقية كان من آثارها (إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد) ، كما قاله رب العزة ، وحكته الأساطير فى أوصافها والقصاص فى أوراقها بوصف أغرب من الخيال .

باب المندب

كان يعتبر باب المندب فرضة ذلك الحيّز ومدينة على ساحل البحر الأحمر

---

(١) راجع تعليقنا لقرة العيون .

كما له أهميته التاريخية ، وهو المضيق والحارس الأمين وبوغاز اليمن الخضراء لبعد صونه فى القديم وساحل العنبر الفاخر الكثير .

وكانت مدينة عامرة ، وقد جاء ذكرها فى الآثار واليوم لاشىء فيها غير حامية عسكرية .

المَخـــــا

أحد موانى الخضراء القديمة ، ومدنه الساحلية الشهيرة التى كان يسميه الرومان «بوزا :أى موخا» كما قرنت بالبن اليمنى « بُنّ مخا » حينما ازدهرت تجارتها وذاعت سمعتها ، ثم خبا ضياء ذاك النادى واليوم نأمل أن تستعيد حياتها تمشيا مع الحياة الجديدة لاسيما بعد تعبيد الطريق بينها وبين « تعز » بصورة تتطلب المزيد من العناية ، كما تستحق لفت نظر جاد لإصلاح الميناء بأرصفة على الطريقة الحديثة .

وتقع فى الغرب الجنوبى من مدينة « تعز » مسافة ساعتين ونصف ، وعن ١١٨ كيلو متراً .

مَوْزع

مدينة موزع من مدن تهامة فى الداخل ، وهى معاندة للمخا فى الشرق الشمالى وهى قديمة أثرية ، ولو نُقِّب عن أنقاضها لوجدت كتابات عربية قديمة كما عثر بها على وجه الأرض ، وفى أعلا واديها كان يقوم سد حميرى لحجز المياه الدافعة من المعافر فدحقته السيول وتصدع نتيجة الإهمال ، ولم يبق إلا آثاره .

ومما ذكره « لسان اليمن » مدينة «الشقاق» عاصمة الأمير يحيى بن عبد الله ابن أبى الغارات المجيدى الحميرى ، وهى اليوم أطلال .

الخوهة « الخوخة »

ومن الموانى التى ظهرت للقرن السادس ميناء « الخوهة » بهائين آخر الكلمة ، وينطق بها اليوم بخائين لقرب المخارج .

وتمتاز بالمياه العذبة والفواكه الجيدة لا سيما التين الذى لا ينقطع طوال فصول السنة

حَيْس

من المدن الداخلية مدينة حيس الواقعة جنوب مدينة زبيد ، ويشرع عليها وادى نخلة ، ويقال لها حيس القنا ولها الخزف المشهور بالصحارى .

واشتهرت بعمل الأوانى الخزفيّة المشهورة بالحيسيّة ، ولو كان لها تشجيع وتطوير لكانت من أعجب الأوانى ولشاكلت الأوانى المستوردة من الخارج .

زَبيـــد

من المدن الداخلية : مدينة زبيد وهى للأشعريين الذى قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم : « جائكم أهل اليمن أرَقُّ أفئدة وألينُ قلوباً » وحاضرة القطر التهامى والمعهد العلمى الشهير مصنع العلماء والفضلاء والأدباء والرؤساء .

وتقوم على واديها « الُحصَيْب » الواقع بين نهرين وواديين ، وادى زبيد فى جنوبها ، ووادى رمع عن شمالها والبحر عن غربيها ، والجبال الشاهقة الشماء عن شرقيها أثنى عليها الرواد والسواح كالبشارى وابن خرداذبه وابن بطوطة .

وهى مسورة ولها أربعة أبواب باب النخل غربا باب سهام شمالا باب الشبارق شرقا باب القُرْتب جنوباً .

ويبلغ عدد نفوسها قرابة ستين ألفاً ، ولها معالم أثرية كثيرة ذكرناها فى غير هذا الكتاب ، ومن أشهرها مسجد الأشاعر الأثرى الذى بناه أبو موسى الأشعرى الصحابى الجليل وقومه من الأشاعر فى سنة عشر من الهجرة .

غُلاَفقة « غليفقة »

من الموانى القديمة ذائعة الصيت غلافقةُ التى تسمى اليوم غليفقة ، وذكرها « لسان اليمن » وهى اليوم لاشىء .

بيت الفقيه

إحدى المدن التّهامية فى الداخل : نسبت إلى الفقيه العارف أحمد بن موسى ابن على بن عجيل لأنه أول من سكن فيها وكون فيها ملاجىء للزَّمْنَى ومنازل للفقراء والمريدين وعمر مسجدها ثم مصرت بعد ذلك فى أوائل القرن السابع الهجرى ، وهى مدينة نفيسة جميلة ، ولهذا يقول الأعراب حيس القنا ، وزبيد الفنا ، وبيت الفقيه جَنّة الخلدى.

ومن المدن التى ذكرها « لسان اليمن » فى هذا الحيّز ، وقد تشعثت مدينة « القحمة » على وادى ذوال فى الشمال الشرقى من زبيد بين بيت الفقيه والمنصورية .

الحُـــــديدة

فرضة اليمن الجديد وثغرها الباسم الحديث وعروس البحر الأحمر ونجم القطر التهامى المتألق ناصرة الثورة بمينائها ورصيفها الجميل الذى كان من أقوى دعائم الثورة ومقوماتها بما أمدت البلاد من مُؤنٍ وأقوات وعدة وعتاد .

وهى اليوم حاضرة الصقع التهامى ، ويقدر عدد سكانها بمائة ألف نسمة بل أزيد من ذلك ، وهى فى نمو وزيادة واطراد مستمر مع اتساق فى العمران ، وامتداد فى البناء .

ولم تطالع التاريخ كميناء بسيط إلا فى أوائل القرن العاشر الهجرى ، وذلك عند مطاردة الجراكسة للنصارى البرتغاليين عن سواحل البحر الأحمر .

المـــــراوعة

ومن المدن فى داخل تهامة : مدينة المراوعة الواقعة شرق الحديدة بمسافة بضعة أميال .

ولم يذكرها التاريخ إلا فى القرن الخامس الهجرى .

باجــــل

تقع شرق المراوعة ولم تذكر إلا فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى .

ومما يدخل باسم المدن « القُطَيع » بالتصغير وتقع فى الشمال الشرقى من المراوعة ، ومن المراكز الحكومية الملوية والمنصورية الواقعة شمال بيت الفقية والدريهمى .

الزيدية

من المدن الحديثة فى بطن تهامة قريب وادى سردد وشرق وشمال الحديدة .

الزُهرة

تقع على شط وادى مورا الشهير والتى لم تظهر كمدينة إلا فى العصور المتأخرة.

اللّحيَة

تقع مدينة اللّحيَة على ساحل البحر الأحمر ، اختطاطها فى القرن السابع الهجرى. وهى مدينة عامرة آهلة بالسكان ويستخرج من ساحلها اللؤلؤ الكبار .

حرض

مدينة أثرية غَنية بالآثار الحميرية التى تحت الرمال لأن السيل قد كشف عن مُسْندٍ أثرى وبَلعَه الجهل وواديها المشهور من أخْصَب الأودية وأمرعها لو وجد اليد العاملة وكان ميناها « الشرجة » من أقدم العصور واليوم « ميدى » الحديثة وهى لا شىء وفى حالة يؤسف لها .

ومن مدن الداخل عَبْس والضحى والمنيره .

ومما ذكره « لسان اليمن » من مدن « تهامة » مدينة « المهجم » وكانت ذائعة الصيت وكانت تعتبر عاصمة القطر التهامى الشمالى ولا زال لها ذكر إلى القرن الثالث عشر حيث انتهت ، وَكانت تقوم على وادِى سُرْدد.

ومن المدن القديمة مدينة الـكدرى التى تشرع على وادى سهام وهى اليوم متهدمة

ومن المدن التى قد اندثرت وليس لها ذكر وأوردها « لسان اليمن » فى كتابه « صفة جزيرة العرب » « ماحة » وتقع على وادى مور ومن الموانى « الخزدة » و « عطنة » و « منفهق جابر » .

ومن المدن التى ذكرها «الجندى» مدينة «المخالب» ومدينة « أبيات حسين » وهما قرب الزهرة .

ومن المدن التى ذكرها الهمدانى مدينة «المَعقِر» على وادى رمع وَوافِر وقد اختفت.

وتتألف بيوت مدن تهامة من طابق إلى ثلاثة وأربعة طوابق مبنية بالآجُرّ المحرق وباللبن كما يوجد فى أفناء المدن أبيات من الأخشاب والأعشاب بصفة أنيقة وتقسيم بديع رائع يتخللها النسيم العليل من كل جهاتها وتسمى عشة و جمعها عِشش

مدن السهول الشرقية والشمال الشرقى ونعنى به غائط مأرب والجوف التى قامت فيه مدنيات زاهرة كانت لها أعمق الأثر وأكبر صدى فى العالم القديم .

ونكتفى بسردها فإنه سيأتى وصفها فى القسم الحضارى إن شاء الله ومن المدن الحية « حَرِيب ، بيحان ، الجَوْبة » ، أنقاض « مأرب » ، أنقاض « صرواح » المساجد روثان . البيضا براقش « معين » « السودا » « قرنا » « نشق » تمنا

بهذا انقضى ما جال فى الخاطر عن مدن اليمن الخضراء المستقل سهله ونجوده وسرواته مع إدماج قسط ضئيل من جنوب اليمن الديمقراطى وذلك ما لا بد منه .

أما موانى ومدن المخلاف السليمانى سهوله وجباله ومدن وموانى إقليم «حضرموت» وكذلك إقليم « عمان » فقد أرجينا الـكلام عنه إلى بقية جغرافية «اليمن الطبيعى» لتناولها بالتفصيل والجملة إن شاء الله .

جزر اليمن

جزائر اليمن المعدودة من ممالكه وملحقاته الطبيعية هى كثيرة ومنها وهى أوسعها جزيرة « سقطرة » الواقعة فى البحر العربى ، وقد وصفها « لسان اليمن » وجزيرة « كوريا موريا » وتقع بين حضرموت وعُمَان ، وجزيرتى « بربرة » و « زيلع » وهما ملتحقتان قبالة عدن ، وهما تحت الاحتلال الفرنسى ، وجزائر « دهلك » وهى عدة جزر وتقع فيما بين زَبيد والحديدة وهى تحت الاحتلال الحبشى ، جزيرة « كران » قبالة الصايف وهى بيد الجمهورية الجنوبية الديمقراطية ، وجزائر « فرسان » وتقع قبالة مدينة « جازان : جيزان » وهى مشمولة بالنفوذ السعودى وثمّ جزر غير ما ذكر ليست من الأهمية بمكان[1] .

فلاة اليمن

هى فلاة « صَيْهد » بفتح أوله وإسكان ثانيه ثم هاء مفتوحة ودال مُهْملَة وقد سبق الإلماع إليها فى ص ٤١ ولزيادة البيان فهى ناحية صحراوية منخرقة ما بين بيحان فمأرب فالجوف فنجران فالعقيق فالدهناء فراجعا إلى العُبر المعروف بحدود حضرموت أو هو منها . وهذه الفلاة هو ما يسمى اليوم بالربع الخالى مع تجوز فى ذلك لخلو السكان منه وقد فصلنا ذلك سابقا .

عالم الحيوان

توجد باليمن الخضراء : الحيوانات الأهلية كالغنم بضأنه ومعزه والبقر وأجوده الجندية والخديرية والشرعبية والإبل وأشهرها المهرية والأرحبية والسكسكية

---

(١) مثل « بريم » بالباء الموحدة : ميوب الذى اتخذها الانجليز لمضايقة باب المندب راجع صفة جزيرة العرب بتعليقنا

والجندية[١] . والخيل وأعلاها وأنفسها العنسية والجوفية والشوافية[٢] والحمير والمتفالم بجودتها السورقية والصعدية والسارعية والذمارية[٣] وكلها تتسلق الجبال وتطلع العقبات الوعرة كأنها الوبر أو القرود والتهامية فى تهامة فقط والبغال وتتوالد باليمن وتجلب من الحبشة .

وتحتاج هذه الحيوانات إلى رعاية وحماية والاحتفاظ بها والعناية بتوالدها خوفا من انقراضها لا سيما المركوبات بسبب إهمالها واستبدالها بالمركبات البخارية « السيارات » فإنها زينة البلاد وتدعو إليها الحاجة فى يوم ما.

كما أن من اللزوم والواجب المحتم العناية بالماشية والأنعام وتربية الدواجن تربية حسنة .

ومن الحيوانات البرية الوحشية الوَعِل « الأيِّل » والظباء وحُمُر الوحش « الوضحى والوبر » والضبّ « الرول » والنعام والأرنب والقنفذ « الشبرزة » وهى السمو وهى ذات الشوك كالأقلام وهو سلاحها الذى تقاتل به .

ومع الأسف أنه قد قل ظهور هذه الحيوانات بسبب كثرة وجود السلاح النادى : البنادق وذهابها بالرمى للصيد ولا يحسن هذا من المواطنين ، أن يخلو هذه الحيوانات من البلاد فإنها زينة لها وحياة وعجب وزهو .

---

(١) المهرية نسبة إلى مهرة بالفتح والسكون قبيلة من حمير تسكن حضرموت ويأتى ذكرها والأرحبية نسبة إلى أرحب القبيلة المشهورة من همدان الواقعة شمال صنعاء والسكسكية نسبة إلى السكاسك من بلاد الجند وهى التى تسمى الشرمانية والمجيدية نسبة إلى بنى مجيد بلاد الخا ، والبقر الجندية والحديرية نسبة إلى مخلاف الجند وخدير الملاصق للجند والشرعبية إلى مخلاف شرعب شمال مدينة تعز .

(٢) الخيل العنسية نسبة إلى عنس الوطن والقبيلة التابعة لمدينة ذمار والجوفية نسبة إلى الجوف المشهور شمال شرق صنعا والشوافية نسبة إلى مخلاف الشوافى غرب شمال مدينة إب

(٣) الحمير السورقية نسبة إلى جبل سورق من بلاد السكاسك : ملونة والصعدية إلى صعدة المدينة المشهورة والسارعية إلى سارع من بلاد المحويت والذمارية إلى مدينة ذمار

وَمن ذوات المخلب وَالناب : الثعلب ، الثعل ، العسيق فى لغات يمنية وَالضبع وَالسمع وَالعرج وَالذئب وَالنمر وَمن أندر النادر الأسد فى أماكن ذكرها « لسان اليمن » فى كتابه صفة جزيرة العرب .

وَمن الكواسر : النسر وَالعقاب المسمى : سليمان وَالعجزى فى بعض المناطق وَالصقر وَالباز وَالرخم وَالحِدأة وَالغراب والزاغ وهى ألمى ولونه لون الغراب إلا أنه أصغر حجماً منه .

وتكاد هذه الكواسر أن تختفى لذهابها بالرمى بالبندقية والقنص ، وكثرة وجود الطيارات النارية التى ملأت كل باد وحاضر ، وخلو أجواء اليمن من هذه الحيوانات غير سديد .

وكانت القردة « الرباح » كثيرة جداً لا يتصور كثرتها فى أى قطر آخر ، وكانت تشكل خطراً داهمًا على المزارع ، إذ كانت تغير عليها بصورة جماعية ، فإذا صادفت غفلة من حماة الزرع أتت عليه كالنار للهشيم ، واليوم تكاد تعدم لذهابها بالرمى .

ومن الداوجن والطيور : القمارى ، والدجاج ، والحمام ، واليمام — وهو نوع منه — والجولب ولعله نوع من الحمام غير الأهلى ، والفواخت الفيل ، والعصافير المختلفة الأشكال المزركشة الألوان الرخيمة الأصوات ذات التغريد المطرب ، والتسجيع المحزن لا سيما فى الضياع والغابات حيث الأشجار المدوحة ، والغياض والرياض الغناء وحيث خرير المياه وحفيف الأشجار والورق كالشحرور والهزار والقمارى والبلبل ، وتقول الأعراب : البلبل ينكحه فار ، يضرب مثلا للرجل الكبير القدر ينقاد لمن هو دونه ، وثم أنواع أخرى يطول تعدادها .

كما أنه يوجد من الحشرات ذوات السموم كالحنشان « الثعابين » والعقارب ، والحيات والأفن وسام أبرص الوحر ، العردان ، الحوتانى . ومن الهوام كالوزغ وبنات آوى وبنات عرس : الشصاص والشوصر وغيرها .

وباليمن الخضراء ، النحل المنتج للعسل الذى لا يلحق بعسله نظير خصوصاً فى أماكن تفردت بالشهرة بجودته كالعسل الحضورى الذى قال فيه امرىء القيس ابن حجر الكندى :

سقتك ببارد عذب نقى كالأقاحى كأن المسك والكافور بالراح اليمانى
على أنيابها وهناً مع الشهد الحضورى

ومنه العسل الدوعنى بحضرموت والشمرى والبعدانى والحشاى والأنسى والدبامى وإنك لتجد فى بعض العسل رائحة وعَرفٌ من نكهة الأزهار التى جنت منه النحل كما يمتاز بنصاعة بياضه الذى يغلب لونه على لون السكر ويقال له دُهنى لأنه يشبه الزبدة وسكرى لأنه محبب يشبه النبات .

الصناعة

ليس باليمن الخضراء صناعة بالمعنى المعروف فقد ولت عنها الحضارة بأكلها التى من نتائجها الصناعة وولى معها كل شىء فلا وشى صنعاء ولا البرود اليمانية ولا الثياب السحولية ولا الزبدية ولا المعافرية ولا العمائم العدنية ولا الحِبر المخططة ولا السيوف اليزنيّة ولا اليرعشية ولا النصال الصعدية ولا الزجاج اللجمى ولاولا وأصبحوا على البرية عالة وعلى غيرهم تكلة مما يستورد من الخارج عن طريق عدن والحديدة وغيرهما من صناعة الأجنبى الغربى عدو العروبة حتى الأشياء التافهة وماعون البيت اللهم إلا حِرفا بسيطة لا تغنى ولا تسمن من جوع ولا تسد فاقة ولا ترقع خرقاً كالحدادة والخياطة والصياغة والخرازة ونحو ذلك من الأعمال اليدوية

ومن المؤسف جدا أن مواد هذه الآلة لهذه الحِرَف كلها مستورده من الخارج وليس لهم إلا فَضل العمل بها والانتفاع بآلاتها.

التجارة

والقول فى التجارة كالقول فى الصناعة فبعد أن كانت «الخضراء» فى العالم القديم تتمتع بمركزها الهام لتصدير البضائع إلى جميع أقطار العالم القديم وكانت همزة الوصل بين سواحل أفريقيا وآسيا الكبرى وبين حوضى البحر الأبيض والبحر الأحمر وبينما كان اليمنيون أنشط عباد الله على اقتحام الأخطار واعتساف البيدا لنقل البضائع من منتوجات بلادهم ومصنوعات أيديهم وما يجلبونه من منتوجات الهند والسند والصين وكانت سفنهم تمخر المحيطات وتعبر القارات حاملة أنفس القماشات وأفخر الثياب والطيوب والبخور وآلة الصناعة والوشى والحرير وكلما تمت له حاجة الإنسان وتدعو له الضرورة وجنوا من ذلك النشاط البحرى والبرى والحركة الدائبة ، والتنقلات المستمرة والمغامرات البطولية أموالا جسيمة وتضخمت ثرواتهم وتكدست فى مخازنهم وأثرو ثراء فاحشا كان له أثره فى البذخ والترف كما يأتى ذلك فى قسم العصر الحضارى - إذا صبحوا اليوم لا يملكون فى أيديهم شيئا فتراهم يستجدون ملابسهم من صناعة الغريب الأجنبى البعيد وحاجياتهم الضرورية والكمالية من الخارج حتى ثقاف الكبريت والإبرة والخيط ويتحكم فى هذه السلع عليهم كيف شاء وكاد يختفى الانتاج الضئيل على التدريج حتى القوت الضرورى فضلا عن الكماليات كما صارت ثرواتهم التى هى نتيجة عرق الجبين وكد اليمين يمتصها الأجنبى من حيث لا يشعرون

ونحن إن لم نكن مستعمرين بالمعنى الذى يتصوره البله السذج فنحن مستعمرون اقتصاديا بصورة فظيعة وفظيعة جدا فلا صادرات من اليمن تغطى الواردات ولا تبادل تجارى ولو بعض ما يستورد ولاولا اللهم إلا أشياء قليلة نزرة مثل البن الذى يباع كيف ما اتفق وإلا شيئاً من الجلود وقليلا من القطن والملح وهذا كله لا يغطى جزءاً ضئيلاً من الواردات

والويل كل الويل إذا أقفلت الموانى الرئيسية لسبب من الأسباب ، فكأن القيامة قامت ، وحلت الكارثة ، ونزلت النازلة ، فترتفع الأسعار فى الوقت وفى الساعة بمجرد قرع أسماع رءوس الأموال لهذا النبأ ، وتنسحب التجارة والبضائع من السوق إلى المخازن والمخابىء لإخفائها احتكاراً واستغلالاً ، رغم أن المستودعات والمخازن تضيق ذرعاً بالحاجيات والكماليات وبكل شىء ، وترى الناس يتلفتون يميناً وشمالاً ، ويسعون هنا وهناك وراء ما يحتاجون فلا يجدون إلا الخيبة ، ومتاجر مقفلة ، ووجوهاً مكفهرة ، وإن وجدوا فبأثمان خيالية ، اللهم غُفراً :

وهكذا ترى شعبًا بأكمله سبهللاً عاطلاً عن العمل وعن التفكير لإنعاش اقتصاديات البلاد ، ونفخ الحياة الحرة الكريمة ، ولولا أن منّ الله بإنقاذ هذه الأمة التى أوشكت على الإنقراض بقيام الثورة ، لتحركت بعض الأيدى العاملة وشغلت النزر اليسير من الشباب بفتح المشاريع التى بدأت تنشأتها كتعبيد الطرقات وإشادة المدارس ، إلى غير ذلك ، ولكن الاقتصاد لا يزال فى تدهور مخيف ، وكادت تعود البلاد أسوأ حالا من ذى قبل ، والسبب معروف ومذكور فى التاريخ .

وما مصنع الغزل والنسيج الذى أنشأ حديثًا على أيدى خبراء الدولة الصديقة الصين الشعبية وتصنيعه بأيدى شباب يمنى ، إلا آية من آيات النهضة الحديثة ، وثمرة من ثمار الجمهورية ، ولو كان هناك مسئولون بالمعنى الحقيقى ، لسد حاجة البلاد . . . ولكن !

الثروة المعدنيــــة

لقد كان للملك المنقذ سيف بن ذى يزن الحميرى على حق حينما عمد إلى

حباء « كسرى » فنثره على خدم « كسرى وخَوَلِهِ » وَمَنْ على بابه ، احتقاراً له وازدراء، وقال قولته المأثورة شامخًا بها أنفه : لا حاجة لى بهذا فما جبال بلادى وأرضها إلا ذهب وفضة .

فاليمن ملىء وغنى بالمعادن والجواهر على اختلاف أصنافها وتنوع أجناسها ، فمن ذهب وفضة ، إلى حديد ونحاس ، إلى زجاج ورصاص ، فالملح بأنواعه ، فمنه الملح الحجرى كملح مأرب ، وهو أجود ملح فى العالم فيما أظن ، وملح الصليف الذى فى تهامة ، والملح البحرى الذى يعرف بالملح المسى ، وهو على ساحل البحر الأحمر ، وطريقة استخراجه : أن تعمل أحواض كبيرة كجرب بجوار الساحل ، ويُجَرُّ إليها جزء من مياه البحر ، ثم تسد فتحة المجرى وتحبس المياه فى الأحواض معرضة للشمس حتى تتبخر فيجف الحوض ويبقى على وجه الأرض طبقة بيضاء جيلة هو الملح الذى كان ذائبًا فى الماء ، فيؤخذ وينظف ويُباع ، والكبريت وأجوده الذمارى ، وهو على وجه الأرض لا يحتاج إلى تعدين ، والفحم ، وغير ذلك ، كما توجد فيه الأحجار الكريمة والأعلاق النفيسة : كالياقوت ، والزمرد ، والزبرجد ، والبلور ، والجزع اليمانى ، والعقيق اليمانى المشهور ، وأعلاه البقرانى وأجوده الأنسى ، والجص : الجبس ، والنورة ، والرخام ، والمرمرم ، والطلق وأجوده الأبى ، والشب ، وأنواع الزاج ويوجد فى المعافر ، والدر ، والجوهر ، والمرجان فى مغائصه على البحر الأحمر ، والعنبر بأنواعه وأجوده ما يعثر عليه فى باب المندب وفى عمان .

ولا نقول هذا جزافًا ، فالهمدانى « لسان اليمن » لسان الصدق والأمانة قد ألَمّ بقسط وافر فى كتابه « صفة جزيرة العرب » كما خصص كتابًا للذهب والفضة أسماه « الجوهرتان العتيقتان » وبلغنى أنه قد طبع فى أوربا ، وهكذا يحنى على تراثنا علماء الغرب ونحن فى سبات عميق .

وقال فى تفسير الدامغة :

وأنفس جوهر الأرض فينا معادنه غنـــائم غانمينا .

قال فى تفسير هذا البيت : يقول : إن باليمن من المعادن ما افترق فى غيرها ، فمن ذلك الذهب والفضة والحديد والجزع والبقران والعقيق والبلور وأصناف الجواهر والدر الكبار لا يكون إلا على ساحل تهامة والعنبر أيضاً وبها الورس الذى ليس بغيرها واللبان ، وكل ذلك مباح لمن عمله[1] .

وما العُملة الذهبيّة الحميريّة التى يتفاخر بها اليمنيون والكثير منها فى متاحف أوربا ، ونزر ضئيل فى متحف الثورة بعدن ، إلا دليل ناصع على أنه كان لليمنيين شأو بعيد فى استخدام المعادن ، كما يأتى ذلك .

وقد أيد كلام الهمدانى مؤرخو اليونان والرومان ، الذين عاسروا ذلك العصر الذهبى عصر معين وسبأ وحمير ، وسجلوا ذلك عن مشاهدة وعيان ، كما ننقل ذلك عنهم فى العصر الحضارى .

ثم جاءت الكشوفات الأخيرة فى زمننا الحاضر التى قام بها المنقبون الكيمائيون الأجانب ، فأثبتت تقاريرهم كثيراً من المعادن المعروفة قديمًا ، كما اكتشفوا عن المعادن الحديثة كالبترول والفحم والأسمنت والأورانيوم فقد قيل أنه يوجد بكثرة فى منطقة « صعدة » وغير ذلك من المعادن التى اكتشفها العلم الحديث ، ولم تكن معروفةً من قبل .

ومهما قيل فى اليمن ومعادنه فلا تزال الثروة المعدنية خام ، وتحت خبايا الأرض تنتظر اليد العاملة المخلصة الأمينة المؤمنة بتطوير وطنها وتصنيعه ، وتعمل جاهدة لترفيهه بتشغيل الأيدى العاطلة ، وخلق القدرة الكافية فى الرجل

---

(١) صفة جزيرة العرب مع تعليقنا .

اليمنى بأن لا مستحيل فى هذه الحياة ، وتعمل بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا الرزق تحت خبايا الأرض » وبدلاً من أن يتغرب ويُهاجر إلى بلاد نائية يعمل فى وطنه ويستثمر خيراته ، فالأرض التى تربطه بها بأشد الوثاق هو أحق بما فيها وبأهلها .

المواصـــلات ووسائل النقل

لم نكن مبالغين إذا قلنا إن اليمن كانت تعيش قبـل الثورة الجيدة فى القرون الوسطى ، وعلى ما حدثنا عنها « لسان اليمن » فى كتابه « صفة جزيرة العرب » قبل مئات السنين ، وأنها هى كما تركها فى طرق مواصلاتها ووسائل النقل بها .

ولا حاجة بنا إلى أن نرجع إلى الوراء ، فنذكر الطرق الرئيسيّة التى تربط أمهات المدن بعضها ببعض فهى كما كانت ، ولا نذكر أيضاً وسائل النقل وأنها بذاتها : الحمير ، والبغال ، والإبل ، وظهور الرجال ، اللهم إلا بضعَ سيارات تُعد بالأصابع كان يملكها الطغاة يسرحون عليها ويمرحون فى طرق بدائية وعرة شقوها من أجل أنفسهم ، وفى سبيل رفاهيتهم وبشق الأنفس أنفس الرعايا والأهالى الوادعين تحت تأثير السياط والضرب بالهراوات وأعقاب البنادق .

وكانوا قد شقوا طريق الحديدة ـ صنعاء عن طريق أنس وجهران ، ولقى الفلاحون والرعايا من الإهانة والذل ما قد ذكرناه فى التاريخ ، وكانت من الصعوبة والمشقة وبعد النجعة ما يجعل الإنسان يفضِّلُ ركوب الحيوانات والعدول إليها ، ثم جاء الصينيون فشقوا الطريق « الحديدة ـ صنعاء » عن طريق حراز حضور ، كما أن الأمريكيين ساعدوا على شق طريق المخا ـ تعزاب ـ ذمار ـ صنعاء ، وكانت الطريق الأولى الحديدة ـ صنعاء أحد أعمدة انتصار الثورة ، وثانيهما ميناء الحديدة ، كما وأن طريق المخا ـ تعز ـ صنعاء هى الشريان النابض للبلاد والعمود

الفقرى لحياة الأمة ونهضتها لكونها تجتاز بممر رئيسى حيوى كبير مشتبك العمران وخيرات ومزارع غنيّة للتصدير ، كما وأنها تربط جنوب اليمن بشماله وشرقه وغربه وفى وسط البلد .

ولما قامت الثورة المباركة كان أول ما وجهت عنايتها إلى فتح الطرقات ، وربط القرى بالمدن بشبكة من المواصلات ، وإن كان فى إطار ضيق وعلى مستوى بدائى لاشتغالها بالمجهود الحربى ، ومهما يكن فكما يقال : شىء خير من لا شىء ، لأن رسالة الإصلاح فى جميع المجالات وَعْرٌ شاق وكبير يحتاج إلى نَفَسٍ طويل وزمن أطول ، وإلى نفوس خيرة مؤمنة بضرورة الإصلاح لخير البلاد وتطويره ، وإخراجه من عزلته إلى انطلاقة واسعة ، بوعى وطموح ونزعة لحب الكمال الذاتى وبجانب ذلك توفير المال الكافى من مصادر وموارد غنية مع تقشف وقناعة ، وقبض الأيدى ، وعصبٍ للبطون ، وإقفال الجيوب برتاج من التقوى والورع والنزاهة والخير المحض .

كما وأن السيارات اليوم تعج بالمدن والعواصم والقرى التى قد غزتها مما رفّهت على المواطنين ، وسهلت لهم الالتقاء بأهليهم وبأوطانهم بوقت قصير ، وإسعاف المرضى إلى المستشفيات إلى غير ذلك من المنافع ، ولا تزال الأيام ترينا عجباً .

كما أنشأت « شركة الباصات » السيارات الكبار ذات المقاعد العديدة الجميلة فإنها فتحت لها خطوطاً كثيرة من المدن ولا زالت تزحف على المدن والقرى . وإنا لنأمل مضاعفة الجهود نحو اليمن الخضراء من الباء إلى الياء ، ومن الإبرة إلى المدفع حتى يحصل الاستكفاء الذاتى ، وما ذلك على الله بعزيز ، وما تجاه الرجال عُسر ، غير عاذرين الحكومة الموقرة ، فلتعمل بالمثل العربى : يد تشج وأخرى منك توسينى ، فيد تحارب ويد تصنع فى المناطق الهادئة . واليوم وقد استقر السلام فإلى أين أيها اليمنى ؟

ومما اهتمت به الحكومة تنظيم شوارع المدن الرئيسية الكبار برصفها بالأسفلت، وتعبيدها، وتنضيد الأشجار على حافات الطرقات، وإقامة الحدائق والمتنزهات بصورة مصغرة، والأمر يتطلب المزيد من التحسينات لأن ذلك مظهر من مظاهر التمدن والرقى.

وكذا المواصلات جواً، فقد تيسرت بصورة منتظمة أتاحت لليمنى الانتقال من وطنه إلى أى قطر عربى شقيق، أو إلى قطر آخر كما أن الطيران بين العاصمة صنعاء والحديدة وتعز ميسور وفى كل يوم.

ومما يجدر ذكره المواصلة بالهاتف، فقد أدخل حديثاً فى المدن المذكورة وتمتاز العاصمة أنها تستطيع الاتصال هاتفياً بالقطر الشقيق مصر العزيزة وغيره، كما يأمل أن تربط بالمدن جميعاً لتعميم النفع، فإن النمو والمزيد والتطور أمر طبيعى.

الهجرة

الهجرة تكاد تكون من الأمور الطبيعية، فلا يخلو قطر من الأقطار عن هذه الظاهرة، وهى نتيجة لتزاحم السكان، أو لطلب الارتزاق والمعيشة، وقد تكون لأسباب سياسية ولظروف قاهرة.

والهجرة هى انتقال بعض السكان إلى مكان آخر وقطر متجاور، وتنقسم إلى قسمين: هجرة من منطقة فى داخل البلاد، إلى منطقة أخرى فيه، ويسمى هؤلاء المهاجرون باسم النقائل، فيقال آل فلان أو بيت فلان نقيلة أو نقائل من محل كذا.

والهجرة الثانية: هى الهجرة من داخل الوطن إلى خارجه، وهجرة اليمنيين إلى الخارج معروفة قديما وحديثاً، فقد صدرت موجات بشرية هائلة، وكونوا مستعمرات وممالك تطول ذكرها كما يأتى الكلام عن بعض من ذلك واستيفاء الكلام عن الهجرة فى غير هذا الموطن إن شاء الله.

الديانة

سيأتى الكلام عن ديانات العرب قبل الإسلام فى قسم العصر الحضارى .

أما بعد أن دخلت « السعيدة » فى حظيرة الإسلام ، فالدين على العموم هو الإسلام الحنيف إذ هم الأولون السابقون الذين حملوا ألويته فى مشارق الأرض ومغاربها ، وهم القَبَس الذين أضاءوا السبيل للسالكين ، والذين تحدث عنهم رب العزة بقوله : « الذين تبوّأا الدارَ والإيمانَ » ، وبهم عز الله هذا الدين :

لولا صوارم يعرب ورماحهم لم تسمع الآذان صوت مكبّر

ومسلموه إما شافعية : وهم الذين يمثلون الأغلبية الساحقة ، وزيدية شيعيّة ، وهم فيما بين يريم وصعدة طولا ، وما بين جبال حراز ، ومشرق خولان العالية عرضاً .

وإنما سموا زيدية نسبة إلى الإمام الأعظم زيد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم ، من باب التغليب ، وإلا فهم هادوية اتباع الإمام الهادى يحيى بن الحسين المشهور ، إذ هم يخالفون الإمام زيد فى مسائل الفروع على طول الخط ، وفى بعض الأصول ، وإنما يوافقون زيد بن علىّ فى ثلاث مسائل :

الأولى : وجوب الخروج على الظلمة ومحاربتهم لأجل ذلك .

وثانيهما : القول بالعدل والتوحيد فى أصول الدين .

وثالثهما فى الإمامة : إنها لا تصح إلا فى البطنين الحسن والحسين ابنى على ابن أبى طالب رضى الله عنهم .

ولا شك أنهم فى هذه المسألة الأخيرة قد تحجروا واسعاً ، ولم ينظروا بعين الإنصاف فالسنن الكونية وطبيعة العمران ، ونصوص القرآن والسنة المحمدية ترد عليهم ألا ترى إلى قوله تعالى : « قل اللهمَّ مالكَ الملكِ تؤتى الملكَ من تشاء

وتنزعُ الملكَ ممن تشاءُ وتُعزُّ من تشاء وتُذِلُّ من تشاء بيدك الخيرُ إنّكَ عَلَى كلِّ شيءٍ قَدِير » البقرة ـ ٢٦ . وقال عز وجل حاكياً عن قوم من بنى إسرائيل « وقال لهم نبيُّهم إنَّ اللهَ قد بَعَثَ لكم طالُوتَ مَلِكاً قالوا أنَّى يكون له الملك علينا ونحنُ أحقُّ بالملك منهُ ولم يُؤْتَ سعةً من المال قال إنَّ اللهَ اصطفاهُ عليكم وزادَهُ بسطةً فى العلم والجسم واللهُ يؤتى مُلْكَهُ مَنْ يشاء والله واسعٌ عليمٌ » البقرة ـ ٢٤٧ .

وأضيق من هذا المذهب ، مذهب الإمامية الإثنى عشرية وغيره من المذاهب المبنية على الجهل أو على السياسة .

وأما الأحاديث النبوية ، فكثيرة ليس محل يراد هاهنا ، وراجع كتابنا الإمامة والخلافة فى الإسلام .

ومن الأدلة ما روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه ، حين طعن وسأله ولده الحسن : من يتولى الأمر بعده ؟ فقال له : تكون شورى بين صالحى المؤمنين(١) أو معنى هذا .

ويمتاز المذهب الهادوى إنه فتح باب الاجتهاد وحرية الفكر لمن توفرت فيه علوم الاجتهاد بينما جمد فقهاء سائر المذاهب على أقوال أئمتهم ، وأقفلوا باب الاجتهاد والنقاش حول أقوال الأئمة ، ومن خرج عن ذلك عدوه مروقاً من الدين وقصروا اجتهادهم على التقليد ، فإن توسعوا قليلا فالاجتهاد اجتهاد مذهب لا اجتهاد مطلق ، ولكن جاءت فرقة من فقهاء الزيدية قلدوا غيرهم ، فجمدوا على المذهب الهادوى وجعلوه حرماً مقدساً حتى قال الإمام عبد الله بن حمزة : « إنا نهاب نصوص يحيى ـ أى الإمام الهادى ـ كما نهاب نصوص القرآن » ، وما أحسن قول الإمام نشوان بن سعيد الحميرى تهكما فى ذلك :

إذا جادلت بالقرآن خصمى ... أجاب مجادلا بكلام يحيى
فقلت كلام ربك عنه وحى ... أتجعل قول يحيى عنه وحيا ؟!

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ١ .

وتراكم هذا الجهل حتى أنهم سجلوا فى هوامش كتبهم عند مقارنة الحديث النبوى بكلام الإمام الهادى بقولهم : والمذهب خلافه، أعاذنا الله من عماء البصائر.

ثم نبغ منهم علماء فحول أحرار محققون هتكوا ذلك السياج المصمت ، وضربوا به وراء الحائط ، وكانوا نبراساً وضاء لدعوة الحق وصرخة مدوية لمخاطبة العقل والرجوع إليه فى مدلهمات المشاكل بوجوب العمل بالكتاب المبين ، والسُّنَّة الصحيحة الصريحة ورَفْضِ التقليد ، وذلك من أمثال الإمام الكبير نشوان ابن سعيد الحميرى الذى انتهج منهجاً قويماً ، وتلاه الحجة المجتهد محمد بن إبراهيم ابن الوزير من أعيان القرن الثامن الهجرى والعلامة النابغة صالح ابن المهدى المقبلى والعلامة المجتهد الحافظ محمد بن إسماعيل الأمير وشيخ الإسلام محمد بن على الشوكانى وأضرابهم من المجتهدين الذين كانوا مناراً للحق .

كما لمع أيضاً أعلام من علماء الهادوية ، ناقشوا هذا المذهب بمساجلة أدبية نثراً ونظماً .

وأول من أثار هذه المناقشة العلامة الأديب إسحاق بن يوسف بن المتوكل إسماعيل بقصيدة أولها :

أيها الأعلام من ساداتنا　　ومصابيح دياجى المشكل
أخبرونا ما الذى تدعونه　　مذهباً بالقول أو بالعمل
من هو المتبوع سمّوه لنا　　علنا نقفوه نَهْجَ السبل
فإذا قيل ليحيى قيل لا　　هاهنا الحق لزيد بن على

وقد أجابه العلامة محمد بن إسماعيل الأمير وغيره والمناقشة طويلة[1] .

---

(١) راجع نشر العرف ج ١ ص ٣٢٤ للعلامة محمد بن محمد زبارة وكتاب «الشرعة التوكلية» لفخامة رئيس المجلس الجمهورى السيد عبد الرحمن الأريانى التى نشر فى جزأين تحت اسم السيد عبد الرحمن المعلمى .

ومما امتاز أيضاً أنه جاء علماء مزيجاً بين التقليد والاجتهاد ألفوا كتباً فى الفقه حشروا فيها أقوال علماء الأمصار والصحابة وتابعيهم ، ومن تفرد فى ذلك أو لم يكن له أتباع ، وجعلوا محور الكتاب على مذهب الهادى يركزون فيه المسألة ، ثم يتناولون أقوال العلماء فى تلك المسألة مع الدليل والتعليل ، وإن كان قد سبقهم غيرهم كالبيان للعمرانى ، وذلك مثل كتاب الانتصار فى مذهب علماء الأمصار للإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة من أعيان القرن الثامن وهو كتاب يعز له النظير ، وكتاب البحر الزّخار الجامع لعلماء الأمصار للإمام المهدى أحمد بن يحيى المرتضى ، وهو لاحقٌ بعد الإمام يحيى بن حمزة ، وهذا قد طبع ، ولكنه لم ينتشر بأسباب أن الإمام يحيى حميد الدين كنزه فى خزائنه وكدسه فى بيته ، وجاءت الثورة ولم تتجه بعدُ نحو العلوم لانشغالها بالحروب .

وكان مذهب الهادى قابعاً فى صعدة ومنكمشاً عليها وعلى بلادها وبعض ظاهر همدان ولم يغز ستام نجد اليمن وبلاد حجة ، ومغارب حمير إلا فى القرن الحادى عشر الهجرى عندما تمت سيطرة القواسم على اليمن ، وتغلبت الأسرة الزيدية على ناصية الأمور وخلت البلاد من التيارات السياسية التى تجابهها كما خط اليمن من قادته ورؤسائه وأصبحوا قانعين بالتبعيّة إذ فقدوا كل مقومات الطموح والشعور بأنهم سادة البلاد .

هذا وكان المذهب السائد فى اليمن إلى انتهاء القرن الثالث الهجرى هو العمل بالكتاب العزيز والسنة النبوية ، ولم يتقيد أهل اليمن حينئذ بكلام واحد من الأعلام واعتمدوا فى دراسة الفقه النبوى على مثل مسند الإمام الحافظ عبد الرزاق ابن همام الصنعانى المتوفى سنة ٢١٠ ، وعلى مسند أبى قرة موسى بن طارق الجندى ، ومسند عبد الملك بن عبدالرحمن الذمارى ، ومسند الحافظ محمد بن يحيى بن أبى عُمَر العدنى ، ثم غزت اليمن المذاهب العقائدية والفقهية ، وقد اختفى أكثرها ، ولم

يقو على مقاومة التيارات السياسية غير المذهبين المذكورين الشافعية والهادوية .

والمذهب الهادوى يحمل طابعاً سياسياً أكثر من غيره . .

واليمن الخضراء – ولله الحمد – أقل الأقطار العربية والإسلامية تأثراً بالنزعات المذهبية ، والأهواء النفسية والعقائدية ، فلا أقلية ولا طائفية ولا عنصرية تدعو بدعوة الجاهلية الجهلاء ، وما يقال عن الطائفة الإسماعيلية الباطنية ، وهى طائفة من الشيعة، فرغم أنها من صميم اليمنيين فهى تمثل جماعة ضئيلة متناثرة هنا وهناك فى قمم جبال حراز ويام ونجران ومخلاف مأذن : وادى ضهر وضلع وعراس من يحصب العلو: بلاد يريم،وفى الـكلاع: العدين وعدن ، وهم مايسمون بالبهرة ، ولا يتجاوز عدد أفرادها بضعة آلاف ، ويأتى المزيد عنهم فى التاريخ .

ولا يوجد من المِلَلِ والنِّحَلِ غير ما ذكرناه ، وكانت اليهودية منتشرة فى الهضبتين الشرقية والغربية إلى ما قبل سنة ١٢٦٩ هـ – ٩١٥٠ م ، حيث سمح لهم الإمام أحمد حميد الدين بالهجرة إلى فلسطين لينضموا إلى صفوف الصهيونية العالمية ليشتركوا فى طرد وتقتيل إخواننا العرب الفلسطينيين ، ولا يزيد عدد أفرادها على الخمسين أو المائة ألف ، وهم من عرق يهودى بحت ، ولا توجد نصرانية لانقراضهم ولا بوذية ولا مزدكية ولا شىء من ذلك ، اللهم فى « عدن » بحكم كونها سوقا عالمية ، وفى « عمان » بحكم مجاورتها لأمم مختلفة لقربها من الهند ، وسواحل أفريقيا الشرقية .

قبائل « اليمن الخضراء »

كل قبائل « الخضراء » عرب أقحاح وصرحاء ، يتجلى فيهم صفاء الدم العربى الأصيل ، وأخلاقهم الـكريمة الحافلة بالمثل العليا ، فهم من أب واحد ، وسلالة قحطان الذى جاء ذكره فى التوراة باسم « يقطان » ، وصححه المؤرخ الشهير « رينان » الفرنسى .

كما جاء ذكره فى النقوش[١] ونوّه باسم قحطان الملك التبع أسعد الكامل : فقال من قصيدته :

واعلم بنى بأنّ كلّ قبيــلة ستذل إن نهضت لها قحطان

وقال شاعر الجزيرة أبو الأحرار الشهيد محمد بن محمود الزبيرى رضى الله عنه :

قحطان أم العرب منذ تهاونوا بحياتهم عاشــوا وهم أيتام

ولا زالت بيوتات يمنية تسمى أبنائها باسم قحطان إلى هذه الغاية ، كما توجد قبيلة قحطان فى شمال اليمن المجاورة لعسير ، وبنو قحطان قبيلة فى الـكلاع بالمدين ثم فى المذيخرة ، وقبيلة قحطان أيضاً فى حجور ، وفى يحصب أيضاً ، والشعر القديم والحديث ، وتاريخ الأدب العربى طافح بذكر قحطان ويعرب .

وكلها ترجع إلى أصلين كريمين هما « حمير » و « كهلان » ابنى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن نبى الله هود عليه السلام ، وقد عثر على قطعة نحاسيّة فيها تدريج هذا النسب[٢] .

ثم قبيلة حمير بن سبأ تفرع إلى أصلين هما :الهميسع بن حمير ، وفيه الشرف والملك ، ومالك بن حمير ، وفيه العدد ، وقد تملك منهم .

وكهلان بن سبأ انتشرت بطونه من زيد بن كهلان .

وإليك هذه المشجرة للأصول والأرومات الـكبيرة بإيجاز ، إذ كل قبيلة قد تفرعت إلى بطون وعمائر وأفخاذ وحبائل يطول تعدادها مُحيلاً ذلك إلى الجزء الأول والثانى والعاشر من الإكليل ، وإلى طرفة الأصحاب الملك الأشرف الرسولى وإلى النسب الـكبير لهشام بن الكلبى ومشجر علامه .

---

(١) حدثنى الأخ السيد العلامة الشهيد محمد بن الحسين بن عبد القادر رحمه الله بمعتقل حجة ، وكان مولعاً بقراءة المسند والبحث عن الآثار شغوفا بالتاريخ : أنه عثر بنفسه على نقش فى عنس أو شبام حمير ، الشك منى وفيه نسب بعض الأقيال مسلسلا إلى قحطان ، وهذا يؤيد كلام « لسان اليمن » عن ما نقله عن شيخه أبى نصر اليهرى أنه اطلع عن نص يقرب من هذا ، راجع الجزء الأول ص ٩٣ من الإكليل .

(٢) راجع جواد على ج ٢ ص ١٠١

تقسيم « اليمن الخضراء » إداريا

لما بلغت دولة « اليمن الخضراء » قمة الحضارة ورسخت فيه المدنية الزاهرة أدخلت فى برنامج نظامها تقسيم « البلاد السعيدة » إداريًا إلى مخاليف ومحافد جمع مخلاف ، ومحفد يشتمل كل واحد منها إلى عدة قرى وقصور وحصون ومعاقل وأودية ، يقيم فى ذلك المخلاف أو المحفد « قَيْلٌ » يدير شئونه ، ويعالج مشاكله مرتبطاً بالتاج الحميرى المقيم بحاضرة البلاد كمأرب ، وصرواح ، ومعين ، وظفار ، وغيرها من الحواضر القديمة .

والمخلاف فى عرفنا مَعاشر اليمنيين لا زال معروفاً لهذه الغاية هو بمثابة ما يسمى عندنا اليوم بالقضاء أو الناحية أو الرستاق أو الكورة أو المديرية أو المحافظة عند غيرنا من الأقطار الشقيقة .

وقد ذكر كثيراً من المخاليف « لسان اليمن » فى كتابه المنقطع النظير « صفة جزيرة العرب »[1] ، وذكرها اليعقوبى المعروف بابن واضح ، المتوفى سنة ٢٩٧ هـ فى تاريخه ، وأبلغها إلى أربعة وثمانين مخلافاً على أنه أغفل مخاليف وداخل ما ليس مخلافاً فى عداد المخلاف .

بينما عدها « ابن خرداذابه » من أعيان القرن الثالث الهجرى فى كتابه « المسالك والممالك » إلى ما يقارب المائة مخلاف ، وفيها تداخل ومتروك ، والقول ما قالته جذام « لسان اليمن » فإن صاحب البيت أدرى بالذى فيه[1] .

أما فى العصر الإسلامى فقد اختلف عن تقسيمها السابق نظراً إلى بعد مركز الخلافة ، وليتسنى لكل وال من هذه المخاليف أن يدير ما تحته من المخاليف بسهولة ، فقسموها إلى أربعة مخاليف :

---

(١) راجع صفة جزيرة العرب بتعليقنا .

(١) مخلاف الجند ، وهو أعظمها ويضم مخلاف السحول ، ويُسمى مخلاف الكلاع ، ومخلاف جعفر ثم جميع مخلاف الجند المعافر ، والسكاسك وجميع القطر التهامى شماله وجنوبه بما فيه عدن وأبين ويافع السرو وأحور .

(٢) مخلاف صنعاء ، وهو المخلاف الأوسط ، ويضم بيحان ومأرب وسرو مذحج وردمان : السوادية ويحصب وذى رعين ورداع ومراد ، ومغارب صنعاء ومشارقها وبلاد همذان وخولان قضاعة إلى نجران وعسير من الشمال .

(٣) المخلاف الأدنى ، وهو حضرموت ومهرة والإسعا .

(٤) مخلاف عُمان .

وكان يقيم الوالى بالعاصمة « صنعاء » ويرسل عماله إلى المخاليف المذكورة ، كما يأتى ذكر ذلك فى الكلام على العصر الإسلامى .

وبعد أن تمزقت « الخضراء » ونزى عليها من ليس من أهلها ، وصارت نهباً مقسماً ، وفقدت وحدتها الطبيعيّة ، تبعاً لسياسة الحكام وضعفهم وإخلادهم إلى الراحة سائلا من الله أن يلم شعث الأمة اليمنيّة وتوحيد كلمتها ويجمع شملها ، ويحقق أمنية المخلصين من أبنائها لتكون صفاً مرصوصاً منيعاً فى بناء وحدتها السياسية والطبيعية ، ورداء واقياً للعروبة منصهرة فى بوتقة وحدة الأمة العربية الشاملة ، ووحدة الهدف وتنتظم أثر ذلك الوحدة الإسلامية ، وما ذلك على الله بعزيز .

تشكيلاته الإدارية فى الحالة الرّاهنة

قامت الثورة المجيدة فى فجر يوم الخميس ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٨٢ هـ ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ م ، ودوى صوت إذاعتها المجلجلة على متن الأثير من قلب العاصمة « صنعاء » هنا الجمهورية العربيّة اليمنيّة ، ودكت عروش الظالمين ،

ونسفت آخر وكر للإمامة الماكرة ، وهب الشعب بقضه وقضيضه ملبياً ومليئاً بالغبطة والسرور إلى هذا الصوت الذى هز المشاعر ، وألهب العواطف النائمة فى مكامنها ، وبسطت الجمهورية العربيّة اليمنيّة على كل شبر من أرض الوطن الحبيب مما كان فى حوزة العهد المباد ، أى من باب المندب جنوباً إلى حرض شمالا وإلى جبال رازح وبنى منبه المتاخمة لقيفاً وبنى مالك فى الشمال فى الهضبة الغربية إلى جبال المعافر جنوباً ، ومن جبال قعطبة فى الجنوب إلى الفرع من بلد همدان شمالا من نجد اليمن وغائط مأرب شرقاً والبحر الأحمر غرباً .

وهى اليوم جمهورية عربية يمنية ذات سيادة ، معترف بها دوليًّا ، وعضواً فى هيئة الأمم المتحدة ، وفى الجامعة العربية .

لها دستورها وتشريعها الشريعة الإسلامية ، كما يأتى بيان ذلك إن شاء الله.

وقد أبقت الجمهورية العربية اليمنية على النظام العتيق فى تقسيمه الإدارى مع تحوير طفيف نظراً إلى انشغال الحكومة كما هو معروف .

وهى كما يلى ألا وهى سبعة ألوية ، أو محافظة بالتسمية الحديثة :

(١) لواء صعدة . (٢) محافظة صنعاء . (٣) محافظة حجة .

(٤) محافظة البيضاء . (٥) محافظة الحديدة . (٦) محافظة إب .

(٧) محافظة تعز .

والمحافظة أو اللواء يقسم إلى أقضية ، والقضاء إلى نواحى ، يقيم فى كل قضاء وناحية عامل لجباية الأموال : الزكاة ونحوها ، وقاضٍ لفضٍّ الخصومات وفصل المعضلات على منهج الشريعة الإسلاميّة ، وطبيعى أن المحافظ أو أمير اللواء يقيم فى مركز المحافظة ، ويتناول شئون أعمال المحافظة بكل ما فيها من مالية وجنائيّة وأمن وغيرها كمسائل استعصى حلها فى القضاء أو الناحية .

وهذا تفصيل لـكل لواء زيادة فى البيان والإيضاح :

(١) لواء صعدة مدينة صعدة مقر الأمير والمحافظ وتحت إدارته مخلاف خولان ابن عمرو وهو واسع جدا بما فيه جماعة وسحار ورازح ومن مركز أعماله «ساقين» و «النضير» وحيدان والشذاء ، وكجز ووادعة الشام ومركزها «باقم» ثم بلاد وائلة همدان ، ومركزه «كتاف» وآل عمّار وغيره ومركزه الصفرا .

(٢) المحافظة «صنعاء» ويدخل فيه معظم بلاد همدان ، فيها جبل «برط» ومركزه «العنان» والجوف ، سهد الحضارة الأولى ومركزه «الحزم» وبلاد سفيان ومركزه «الحرف» وقضا خمِر ، وفيه ناحية «ذى يبن» وحوث والقفلة ، وقضاء السودة ومركزه «السودة وقضاء عمران» ويضم إليه بلد عيال سريح وجبل عيال يزيد وناحيته «ربدة» وناحية أرحب وناحية بنى الحارث ومركزه مدينة «الروضة ومخلاف مأذن ، همدان الدنيا وبلاد حميرا الغربية التى تسمى مغارب صنعاء وهى قضاء شهام وناحية «ثُلا» وقضاء «الطويلة» و«المحويت» بما فيه نواحى «ملحان» و «حفاش» و «قيهمة» وقضاء «حراز» بنواحيه وقضاء حضور بما فيه مخلاف بنى شهاب وناحيتا الأخروج «الحيمة الداخلية» و «الحيمة الخارجية» وقضاء آنس مركزه رضوان ونواحيه «جبل الشرق» و «جهران» وقضاء «ريمة» جبلان بنواحيه ومركز القضا «الجبين» ونواحيه كسمة والجعفرية والسلفيّة وبلاد الطعام .

ومن ملحقات هذه المحافظة مخلاف ذى جرة وبكلى ، وهما ناحيتا بلاد الروس وسنحان جنوب صنعاء ومخلاف خولان العالية بما فيه ناحية بنى بهلول وناحية بنى حشيش وهى ناحية السرسر ابن الروية ثم ناحية «الحدا» ومركزها «زراجة» وَقضاء «مأرب» بما فيه ناحية حريب وَالجوبة وَقد يلحق بلواء صنعاء ، وَحينا بلواء البيضاء وَناحية «عتمة» وَقضاء وَصاب بما فيه ناحية وصاب السافل الواقعان غربى مدينة ذمار ثم قضاء ذمار وناحيته مغرب عنس .

(٣) لواء حجة ، ومقر أميره « حجة » ويشمل ناحية « جبل مسور المنتاب » وناحية لاعة ، وناحية « الشغادرة » وبنى عوام ، وناحية كحلانَ « عفار » وقضاء الشرف وهو واسع ومركزه « المحابشة » وناحية حجور الشام ومركزه « وشحة » وحجور اليمانى ومركزه « كميدنة » وَالمَغربة ونيسة .

وربط بهذا اللواء بلاد بنى قيس من حزاز الجبال ومركزه « الطور » ، وقضاء « حرض » بما فيه ميناء « ميدى » وناحية « عبس » وقد أعيدا فى الأيام الأخيرة إلى لواء « الحديدة » لأنه من بطن تهامة .

ومما ربط إلى هذا اللواء سابقاً : ناحية ظليمة ، وحبور ، وبنو عرجلة ، وبنو جديلة ، وجبال الاهنوم الذى مركز قضائه الرئيسى « شُهَارة » المعقل المشهور والقلعة الشماء .

وهذا اللّواء آخذ على سمت جبال السراة من سراة المصانع ومسور الحميرية جنوبا إلى سراة الاهنوم شمالا وكلها من بلاد حاشد ماخلا ناحية مسور للصانع فهى من حمير وكذا الأهنوم على قول أنساب حمير .

وعرضاً يمتد من الجبال المطلة على تهامه غربا إلى الأشمور وما حاذاها شرقا .

(٤) المحافظة الرابعة « الُحديدة » وتشتمل على قضا زَبيد بما فيه نواحيه حيس وجبل رأس ، وقضاء بيت الفقيه ، وقضاء باجل بما فيه ناحية المراوعة والقُطيع ، وقضاء الزيدية ، وقضاء اللّحية وقضاء الزهرة وقضاء ميدى ويتبعهُ ناحية عَبس وحرض فى التشكيل الحديث وربط إلى لواء حجة ولا يذكر فى القديم إلا قضاء أو مخلاف حرض . وميدى حَديثة الظهور قبل خمسين سنة .

وهو واقع فى بطن تهامة إلى الجبال للوطئة والهضاب للتدانيةمن الهضبة الشرقية .

(٥) اللواء الخامس « البيضاء » ومن أعماله « مرخة » والصومعة ومشعبة وحريب وبلاد مراد وقضاء رداع وقد يلحق بهذا اللواء بلاد سبأ « مأرب »

كما سبق وفى القديم إلى حصى قاعدة سَرْو مذحج .

وفى الآونة الأخيرة أدخل تعديلٌ بأن شكل لواء رداع وضم إليه قضاء ذمار ومخلاف أنس ومخلاف عتمة ومخلاف وصاب وتارة يسمى « لواء ذمار » .

(٦) المحافظة أو اللواء السادس هو المعروف بالإقليم الأخضر وفى القديم مخلاف السحول ومخلاف الـكَلاَع ومخلاف جعفر نسبة إلى الأمير جعفر بن إبراهيم المناخى الحميرى

وهو الذى يسمى « سُرّة اليمن » ويقال له أيضاً : « مصر اليمن » .

ويشتمل على خمسة قضوات (١) قضاء إب مخلاف بعدان ومخلاف الشوافى وناحية جبلة وناحية المخادر وجبل حُبَيش (٢) قضاء قعطبة العَوْد والشعر وآل عمار من بلاد النادرة وحَجْر وبَذْر ومريس (٣) قضاء يريم ويضم مخلاف يَحْصِب العلوى والسّفلى وبعض مخلاف ذى رعين (٤) قضاء ذى السفال وهو من الـكلاع ويضم معه مخلاف « نَعَيْمة » : صُهْبان وكان مركزه قديما « ذى أشرق » وناحية السبرة (٥) قضاء العدين وهو سرة الـكلاع ومن نواحيه « المُذَيخرة » المشهورة فى التاريخ ومن نواحية الحزم والفرع فى الآونة الأخيرة .

(٧) اللواء أو المحافظة السابعة « تعز » وملحقاتها (١) قضاء المخا ونواحيه «مقبنة»: شمير وناحية مَوْزع (٢) قضاء المَعَافر:الحجرية ونواحيه جبل ذخر:«جبل حَبشى » وناحية حيفَان ، والصّلو وقلعة سودان«المقاطرة» (٣)قضاء جبل صبر ومن المربوط به « ناحية المصراخ ومشرعة وحدنان وبِرْدَاد والضّباب وغيرها » (٤) قضاء (حُمَر) : ماوية ومن نواحيه مخلاف « خدير » وناحية « الُحشَا » ومن النواحى مخلاف شرعب (٥) قضاء التعزية ومن المربوط به قاع الأجناد والخلاف والقفاعة والحيمة والشّمْبَانيتّان العليا والسفلى وقاع الأخْبَاش والرمادة والربيعى .

هذه هى الألوية أو المحافظات التى شملها سيادة الجمهورية اليمنية بادىء ذى بدء

الفصل الثالث

أفردنا هذا الفصل للكلام عن بقية أجزاء اليمن الطبيعى التى أشرنا إليها بقولنا الزوايا والأضلاع وبتمامه يتم الكلام عن جغرافية «الخضراء» من الناحية الطبيعية ليكون القارىء على علم بما وفرنا له من معلومات قيمة عن هذا الوطن العزيز وعلى نمط متساوق .

ونبتدىء بالزوايا الجنوبية الشرقيــة ونعنى بذلك « الجنوب اليمنى الديمقراطى» بما فيه حضرموت ثم نتبعه بقطر «عمان» ونختم الكلام عن الزوايا الشمالية ونعنى بها مخلاف نجران وما أخذ إخذه ومخلاف الحكم بن سعد العشيرة : المخلاف السليمانى ، وسرواته .

الجنوب اليمنى الديمقراطى (١)

هذا الاسم هو الذى استقر عليه أخيراً وأقرته القوى الشعبية المناضلة ذات الاتجاه العربى السليم إذ هو جزء لا يتجزء من أمّه « اليمن الخضراء » منذ أقدم عصور التاريخ وكما هو واقعه التأريخى إذ كان خاضعا لحكام الوطن الأم وما فَصَلَهُ أو يَفْصِله عن شماله إلا فى حالات نادرة إما لتدهور الحكم المركزى أو ضُعف الحاكمين وسياستهم الخاضعة لشهواتهم أو لتناحر قبلى أو تنازع على السلطة الأمر الذى سهل للاستعمار البريطانى احتلال « عدن » سنة ١٢٥٤ هـ ١٨٣٨ م وبسط نفوذه تدريجاً على بقية أجزائه كما يأتى تاريخ ذلك ، ولم يتوغل إلى الداخل إذ غايته التحكم على الممرات البحرية والسيطرة على المياه الإقليمية والموانى فيصبح الداخل تحت رحمته بطبيعة الحال .

---

(١) لما تحرر الجنوب أعلنت حكومته باسم جمهورية الجنوب اليمنية الشعبية وفى شهر رمضان سنة ١٣٩٠ هـ أبدلوا الشعبية بالديمقراطية .

ولا زال الاستعمار يتلاعب بأسماء هذه المنطقة والقطعة الغالية من الوطن الحبيب الذى استله الأجنبى البعيد الغاصب الجائر ـ عدةَ لعباتٍ تبعاً لظروفه السياسية وأساليبه الخداعة الماكرة وعبثا بمقدّرات الشعب وآدميته واستغلالا لجهله وغباوته فأسماه لأول وهلةٍ وطئته قدمه « بمستعمرة عدن ومحمياتها » تابعة للادارة البريطانية فى الهند .

ولما شعرت بريطانيا بأن الهند ستأخذ استقلالها أصدرت مرسوما حوالى سنة ١٣٥٥ هـ سنة ١٩٣٧ م يجعلِ مستعمرة عدن من أملاك التاج البريطانى وأصبحت الإمارات بموجب ذلك المرسوم عبارة عن « محمية عدن الغربية ومحمية عَدَن الشرقية » .

ثم أسماها بالنواحى التسع أو المحميات التسع أو الإمارات أو المشيخات ونوّع هذه الأسماء تبعا لهواه وتلاعبا بالعقول وانشغال الأفـكار وكل مافى الأمر أنها ترمى إلى تفتيت عُرى المنطقة بين قوى متنازعة تخدم الاستعمار وتطيل عمره فيها وجعله يرسف فى قيود الذل والعبودية رَغم أنه الشعب العربى الأصل .

وأخيراً وحينما شعر بقوة وعى جماهير الشعب وحماسه المتزايد الشديد ابتـكر اسم حكومة « الاتحاد الفيدرالى » ولم يطل هـذا الاسم فإن الطلائع الثورية التحررية برزت بزحف مقدس لتطهر المنطقة من دَنَسِ الاستعمار فاضطرته إلى أن يغير هذا الاسم واسمته « بالجنوب العربى » وفى ذلك مغزى إلى وضع الجنوب اليمنى فى كيان سياسى قائم بذاته ولا يربطه بالأمّ أى رباط .

وهذا تعريف لليمن الجنوبى

يشكّل الجنوب اليمنى حزام عريض من الأرض تزيد مساحته على مائتين

وتسعين ألف كيلو مربع على خليج « عدن » والبحر العربى .

ويمتد من هذا باب المندب أو باب جَهَنّم ، والمارة والعُمَيرة غربا إلى « رأس ضربة على » على حدود «ظفار الحبوضى» (إحدى مناطق عمان) شرقا وشمالا اليمن الأم من أغلب الجهات والفلاة « الربع الخالى » من جهة الشرق .

ويقدر مساحته « طه الهاشمى » بـ ٢٦٥٠٠٠ بمائتى ألف وخمسة وستين ألف ميل مربع بينما آخرون يقول يبلغ طول الشاطئ (٧٠٠٠٥٠) سبعمائة ميل وخمسين ميلا ، ومساحة هذه المنطقة تقدر بمائة ألف واثنى عشر ألف مربع .

وتقدر نفوس سكانها بـ ٦٥٠٠٠٠ بستمائة ألف وخمسين ألف نسمة بينما يرفعه البعض إلى ما يقرب المليون نسمة .

وكل ذلك من قبيل الحدس والتقدير ، كما سبق لنا القول أن إحصاء النفوس سواء كان لليمن أو لأبعاضه من هذا القبيل .

وينقسم الجنوب اليمنى قبل استقلاله إلى قسمين : الإمارة الغربية أو المنطقة الغربيّة ، وإلى المنطقة الشرقية ، أو الإمارة الشرقية ، وما أكثر الأسماء التى خلقها الاستعمار .

فالمنطقة الغربيّة تتألف مما يلى ، وهذه قائمة تبين اسم المنطقة ، ومركز إدارتها ، وتقدير عدد سكانها على الترتيب ، ثم نتبع ذلك بوصف موجز ، كمعلومات أوليّة تعطى القارىء صورة حيّة عن كل إمارة :

عدد	اسم المنطقة	مركز المنطقة	عدد السكان بالتقريب
١	مستعمرة عدن	عدن	١٥٠٠٠٠
٢	سلطنة لحج والصّبيحة	الحوطة والعطور	٢٥٠٠٠
٣	الحواشب	المسيمير	١٥٠٠٠

عدد	اسم المنطقة	مركز المنطقة	عدد السكان بالتقريب
٤	إمارة الفضلى	شقرة	٣٠٠٠٠
٥	سلطنة العوالق العليا	نصاب	٣٥٠٠٠
٦	سلطنة العوالق السفلى	أحور	٣٥٠٠٠
٧	سلطنة يافع العليا	المحجبة	٥٠٠٠٠
٨	سلطنة يافع السفلى	القارة	٣٠٠٠٠
٩	إمارة الضالع	الضالع	٣٠٠٠٠
١٠	مشيخة الشعيب	العوابل	١٠٠٠٠
١١	مشيخة العلوى	القشمة	٢٠٠٠
١٢	مشيخة دثينه	دثينه	٧٠٠٠
١٣	إمارة بيحان	بيحان القصاب	١٤٠٠٠
١٤	مشيخة العواذل	زارة	٢٠٠٠٠

هذه هى المقاطعة الغربيّة ، وإليك المقاطعة الشرقيّة :

عدد	اسم المنطقة	مركز المنطقة	عدد السكان
١	سلطنة حضرموت	المكلا ، وسيّون	٥٠٠٠٠٠
٢	بلاد الواحدى أو إمارته	عزان وَحَبّان	٢٢٠٠٠
٣	بلادمهرة وجزيرةسقطرة	قش	٤٠٠٠٠

هذه الثلاث مقاطعات شرقية .

وإليك وصف المنطقتين الغربيّة والشرقيّة ، مبتدئين بالغربيّة :

مستعمرة عدن

تتألف من خمس مستعمرات : (١) عدن . (٢) المعلا (٣) التواهى .

وقد سبق وصف هذه الثلاث مدن . (٤) ورابعها خور مكسر ، وهو البرزخ الواقع شمال الميناء ، والذى يوصل عدن بالبر وأرض اليمن ، وفى خور مكسر المطار وقوات الطيران ، وبعض الملاعب والمالح . (٥) وخامسها مدينة الشيخ عثمان التى تكوّن بساتين وآباراً ارتوازية تمد منها الأنابيب إلى عدن ، وتلك المدن ليشربوا من مياهها العذبة وينتفعون به .

وقرى الشيخ عثمان : الحسوة ، وبئر جابر ، والعماد ، والغدير ، ومن المدن الحديثة مدينة الشعب والبريقا محل تصفية البترول ، وَأَلْحَقوا بهذه المستعمرة . (٦) جزيرة ميون « بَرِيم » الواقعة غرب شمالى باب المندب . (٧) جزيرة كمران الواقعة قبالة الصليف على البحر الأحمر ، وجزيرة « سقطرة » وكوريا موريا .

سلطنة لحج

لحج مخلاف من مخاليف اليمن الخضراء الواقع منتهى جنوب اليمن ذى الخصب والرخاء ، والذى يقول فيه الشاعر :

تقول عيسى وقد وافيت مبتهلا لحجاً وبانت لنا الأعلام من عدن
أمنتهى الأرض يا هذا تريد بنا فقلت كلا ولكن منتهى اليمن

نسب إلى لحج بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عَريب ابن زهير ابن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ .

ويقع فى الشمال الغربى من عدن على مسافة لا تزيد عن (٢٨) ميلا ، وقبائله من الأصابح الصبيحة من حمير .

ويحدّه غرباً العارة والعميرة والسقيا وباب المندب ، المعدودات قديماً من مخلاف بنى مجيد الحنا ، وشرقاً أبين ، وشمالا الحواشب ، وعاصمة المخلاف « الحوطة » وكان يحكمها السلطان الفضل بن على العبدلى .

وتتألف هذه السلطنة من إمارة الصبيحة والمبادل ، وبئر أحمد ، والعقارب وفى أعلا وادى لحج كان « سد العرائس » الذى بنته التبابعة لخزن مياه الوادى وتوزيعها على الأراضى الزراعيّة ، ولكن لا أثر له اليوم .

سلطنة الحواشب

والحواشب وطن ، وقبيل نسب إلى حوشب ذى ظليم بن قيس بن معاوية ابن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ الأكبر .

وتقع هذه السلطنة شمال لحج ، وشرقاً لبلاد الشاعرى والضالع ، وجنوب اليمن المستقل .

ومركز هذه المقاطعة « المسيمير » التى تقوم على هضبة صغيرة تشرف على الجانب الأيسر لوادى تبن النازل إلى لحج .

وكان سلطانها محسن بن على بن مانع الحوشبى .

إمارة الفضلى

هى المسماة بخلاف «أبين» وتقع شرقى عدن وغربى أحور : مقاطعة العولقى.

وهى تنقسم إلى مقاطعتين كبيرتين : الأراضى الساحلية ، والأراضى المرتفعة فى الداخل التى تقع فى الشمال .

وشقرة التى هى ميناء المقاطعة التى كانت مقر سلاطين آل الفضلى ، وكان سلطانها أحمد بن عبد الله الفضلى .

وأهم المدن فى مخلاف أبين هى « زنجبار » و « جعار » من يافع ، وأصله من أبين ، و « الكثيب » كثيب برامس .

سلطنة العوالق ومشيختها

وهى المعروفة فى التواريخ « أحور » وإنما سميت العوالق باسم سلاطينها آل العولقى وثم تعليل آخر لتسميتها .

وتقع شرق « أبين » بلاد الفضلى . ومن الجنوب بحر العرب ، ومن الشمال منطقة « بيحان » ومن الشرق بلاد الواحدى وحضرموت .

وتنقسم إلى منطقتين : منطقة تهامية ذات سهول ويقال لها « العوالق السفلى » ومركزها « أحور » التى تسمت المنطقة باسمها ، وتعتبر المرسى الطبيعى لهذا النهج وتؤمّه المراكب الشراعيّة .

وكان سلطانها ناصر بن عيدروس بن على ، والشيخ عبد الله بن محسن مهدى ، والعوالق العليا ، وهى التى تسمى فى التاريخ القديم « عَبَدان » وهذه المنطقة تتكوّن من جبال وتلال وروابى .

وعاصمة العوالق العليا « نِصَاب » وكان سلطانها عوض بن صالح العولقى .

سلطنة يافع

وهو ما يسمى سرو حمير ، والسرو : الشرف ، والسرو من الجبل ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر من غلظ الجبل ، قال الأعشى :

وقد طفتُ المال آفاقه عُمَان فحمص فأوْرِى شَلِم
فنجران فالسرو من حمير فأىّ مَرامٍ له لم أرم

ونسب إلى يافع بن قاول بن زيد بن ناعتة بن شرحبيل بن الحارث بن زيد ابن يريم ذى رعين الأكبر .

تقع يافع على هضبة صخريّة يحدها شمالاً وغرباً « اليمن الأم » وجنوباً وشرقاً الإمارات المذكورات ، كما وأنها من عدن فى الشمال الشرقى .

وتحتل هذه الهضبة العالية كتلة جبلية وعرة المسالك أعلاها جبل « ثمر » الذى يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر (٨٢٤٥) قدماً يتخللها أودية أهمها « وادى حَطِيب » المشهور الذى يهريق ماؤه إلى ميزاب « أبين » .

وتنقسم يافع إلى قسمين : (١) يافع العليا . (٢) وَيافع السفلى ، أو يافع الساحل .

وتشمل يافع العليا خمسة مكاتب : مكتب الحضرمى : ومكتب لعبوس ، ومكتب الضبى ، ومكتب الموسطة ، ومكتب المفلحى .

ومن أهم مدن العليا « المحجبة » لآل الهرهرى اليافعيين ويافع السفلى تحتوى على أربعة مكاتب هى (١) كلَد و (٢) الناخبى و (٣) اليزيدى و (٤) يهَر .

ومركز يافع السفلى «القارة» وكانت مقر السلطان عيدروس بن محسن العفيفى

ومزروعات يافع لا تختلف عن مزروعات اليمن الأم إلا أنها تمتاز عن سائر الجنوب اليمنى أنها توجد فيه شجرة القات والبن والورس بكثرة .

وفيها آثار حميرية ذات أهمية قصوى كما عثر فى شـكُم ، وخَلَة وفى غيرها ولو نُقّب عليها لزادت فى تراثنا لمعة وضاءة .

كما أن يافع الساحل أخذ مساحة شاسعة من وَادى أبين ومن قراه « جعار » الذى عددناه سابقا من أبين إذ هى منها إلا أنها فى عداد يافع فى الحـكم .

إمارة الضّالع

هى التى كانت تسمى : ببلاد الأعضود والأجعود وردفان ، ولم تظهر قرية الضالع كمركز لهذه المنطقة إلا فى أوائل القرن الرابع عشر والضالع هى الواقعة على هضبة قرب جبل جحاف التى تبعد عن (عدن) ٩٦ ميلاً .

وتقع المنطقة شمال لحج وجنوب قعطبة وشرقا يافع وغربا الحواشب وهذه المنطقة تحتل هضبة جبلية ترتفع ما بين ثمانية آلاف قدم إلى أربعة آلاف وتتخللها أودية منها وادى الضباب ، ووادى حضر ، ووادى تُوَنة[1] .

ومن جبالهم حرير ، وجحاف وردفان ومنها بلاد القُطيب وكانت تمر بهذه الأودية طريق القوافل القديمة التى تسير من عدن إلى صنعاء وقد مهدت طريق للسيارات بين الضالع ولحج .

ومن قبائل هذه المنطقة الأزارق وزُبَيْد والشاعرى والأجعود وغيرهم .

وكان يدير هذه الإمارة الأمير شعفل بن على من بيت الخرقة عريقين فى الأمارة منذ قرابة قرنين كاملين .

مشيخة الشَّعَيب

الشعيب بالفتح تعتبر مقاطعة الشَّعَيْبِ فى القديم من يافع لحماً ودماً ونسباً ومن أقدم عصور التاريخ وإنما فصلت أخيراً من يافع لأسباب قبليّة ، ذكرنا ذلك فى التاريخ ولأسباب سياسة انكلترا التى ترمى إلى تفتيت الكيان العربى .

وتتألف الشعيب من جبال مرتفعة يحدها يافع من الغرب والشرق والجنوب ومن الشمال بلاد مريس من بلاد قعطبة .

ومدينتهم « العوابل » ، وكان شيخها « الصقلدى » واشتهر الشعيب بإنتاج ماء الورد الفاخر العبق .

مشيخة العلوى

بلاد العلوى هى التى تسمى فى التاريخ القديم « سبأ الصَّهَيب : نسبة إلى

---

(١) راجع صفة جزيرة العرب بتعليقنا

الصّهيب بن عبد شميس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عَريب ابن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ الأكبر.

ونسبت اليوم إلى آل العلوى إحدى العائلات الحاكمة للمقاطعة المذكورة وكانت مركز المقاطعة المذكورة حصن « منيف » و « الحبلة » واليوم « القشمة »

وتقع بلاد العلوى فى الجنوب الشرقى من بلاد الضالع وغربى يافع وبين منطقة الحواشب وَمنطقة قطيب وشمال لحج .

وكان رئيسها الشيخ صالح بن محسن الذى يقيم فى القشمة .

مشيخة دَثينة

دَثينة هى غائط كغائط مأرب ومن جُرُز اليمن ، وتسمّى بآل عُلَة نسبة إلى قبيلة عُلة بن جَلْدِ بن مذحج .

وتحتل دثينة ساحة واسعة واقعة بين العواذل شرقا ، والعوالق غربا وبيحان وأبين : بلاد الفضلى جنوبا .

وكان تحت رياسة السلطان على بن ناصر بن جبران الجمدى الذى يسكن محل إمارته « دثينة » .

إمارة بيحـان

إمارة بيحان : مخلاف من مخاليف اليمن الخضراء لاتخرج عن إطار الأم اليمن الكبرى وهى منطقة سهلة وعثاء خصبة تقع جنوب العواق العليا ، وشرقا حضرموت وفى الشمال الغربى من حريب .

ومقر إمارتها « بيحان القصاب » ، وكان يحكمها السلطان حسين بن أحمد الهبيلى .

وفى هذه المنطقة قامت حضارة يمنية زاهرة ذات طابع ممتاز رفيع منذ ذلك

الحين القديم الذى أسبل عليه الجهل ستارا كثيفا وصمتاً طويلا حتى كشف عنها المستشرق د . هاليفى ثم جلازر ثم فلبى ثم بعثة فندل فلبس الأميركى الذين حازوا فضيلة السبق والتقدير والإكبار ودلت كشوفاتهم مما أملت عليهم النقوش أنه كانت هناك دولة تسمى دولة «قِتْبانَ» وهم القتبانيون وكانت عاصمتهم «تمنا» أو «تمنع» كما يأتى الكلام عنها فى قسم الدول الحضارية .

مشيخة العواذل

العواذل لم تظهر على مسرح التاريخ بهذا الاسم إلا فى القرن الحادى عشر حيث كان أحد قبـــائل هذه المنطقة يترأسها وهو العواذل بن فلان فسمِّيتْ المنطقة باسمه وكانت التواريخ القديمة معدودة من سرو مذحج وبلاد النخع والكور .

وتقع بين أبين : بلاد الفضلى ، فى الجنوب ، والعوالق ودَثينه فى الشرق ويافع فى الغرب وبلاد البيضاء الذى هى من السرو شمالاً .

وتتكون هذه المنطقة من هضبة شاهقة ومنها لَوْدر ومُكَيْراس والكور والنخع وهى غنية بالآثار الحميرية وأهم بلدان العواذل «زارة» وبها آل جِعْبِل .

بهذا انتهى باختصار وصف المنطقة الغربية من الجنوب اليمنى .

أما بقية أوصاف المنطقة المذكورة كالمناخ والزراعة وقبائلها والتجارة وغيرها فإنها تتمتع بنفس الأوصاف التى تتمع بها اليمن الأم ولا تتخلف عنها فى المواسم الزراعية ولا شىء من ذلك فلا حاجة بنا إلى الإسهاب .

كما وأنا أشبعنا الموضوع فيما مرت به من الأحداث والتقلبات السياسية فيما يأتى من التاريخ لينتظم عقد الكلام متساوقا ويرتبط بعضه مع بعض كسلسلة محكمة الحلقات سائلا من الله التوفيق والإعانة .

وهذه أوصاف الإمارات الشرقية من جَنوب يمننا وهى كما يلى :

بلاد الواحدى ، أو إمارة الواحدى

تعتبر بلاد الواحدى فى التاريخ القديم وإلى ما قبل ثلاث مائة سنة معدُودة من حضرموت ، وهى ما تسمى « جُردان » وَخْورَة والحجر كما فى كتب « لسان اليمن » اذ هذه من أمكنة وأوَدية بلاد الواحدى الذى تسمت المنطقة باسم الحاكم لها لذلك التاريخ .

وتقع بلاد الواحدى على الساحل الواقع غربى حضرموت وتبعد عن « عدن » بنحو مئتى ميل .

وعاصمتها « حَبّان » وهو مركز تجارى هام ، وكان يقيم السلطان فى بلدة « عزان » التى تبعد عن الساحل بنحو أربع مراحل .

وبئر على أقرب موانىء بلاد الواحدى إلى حضرموت ، وتقع الجدحة شرق بئرعلى ، أما بلحاف فغربيها .

ومن البلدان المهمة « الحوطة » وهو مركز تجارى ، وبلدة لمّية ، والروضة وحورة ، ومن الأودية « جُرْدان » .

وكان سلطانها ناصر بن عبد الله .

حضرموت

بلد التجارة والبخور والتوابل

تسميتها ــ موقعها ــ حدودها ــ تكوينها الطبيعى ــ مساحتها ــ تشكيلاتها الإدارية ــ قبائلها ــ بقية أوصاف حضرموت وآثارها .

تسميتها

قال « لسان اليمن » : حضرموت من اليمن وهو جزءها الأصغر نسبت إلى حضرموت بن حمير الأصغر ، فغلب عليها ساكنها[1] .

(١) راجع صفة جزيرة العرب .

وقد ورد ذكرها بهذا اللفظ فى كثير من المساند والنقوش والنصوص الأثرية ، كما أخذت دوراً هاماً فى الحضارة والملك ، وكانت إحدى مثلثات الدول الحضارية .

موقعها

تقع حضرموت فى الشرق المائل إلى الجنوب من اليمن الأم ، وفى شرق عدن على ساحل بحر العرب على بعد خمس عشرة درجة عرضاً شمال خط الاستواء ، وخمسين درجة طولا ، وما بين ظفار الحبوضى شرقاً ، وبلاد الواحدى غرباً ، ومن الشمال الفلاة «الربع الخالى» ، ومن الجنوب بحر العرب .

ويمتد الساحل من عين بامعبد غرباً إلى سيحوت من بلاد المهرة شرقاً ، ويبلغ مساحته نحو (٤٥٠٠) كيلو متر مربع ، وهو يمتد إلى الداخل مسافة (٨٠) كيلو متر من رأس الكلب ، و (٢٠) كيلو متراً عند الحدود الشرقية .

مساحتها

يقدر البعض مساحة حضرموت بمائة وعشرين ألف ميل مربع ، وتقدر مساحة الساحل بأربعة آلاف وخمسمائة كيلو متر غرباً ، وعشرين كيلو متر عند الحدود الشرقية ، وأعلى نقطة فيه تقع فى وسطه ، ويبلغ ارتفاعها نحو (٢١٨٧) متر .

تكوينها الطبيعى

تتكوّن « حضرموت » من أرض جبليّة ذات أودية كبيرة ، ويحدها من الشرق شعب النبى هود عليه السلام ، وباديتها من الأحموم ، ومهرة ، والمشقاص بأطراف عُمَان ، وأكبر أوديتها وادى « حَجْر » ، ووادى « دوعن » .

وكان يحكمها السلطانان غالب بن صالح بن غالب بن عوض بن عمر القُعيطى اليافعى الحميرى ، والسلطان الحسين بن على بن منصور الهمدانى الكثيرى .

وكان ينقسم القسم الخاضع للسلطان القعيطى إلى خمس مقاطعات كبيرة تمثل الجزء الأكبر من البلاد ، وهى :

(١) منطقة المكلا ، وهو أكبر ميناء لحضرموت ، وتمتد على الساحل من المعينة شرقاً إلى حُجْر ، وتشمل مقاطعات غيل باوزير ، وشحير ، ورَوْكب ، والجرشات ، وقوة ، وبروم .

(٢) مقاطعة الشحر ، وهو أيضاً ميناء لحضرموت ، وتمتد على الساحل من حدود جبال « دمخ » شمالاً إلى وادى المعينة غرباً ، ويضم هذا اللواء مقاطعات المعينات ، وتبالة ، والحامى، والديس ، وقصيعر ، وريدة آل عبدالودود.

(٣) لواء حُجْر : ويحتوى على وادى حجر بِمُدُنِه وقراه من ميفع إلى رأس الكلب .

وهذه الثلاثة ألوية فى الساحل ، أما ما يقع فى الداخل ، فكما يلى :

(٤) مقاطعة دوعن : ويشمل على وادى « دوعن » الأيمن والأيسر ، ومنطقة المشهد ، والهجرين ، ووادى عمد ، وغيرها .

(٥) لواء أو مقاطعة « شِبام » وتنتظم تحت هذا اللواء المدن والقرى الواقعة من وادى دوعن تحت المشهد ، ووادى حضرموت إلى شبام شرقاً ، وإلى حصن العبر غرباً ، كما يضاف إلى هذا اللواء أيضاً مناطق آل تميم ، والمناهل فى شرق الوادى بما فيه دمون ، وعينات ، والقرى القريبة منها ، ووادى دُهَر ، ورَخْية ، وعرمة .

وكانت السلطنة الكثيرية تقع فى داخل البلاد فيما بين « تريم » شرقاً إلى الحزم شرق « شِبام » غرباً ، وتمتد حدود المنطقة الكثيرية شمالا إلى حصن الضّبيعة ، ووادى زبون فى الجنوب فى شبه خط متعرجّ ، ثم يمتد الخط من وادى

زبون إلى جهة الغرب حتى يحاذى وادى الحرية المتاخم للحزم فتتجه الحدود فى خط مستقيم إلى جهة الشمال حيث يمر بالحزم شرق شبام ووادى جمَيمة .

وتشكل هذه السلطنة لواءين :

(١) لواء سيئون ، وهى العاصمة التى كان يقيم فيها الحاكم الكثيرى ويضم مدينة تريم ، وحوطة السلطانية ، ومَدودة ، وبَريس ، والغرفة ، وغيرها ، وتقع هذه القرى فى وادى حضرموت الرئيسى .

(٢) لواء حوطة أحمد بن زين ، ويشمل وادى ابن على ، وبحيرة وقارة آل عبد العزيز .

هذه التشكيلات الإدارية ، وهى اليوم المحافظة الخامسة يُرسل لها أمير من الحكومة الديمقراطية يدير أعمالها على نظام ثابت .

أما بقية الأوصاف لهذه المنطقة فلا تكاد تختلف عن أوصاف « اليمن الأم » لا فى قليل ولا فى كثير ، لا فى المناخ ولا فى الزراعة ولا فى مواسم الأمطار ، ولا فى غيرها ، إلا أنها تمتاز بل وتنفرد بزراعة اللبان «الكندر» المنسوب إلى الشحر ، فيقال : لبان شحرى ، وبالصَّبِر الذى ينسب إلى جزيرة سقطرة كما يأتى ، وبالتبغ الحمومى الفائق .

أما قبائل حضرموت فهى ترجع إلى الأصلين السالفى الذكر ، كما يأتى بعض تفصيل هذه القبائل فى ختام الكلام على مهرة ليكون أوفى لذلك .

وأهم مدن حضرموت : مدينة « شبوة » التى كانت عاصمة « حضرموت » فى العصر الحضارى ، والآتى ذكر وصفها فى الكلام على ذلك العصر .

ومن أهم مدن الداخل مدينة « شِبام » وهى من أكبر مدن حضرموت ، وبها أكبر سوق ، يبلغ سكانها حوالى عشرين ألفاً يحيط بها سور كبير .

وهى على الطراز القديم شوارع ضيّقة ملتوية ، وبيوتها ذاهبة فى الهواء ، وأسماها الأجانب ناطحات السحاب ، ثم مدينة « سيّون » ، ومدينة « تريم » ، ومدينة « حورة » وغيرها .

بلاد مهرة والأسعا

مَهَرَة بفتحات ، وبفتح وسكون ، قبيلة يمنيّة ، وبها سمى الوطن نسبت إلى مهرة بن حيدان بن عمرو بن أسلم بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ .

وإليهم تنسب الإبل المَهْرِية المشهورة بالبخت المهريّة السريعة المشى التى سلف ذكرها .

وتعتبر بلاد « مَهَرَة » جزء من حضرموت ، وإنما فصلها من جسم الأمة الحضرمية الاستعمار المولع بتجزئة الوطن الواحد إلى عدة إمارات ودويلات حتى لا يستطيع الذود عن نفسه ، ولا يملك أمام القوة الغاشمة لا ضَرًا ولا نفعاً .

وذلك فى تاريخ سنة ١٣٠٦ هـ — سنة ١٨٨٦ م بحكم معاهدة عقدت بين بريطانيا وبين سلطانها ابن عفران .

وتقع بلاد المَهَرَة على الساحل الشرقى من بحر العرب، ويحدها غرباً حضرموت ، وشرقاً سلطنة « عُمَان » ، وجنوباً البحر العربى ، وشمالا المناهل من حضرموت .

وعاصمتها « قش » الواقعةُ على الساحل ، ومن مدنهم « سيحوت » ، و « الغيضة » وهما على الساحل ، ومن قراهم « سيئون » و « تبالة » ولعلها غير تبالة حضرموت وتبالة أيضاً سلف ذكرها من أعراض نجد .

وقبالة بلاد « مَهَرَة » جزيرة « سقطرة » السالفة الذكر[1] ، التى كان يقيم

(١) راجع وصفها فى الجزء الأول من الإكليل ص ٩٥ وصفة جزيرة العرب .

سلطان مهرة بها ، لأنها تابعة له ، وينوب عنه فى « قشن » بعض أقاربه ، وهى اليوم بيد الحكومة الديمقراطية اليمنية .

والمهرة لغة خاصة ربما تذكّرنا ببعض الخصائص الصوتيّة التى نجدها فى النقوش القديمة فى اللغة الحضرميّة ، كما احتفظت ببعض الصيغ الحميرية .

ويعيش أهل مهرة على تربية الماشية ، والنصف الآخر على صيد الأسماك ، واستخراج الدهن منها بصفة بدائية لطلاء السفن التجارية .

والجهل فيهم ضارب أطنابه ، فليس لهم أى مظهر من مظاهر التعليم أو التجارة أو الزراعة ، وقد قال عنهم المؤرخ المسعودى الموجود فى أوائل القرن الرابع الهجرى : وهم ذو فقر وفاقة[1]

ولما صَفّى الأحرارُ وجيش التحرير الوطنى بفضل جهوده ونضاله المرير حِسَابَه مع الاستعمار وقذف به إلى البحر وإلى غير رجعة ، وذلك فى تاريخ ١٤ أكتوبر سنة ١٩٦٨ م الموافق شعبان سنة ١٣٨٧ هـ ، وتشكلت حكومة وطنية تحت شعار جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، وفى رمضان سنة ١٣٩٠ هـ الموافق يناير سنة ١٩٧١ غُيِّر الشعار بجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ، وقسمت تلك المناطق إلى ست محافظات :

(١) المحافظة الأولى : عدن ، ولها ثلاث مديريات

(٢) » الثانية : لحج والضالع ، ولها ثلاث مديريات .

(٣) » الثالثة : يافع ، وفيه ثلاث مديريات .

(٤) » الرابعة : المكلا وحضرموت ، وفيه عدة مديريات .

(٥) » الخامسة : الواحدى بما فيه بيحان والعوالق الوسطى ، وفيه ثلاث مديريات .

(٦) » السادسة : مَهْرَة ، وفيه ثلاث مديريات .

---

(١) راجع مروج الذهب ومعجم البلدان لياقوت .

وفى كل محافظة أمير ينظر فى شئون المحافظة ، وفى كل مديرية عاملٌ وموظف يَفِضّ المشاكل ، وينظر فى أحوال الناس .

وقد فصلنا المديريات ومراكزها مع مراكز المحافظات ، وما أدخل إليها من إصلاحات فى قسم التاريخ إن شاء الله تعالى .

قبائل الجنوب اليمنى

تمثل الأكثرية الساحقة فى المنطقة الغربيّة القبائل المذحجيّة من عُلَة بن جلد ، مَذْحج وهم النخع والرهاء وصُداء وبلحارث بن كعب ، ومسلية من مراد بن مذحج ، وأود والوذ ، ثم من كندة ، أما مخلاف لحج فالأغلبية من حمير من ولد الأصبح الحارثى ويافع حميريّة من ذى رعين .

والمنطقة الشرقية تتمثل فى قبائل حمير وكندة ، فمهرة كلها من ولد مالك بن حمير ، وهى الثمين ، والدين ، وحوم ، وغيرها .

وقبائل حضرموت تتمثل فى قبيلة سَيْبان ونهد الحميريتين ، وفى كندة السكملانية فى السكَرَب وَالصَّيْعر من تُجيب ثم من كِنْدة .

وهذه الأرومات الكبرى تتفرع إلى عمائر ، وبطون ، وأفخاذ ، وحبائل يطول تعداده .

وتتجلى فى هذه القبائل صفات العربى الأصيل من نقاوة الضمير وإشراقة النّفس ، والبطولة النادرة ، والشجاعة الخارقة ، وثبات الجأش عند البأس ، والذود عن حياض عرِينَه ، وحب الاستقلال والحرية ، وكرم الوفادة ، وإنزال الضيف منزلة الأهل والبنين والنخوة اليعربية ، وحفظ الذمار ، ورعاية الجوار ، إلى غير ذلك من الصفات الكريمة والخلال الشريفة مع الشهامة والمروءة .

وهم فى الضراوة والشراسة فى الحروب مشاتين للملوك لقاحاً لا يدينون بالطاعة إلا إذا غلبوا على أمرهم كقبائل الشمال .

ومنهم كان الديوان لدولة الملك على بن الفضل الحميرى ، وللدولتى بنى غسان الرسوليين ، وبنى طاهر ، وللأمير يحيى بن حرب ، والأمير محمد بن أبى العلاء الحميرى .

ومن سماتهم الطاهرة أنهم يحافظون على الشعائر الدينية ملازمين على الجمعة والجماعة فى أوقاتها المعلومة ، كما يحرصون على التقاليد ، والعادات الحسنة ، والمرعية عندهم .

وامتاز أهل « حضرموت » بحب الاغتراب فهم أنشط خلق الله فى السعى فى مناكب الأرض وراء الاكتساب وتحصيل الأرزاق ، وقل ما تجد بلداً من مشارق الأرض ومغاربها إلا وفيها حضارم .

وهم أهل تضامن فى الغربة واتحاد وتعايش فيما بينهم وتراحم ، ولهم خبرة تامة فى مزاولة التجارة ، وإدخال اليسار على أنفسهم ، فتراهم دائبين فى كل شىء .

وفيهم دين وحمية وفقه وصلاح ونجدة وقبض لما فى أيديهم ، وتابون إلى الخير ، وكما حازوا النشاط الدنيوى حازوا النشاط الدينى فى بث الدعوة الإسلامية ، فهم فى الدرجة الأولى لإخوانهم اليمنيين فى غرس شجرة الإسلام وتعهدها بسقى الدعاية ونشر الدعوة إلى قاب أفريقيا وجزائر الفيلبين وأندونسيا « الجاوة » وغيرها .

المذهب

المذهب السائد فى هذه المناطق الذى يغطى مساحتها بدون استثناء وبدون أى مذهب آخر يزاحمه ، هو مذهب الإمام الشافعى فى الفروع ، ومذهب أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى فى الأصول

وكان مذهب الإباضيـة فرقة من الخوارج قد غزا مدن حضرموت ، وعشش فيها من صدر القرن الثانى الهجرى حتى أوائل القرن الرابع الهجرى وما بعده حيث اضمحل شيئاً فشيئاً إلى أن تلاشى بالكلية ، كما نبين ذلك فى القسم المختص للعصر الإسلامى إن شاء الله تعالى .

الآثار

يأتى فى القسم الحضارى عن الآثار فى عموم اليمن الخضراء ، وعن النقوش ، وأنها مبثوثة فى كل قرية ومدرة شاخصة للأبصار كالأعلام ، وشاهدة على حضارة عريقة راقية .

وفى هذه المناطق بالذات توجد الآثار بكثرة ، كما وأن الباحثين المكتشفين قد أرشدونا إلى بعض من ذلك ، ولا زال الكثير تحت الأنقاض ومغطى بالرمال وفى المرتفعات التى لم تطأها أقدام المنقبين حتى ولا أبناء المناطق أنفسهم لأنهم جهلوا تاريخهم وعموا وصموا فارتكسوا إلى الجهل صاغرين .

العـلاقة

العلاقة بين هذه المناطق اليمنيّة و بين اليمن الأم علاقة البنوة بالأبوة والأمومة ، وعلاقة الخضرة بالمـاء تاريخياً وجغرافياً وواقعياً فقد كانت لحماً ودماً وسداً ولحمة خاضعة للتـاج الحضارى منـذ بزوغ شمسه ، وهى فيه كالجوهرة العصماء فى العقد المنضد ، كما تتوج هى أيضاً بإكليل المجد حيناً من الدهر ، ويمتد سلطانها على أكناف الخضراء ، ثم تخلفه على بنى عمومتها وأخوتها فلا يفترقان إلا فى فترات تعد كالومضات أو لحـات غير منتظمة تبعاً للحكومة المركزية من قوّة وضعف .

وكما مرت فى العصور الزاهرة مرت أيضاً بأحداثها وأخبارها فى العصور الإسلاميّة كما سنوضح ذلك فى الأبواب القادمة وفصولها إن شاء الله تعالى .

أما الآثار وتاريخها فربما نعقد بحثاً في القسم الحضاري ، نتكلم عن حضارة حضرموت وأسماء ملوكها حسب ما وافتنا المعلومات .

أما في التاريخ الإسلامي فكما قلنا سابقاً أنه وحدة طبيعية وسلسلة سياسيّة .

عمان بلاد الملاحة والشراع

ومن الزوايا الشرقية قطر « عُمَان » الذي هو من صميم كيان « الخضراء » قلباً وقالباً ، وروحاً وبدناً ، وجزءاً لا يتجزأ من جسم الأمة اليمنيّة وأوطانها ، ولا يخرج عن إطارها الواقعي التاريخي ، وسياجها المنيع غير فلتات الطبيعة وأعاصير السياسة وألاعيب الأغراض والأهواء فيشذ عنها كثيراً .

وقد خولت للقلم أن يجول جولته عن هذا القطر العزيز الذي لا يعرف عنه الكثير من اليمنيين غير الاسم لا سوى ، وليكون على بصيرة من أمر وطنه ، ومعرفة تامة بجملته وتفصيلاته .

وإليك التعريف بهذا القطر العزيز :

تسميته ـ موقعه ـ حدوده ـ مساحته ـ تعداده ـ وضعه الطبيعي ـ الموانىء ـ المناخ ـ زراعته ـ تجارته ـ تشكيلاته الإدارية ـ قبائله .

تسميته

أسماه أسلافنا « عُمَان » بضم العين المهملة وتخفيف الميم آخره نون ، باسم عُمان بن قحطان ، لأنه أول من نزلها بحكم ولايته لها من أخيه يعرب ابن قحطان .

وأسماه بعض المؤرخين « بلاد الملاحة ، والشراع » لأنهم أول من رفعوا شِرَاعاً في البحار ، واقتحموا أخطار الأسفار ، فمارسوا الملاحة وأتقنوا علمها ، وكانوا الصلة بين الشرق والغرب ، وقد جاء ذكر العمانيين في آداب اليونان .

وهى بلاد الأزد الذى يقال لهم « أزد عُمَان » حتى قيل فى تفسير قوله تعالى : « وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً » سورة الكهف ، هو الجلندى ملك الأزد .

موقعها وحدودها

تقع « عُمَان » فى الشرق من اليمن الأم ، وتمتد حدودها من ظفار الحبوضى غرباً فى حدود حضرموت الشرقية حتى رأس الخيمة ، والمشيخات الصغيرة الواقعة جنوب قَطَر شرقاً على الخليج العربى ، وتمتد جنوباً من البحر العربى حتى الفلاة : الربع الخالى فى الشمال .

وبالاختصار يطلق اسم « عُمَان » على البلاد الواقعة بين خليج البصرة وبحر العرب ، ويحيط بها البحر من ثلاث جهات ، غير أن ضعف نفوذ سلاطين عُمَان جعل بعض النواحى تستقل وتتصل بسياسة بريطانيا رأساً وتعقد معها المعاهدات رغم احتجاج الأئمة الأباضيين ، لذلك لم تدخل فى حدود سلطنة عُمَان البلاد الواقعة على ضفاف خليج البصرة والتى تسمى بعمان الشمالية .

والخلاصة أن الاستعمار لون « عُمَان » بلون سياسته الاستعمارية الرامية إلى تمزيق البلاد وتفتيتها وَسَلَخَ بعضها إلى الشارقة ليستطيع بهذه الخطة السيطرة الكاملة على أجزاء الوطن العربى ، واتباع سياسة « فرق تسد » .

وتقدر مساحتها زهاء (٢٠٠٠٠٠) مائتى ألف كيلو متر مربع ، بينما يقدرها البعض بمائة وأربعين ألف كيلو متر مربع ، وطول ساحلها نحو (٤٠٠) أربعمائة كيلو متر مربع .

كما تبلغ تعداد سكانها تقريباً زهاء مليون نفس عربى كلهم مسلمون ، بينما يقدرهم « طه الهاشمى » بخمسمائة وخمسين ألف نسمة (٥٥٠٠٠٠) .

وضعها الأرضى

تقسم الجبال والوديان فى بلاد « عُمَان » إلى عدة مناطق ، وتبدأ الجبال من رأس المسندم ، وهو الحد بين خليج « عُمَان » وخليج « البصرة » وتمتد موازية للساحل على شكل القوس وتنتهى فى رأس الحد ، وهو الحد الفاصل بين خليج عمان وبحر العرب .

وأعلى جبل فى البلاد هو « الجبل الأخضر » البالغ من الارتفاع (٣٠١٨) مترا ، والقسم الواقع فى رأس مسندم يسمى برأس الجبل .

ويقسم وادى إسماعيل فى الشمال ، ووادى الحلقين فى الجنوب جبال المحجرين إلى قسمين : حجر الغربى فى الشمال ، وحجر الشرقى فى الجنوب .

والأرض الواقعة بين ساحل البحر وحجر الغربى تدعى الباطنة ، وهى آهلة بالسكان ، وتقطعها عدة وديان تنبع من ذرى الجبال وتصب فى البحر ، والقرى كثيرة فى رؤوس الوديان .

وفى غرب المحجر الغربى تقوم منطقة « الظهيرة » وعُمَان الأصليّة فى الشمال ، والثانية فى الجنوب ، والحد الفاصل بينهما « جبل الكور » وسفوحه الممتدة إلى الشرق وإلى الغرب .

وفى جنوب حجر الشرقى منطقتان أيضاً هما الشرقيّة فى الشمال ، وجعلان فى الجنوب .

أما البلاد الواقعة على ساحل بحر العرب من منطقة « جعلان » إلى حدود حضرموت تسمى « ظفار الحبوضى » باسم الذى كان يترأسها فى سالف الأزمان ، وفى الساحل جزائر « كوريا : موريا » وجزيرة المصيرة .

تقطع الجبال وديان شديدة الانحدار منها ما ينصب فى خليج عمان ، ومنها ما ينصب فى الصحراء ، وهى وعرة وضيّقة فى رءوسها .

وفى بلاد « عُمَان » واديان كبيران ، وهما : وادى إسماعيل الذى ينبع من الرقبة بين جبال هجر الغربى وجبال هجر الشرقى ، ويجرى نحو الغرب ، وينصب فى البحر شمالى مسقط .

وثانيهما وادى الحقلين الذى ينبع من الرقبة المذكورة ويتوجه نحو الجنوب ، وينصب فى بحر العرب قبالة جزيرة المصيرة ، كما سلف ذلك .

وتكثر المنابع والمياه الجارية فى الجبال ، وفى منطقة جعلان وفى ساحل الباطنة تستخدم الآبار الغزيرة للسقى ، وكذلك فى بعض محلات عمان الأصليّة .

موانىء عمان

لعمان عدة موانىء أشهرها ميناء « مسقط » التى يقيم فيها السلطان كما تعتبر عاصمة البلاد .

وثانيهما ميناء « مطروح » وكلاهما مساعد لرسو البواخر ، والثانى مربوط بالداخل بطريق عامة .

كما يوجد فى جنوب مسقط مرْفآن آخران ، هما بندر « جمه » وبندر « خيران » بيد أنه لا طريق يربطهما بالداخل ، وما عدا ذلك الجنوب مرفأ الخابور ، و « صور » وفى الشمال مرفأ سهام وصحار ، وجميعها مربوطة بالداخل والطرق البدائيّة .

المنـاخ

يختلف مناخ عمان باختلاف المناطق الجبليّة والسّاحلية بحيث يكاد يشبه اليمن الأم إلى حد كبير إلا أنه يعتبر صيف « عمان » فى الأقسام الساحلية من أشد المواسم حرارة حتى أن العرب ضربت بحرّ عمان المثل

الزراعة ومواسم الزراعة

الميـاه فى « عُمان » ليست قليلة ، وكمية الأمطار لا بأس بها إذا قارناها بالحجاز ونجد لقربها من البحر العربى والهندى ، وفيها المياه الجوفية والينابيع التى تخلفها الأمطار ، وتنحلب من قمم الجبال . وتظهر فى بطون الأودية هنا وهناك والمنخفضات ، كما هو المعروف عندنا فى « اليمن الأم » .

كما لهم طريقة خاصة بجلب المياه من منابعها إلى المزارع بإنشاء مجارى خفية تحت الأرض تسمى « فلج » أو السواقى ، وهى نفس الطريقة المعروفة عندنا لا سيما إذا هنالك مزارع رغيبة فإنه يحفر لها من تحت تلك الأرض وتخرج إلى الجانب الآخر ، ومن وجهٍ آخر فراراً من حرارة الشمس أن تبخر بعض المياه الجارية على الأرض الحارة وحفاظاً بالأرض الزراعية من أن تأكلها الأخاديد .

وتوجد هنالك المياه الحارة التى نسميها الحمامات ، كحمام دست ، وحمام على ، وحمام الشمرانى ، وحمام السُّخنة ، وغير ذلك مما أحصيناها فى غير هذا التأليف .

أما مواسم الزراعة فتكاد أن لا تختلف عن مواسم زراعة اليمن الأم ، وما جاورها من حضرموت وغيرها ، وكذا مواسم الأمطار ، وكذا نوع المزروعات والفواكه والخضر .

وتنفرد بجودة إنتاج التمر الذى عليه اعتماد تجارتهم لكثرة إنتاجه وجودته ، وتمتاز أيضاً بشجرة النارجيل ـ كما كان موجوداً فى زبيد وما قاربها ـ وهو الرانج ويسمى جوز الهند ، وهى تشبه النخلة فى علوها وامتداد ساقها ، ولها أقناء فى كل قنو إلى ثلاثين نارجيلة ، والجوزة أو النارجيلة مستديرة تقـارب فى حجمها رأس الإنسان ، وفى جوفها ماء حلو أقل بياضاً من اللبن يشرب من ساعته فيسكر سكراً معتدلا لمن يألفه ، ومن لا يألفه إن أدمن عليه يفسد عقله ، وحول هذا الماء قشرة طرية تؤكل وفوقها قشرة أخرى خشبية جامدة يكسوها ليف كالشعر

تصنع منه حبال ينتفع بهـا فى السفن ، وحزم الأمتعة ، كما يتخذ من حب النارجيلة « الجوزة » حبة المداعة « الشيشة » ، ويسمى جوز الهند هذا تارة جوز الـكاكا .

أما التجارة والصناعة فلا يزاولهـا إلا المتحضرون ، وهى ضئيلة جداً ، فلا تتعدى بعض المنسوجات القطنية والحريرية والجلدية والأسلحة الجارحة ، كالخناجر والسيوف .

وصنعة النحاس يشتغل بها الهنود ، وأما أهل قرى الساحل فيحترفون صيد الأسماك وله سوق رائج حيث يملح ويجفف ويصدر للخارج .

وأما البدو الرحل فيعتمدون على الماشية من أوبارها ، وأصوافها ، وألبانها والمواد المصدرة تنحصر فى التمر الجيد الذى يصدر منه كمية كبيرة إلى أمريكا ، وغالب التمر فى سهل الباطنة الذى يضم أجمل بساتين النخيل فى العالم .

المناطق ، والقصبات ، والقرى

تنقسم عمان إلى عدة مناطق ، وفى القصبات «المدن» المبانى مشيدة بالحجر والجبس«الجص» وبعض الدور تحتوى على طابقين وثلاث طبقات ، وفى الأقسام السهلة : تهامة التى على الساحل تنتشر العرائش والأخصاص التى من القش كبعض مبانى تهامة .

وأما القرى فى السهول المتوجهة نحو البادية ، فأكثر بيوتها من العرائش والقصبات«المدن» مسورة ، وكثير منها شيد فوق الروابى والآكام ، وفيها قلاع وحصون للدفاع عنها عند الحاجة كما هو فى اليمن الأم ، وهذه أسماء المناطق .

(١) الباطنة : من أهم مناطق عمان واقعة فى الشمال بين البحر وهجر الغربى، وهى عبارة عن سهل يبلغ طوله زهاء ١٥٠ ميـل ، وعرضه يتفاوت من

١٠-١٥ ميل تسيطر عليه هجر الغربى والوديان التى تنزل من الجبال بانحدار شديد تفور فيه ، وتساعد على تصريف مياه الأمطار إلى الباطنة حيث يستخرج بالآبار التى يبلغ عمقها خمسة مترات ، وقاعدتها وصُحار التى كانت فيما سبق قاعدة عمان كلها ، وهى ميناء على البحر يبلغ نفوسها زهاء ١٠٠٠٠ .

(٢) هجر الغربى : وهو واقع إلى غرب الباطنة ، وهى عبارة عن منطقة جبلية يبلغ طولها ١٦٠ ميل وعرضها يتفاوت من ٤٠ - ٥٠ ميل ، وأهم بقعة فيها جبل الأخضر قاعدتها « رستاق » ، وهى واقعة فى وادى فارة منتشرة فيه القرى وفى رستاق . القلعة والجامع وتبلغ نفوسها زهاء ٥٠٠٠ نسمة .

(٣) هجر الشرقى : وهى عبارة عن منطقة جبلية واقعة إلى جنوب الباطنة ومحاذية للبحر ، وسيول الجبال ينحدر إلى البحر ، فلم تكن فيها شواطىء صالحة للسكنى .

وأهم بقعة فيها : وادى إسماعيل البالغ من الطول عشرة أميال ، والعرض زهاء ميل ، والقرى منتشرة فى واحة الوادى .

وفيها ميناء « صور » وهو واقع إلى شمال رأس الحد يبلغ نفوس القَصبة زهاء ١٠٠٠٠ نسمة .

(٤) الظهيرة : وهى واقعة إلى غربى هجر الغربى ، ويبلغ عدد الحضر فيها زهاء ٣٥٠٠٠ نسمة والباقى بدو .

وأهم قصبة فيها « عبرى » : وفيها أكبر جامع أباضى يبلغ نفوسها زهاء ٥٠٠٠ نسمة ، والقرى فيها مشيدة على الوديان ، أهم وادى فيها وادى الكبير وهو آهل بالسكان .

(٥) عمان الأصلية : وهى واقعة إلى جنوب الظهيرة قاعدتها قصبة « نزوى »

التى وصفها الرحالة العربى ابن بطوطة فى القرن الثامن الهجرى ، ويبلغ نفوسها زهاء ٨٠٠٠ ثمانية آلاف نسمة وهى مشهورة بقلعتها الحصينة .

(٦) المنطقة السادسة : الشرقية وهى واقعة إلى غرب هجر الشرقى عدد المتحضرين فيها زهاء ٤٠٠٠٠ نسمة ، والبدو أكثر من ذلك وقاعدتها « عَبْرة » يبلغ نفوسها زهاء ٥٠٠٠ نسمة .

(٧) المنطقة السابعة جُعلان : وهى واقعة فى جنوب الشرقية على ساحل بحر العرب يبلغ نفوسها من المتحضرين زهاء ١٥٠٠٠ نسمة .

(٨) المنطقة الثامنة : ظفار الحبوضى نسبة إلى السلطان راشد الحبوضى الذى ترأسها من الدهر ، وهى واقعة على ساحل بحر العرب بين حضرموت وعمان الأصلية فى منتهى الحدود الغربية .

وتبدأ من رأس بوس إلى قرية « خريفوط » على ساحل البحر ، ويبلغ طولها زهاء ١٣٥ وعرضها زهاء ٢٠ ميل قاعدتها صلالة ونفوسها قليلة ، ولا يزال ينبت فيها شجر اللبان البخور على الطبيعة فى تلال منخفضة مسطحة .

(٩) المنطقة التاسعة مسقط : ليست منطقة مسقط خاصة من مناطق عمان ، إنما هى عبارة عن ميناء مسقط ، وميناء مطرح ، وما يجاورهما

ومسقط : عاصمة عمان بعد أن سكنها آل سعيد لما أعلنوا أنفسهم سادة عمان وهى واقعة على البحر على خليج صغير تحيط به سفوح الجبال الصخرية التى تحول بالخارج ، والميناء مفتوح باتجاه الشمال الغربى ، وفى الشرق « جزيرة سقط الصغيرة » .

وتقع القصبة على الوادى الكبير الذى ينبع من جبال مسقط ، ويلتقى بالبحر وترتفع الروابى الصغيرة وراء القصبة على شكل الجدران البالغ ارتفاعها أكثر من مائة متر .

ويوجد طريق وعر يربط القصبة بميناء مطرح فى الشمال يمر بالساحل، والقصبة مسورة والدور فيها جميلة مبنية بالحجر والجص ، وهى ذات طابقين وأكثر تبلغ نفوسها زهاء ١٥٠٠٠ نسمة .

مطرح : تقع ميناء مطرح فى شمال مسقط بمسافة ميلين ، وهى أكبر من مسقط يبلغ نفوسها زهاء ١٨٠٠٠ نسمة ، وكأنها متصلة بالطريق بالداخل فهى الميناء الذى يصدر منه الأمتعة إلى الداخل ، وتأتى إليه من الداخل لإصدارها للخارج .

وترسو البواخر فى مسقط وبعد أن تخزن الأمتعه فى مسقط ترسل بالقوارب والسفن إلى مطرح ، ومنه إلى داخل البلاد ، والميناء مفتوح نحو الشمال الشرقى .

تشكيلاتها الإدارية

تعتبر مدينة مسقط التى على الساحل التى يقيم فيها سلطان عمان من آل سعيد المعترف به من بريطانيا وفرنسا عاصمه البلاد ويحكمها حكما مدنياً وللسلطان ممثلون فى المناطق يدعون ولاة يقيم كل منهم فى قاعدة المنطقة مع بضعة جنود لتحصيل الضرائب وبعض الواردات المتيسر جبايتها ، وقد حدثت بعد تحرير حوادث ذات بال ذكرها فى التاريخ .

أما عاصمة عمان فى الداخل فهى « نزوى » وهى عاصمة إمام عمان ، ولا يجوز دفع الزكاة إلا إليه ونظام الحكم دينى ، وهى مستقلة استقلالا تاماً لا شائبه فيه وهم اليوم مع الاستعمار البريطانى فى حروب ونزاع شديد ، وفقهم الله وأمدهم بروح من عنده .

السكان والمذهب

كل سكان عمان عرب مسلمون ، والعنصر الظاهر والأكثر بُرُوزاً ومن بيده مقاليد الحكم أهل البلاد الأصليين ، العنصر القحطانى : أزدى وحيرى

ويدعون « قحطانى يمانى » وقليل من نِزار « نزارية » ويدعون « عدنانى نزارى » .

وقسم ضئيل جداً من العبيد والبلوس والهنود .

والمذهب السائد الذى يمثل الأكثرية مذهب الخوارج الذى تجسد فى الفرقة الأباضية نسبة إلى عبد الله بن أباض التميمى .

ومذهب الخوارج من أول المذاهب التى ظهرت فى الإسلام ، وسنتحدث عنه فى قسم العصر الإسلامى .

وقد انقرضت فرق الخوارج فى الرقعة الإسلامية ، ولم يبق إلا فى عمان وطرابلس الغرب ، وأفريقيا كما انقرض مذهب الاعتزال الذين يحملون راية العقل وأحرار الفكر ، وأصحاب الفلسفة النظرية والمقالات المحبرة القوية .

تاريخهـــا

لم تتوفر لدينا المصادر عن تاريخ « عمان » لتوضح معالمه جلياً كما وأن معلوماتنا عنه قاصرة غير وافية الملامح ، ولا يزال تاريخها محتاجاً إلى مزيد من البحث والتنقيب ووفرة المصادر .

بيد أن الرأى الذى سيطر على عقول مؤرخى العرب والذى ينطبق على الواقع التاريخى « هوان عمان » ظللها تاج التبابعة الذين امتد سلطانهم على أكناف الجزيرة العربية ، وأبعد من ذلك وأنها ولاية ومخلاف من مخاليف اليمن الأم .

كما أسلفناه فى صدر الكلام عنها ، وإنما سميت عمان باسم أول حاكم نزلها وهو « عمان بن قحطان » بحكم ولايته من ناحية « يعرب بن قحطان » إلا دليل على ذلك وطبيعى أن الولاية المذكورة قد تسلسلت فى أعقاب المذكور مع ارتباطهم بالأم اليمن .

كما وأن التاريخ يحدثنا بأن بطنا من قبيلة « الإزد نزلت عمان » بعد خراب

السد وقبضت على مقاليد الحكم وسُمُّوا لذلك « أزد عُمَان » ، وجاء الإسلام الحنيف والسلطان والرأس فيها لآل الجلندى الأزديين كما نبين ذلك فيما يأتى إن شاء الله .

واليوم الذى يمت إلى الماضى السعيد يسلط عليه أضواء ويربط الحاضر بالماضى ويبين الواقع التاريخى ، بأن إمام عمان « غالب بن على الحارثى الحيرى » هو الذى يمثل الحاكم الشرعى للبلاد ، ويربط لنا بهذه السيادة حلقات التاريخ إلى أجذامه .

وعلى هذه الأضواء ، فقد مرت « عمان » بنفس الأحداث والتقلبات التى مرّت بها الأم اليمن وإنها عضو من جسم الأمة اليمنية ومايفصلها عنها إلا أسباب قاهرة نلمح منها فيما يأتى .

أما التاريخ الإسلامى فعلى الرغم أن فيه حلقات مفقودة إلا أنه أنصع وضوحاً وأبين معالماً وأجلى ملامحاً من تاريخ سابقه ، وقد أرجينا الكلام على ذلك إلى الأماكن المناسبة ليكون التأريخ وحدة متماسكة حتى لا يشذ على القارىء ، وتبعد عنه الذكريات والرجوع إلى الوراء .

الآثار

لم يتح للباحثين أن يسلطوا أضواء على الآثار الراقدة فى هذا الجزء العزيز من اليمن ، ولم أقف على تنويه مّا بهذا الشأن ، ولا كتبوا حول هذا القطر ما يستحق لفت الأنظار .

وحينئذ فمعلوماتنا من هذه الناحية ـ ناحية الآثار ـ ضئيلة جداً وعاجزة تماما عن إدلاء معلومات كاشفة ، إذ لسنا نرمى بكلامنا جزافاً أو مخادعة كما يحترفه

طفيلى التاريخ ، وسرعان ما تفضحه شواهد الامتحان[1] .

بيد أنا قرأنا فى مجلة « المصور » المصرية التى تصدر فى القاهرة المعزية ، ونحن فى معتقل « حجة » سنة ١٣٧١ هـ الموافق سنة ١٩٥٢ م مقالا هذا نصه :

إن المستر « وندل فليبس » رئيس البعثة الأمريكية للتنقيب فى بلاد العرب أعلن نبأ اكتشاف مدينة حيرية فى « مسقط » و « عمان » ، وكان قد وصل مع بعثته إلى منطقة « قيصار » المجهولة عند نهاية الشعب العربى مقابل المحيط الهندى الذى كان « بطليموس » أشار إليها بأنها مركز تجارى فى العالم القديم ، وذكر رئيس البعثة أن سلطان « مسقط وعمان » منحه امتيازاً لمدة ثلاثة أعوام للتنقيب عن الآثار فى تلك الأنحاء ، وأنه قد عثر على بعض تماثيل من الرخام .

ولو قدر لنا الوقوف على ما كتبه المستر « وندل فليبس » لكشف لنا الغطاء عن هذا الصقع وآثاره ، وبعض ماجرياته وأدواره ولحقق بعض ما تصبوا إليه النفوس وتحلم به .

هذا مبلغ ما عندى من العلم فى موضوع الآثار وفوق كل ذى علم عليم .

أهمية اليمن الخضراء الاستراتيجية

وحيث قد انتهى بنا المطاف فى هذه الجولة حول الجنوب اليمنى ، وعمان ، يجدر بنا أن نختمه بالمسامة قصيرة حول أهمية اليمن الخضراء ككل والجنوب اليمنى ، وعمان بوجه خاص ، وذلك من الناحية الاستراتيجية وأهميته القصوى فى وضعه الطبيعى الذى منحه خالق القوى والقدر فى هذه الرقعة من هذه المعمورة .

---

(١) طفيلى التاريخ إنسان نكرة يدعى « أحمد سرق الدين » .

وكان من حق هذا البحث تقديمه فى صدر المقدمة ، ولكن أخرناه ليكون تاجاً لبحثنا عن جنوبنا اليمنى و « عُمَان » فلهما الصدارة فى الأهمية والمرتبة الأولى عن اليمن الأم .

وتنحصر هذه الأهمية من الناحية الموضوعية فى الاستراتيجية فى أمور هى :

(١) إن موقعه عند المدخل الجنوبى للبحر الأحمر أشبه بالبوابة الأولى لأقطار شمال شرق إفريقيا وغرب الجزيرة العربية حيث يقابل القطب الثانى لهذا البحر المتمثل فى قناة السويس .

(٢) إنه يطل على بحرين ، هما : البحر الأحمر من الغرب ، والبحر العربى من الجنوب ، وبهذا الاعتبار فهو يشكل جسراً يَعْبُر منه الشرق إلى الغرب والعكس ، كما وهو همزة الوصل التى تربط بين جناحى العالم القديم والحديث ، فالأهمية ماثلة دوليًّا ، واقتصاديًّا .

(٣) إن اليمن الخضراء وفى المقدمة جنوبنا اليمنى ، وعمان : بلاد الشراع لعب دوراً إيجابيًّا فى المواصلة البريّة والبحرية ، وكان هو الوحيد الذى ربط الجزيرة العربية بقوافلها المملوءة بمنتجات بلاده ، ومنتجات الهند ، والصين ، بطريق البر الطويل وعبر الصحراء المحرقة ، وكان لها محطات لتوزيع البضائع والتجارة من كلٍ من مكة المشرفة وبترا وغزة وغيرها .

(٤) وكما سيطرت الطرق البرية سيطرت أيضاً الطرق البحرية فأخضعت سفنهم البحرين : البحر الأحمر ، والبحر العربى ، وأمدت كلاً من إفريقيا والبلدان الواقعة على حوض البحر الأبيض المتوسط بما تحمله من بضائع اليمن والهند هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تعود محملة بما استحسنت من بضائع تلك الأقطار لتوزعه فى اليمن وعلى الأقطار الأخرى .

طفيلى التاريخ ؛ وسرعان ما تفضحه شواهد الامتحان[1] .

بيد أنا قرأنا فى مجلة « المصور » المصرية التى تصدر فى القاهرة المعزية ، ونحن فى معتقل « حجة » سنة ١٣٧١ هـ الموافق سنة ١٩٥٢ م مقالا هذا نصه :

إن المستر « وندل فليبس » رئيس البعثة الأمريكية للتنقيب فى بلاد العرب أعلن نبأ اكتشاف مدينة حميرية فى « مسقط » و « عمان » ، وكان قد وصل مع بعثته إلى منطقة « قيصار » المجهولة عند نهاية الشعب العربى مقابل المحيط الهندى الذى كان « بطليموس » أشار إليها بأنها مركز تجارى فى العالم القديم ، وذكر رئيس البعثة أن سلطان « مسقط وعمان » منحه امتيازاً لمدة ثلاثة أعوام للتنقيب عن الآثار فى تلك الأنحاء ، وأنه قد عثر على بعض تماثيل من الرخام .

ولو قدر لنا الوقوف على ما كتبه المستر « وندل فليبس » لـكشف لنا الغطاء عن هذا الصقع وآثاره ، وبعض ماجرياته وأدواره ولحقق بعض ما تصبوا إليه النفوس وتحلم به .

هذا مبلغ ما عندى من العلم فى موضوع الآثار وفوق كل ذى علم عليم .

أهمّية اليمن الخضراء الاستراتيجيّة

وحيث قد انتهى بنا المطاف فى هذه الجولة حول الجنوب اليمنى ، وعمان ، يجدر بنا أن نختمه بإلمامة قصيرة حول أهمّية اليمن الخضراء كـكل والجنوب اليمنى ، وعمان بوجه خاص ، وذلك من الناحية الاستراتيجية وأهميته القصوى فى وضعه الطبيعى الذى منحه خالق القوى والقدر فى هذه الرقعة من هذه المعمورة .

---

(١) طفيلى التاريخ إنسان نـكرة يدعى « أحمد سرق الدين » .

وكان من حق هذا البحث تقديمه فى صدر المقدمة ، ولكن أخرناه ليكون تاجاً لبحثنا عن جنوبنا اليمنى و « عُمان » فلهما الصدارة فى الأهمية والمرتبة الأولى عن اليمن الأم .

وتنحصر هذه الأهمية من الناحية الموضوعية فى الاستراتيجية فى أمور هى :

(١) إن موقعه عند المدخل الجنوبى للبحر الأحمر أشبه بالبوابة الأولى لأقطار شمال شرقى إفريقيا وغرب الجزيرة العربية حيث يقابل القطب الثانى لهذا البحر المتمثل فى قناة السويس .

(٢) إنه يطل على بحرين ، هما : البحر الأحمر من الغرب ، والبحر العربى من الجنوب ، وبهذا الاعتبار فهو يشكل جسراً يَعْبُر منه الشرق إلى الغرب والعكس ، كما وهو همزة الوصل التى تربط بين جناحى العالم القديم والحديث ، فالأهمية ماثلة دوليًا ، واقتصاديًا .

(٣) إن اليمن الخضراء وفى المقدمة جنوبنا اليمنى ، وعمان : بلاد الشراع لعب دوراً إيجابيًا فى المواصلة البريّة والبحرية ، وكان هو الوحيد الذى ربط الجزيرة العربية بقوافلها المملوءة بمنتجات بلاده ، ومنتجات الهند ، والصين ، بطريق البر الطويل وعبر الصحراء المحرقة ، وكان لها محطات لتوزيع البضائع والتجارة من كلٍ من مكة المشرفة وبترا وغزة وغيرها .

(٤) وكما سيطرت الطرق البرية سيطرت أيضاً الطرق البحرية فأخضعت سفنهم البحرين : البحر الأحمر ، والبحر العربى ، وأمدت كلاً من إفريقيـا والبلدان الواقعة على حوض البحر الأبيض المتوسط بما تحمله من بضائع اليمن والهند هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تعود محملة بما استحسنت من بضائع تلك الأقطار لتوزعه فى اليمن وعلى الأقطار الأخرى .

(٥) وبهذه المميزات طمع كثير من الملوك الطامحين لفتح هذه الأقطار ومنافذها ، فارتدوا عنها خاسرين ، وعلى رأسهم الإسكندر المقدونى ، فإنه أرسل روّاده وأدلاّؤه ليدلوا بمعلوماتهم على منافذ الفتح ومواطن الضعف لتحقيق خططه التوسعيّة ، وإذا تم له ذلك تسنى له غزو الهند الذى كان يطمح لغزوه ، وامتلاك المعمورة ، ولكن حال دون ذلك أهوال ودُنوّ أجله الذى فوت الغرض «وبطل السحر والساحر» .

(٦) وعندما بلغت الحضارة العربية الإسلامية أوجها كان دور اليمن نشر تلك الحضارة ، وإدخال الإسلام إلى جزر الهند ونحوها ، وكان له أثره الفعال .

(٧) وعندما بدأ فجر الحضارة الحديثة بالبزوغ والإشماع ، وذلك حوالى القرن العاشر الهجرى حاول البرتغاليون مراراً الاستيلاء على موانىء اليمن المتمثلة فى «الحديدة» التى ظهرت لأول تاريخها ، وفى «المخا» و «عدن» و «الشحر» و «قش» و «ظفار الحبوضى» و «مسقط» فباءوا بالفشل وردوا على أعقابهم ومُنِىَ البرتغاليون بالهزائم المتتالية فى غير مرّة ، كما نذكر ذلك فى التاريخ .

وجاء دور الإنكليز ، فكان قيام الصراع الشديد بين الغزو الأجنبى الإنكليزى وبين قوى الشعب العربى حتى تم للإنكليز ما تم ، لأنه مسلح بالعلم والآلات الحديثة بينما الشعب العربى غارق بالجهل عار من الأسلحة المعنوية والمادية وسنبين ذلك فى التاريخ . انقضى الكلام على صفة عمان .

الزوايا الشمالية الشرقية ، والشمالية الغربية

حان الأوان لأن نتكلم عن هذه المقاطعات الشمالية ، والتى نعنى بها جزءاً لا يتجزأ من اليمن الأم ، وهى : نجران ، وبلد بنى زُبيد ، وبلاد عسير بما فيها سرواة الأزد ، وبجيلة ، وخثعم ، ثم مخلاف «حكم» المسمى المخلاف السليمانى ، ونبدأ بنجران وما لاصقها وعلى سمتها .

نجران

تسميته ـ موقعه ـ حدوده ـ مساحته ـ مناخه ـ زراعته ـ سكانه ـ لمحة من تاريخه .

يعتبر « نجران » مخلاف من مخاليف اليمن وأوديته الخصبة ، نقى الهواء ، غنى بالمياه والآبار العادية والجوفية ، وأحد أسواق العرب المشهورة .

وهو مرتبط بالأم ارتباطاً وثيقاً تاريخيًا وواقعيًا وطبيعيًا وسياسيًا منذ أقدم العصور المتوغلة فى القدم ، وفى جميع أدوار التاريخ ، وما ينفصم عن الأم إلا فى حالة هزات عنيفة تحصل « لليمن » أو لضعف الحكومة المركزية التى يسودها الفساد والفوضى وتوزع السلطة وتتحكم الإقطاع الذى يقطع نياط القلب ويندى له الجبين ، وتضيع البلاد ويضيعون بضياعها ، ويختفون بالكلية بعد أن تركوا أسوأ الأثر ولعنات التاريخ .

تسميته

وسمى باسم « نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان » بإجماع المؤرخين .

ويطلق نجران على نفس المدينة وعلى الوادى نفسه ، فيقال : وادى نجران ، ومخلاف نجران ، ونجران .

ويقع فى الشمال الشرقى من صنعاء بمسافة مائة وثلاثة وعشرين ميلا ، أى ما بين سبع مراحل إلى ثمان مراحل ، كما يبعد عن صعدة فى الشمال الشرقى بمسيرة مرحلتين .

ونجران وبنو زُبيد فى منتهى شمال شرق اليمن على سمت نجده ، كما أن مخلاف لحج ومخلاف أبين فى منتهى جنوبه .

وطوله من المشرق مائة وسبع عشر دقيقة وخمسة أسداس درجة تطلع عليه الشمس قبل مطلعها على « صعدة » نحو اثنين وعشرين جزءاً ونصفا من جزء ، وعرضها ست عشرة درجة .

ويحده من الشمال الغربي بأعلا وادي حَبَوْنه «حَبَوْنَن» قديما وبني «زُبَيد» المتصل بنجد العليا « جرش » و « تثليث » ، ومن الجنوب « الفرع » من وائله من بكيل ثم من همدان الذي يُمَدّ لنقطة الفاصلة بين اليمن المستقل وبين مخلاف نجران المشمول بالنفوذ السعودي ، وأما من جهة الغرب ، فإن نجران متصل ببعض بلاد واعة وهي بلاد : نقعة ووعار ووادي نشور بواسطة عقبة ومضيق تنحدر منه السيول المتجمعة من بلاد « سُحار » في الصعيد « حقل صعدة » وتولف هذه السيول المجرى الأعلا لوادي نجران الذي ذكرناه في ميازيب اليمن ، ومن الشرق الجنوبي الغائط والفلاه : الربع الخالي .

ويقوم وادي نجران بين سلسلتين من الجبال تمتد من الشمال إلى الجنوب مع شيء من التعاريج والانحناء كما تراه في الخريطة .

ونفس الوادي يقع في منبسط من الأرض السهلة الكريمة التربة يخترقها في وسطها مجرى الوادي بينما القرى تقوم مبثوثة على ضفتي الوادي التي يأتي مجموعها فيما بين خمس وثلاثين قرية وزيادة ، وكلها عامرة آهلة بالسكان ، وهي في الضفة اليسرى أكثر منها في الضفة اليمنى ، ومثلها أو ما يقاربها غامرة وأطلال وخرائب التي من جملتها قرية « الأخدود » ذات الآثار الفخمة ، وقرية « رُعاش » التي كانت عشاً للنصرانية ، وقرية « بَولس » التي تسمّتْ باسم المبشر النصراني « وشوكان » وغيرها[1] .

---

(١) انظر صفة جزيرة العرب بتعليقنا.

وتتكون البيوت من طابقين أو ثلاثة غالبها من اللبن والطوب الأجر ، وتسمى القرية حصناً، وهو نوع من البناء على أطرافه سور مرتفع لا يكن الدخول منه إلى وسطه أو إلى البناء المرتفع إلا من باب صغير محكم ، ويقدم البرج عليه فلا يستطيع الدخول إلا من هو مأذون له ، وداخل السور بئر ونخيل ، ونواضح كما تضم المواشى من بقر وماعز وغنم وابل ، وفى هذه القصبات : النُّوَب الشبيهة بالمنابر ، فيها مخاريق لرمى العدو وصَدِّه كما هو معروف لدينا .

ويلاحظ أيضاً أن أهل نجران يغلب عليهم تسمية القرايا أى القُرى باسم العائلات التى تملكها وتسميها « وطن » أو « حِلّة » كما هى عادة أسلافنا من قبل ، وكما هو اليوم فى بعض الأقطار والمقاطعات .

وأهم قراه الموجودة القديمة أيضاً قرية « الموفجة » وهى على فم الوادى مما يلى صعدة ، والحصن ، وهى قرية كبيرة وتتألف من عدة حلل و « القابل » وفيها آثار كنيسة أو هى كعبة نجران الآتى ذكرها .

المساحـــــة

ويبلغ مساحة الوادى طولا من علوه قرية الموفجة إلى منتهاه وراء قرية الذنب أكثر من يوم للجد ، ويمتد بعد ذلك مسافة يوم آخر فى مواضع خالية من المياه إلا فى موضعين فيها آبار يستقى منها الرعاة .

ويرتفع وادى نجران عن سطح البحر قرابة ٨٠٠٠ قدم ، ويصب إليه ثلاثة أودية قد تقدم ذكرها وهو أحد الأودية الستة ، وثانيها وادى حبونن ٢ ، وادى تثليث و ٤ وادى بيشه و ٥ وادى رُنْيه و ٦ وادى تُرْبة .

المنـــاخ

هواء وادى نجران عليل سجسج ونَسِيمُه صحيح لطيف ، وهو يميل إلى الجفاف

لقربه من الفلاة «الربع الخالى» وبُعْده عن البحر الذى يولد الرطوبة وهو ينزع فى جوه ومناخه إلى مارب والجوف وإلى نجد أشبه .

حتى قال بعض المؤرخين : إن أطيب بلاد اليمن « نجران » ، كما أن « دمشق » أطيب بلاد الشام ، و « الرّى » أطيب بلاد خراسان .

وزراعته لا تختلف عن زراعة اليمن الأم إلا أنه يمتاز فى بعض منتوجاته الزراعية بصفات غير متوفرة فى اليمن الأم .

منها كثرة النخيل وجودته وعذوبته وضخامة حجمه وتعدد أنواعه ، ومن تمرانه تصدر كمية كبيرة تملأ أسواق اليمن .

ومن نخله البعل الذى لا يشرب إلا من السيل ، وربما أسنت فأتى التمر عن سنته .

ومنها السمراء التى تبلغ فى الارتفاع مجاوزة المألوف وتأتى مضاعفة المحصول ، وغير ذلك من الخصائص التى فضله الله بها[1] .

كما كانت تمتاز فى القديم بوفرة السكان وصنع الأقمشة الحريرية والتجارة فى الجلود وفى صنع الأنسجة ، وكانت إحدى المدن التى تصنع الحلل اليمانية التى تغنى بها الشعراء ، وكان تصدر بمنتوجاتها إلى « الحيرة » عاصمة العراق ودار مملكة آل لخم لقربها من الطريق التجارى الذى يمتد إلى بلاد الرافدين .

وماؤه من الآبار الكثيرة هو عذب فرات سائغ للشاربين ، وبه تسقى المزارع التى ترفعه السوانى والنواضح ، وقد غزته الآلة الحديثة : المضخات والرافعات .

وأم حيواناته الأهلية الإبل والغنم .

---

(١) راجع صفة جزيرة العرب بتعليقنا .

سكانه

يحتل وادى نجران فى معظم أدوار التاريخ ، وفى المنزلة الأولى ـ قبيلة بلحارث بن كعب بن عُلة بن جلد بن مذحج سادات مذحج وهاماتها واحد جمرات العرب التى لم تَنْطَفِ ثم فى آل عبد المدان الذين كان لهم السلطان والنفوذ وهما لغالبون عليه مع بُعْد الصوت والشهرة حتى إن نجران إذا ذكر قرن بآل عبد المدان ، وجزء ضئيل منه تحتله قبيلة « يام الهمدانية » ، وهى اليوم الظاهرة فى البلد والتى تمثل الأكثرية ذات القوة والنفوذ بينما قبيلة بلحارث اليوم غير مشهورة وهكذا سنة الله فى خلقه .

ويبلغ عدد نفوس وادى نجران من عشرين ألف نسمة إلى خمسة وعشرين ألف نسمة على جهة التخمين والحدس .

المذهب

والمذهب السائد فى نجران هو المذهب الإسماعيلى ، وسنأتى على تاريخ توطنه فى هذا الصقع .

الآثار

أتاحت الفرصة المستشرق «جوزيف هاليفى» الفرنسى الآتى ذكره لاختراق نجران وزيارة معالمه ، وعثر على مساند كثيرة نقشت على جدران القصور القديمة ونشرت فى مجموعة النقوش السامية ، وأصبحت هذه المساند الحميرية مصدراً هاماً لتاريخ نجران، ولكن مع الأسف الشديد لم يصلنا إلا خبر هذه المساند، أما نتائجها وحل رموزها ، فلا تزال عنا بمراحل وبُعْدِ المشرقين يسر الله لنا الاتصال لمعرفة ما فى هذه النقوش عن كثب .

وهذا ما عثر عليه على وجه الثرى إما لو نقب على ما تحت الأنقاض لوجدنا أعجب العجائب .

كما وأن هناك مواقع شتى وجد الأهالى فيها آثار آنية من الفخار وعُملة ذهبيّة وتماثيل صغيرة معدنية كانوا يأخذونها ويبيعونها فى صعدة ، ويوجد أيضاً أماكن فيها حجارة عليها كتابة قديمة بالحميرية لا يعرفون ما هى ولا ما قيمتها الأثرية .

لمحة تاريخية عن نجران

لم يشذ مخلاف « نجران » كثيراً عن أمه « الخضراء » إلا للعوامل التى سبق ذكرها ولا ولن يقطع صلته بأصله بل لا يزال محتفظاً بحق الأمومة مرتبطاً بها بأوثق العرى.إلا فترات لا يؤبه لها وإلا خلسات من الدهر نامت عنه أعين الأقوياء ، فيستقل استقلالا داخلياً مع بقاء العلاقة الوطيدة ، وما تنشبت يد الغَصب إلا على حين غرة وغفلة ، وتنافس على الكراسى بين أصحاب الحق الشرعى ، فينقطع السبب ويبطل العجب لضياع الوطن ولم يطل غيابه عن الأم غيرهذه المرة التى أضاعه فيها الإمام يحيى لسياسته الهوجاء وبخله المتناهى كما ذكرنا ذلك فى التاريخ ، ولعل السعادة لاحظت هذا المخلاف ولم ينكب بحكم الإمام يحيى .

وعليه فقد ذكر المؤرخون أن بعد ما نزله « نجران » بن زيدان وعمّره وحكمه ردحا من الزمن وأثرى فيه وزبلت ذريته صار مسكناً لقبيلة « جرهم » الأولى كولاة لدول اليمن واشتهر منهم السيد الأفعى الجرهمى الكاهن المشهور الذى تحاكم إليه أولاد نزار بن معد بن عدنان .

ولما انتقلت جرهم إلى مكة وصاروا ولاة على تلك الأصقاع خلفهم ولاة من قحطان ثم من حمير الذين صاروا ولاة للتبابعة ، وكان كل أمير منهم يلقب « بالأفعى » تبعاً لسنن من قبلهم ، ومنهم القليس بن عمرو بن همدان بن مالك ابن المنتاب بن زيد بن وائل بن حمير بن سبإ الأكبر ، وكان والياً للملكة « بلقيس » على نجران وبعثته إلى سليمان وآمَنَ به كما قيل .

ثم نزلته مذحج ومن مذحج بنو الحارث بن كعب ، وهم الرأس والسّنام وفيهم يقول شاعرهم :

ونحن بحمـــد الله هامة مذحج   بنو الحارث الخير الذين هم مُذْر

وكانت السيادة والملك فى آل عبد المدان . واتسمت هذه القبيلة بمـا فيهم بنو عبد المدان بكل معانى النبل والفضل وحب معالى الأمور ومكارم الأخلاق والجود والـكرم والشجاعة والبـأس والعطف على البـائس الفقير ، وكانوا ملجأ للخائف وملاذاً للعفاة والجـانى ، وكان فيهم منعة وحصانة ، فلا يدخل نجران إلا بإذن منهم وتحت كنفهم .

وقد حاول كثير من أعدائهم ومن الغزاة أن يقتحموا أبواب نجران فارتدوا يسحبون ذيل الخزى والعار ، ولهم أيام ووقائع يطول ذكرها وفى تفسير الدامغة بعض من ذلك ، وكذا فى الأغانى وغيره .

والخلاصة أن القلم عاجز عن تسجيل بعض سماتهم الجليلة ، ولا تحتمله هذه السطور ، ولا زالت تشع منهم الفضيلة ، ولهم منزلة رفيعة إلى ما بعد القرن السادس الهجرى ، كما نبغ منهم أعلام وقادة كانوا منظاراً لحياتهم وأخلاقهم الـكريمة .

وقد صاهرتهم حمير فـكانت أم الملك ذى نواس منهم ، واسمها سلمى بنت حزن بن زياد الحارثى ، أو مِيشـكِيَة بنت زياد بن الحارث .

وقال الميذام السخطى : خال ذى نواس عبد المدان بن الديان بن قطن الحارثى ، وصاهرهم العباسيون فـكانت أم الخليفة السفاح أبى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثى .

وهكذا ظلّ « نجران » خاضعاً للتاج الحضارى اليمنى طوال أدوار التاريخ .

النصرانية واليهودية فى « نجران »

هذا البحث له مساس كبير فى تاريخ « نجران » وأحداثه ، إذ أن النصرانية لعبت دوراً فعالا فى سياسة هذا القطر وتأثرت به إلى حد بعيد ، وربما قد تأثرت به الديانة الحميرية فى عموم الخضراء ، وكذا اليهودية إلا أن اليهودية لم يُقَدَّرْ لها النجاح والظهور فى نجران بادىء ذى بدء مثل ما قدر للنصرانية فيه إلا بعد زمن متراخى كما نبين ذلك فى غضون هذا البحث .

وطالما استخدم الدين فى سياسة الأمة واتجاهاتها ، واتخذه الساسة مطية لبلوغ غاياتهم المنشودة التى تكمن تحت إسم الدين .

وحينئذ فلا بد أن نشرح هذا الموضوع شرحا وافيًا بقدر ما خولتنا المصادر وأتاحت لنا المعلومات وإليك ما يلى :

كان « نجران » أهم موطن للنصرانية فى جزيرة العرب فيما إذا اسْتَثْنَيْنَا مدينتى « بُصْرى » و« دمشق » عاصمة الغساسنة بالشام ، و « الحِيرة » عاصمة اللخميين اليمنيين بالعراق .

واتفق المؤرخون العرب أن النصرانية غزت مخلاف « نجران » بواسطة السائح « فيميون » بالفاء أو القاف الذى وقع فى مخالب بعض الأعراب فباعه فى نجران على بعض أهْلِهِ على أحد الروايتين ، فتلقى منه النَّجْرانيون المسيحية السليمة ، ومنه انتشرت فى ذلك الصقع فى قصة طويلة .

وقال فى الروض الأنف : قال العتبى : قدم به رجل من آل جَفْنَةَ من غسان فحملهم على دين عيسى عليه السلام ، ولم يسمه وقال فيه النقاش : اسمه « يحيى » وكان أبوه ملكا فتوفى ، وأراد قومه أن يملكوه بعد أبيه ، ولزم السياحة ، فقدم نجران فلا زال يبشر المسيحية حتى تبعه خلق من أهل نجران ، وكذا قال حمزة الأصفهانى فى تاريخه ص ١١٢ .

كما اتفق المؤرخون بدون استثنى أن النصرانية غزت « نَجْران » حوالى القرن الرابع أو الخامس بعد الميلاد .

أما إمام المؤرخين « لسان اليمن » الذى هو أقعد بتاريخ قومه ، فإليك نص كلامه كما وجدته فى هامش « سيرة ابن هشام المعافرى » المخطوط سنة ١٠٦٧ هـ ألف وسبع وستين وألف سنة هـ ناقلا ذلك عن الهمدانى قال :

أوقفنى أهل نجران على أثر محل ، ومسكن من قرية « نجران الهجر » بين قبائل ربيعة وقبائل يام وبين سر الحضن اسم « بُولَس » ، وبولس من الحواريين وسمى الموضع باسم من نزله ، وأهل « نجران » يقولون : أصل هذا الدين من « بُولس » وأنهم كانوا يُعَظَّمون فى النصارى ، ولا يصدر الروم ، والحبشة إلا عن رأيهم ، وكانوا على الحنيفية من دين عيسى التى لم يدخلها حدث لأن الله سماهم مؤمنين . انتهى كلام الهمدانى ، ويؤيد هذا أنه من كلام الهمدانى ما جاء فى تفسير الدامغة له مما يشبه هذا الكلام كما نبينه فيما يأتى.

ويزيده تأكيدا ما جاء فى سيرة الهادى يحيى بن الحسين التى حكت أنه نزل بموضع يقال له « بُولَس » .

فأنت ترى كلام « الهمدانى » كيف تحدث عن النصرانية ، وعن الطريق التى غزت نجران وبواسطة من دخلها بروايته عن النجرانيين الذين تلقوا ذلك كابراً عن كابر كما هى الطريق المألوفة عند العامة ، وعند علماء الإسلام وإلى يوم الناس هذا .

وقد روى هذه القصة ولا تزال النصرانية لها أثرها فى وقته بنجران إلا أنه من المؤسف أن الهمدانى . لم يبين تاريخ دخول « بولس » ولا من أى طريق

وغل أبواب نجران ، ولو وجد الجزء السادس من الإكليل لأزاح لنا الستار عن هذا الإشكال .

كما يشير الهمدانى إلى أن نجران كان مركزاً هاماً للديانة المسيحية ولا تصدر الروم والحبشة إلا عن رأيهم ، هذا رأى مؤرخى العرب ، والقول ما قالته حذام .

رأى مؤرخى اليونان

تشير المصادر اليونانية أن غزو النصرانية لنجران ، إنما كان عن طريق الحبشة التى أصبحت تدين بالدين المسيحى الذى أدخله إلى الحبشة رغبة القيصر الرومانى « قسطنطيوس » فى نشر النصرانية هناك عن يد كاهن رومى اسمه « فرومنتوس » الذى أصبح أسقفاً هنالك ، ثم قامت الحبشة بدورها بالتبشير باليمن وابتدأت بنجران .

وأنا أُفَنِّد هذا الرأى القائل بأن التبشير جاء عن طريق الحبشة التى رسخت فيها النصرانية لأنا نقول إنه من غير المعقول أن المرء الحامل لعقيدة من العقائد أو مبدأ من المبادىء أو دين من الأديان أن يبعد النجعة لبذر دعوته فى أناس لا يعرفهم ولا تمت إليهم بصلة ولا قيمة له عندهم وهم على ملة يخالف ما جاء به وإن المعروف أن تبدأ الدعوة بين الأقربين وأدنى الناس إليه ، ومن يعرف قيمته بين قومه من حيازة الشرف والصدق والأمانة .

وكان من حق هذه الدعوة والتبشير أن تبدأ على أقل تقدير فى سواحل اليمن المجاورة للحبشة « كعدن » مثلا وغلافقة ونحوهما لما بينهما من تبادل تجارى وتعارف وحسن جوار حتى يتسنى له التوغل إلى داخل البلاد ، ثم لماذا اختار نجران وهى فى أقصى الشمال التى تكلفه جهداً ومشقة وعناء السفر والحط والترحال ، ولِمَ لَمْ يختار غير نجران كظفار أو صنعاء أو غيرها من العواصم المشهورة فى ذلك التاريخ ، وهذا ما لم ينقل إلينا ، كما لم ينقل إلينا أن النصرانية توطنت غير نجران

واعْتَنقَتها قبائل يمنية غير القبيلة التي تسكن « نجران » ، وإن كان لسان اليمن يُحدثنا عن نصارى قبيلة الفرسان في موزع وفي جزائر فرسان السالفة الذكر .

وظهر الإسلام واليهودية باليمن أكثر شيوعا من النصرانية التي لم يذكرها التاريخ إلا في نجران كما نوضح ذلك في تاريخ العهود الإسلامية .

وللتدليل على رأينا أن نرجع إلى الدعوة المحمدية كيف بدأ محمد صلى الله عليه وسلم يدعو قريشاً بإرشاد من الله حيث يخاطبه بقوله : « وانذر عَشِيرتَك الأقربين » ولمّـا تصامّوا عن الحق دعا ثقيفاً ، وذهب إلى الطائف لمـا بين قريش وثقيف من القربى فجابهوه بالقسوة والعنَتِ ثم انصرف إلى قبائل العرب فحازت الفضيلة المثلى قبيلتا الأوس والخزرج الذين سماهم الله أنصاراً كما هو معروف ، وهكذا في كل دعوة .

والذي أراه شخصياً أن النصرانية دخلت « نجران » من الشمال بواسطة الداعية « بولس » باسم أحد الحواريين الذي قام يبشر وينشر النصرانية بعزم ونية حتى تم له ما أراد ، وهذا هو الراجح أو باسم الرجل الذي توجه إلى نجران من جهة آل جفنة الغسانيين ملوك الشام لأن نجران كان له شأن عظيم وخطر كبير في تلك العصور ، وكان همزة وصـل في الطرق المؤدية إلى العراق والشام ومكة .

اتّصلت هذه الدعوة بأختها التي بالحبشة ، فاشتدت القربى بينهما والتحمت الأواصر ونمت العلاقة والمرء دائماً يسعى في تقوية جانبه بكسب الأصدقاء والمريدين.

وكذا يقال عن « فيميون » فإنه أيضاً جاء من قبل الشمال لا من قبل الغرب الجنوبي ، وهي الحبشة كما يقوله اليونان هذا رأي شخصياً ، والله من وراء العلم .

كعبة نجـــــران

كانت نجران أول بلد من اليمن « الخضراء » قبلت الدعوة المسيحية فمشت فيها وأناخت بكلـكلها وقضت على الإلهة التى كان يدين بها قومهم حمير ، وكأن نجران مولع بكل غريب يفد إليه قابل لبذور تنبت فيه مهما كان نوعها ولو كان ناء عن بيئتها ومجتمعها .

ولما تمت الدعوة وتغلغلت فى النفوس احتضنها آل الدّيان الحارثيين ، وتبلورت فيهم بقلوب يملؤها الإيمان والإخلاص .

ولعمق تفـكيرهم لم يستكفوا بهذه الظاهرة التى وفدت عليهم وخالفوا قومهم حتى أضافوا إليها ألقة لامعة لتـكون أكمل مظهراً من مظاهر الدين الجديد ويمثلونه أعظم تمثيل لشعائره وواجباته ومغازيه ، وفى الوقت نفسه يستميلون الناس إلى الدين الجديد فهبّوا لبناء « بَيْعة » فخمة استافتت أنظار المسيحية وغيرهم فـكانت مصدر إشعاع للنصرانية فى الروم والحبشة وغيرهما ولعظمتها عندهم سموها « كعبة نجران » والـكعبة فى الأصل كل بِناء رفيع عال .

وكان فيها أساقفة مُعْتمون يقومون بسدانتها والتِقاف الزائرين والوافدين فـكانت إذا جاءها الخائف أمِن أو طالب حاجة قضيت أو مسترفد رُفِدَ إلى غير ذلك من وجوه البرّ والمعروف .

وكان قس بن ساعدة الأيادى خطيب العرب كثيراً ما يفد على الملوك آل عبد المدان ، وينزل عليهم لأنه كان يتنسك ويميل إلى النصرانية ، وكان يُدْعى « أسقف نجران » ، وفى كعبة نجران يقول الأعشى لما وفد على آل المدان ابن الديان ويمدحهم من قصيدة مشهورة :

وكعبة نجـــران حتم عليك حتى تُناخى بأبوابهـــا
تزور يزيدَ وعبدَ المدان وقيس هم خـــير أربابها

إذا الحـبَرات تلوّت بهم وجرّوا أسافل هُـــدّابها
وشاهدنا الوردُ والياسمين والمُسمِعات بقُصّـــابها
ومِزْهَرُنا مُعْمَـــل دائم فأىّ الثـلاثة أزرى بها

وقال ابن الكلبى : إنها كانت قبة من أدم من ثلثمائة جلد ، وكانت على نهر يستغل منه عشرة آلاف دينار ، وكانت القبة تستغرقها .

ويبدو أنها لا زالت قائمة إلى ظهور الإسلام كما سنتحدث على ذلك فى العصر الإسلامى إن شاء الله .

الملك ذو نواس ، والنصرانية

كان من حقنا أن نتحدث عن هذه القصة التى ملأت الدفاتر وشغلت القصاص وكان لها أثرها البالغ فى كتب التواريخ وغيرها من الكتب اليونانية على حد سواء ، ولكننا أرجأناها إلى العصر الحضارى وملوك حمير ليتم نظم أسلوب التاريخ فى القصة والأحداث التى تتابعت على أثرها ، كما أن لنا رأياً خاصاً فى ذلك.

أمّا أحداث نجران فى العهد الإسلامى فقد ضممناه مع أحداث الأم على نسق وفاء لشرطنا من ربط اليمن الطبيعى ربطاً محكم الحلقات سائلا من الله العون والتوفيق والنسىء فى الأجل .

اليهودية فى نجران

سبق لنا قريبا أنْ قلنا أنّ نجران غريب الأطوار ، ولهذا فقد قبل اليهودية التى كانت سابقة إليه من النصرانية حينما بعثت الملكة بلقيس بنت الهدهاد إلى سليمان ابن داود بالقليس بن عمرو الذى سبق ذكره إذا صحت الرواية ، ولكن اليهودية لم توطد أقدامها فى نجران ، ولا طال عمرها فيه إذ لم تتوفر لنا روايات متسلسلة أو على الأقل تشير إلى ذلك إشارة خفية ، وما ظهرت اليهودية ظهوراً

بارزاً وكاملا إلا قبل أيام الملك ذى نواس ، وفى عصره لذا فقد أبقينا هذا الموضوع إلى المحل اللائق به .

وبهذا ينتهى الـكلام عن «نجران» لنلتقى به إن شاء الله فى البحوث الآتية .

وهذا ذيل لتمـام الحديث عن ما هو مرتبط بنجران من مخاليف اليمن الشمالية الشرقية .

حَبَونن وبلاد بنى زُبيد وبلد نهد

حبونَن : بفتحتين وسكون الواو بعدها نونان ، ويقال وادى حبونن وهو الذى يقال له اليوم « حَبَونة » ، وقد ذكرته الشعراء فأكثرت قال الأجدع ابن مالك الهمدانى :

والحقتهم بالجَزْع جزع حبونن يطْلبن أزواداً لأهل ملاَع[1]

وقال ابن مقبل :

أقرّت به نجـران ثم حبونَن فتثليث فالأرسان فالقـــرطان

وقال الهمدانى وحِبونن : بكسر الحاء من مناهل العرب المشهورة ، ويظهر من كلام الهمدانى أنه غير الأول .

موقعـــه

لم تكن معالم وادى حبونن عندنا واضحة المعالم ، ولـكى نقربه للقارىء فنقل كلام « لسان اليمن » الذى أحاط به علماء أكثر من أى جغرافى عربى آخر وإليه كل الفضل يرجع .

قال : وادى حبونن من بلاد مذحج ، وكذلك جاش ومَريع ويبمبم قال :

---

(١) كذا الرواية فى صفة جزيرة العرب ملاح بالحاء المهملة كما تبصره عما نقلناه عن الصفة .

وهى اليوم لبنى نهد ، وقال فى محجة حضرموت ، ثم من نجران حبونن ، وهو وادى تغيب من بلد يام من ناحية سمنان ، وهو كثيراً لأرطى وبه بئر زياد الحارثى جاهلية .

وقال فى موطن آخر : بلد يام وطن بنجران نصف ما مع همدان ، ثم بلدهم يطرد عليها ناحية الحجاز إلى حدود زُبيد ونهد من ناحية حارة وما يليها ، وهى حارة وملاح وسمنان فإلى ما يصالى خايف ذكم من أعلا حبونن وبخليف ذكم قتل عبد الله بن الصمة أخو دريد بن الصمة ، والحظيرة وبدر وصيحان وقابل نجران وهدادة والحظيرة أعلا « حبونن » .

هذا تعريف « لسان اليمن » ، وقد أبدى لنا صورة من ملامح وادى حبونن على الطراز القديم ، وهو الفريد الذى عَرّفنا بهذا الجزء من الوطن الحبيب ، ولكن رجلا معاصراً يلائم روح العصر بيّن لنا موقعه وإن لم يكن بيانه شافياً كما أبان معالم وادى نجران الذى وضع له خريطة وكشف النقاب عنه ، وكما يقال شىء خير من لا شىء ألا وهو « فؤاد حمزة » فى كتابه « بلاد عسير » . قال :

ثانياً : وادى حبونه « ويسميه جغرافيو العرب المتقدمون حبونن » ويقع إلى الشمال من نجران ، وتفصله عنه هضاب شتى أكثرها مرتفع ، وفى أعاليها منبسط اسمه الصحن، والواديان يسيران متوازيان تقريباً ، وبُعْد أحدهما عن الآخر فى غالب نقاطهما مسافة يوم للجمال المحملة ومصبهما عند رمال المُهْمل أى الربع الخالى ببعد هذه المسافة .

وواد حبونن أقل أهمّية من نجران وأقل عمراناً ، وقرى بالرغم من أن هنالك أودية مشهورة تصب فيه ، منها أودية بدر ، والخانق [غير خانق صعدة] وهدادة والحرشف ، وهو يصفى المياه التى تنحدر إلى جهة الشرق من القسم الشمالى من بلاد بنى جماعة اليمانيين كما أنه يصفى بلاد وادعة من همدان والقسم

الجنوبى من بلاد قبيلة قحطان ، ويمكن ذكر ستة أودية مهمة فى بلاد بنى جماعة وقحطان يصح اعتبارها أساساً لوادى حبونة وهى :

(١) وادى الحاجر : ويصب فى هدادة .

(٢) وادى قتام : ويمر ما بين عقبتى الشطبة وعلب اللتين هما نقطة الحدود بين بلاد ابن سعود والإمام يحيى الفاصلة بين حدود بنى جماعة وسحار الشام وحدود وادعة .

(٣) وادى العرين ويمر بقرى كثيرة منها : ظهران والجزعة .

(٤) وادى الغيل وينتهى إلى حبونة بعد أن يمر فى وادى القرن .

(٥) وادى طلحة . (٦) وادى رشاد .

وقال فى موضع آخر « قرى وادى حبونة » :

(١) القرن	بيوتها ٣٠	(٢) آل قنة	بيوتها ٤
(٣) آل ذواخ	« ٠	(٤) آل سعد	« ٢٠
(٥) الشهابلة	« ٠	(٦) ابن جمعة	« ١٠
(٧) ابن قديلة	« ٣	(٨) آل فائد	« ٠
(٩) أم الحوض	« ٨	(١٠) الجفة	« ٣٠
(١١) مجمع آل بحرى	« ١٠٠	(١٢) النقعا	« ٦
(١٣) بنو هميم	« ٢٠	(١٤) شط الخضرة	« ٤٠
(١٥) قابل منيف	« ٢٠	(١٦) سلوى : عين ماء فى قصره	
(١٧) الحصينية .			

ثم ذكر الطرق الموصلة إلى نجران من جهات الشمال والغرب والجنوب وذكر أنّ وادى حبونه : حبونن آخر المحطات إلى نجران .

هذا ما عرفنا عن هذا الوادى أما أحداثه وتقلباته فيبدو أنه تابع لنجران

مداً وجزراً ولم أعثر على شيء يتعلق بهذا الوادى لا فى القديم ولا فى الحديث ، ولعل قلة أهميته جعلته مغموراً وتبعاً لنجران ، اللهم إلا أياما من أيام العرب قبل الإسلام .

بلاد زُبَيْد ونَهْد

زبيد : بضم الزاى وفتح الباء الموحدة ثم مثناة من تحت ساكنة ثم دال مهملة أشهر القبائل اليمنية التى تسمت بهذا الاسم نسبت إلى زُبيد بن مازن بن منبه ابن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج ، ومنهم فارس العرب «عمرو بن معديكرب الزُّبَيْدِى» .

وبلاد زبيد المذكورة تعد مخلافاً من مخاليف اليمن لكنهم زاحموا إخوانهم عرب الشمال فى عقر دارهم .

ورغم أن فؤاد حمزة اجتاز أوطانهم إلى نجران ، فلم يذكرهم أو يحدد مساكنهم ، ولعل مَرْجِعَ ذلك إلى أن القبيلة قد تسمت بأسماء من أعقبت من الأفخاذ والبطون أو شَمَلَها اسم قبيلة قحطان المشهورة اليوم واندمجت فيها كما أنه ذكر زُبَيداً فى نجران ، ولا نقدر أن نَجْزِم على قوله هل هى من مذحج أم من همدان والأمر محتاج إلى استقصاء للحقيقة ودون ذلك صعاب نسأل الله أن يذللها .

أما «لسان اليمن» ، فقد ذكرها كعادته وإليك نص كلامه .

بلد زبيد : بلاع واد فيه نخل وهو غير بلاع فى بلد خثعم أسفل الحَقَقة إلى الوردة والأعدان وهى مراعى لِرُنية ويسكن هذه البلاد من قبائل زبيد الأغلوق وبنو مازن ، وبنو عُصم ، وبنو وريش ، وبنو جروان .

والقول فى بلد نهد كالقول فى بلاد زبيد أى من حيث لم نتوضح معالمها ولم تحدد أماكنها لتمتاز عن غيرها كما هو المعروف اليوم .

ونهد قبيلة يمنية نسبت إلى نهد بن زيد بن ليث بن الحاف، بن سود بن قضاعة ابن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ ، ويبدو من كلام الهمدانى أنها حلال لزبيد ، وإنهما على وادى تثليث وإليك كلامه :

بلاد نهد : طربب ومصابه من ذوات القصص وكتنة وأراك واد فيه أراك وأراكة فى أسفل وادى زبيد ، وأراكة ناحية الصامة من ديار خثعم بن عامر ابن ربيعة ، وتثليث ، وكان لعمرو بن معدى كرب فيه حصن ونخل .

هذه معلوماتنا عن هذين المخلافين كما أن الأحداث التى مرت بهذين المخلافين ليست ذات أهمية تذكر .

وكان لهما وقائع وأيام فى العصور الجاهلية الأخيرة مع جاراتهما من قبائل الشمال استوعبها « لسان اليمن » فى كتابه « اليعسوب » المفقود يسر الله العثور عليه وذكر البعض منها فى الجزء الأول من الإكليل ، وبعضاً فى تفسير الدامغة كما جاء ذكر بعض الأحداث فى كتب الفتوحات ، وعند ظهور الإسلام ونحن ذاكروها إن شاء الله فى أماكنها .

كما أن لمخلاف نجران أياماً وغزوات ذكرها «لسان اليمن» فى كتبه المذكورة ولسنا بحاجة إلى ذكرها هنا ، لأن البحث سيطول وليس من شرطنا ولأنها غير مربوطة بالسنين ويكفى الرجوع إلى كتب الإمام الهمدانى .

وبهذا انتهى الكلام على مخلاف نجران ، وما فى هذا الحيّز وعلى سمته وما جاوره .

عسير والسروات ومخلاف حكم (المخلاف السليمانى)

من اليمن الطبيعى هذه المناطق أو المخاليف ـ عسير والسروات ـ جمع سراة وقد تقدم تفسيرها فى ص ٣٥ ومخلاف الحكم (المخلاف السليمانى) .

ونبدأ بعسير والسروات ونختم البحث بالخلاف السليماني .

تقع السروات في إطار الهضبة المطلة على تهامة من الشرق بدون حاجز طبيعي إلا خطوطاً وهمية يفرضها الحكام أو حدوداً قبلية يتقاقها السلف عن الخلف .

وهذه السرات تتصل بسراة جبال خولان بن عمرو كرازح ، وبنى منبه وبنى مالك وبعض أوطان وادعة من نجدها ، وهذه بالذات تطل على المخلاف السليماني المتوسط في بطن تهامة .

و « لسان اليمن » الجغرافي العربي الوحيد عودنا عند ذكره الأوطان أو البلاد بأن يسوق أوديتها وبعض القرايا والقبائل غالباً ، ثم لا يتعرض لحدود مواقعها وانفصالها عن غيرها لكي يستطيع القارىء أن يأخذ عنها صورة تامة .

وفي هذه السروات ذكرها بعد سراة خولان فقال : ثم يتلوها سراة « جَنب » وبلد العرعر المعصور ، وقرية « جنب » في هذه السراة « الكُبيبة » .

ثم الجبل الأسود إلى الشقرار وسعياً من أرض « جُرش » ، وغور هذه البلاد هي أعلا زنيف وضنكان والبرك والمعقد ، وحَرَّة كِنَانة .

ثم يتلوها سراة عنز ، وسراة الحجر نجدها خثعم وغورها بارق

ثم سراة باه من الأزد وبنو القرن وبنو الخالد نجدها خثعم وغورها قبائل الأزد

ثم سراة الحال الشكر نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأسد بن عمران : الأزد.

ثم سراة زهران من الأزد دوس وغامد والحر نجدهم بنو سُواءة وغورهم لِهْب وعوبل من الأزد .

ثم سراة بجيلة فنجدها بنو المعترف وغورها بنو سعد من كنانة .

ثم سراة بني شبابة وعَدْوان وغورهم اللَّيث ومركوب .

وقال في موضع آخر من كتابه « صفة جزيرة العرب » وتوسع في ذكر القرى والأماكن :

أرض السراة ثم يقلو معدن البرام ومُطار صاعد إلى اليمن ـ سراة بنى على وفهم ثم سراة بجيلة والأزد بن سَلاَمان بن مُفرج والمع وبارق ودَوْس وغامد والحجر إلى جُرش .

بطون الأزد مما تتلو عنز إلى مكة منحدراً ـ الحجر باطنها فى التّهْمة ألمع ويرق إبنا عثمان فى أعالى حَلى وعشم وذاك قفر الحجر ، وتنومة ، والأشجان ، وبحيان ، ثم الجهوة قرى لبنى ربيعة بن الحجر وعاشرة العرق وأيد ، وحضر وراوة قرى لبنى ربيعة من أقصى الحجر أيضاً ، وحَلبا قرية لبنى مالك بن شهر قبلة الحجر على هذا يمينها مصال لعنز ، ومن شمالها بلد ألوس ، والفرع من خثعم وشرقها ما جاوز بيشة من بلد خثعم وأ كْلُب وغوريها بلد بارق فآل عبيدة من الأزد وحلالهم جرام بن كنانة .

فأول بلاد الحجر من يمانيها عبل وادٍ فيه الحبل ساكنة بنو مالك بن شهر ، وصح وادى زرع وباطنه بهوان وادى زرع وأعناب وساكنه بنو شهر ، وباحان به القرى والزورع ، وساكنه بنو مالك وبنو ثعلبة ، وبنو نازلة من بنى مالك بن شهر بن الحجر وذنوب واد لبنى الأسمر من شهر .

والرهوة : رهْوة بنى قاعد من العدمين من بلاد شهر قرية شعفية على رأس من السراة .

ثم سَدَوان واد فيه قرية يقال لها رحب لبنى مالك بن شهر ، تنومة واد فيه ستون قرية أسفلها لبنى يسار وأعلاه لبالحارث بن شهر .

ثم الأشجان : قرية كبيرة وليس فى السراة أكبر منها بعد الجهوة ، وساكنها بنو عبد من بنى عامر بن الحجر ، ثم بحيان : واد مستقبل القبلة فيه التفاح ، واللوز والثمار ، وصاحبه على بن الحصين العبدى من بنى عبد بن عامر وابن عمه الحصين بن دحيم ، وهم الحكام على بحيان والأشجان والحرا ، ووراء

ذلك الجهوة مدينة السراة أكبر من جرش وصاحبها الجابر بن ربيعة بن شهر الربعى من نصر من ربيعة بن الحجر من بنى أبى أثلة رؤوس بنى نصر بن ربيعة ابن شهر بن الحجر ، ووراء الجهوة زنامة العرق ، وهى لجابر بن الضحاك قرية فيها زروع ، ثم بعدها أيد واد فيه نبذ من قرى وزروع وأهل أيد وجبرة الحجر من قريش وخليطى ، حضر من ورائه واد فيه الجبرة القرشيون .

ثم الباحة والخضراء : قريتان لمالك بن شهر وبنى الغمرة ، حَلَبا قرية لبنى مروان من بنى مالك بن شهر انقضى قرى الحجر .

ثم ريما : واد وعيون كثيرة هو من صدور ترج ، ثم يمج وهو أقصى حد الحجر وأهلها الحارث بن ربيعة .

ثم قطع بين الحجر ويشكر بطنان من خثعم يقال لهما « الوس والفرع فقطعتاه إلى تهامة » .

ثم بلد سررى ثم غامد ثم بلد النمر ثم بلد دوس من وراء ذلك من بلد بجيلة .

هذه هى السروات عند « لسان اليمن » ، وأنت فيها من غموض ولكنه قد جاءنا بما لم تأته الأوائل .

عَسِـــير

وإليك الكلام على عسير عند «الهمدانى» قال رحمه الله :

عسير يمانية تنزّرت ودخلت فى عَنْز ، فأوطان عسير إلى رأس تية وهى عقبة من أشراف تهامة وهى « أبها » وبها قبر ذى القرنين فيما يقال عثر عليه على رأس ثلثمائة من تاريخ الهجرة ، والدّارة والفتيحا ، واللصبة والملحة وطبب وأتانة وعبل ، والمغوث وجرشه والحدبة ، هذه أودية عسير كلها .

ومن النجدى أوطانها : الرفيد ، ووادى هذا وسيعاً يسكنه البشرون من

الأزد وعنقة ، ويسكنه بنو عبد الله بن عامر من عنز تندحة وهى العين من أودية جرش يسكنه بنو أسامة من الأزد وادى طلعان لبنى أسد من عنز والعيبا لعنز والقرعا لشيبة من عنز والمسقى قرية كبيرة ذات مسجد جامع .

والذى يصالى « جنب » من ديار عنز ـ الرفيدة والغوض والراكس وعين الرفيدة وتمنية والعقالة ، وكلها لعنز .

هذا موجز كلام « لسان اليمن » ، وأنت ترى أن الهمدانى بذل قصارى جهده فى تحقيق هذه المناطق اليمنية لأنه حريص كل الحرص على الوحدة الوطنية فأخرجها إلى حيز المعرفة التى كانت شائعة فى ذلك التاريخ .

بينما ابن خرداذابه والبشارى أهمل الكل بدون استثناء ، وياقوت وهو العلامة الضليع واسع الاطلاع المعروف باستقصائه لكل ما وصل إليه أهمل عسير ومدينتها «أبها» ، ولم يتكلم عن السراة إلا كلمات عابرة أكثرها حول اشتقاقها ومعانيها ، ويخرج القارىء من هذه المادة غير مستوفى الفائدة ، وكذا الوزير البكرى فى كتابه « معجم ما استعجم » وعَرّام فى كتابه « جبال تهامة » .

هذا وإن أحسن من تكلم عن هذه المخاليف من المعاصرين على الأسلوب الحديث أربعة رجال هم :

« الشريف محسن بركات» الذى صَاحَبَ حملة الشريف «الحسين» إلى عسير واسم كتابه «الرحلة اليمانية» وحافظ وهبه فى كتابه «جزيرة العرب» وفؤاد حمزة فى كتابه « فى بلاد عسير » وله كتاب آخر « قلب الجزيرة » وعمر رفيع فى كتابه « فى ربوع عسير » .

وكلها طالعتها وهضمت ما جاء فيها مضافاً إلى معلومات استقيتها من مصادر ومشافهات عديدة ، ووضعت الجميع بين يدى القارىء بعد صياغتها بقالب يعطيه

صورة كاملة الملامح عن هذه الأصقاع كأنه شاهد عيان ترفيها له وزيادة لمعلوماته التى قد يصعب الوقوف عليها مجموعة فى غير هذه العجالة وإليك البيان :

كانت « عسير » بما فيها السروات خاضعة لتاج التبابعة منذ العصور القديمة فلما ظهر الإسلام ووفدت القبائل اليمنية ، وكانت تعلن الولاء باسم اليمن وتصدر المراسيم والعهود باسم المناطق اليمنية ، وهكذا دواليك كما سنبين ذلك فى العصر الإسلامى .

واندرج هذا الاعتراف الطبيعى زمن الخلفاء الراشدين، وأيام الدولة الأموية والدولة العباسية ، وكذا سائر الدول التى تعاقبت ولو إسماً حتى عهد الأتراك الأخير ، فقد كانت عسير والسروات متصرفية : لواء مديرية أو محافظة مربوطة بالعاصمة صنعاء كما نوضح ذلك فى الفصول القادمة فى العصر الإسلامى إنشاء الله .

وأهل عسير والسروات أنفسهم لا ينكرون ذلك ويسمون بلادهم بلاد اليمن معتزين بهذا الاعتزاء وما تسمية كتاب « الرحلة اليمانية » إلا من هذا القبيل .

أما موقع هذا المخاليف فقد سلف الإيماء إلى ذلك فى صدر البحث عنها ، وإنها على سمت جبال السرات المتاخمة لبلاد سراة خولان بن عمرو وتجدها من وادعة وجَنْب من الجنوب .

وحدودها فى الزمن الحاضر كما قال الأعرابى لفؤاد حمزة إنها من ظهران إلى زهران . وظهران من بلاد وادعة الشام قبال باقم ، وتدخل فى ذلك (سنحان) قبيلة من جنب لا كما وهم فؤاد حمزة ، إنها من همدان فليس كذلك وهذه الأوطان جنوبية بالنسبة إلى عسير وبالنسبة إلى صعدة فهى شمالها .

كما وأن هذا الحد يشمل بلاد قحطان بأقسامها : عبيدة ورفيدة وغيرها ، وبلاد شهران العريضة من خثعم ، وبلاد بالأحمر ، وبلاد بالأسمر ، وبلاد بنى عمرو وبلاد شهر ، وبلاد غامد وزهران وبارق من الشمال .

وتقدر مسافة ما بين الجنوب والشمال ثمانى عشرة مرحلة .

ويحدها من الشرق بلاد شهران العريضة وبيشة ، ومن الغرب الهضاب والمنحدرات المتصلة بتهامة المخلاف السليمانى كما سنبين ذلك .

وتقدر المسافة بين الشرق والغرب بأربع أو خمس مراحل .

وهذا التحديد صحيح فى عسير والسروات مع تسامح كبير فى دخول بعض نجدها ، ولهذا لم يرتض « فؤاد حمزة » قول الأعرابى فى تحديد عسير ، ومال إلى قول الهمدانى ، ولكنه عزاه إلى أعرابى عسيرى حدثه عن حدود « عسير » الصحيحة قال عسير من « « تمنية إلى شعار » .

وَالأول جبل عظيم فى جنوب بلاد عسير حيث تؤلف الأودية الكبيرة مثل « بيشة » وَ « عتود » وَ « ضلع » .

وَالثانى اسم عقبة مشهورة « شعار » وهى التى سماها الهمدانى « تية » وَهى عقبة من أشراف تهامة ، بينها وَ بين بلاد الأحمر .

وخلاصة ذلك أن بلاد القبيلة المعروفة باسم « قبيلة عسير » تتألف من الجبال وَالأودية وَالسهوب الواقعة بين أعلا سراة الأزد فى الغرب ، وَ بلاد شهران فى الشرق ، وبلاد قحطان فى الجنوب ، وبالأحمر وبالأسمر فى الشمال .

وتقدر المسافة من الجنوب إلى الشمال بالساعات للمشاة بثلاث وعشرين ساعة أى يقارب أربع مراحل وما يقرب من ذلك بين شرق بلاد عسير وغربها .

وتكوين هذه المناطق الطبيعية وارتفاعاتها لا تخرج عن نطاق هذه الهضبة من وعورة مسالكها وصعوبة مجازاتها وكثرة الوهاد والجبال والشعاب والفجوات والأودية ولايمكن اختراقها إلامن فجوات حفرتها الطبيعية واهتدى إليها الإنسان ، وهى التى لا تزال حارساً أمينا على البلاد من جميع الجهات كما فى اليمن الأم .

وقد بالغ فؤاد حمزة فى قدر ارتفاعات جبالها عن سطح البحر واستند إلى

ما سجله (البارومتر) مقياس الارتفاع إلى (٩٣١٠) قدماً بينما جبل حضور وجبل « مسور المنتاب » من أعلا الجبال لا يبلغ ارتفاعهما ثمانية آلاف قدم وعند الشيخ حافظ وهبة إن أعلا جبل فى عسير يبلغ ارتفاعه نحو (٦٠٠٠ إلى ٧٠٠٠) فأنت ترى التفاوت بين الثلاثة آراء ، على أن الشيخ فؤاد حمزة غير مدخول فى أمانته وصدقه .

الزراعة ومواسمها ومواسم الأمطار

والزراعة فى هذه المخاليف لا تختلف عن زراعة المناطق المسامتة لها من فواكه وحبوب وخضار وغير ذلك وكان البن غير موجود بها ولكنه قد دخلها من عهد قريب وبصورة ضئيلة .

كما أن مواسم الزراعة هى بالذات مواسم « اليمن الخضراء » بدون استثنى وكذا مواسم الأمطار المحلية فإنها لا تتخلف قيد أنملة عن مواسم الأم « اليمن الخضراء » .

الأودية

الأودية التى تُصفيها مياه الأمطار من أعلا قمم الجبال المذكورة قد ذكرناها آنفا منها ما ينصب إلى بيشة وتثليث وتندحة ورُنْيَة وَتَرِبَة وَهى نجدية وهى السفوح الشرقية ومنها ما يهريق إلى تهامة وهى السفوح الغربية وسبق ذكرها ، ولزيادة الإيضاح هى وادى بيش ، وادى بيض ، وادى صبيا وجازان ، وادى ضمد ، وادى عتود ، وادى حلى هذه الغربية وغيرها .

الموانى

يأتى ذكر موانىء هذا الصقع عند الكلام على (المخلاف السليمانى) عقب هذا .

قبائل عسير والسروات

يبدو ممـا ألف أخيراً أن القبائل اليمنية هى التى تسيطر على هذه المناطق ولا شىء غيرها ، لا قبيلة عنز التى ذكرها « الهمدانى » فى الجزء الأول من الإكليل وأفرد لها فصلا ذكر بطونها كما نوه بها فى كتابه « صفة جزيرة العرب »، ولا غير عنز .

وكل هذه القبائل يغلب عليها أنها كهلانية وإن كان فيها قبائل حميرية كقبيلة نَهْد القضاعية وكقبيلة بنى مالك وفَيفا وبعض قبيلة قحطان المجاورة لقبيلة خولان بن عمرو فهى قضاعية أيضاً .

وقبيلة قحطان هذه جُمَّاع قبائل يمنية .

وتنقسم القبائل اليمنية الكهلانية إلى ثلاث قبائل: قبيلة الأزد وهى التى تمثل الأغلبية الساحقة والتى تأخذ الأماكن الخصبة والجبال الغربية .

وقبيلة الأزد من أعظم الأحياء وأمدها فروعا وأكثرها شأنا وأعلاها ذكراً والتى تسكن السروات والتى يقال لها أزد السراة .

وهى كما قال «لسان اليمن» : وأما سكن السروات والحجر بن الهنو والِهْب وَباة وغامد ودوس وشكر وحال وعلى بن عثمان ، والنمر وحوالة وثمالة وسَلاَمان والهقوم ، وشمران وعمرو .

وقد سلف عن الهمدانى ذكر بعض تلك القبائل كقبيلة زهران وألمع وشهر ، وشهابة وبالأحمر ما أغنانا عن إعادته .

وثانى القبائل قبيلة وادعة ، وهى التى يقال لها عندنا : وادعة الشام للاحتراز عن وادعة حاشد مثل ما تسمى خولان بن عمرو وخولان الشام

اللاحتراز عن خولان العالية ، ووادعة هذه هى التى فى الشمال الغربى من صعدة ومن قرام ظهران وباقم وأبواب الحديد .

وثالثهما قبيلتا « جنب وسنحان » وهما من مذحج . ومن القبائل الكهلانية قبيلة شهران العريضة وقبيلة أكلب وهما من خثعم التى هى الجرثومة العظمى لهذه الفروع ولا زال لها بطون وأوطان .

وكذا بجيلة التى منها الصحابى الجليل جرير بن عبد الله البجلى .

هذه هى القبائل التى تسكن عسير والسروات وأعراض نجد باعتبار أصولها القديمة أما بطونها اليوم فقد خاض فيها « فؤاد حمزة » وأجاد كل الإجادة وفصلها بمواطنها فارجع إليه فإنه أطال فى ذلك وسنخالف شرطنا فيما إذا تعرضنا لذلك ، وإن كان قد وهم فى إلحاق بعض البطون والفروع إلى غير أصولها الثابتة كنسبة « قبيلة سنحان » إلى وادعة الهمدانية والحال أنها من جنب ثم من مذحج ، ومثل نسبة قبيلة شهران إلى قبيلة الأزد وهى من خثعم ولا غرابة فى ذلك فالنسيان من طبيعة الإنسان .

والشيخ حافظ وهبه حزر سكان هذه المناطق بنحو مليون نسمة كما أن صاحب كتاب « الرحلة اليمانية » استطرد إحصاء النفوس بالجملة وكل ذلك لا يعدو الحزر والتخمين .

العادات الاجتماعية

يلاحظ من كتابةِ مَنْ كتب حول بلاد عسير من المعاصرين من عادات وتقاليد أهلها ولهجاتهم ومواسم ابتهاجها وإقامة الأسواق الأسبوعية لتبادل التجارة وبيع منتوجات البلاد والمصنوعات اليدوية المحلية والإنتاج الزراعى ومبانى المساكن والاحتفاظ بالجميل وإكرام الضيف وإنزال الوافد منازل الكرامة

وغير ذلك من الخلال العربية الأصيلة الكريمة فتكاد تضارع ما تتحلى به (اليمن الأم) إلا بعض عادات سيئة عند بعض القبائل هنالك كالختان ونكاح السفاح وبعض اللهجات الصوتية مما هو مذكور فى كتاب « فى بلاد عسير » فارجع إليه .

المذهب

يتمذهب أهل هذه الأصقاع بمذهب الإمام الشافعى إلا النادر القليل جدا فى الشمال الشرقى فإنهم حنابلة سلفيّون .

المواصلات

الطريق فى عسير والسروات شاقة وعرة المسالك إذ هى باقية على الطبيعة البدائية فى المخارم والعقبات والنُقُلِ والمنعرجات وعلى متن الحمار وكتد الجمل وَظهور الرجال ، وقد فصل هذه الطرق « فؤاد حمزة » .

أما المواصلات الهاتفيّة والبرق والبريد فمفقودة تماماً إلا أن بمدينة « أبهَا » مركزاً لاسلكيا هاماً يصل ما بين عسير وسائر أنحاء المملكة السعودية وَلعله أدخل فى الحرب السعودية اليمنية سنه ١٣٥٣ ﻫ — ١٩٣٥ م .

مدنه وَالتشكيلات الإدارية

كانت مدينة « جرش » هى المركز الهام للمنحدرات الشرقية من سفوح السروات كما كانت هى أيضاً كورة « نجد العليا » كما أسماها « لسان اليمن » مثل وَادى بيشة وَوَادى تثليث وتبالة وَوَادى شهران ، وتندحه ورُنية ، وقد خربت جُرش منذ زمن غير معروف .

أما مدينة « أبها » وهى قديمة أيضاً ، فقد قاومت الأحداث والكوارث وصمدت أمام التيارات المتعاكسة شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، فإنها تعتبر اليوم

اليوم عاصمة هذه الأصقاع كما وأنها إذا قوى حكامها ضمت إليها المخلاف السليماني بموانيه ، ومدنه كما كانت عاصمة السفوح الغربية إذا تقلص ظلها واحتفظت بذلك فقط .

وتقوم مدينة أبها في فسيح من الأرض مربع الشكل يحيط بها جبالٌ من جهاتها الأربع إحاطة السوار بالمعصم ، وفي قمة كل جبل قلاع وعددها جميعاً عشرون قلعة مَحصنة أحسن تحصين وأتقنه .

وجوها من أرق أجواء هذه المناطق وأسلسه وأنقاه ، ومناظر خلابة جميلة وفي مدينة « أبها » ، يقول بعض الأدباء سماعاً من الأستاذ العلامة أحمد أنور المسيري بمنزل الأخ العلامة محمد المؤيّدي في مدينة الطائف سنة ١٣٧٨ هـ :

ألا سقيــا لأبها من بلاد   عليل نسيمها يشفى العليــلا
بلاد ما ألمّ بها غريب   وود مخيّراً عنها الرحيــلا

ومدينة « أبها » محتوية على أربع قرى منفصل بعضها عن بعض ، وأكبر قُراها تسمى « مناظر » ، وبها قصر محمد بن عائض القحطاني المسمى (شذا) الذي يأتي ذكره في التاريخ .

والمباني في جميعها من طابقين إلى ثلاثة ، وجميع المباني بشكل عربي شرقي تضارع المباني في اليمن الأم وتتكوّن من الحجارة والآجر لبعض من اللبن ، وبها ثكنات للجنود وعلى قرية (مناظر) سور من اللبن ، وَالقرية الثانية (مقابل) وَالقرية الثالثة (الخشمة) وَالقرية الرابعة (القُرى) .

وَبمدينة (أبها) وَادى من أخصب الأودية كثير المزروعات والبساتين مياهه تسيل على وَجـه الأرض لكثرتها ، وَبها آبار كثيرة ، وَماء الجميع عذب زلال .

وَقد كانت لعهد الحكم العثمانى الأخير آخذة فى الرقى وَالحضارة بحيث تزايد عمرانها وَانتظم شمل أهلها ، وَنشطت فيها الحركة التجارية لاستتباب الأمن لا سيما فى ولاية محيى الدين باشا وَسلفه ، فإنهما قاما بإصلاحات ذات بال ، ولكنها بعد ذلك مُنِيَتْ بانتكاسات لما أصابها من توالى النكبات .

وَاليوم وَهى مَشْمولة بنفوذ المملكة السعودية قد عاد إليها شىء من الحياة وَالاستقرار . وَمدينة (أبها) تشكل مركز [لواء : محافظة : متصرفية] يتبعها ستة قضوات ، كما كان مربوطا بالعاصمة صنعاء فى أيام الأتراك .

(١) بيشة : وهو الوادى التى كانت مدينة (جرش) تقوم على حافته ، وَكانت بلدة هامة مكونة من جملة قرى، وَأهم مكان بين الطائف وَصنعاء ، ويعتبرها العرب مفتاح اليمن ، واشتهرت بالتَّمْران البيشى والبُجُد : الفراد البيشية ، وَتبعد عن مكة ٢٤٠ ميلا من الشرق الجنوبى .

(٢) تُرْبة : وتقع على بعد تسعين ميلا من جنوب شرق الطائف ، وهى على قارعة الطريق من نجد إلى اليمن ، وهى مدينة مسورة ، وهى فى حجم الطائف وتحيط بها الأراضى الزراعية ومزارع النخيل ، وتروى بمياه غزيرة .

واشتهرت تُرْبة لمقاومتها العنيفة لقوات محمد على باشا سنة ١٢٣٥ هـ الموافق سنة ١٨١٥ م ، كما اشتهرت بمعركتها الشهيرة بين جنود نجد وجنود الشريف حسين تحت قيادة ولده عبد الله سنة ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م . وتُرْبة مدينة البُقوم من الأزد .

(٣) (أبها) وسبق ذكرها .

(٤) محايل : بلدة فى داخلية عسير تبعد عن القنفذة بنحو ٧٢ ميلا ، وهى ملتقى عدة طرق من أبها ، ومن القنفذة ومن حلى والبرك

(٥) خميس ابن مُشْيط : وَهى أكبر مدينة فى أخصب جزء من جنوب عسير وهى وَاقعة بين التلول إلى جنوب وَادى بيشة وعلى بعد ١٢٥ ميلا من شرق الجنوب الشرقى للقنفذة التى تتصل بها بواسطة درب للقوافل ، وَمياهها وَفيرة ومركز هام لتصريف تجارة التمر ، وسميت باسم رئيسها ابن مشيط .

(٦) أبو عريش : هذه مدينة من المخلاف السليمانى فى تهامة ، وَلم تظهر فى التاريخ كمدينة إلا فى القرن الثالث عشر الهجرى ، وَالتاسع عشر الميلادى الذى اتخذها عاصمة له الشريف حمود الذى لعب دوراً هاماً فى ذلك العصر كما نشير إلى ذلك . وَهى على بعد ٧٠ ميلا من شمال اللحية .

(٧) صبيا : يأتى ذكرها فى المخلاف السليمانى .

(٨) القنفذة : يأتى ذكرها فى جُملة المخلاف السليمانى .

(٩) جازان : جيزان يأتى ذكرها أيضاً .

(١٠) حلى : يأتى ذكره أيضاً .

تاريخ عسير والسروات

معلوماتنا التاريخية عن هذه المخاليف ضئيلة بالنسبة إلى أحواله السياسية وَأحداثه ووقائعه وَالأيام وغامض كلَّ الغموض.

وكأنَّ المؤرخين الذين تواريخهم تحت أيدينا والتى من جملتها كتب المعاصرين سالفى الذكر قد أهملوا الكلام عنه بالكلية إلا نتفاً ليست ذات بال .

ولعل مرجع ذلك إلى استغنائهم بما جاء ويجىء فى المخلاف السليمانى الذى يجود لنا أخباراً جمة عن هذه السرواة ، ومن ناحية أخرى أن مجرد الاستيلاء

على المخلاف السليمانى تتداعى تلك القمم الشماء ساجدة وتتنازل من عَلْياء كبريائها وشموخها إلى مستوى الأرض اللينة السهلة : أرض تهامة لِتَعانقها مُعانقة الحبيب لِحَبيبه ، وذلك لاحتياج السروات إلى موانيها الطبيعية الواقعة على البحر الأحمر فتصدر منتوجاتها ، وتمتار من وارداتها ، ولو ظلت صامدة فى كبريائها لأغتالت حياتها بيدها وفى عقر دارها .

يضاف إلى هذا أن السرواة المذكورة غير مُنْجبة لزعماء ورؤساء يقتادون الصحاب ويمسكون الزمام ، ويقاومون الغزاة ، ويكبحون جماحهم ، وسر ذلك غلبة الجهل وعدم الطموح وبعدهم عن مجرى السياسة واحتكاكهم برجالها فهم أشبه بالرعاع ، ورعاة الشاة والإبل ، فلا يعرفون من دنياهم غير السَّراح والرواح لماشيتهم وإلى ومن حقولهم ومزارعهم .

وسيمر بك فى التاريخ الإسلامى لمحات سريعة عن ما جرى فى هذه المخاليف ، وأكثرها بروزاً أيام محمد بن عائض القحطانى ، وأيام الشريف حمود وعصر محمد بن على الإدريسى ، وما بعد ذلك كما سنبينه فى مواضعها إن شاء الله .

المخلاف السليمانى

تسميته — حدوده — سكانه — قبائله — مذهبه — زراعته — حيواناته — وأحداثه .

لعب المخلاف السليمانى دوراً هاماً فى التاريخ اليمنى منذ أقدم العصور وإلى يوم الناس هذا ، فقد كان خاضعاً للتاج الحميرى ، إذ جاء فى الآثار والنقوش نشوب معركة بين أهالى المخلاف وبين الملك التبع « شَمَّر يُرْعِش » ، وإنه

انتصر على الأعراب ، وقذف بهم إلى البحر كما أنه يوجد فى نفس الخلاف أحجار عادية ، ونقوش حميرية ذات أهمية قصوى[١] .

وجاء الإسلام والرأس والسلطان فيه لبنى عبد الجدّ الحكميين فوفد منهم رئيس الخلاف عبد الجد بن ربيعة الحكمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبسط له رداؤه وقربه إليه ، وعاد إلى قومه فنشر فيهم الإسلام .

وكان يسمى مخلاف الحكم نسبه إلى الحكم بن سعد العشيرة بن مذحج ، ولا زال كذلك وفى أيدى الحكميين إلى أن نبغ « الأمير سليمان بن طرف الحكمى » ، وتغلب على ابن زياد صاحب « زبيد » وذلك فى القرن الرابع الهجرى ، فانسحب عليه اسم «المخلاف السليمانى» نسبة إلى هذا الأمير وإلى يوم الناس هذا .

وحدوده هى كما نص عليه «لسان اليمن» من الشمال : جبل كدمل وأم جحدم أى ما يصالى مدينة « حلى بن يعقوب » أى حدود اليمن الطبيعى .

وجنوبا « عبس بن ثواب » المعروفة المشهورة ، وشرقا خيف الجبال المطلة عليه كأفلح وأسلم والجيمة من حجور وعنمل ومطرق والعارضة من رازح خولان ثم السروات المذكورة آنفاً وغربا البحر الأحمر .

فالمخلاف المذكور فى بطن تهامة إلى ما تطامن وانخفض من الجبال، وطوله كما قدره « لسان اليمن » مسافة خمسة أيام ، أما عرضه من البحر إلى الجبال ، فكما بين الحديدة وسائر تهامة أى ما يقارب ثمانين أو سبعين كيلو متراً .

وقاعدة المخلاف قديماً ، وإلى ما بعد القرن السادس الهجرى مدينة « عثّر » بالتخفيف والتشديد ، وقد جاء ذكر « عثر » فى النقوش الحميرية التى شادت بذكرها .

---

(١) راجع المختصر للغة الجنوب لغويدى .

كما أثنى عليها « لسان اليمن » وقال : وهو مخلاف عظيم ، وثغر جميل ، وَسَاحل جليل .

وقال « البشارى » : ناحية « عثر » ناحية جليلة عليها سلطان يرأسها ، وعثر مدينة طيبة مذكورة لأنها قصبة الناحية ، وفرضة « صنعاء » و« صعدة » .

وقال « عمارة » : هى دار ملك عظيم .

وهى اليوم أطلال وخرائب ، وحل محلها مدينة جازان « جيزان » ، وهى أيضاً قديمة جاء ذكرها فى الحديث النبوى .

ويقع ميناء « جيزان » على بعد ٢٠٠ ميلا من الجنوب الشرقى للقنفذة ، وهى واقعة أمام مجموعة جزائر فرسان ، ويحيط بها من جهة الداخل جبل جيزان ، وبالبلد بعض مبان بالحجر ، ولكن الجزء الأكبر من بيوتها مبنى باللبن ، والمياه فى البلدة قليلة جداً ، ولكن على بعد ثلاثة أميال ، ونصف من شمال شرقى البلدة توجد آبار مياه .

وسكانها يبلغون ألف نسمة ، وهم يشتغلون باستخراج اللؤلؤ ، ويقرب « جيزان » جبل ملح حجرى ، ويظهر أنها قد تحسنت فى الأيام الأخيرة ، وتزايد سكانها .

(٢) ومن مدن المخلاف مدينة « ضمد » الواقعة فى وادى ضمد المشهور ، وقد أنجبت كثيراً من الأعلام تضمنتهم كتب التواريخ ، كما جاء ذكرها فى الكتب القديمة .

ومن المدن الحديثة « أبو عريش » ، وقد سبق ذكرها .

(٣) وَ (٤) ومن مدنه القديمة مدينة « ساعد حرض » و « الُخصُوف » وهما غامرتان .

(٥) صبيا : من مدن الداخل وتبعد عن جازان فى الجنوب الشرقى بمسافة عشرين ميلا ، وهى قديمة الاختطاط ذكرها الهمدانى ، وصارت فى عهد قريب عاصمة الأدارسة ، وبها قلعة قديمة .

وتتكون بيوتها من الطوب المحرق الأحمر ومن اللبن ومياهها غزيرة ، ولها واد وسيع ، وسكانها نحو عشرة آلاف نسمة .

(٦) حرض : من مدن الداخل وتبعد عن البحر بنحو عشرين ميلا .

وتتكون بيوتها من اللبن والآجر ، وبها مسجد جامع وقلعة ، وقد هدمتها الفتنة ، وأهلها مشردون ، وتقوم فى واديها الخصب الجميل ، وبها آثار حميرية ، وبها عقد مؤتمر السلام الذى كنتُ أحد أعضائه أيام المآسى الطاحنة مرتين وفشل ، وكثيراً ما يحدث فيها فتن وقلاقل ذات أهمية ، ويأتى ذكر ذلك مفصلا فى التاريخ الإسلامى .

موانىء المخلاف

(١) ميدى : وهى ميناء حديثة العهد لم تظهر إلا فى الحرب العالمية الأولى ، أى قبل خمسين سنة ، وبيوتها مكونة من أكواخ ، وبيوت الطبقة الأولى من الآجر ، وثانيهما من اللبن ، وبها عدة مخافر للجنود وثكنات عسكرية مبعثرة هنا وهناك .

وموقعها صالح لإقلاع السفن وإرسائها لو أصلح لها رصيف على الطراز الحديث ، وأهلها فى مسبغة وحالة يرثى لها .

(٢) الشَّرْجَة : من الموانىء القديمة وكانت مدينة ، وثغر هذا الحيز ، وقد أثنى عليها كل من البشارى ، وابن خرداذابه ، وابن بطوطة ، كما نوه بها « لسان اليمن » ، وعُثر فيها على أحجار أثرية مكتوبة ، وهى اليوم أطلال وخرائب .

(٣) القنفذة : وهى بلدة صغيرة مسوَّرة وَمكوّنة من جملة بيوت وَأكواخ على شاطىء البحر الأحمر .

وتقع على بعد ٢٠٠ ميل إلى جنوب جُدَّة ، وسكانها زهاء أربعة آلاف نسمة وَيجلب لها الماء الحلو من حفائر على بعد ميلين ونصف فى الداخل ، وهى ميناء « أبها » عسير الرئيسى وتقع على بعد ٧٢ ميلا من محائل .

(٤) حَلى ، ويقال لها حَلى بن يعقوب : نسبت إلى ابن يعقوب الذى كان يديرها ويترأسها ، وهو من كنانة ، وقد جاء ذكرها منفردة عن اسم ابن يعقوب فى الكتب الآنفة الذكر مما دل على قدمها .

وتقع على بعد أربعين ميلا جنوب القنفذة ، ومبانيها على طراز البنايات التى فى تهامة .

وبقربها توجد قمة حلى المشهورة الأثرية ، وهى على شكل مخروطى .

(٥) البِرك : ويقال لها بِرْك الغِماد الذى جاء ذكرها فى الحديث فى رأى وقول بعض العلماء ، ولو ضَربْتَ بنا « برك الغماد » فى إحدى التفاسير أنها هذه[1] وبينها وبين جُدة خمس مراحل .

(٦) ومن الموانىء القديمة « اللَّيث » وهو ميناء مشهور .

(٧) الشُّقيق : من الموانىء الحديثة

(٨) القحمة : وهى غير القحمة التى تقدمت .

وهؤلاء الأخيرات خارجات عن اليمن الطبيعى والخلاف السليمانى .

أوديتها المشهورة

سبق التنويه بها غير مرة ونزيدها ذكراً .

(١) أولها وادى عبس : وهى أيضاً من مدن الخلاف .

ومأتيه من بلاد الشرف الموطئة الأكناف كأسلم وأفلح والحجيسين وغيرها .

---

(١) راجع ج ١ ص ٣١٨ من الإكليل وصفة جزيرة العرب والدامغة .

(٢) حيران - بالحاء المهملة والياء المثناة من تحت والراء وآخره نون - . ومصباته من بلد حجور من مسنهاء وكشر وغيرها ، ويسقي واديه ويخرج ما بين ميدى وميناء ابن عباس .

(٣) خَذْلان والشعاب ، وضبطه بالخاء المعجمة وسكون الدال المهملة آخره نون ، ويهريق إليه أيضاً من جبال حجور وينصب شمال ميدى .

(٤) وادى حرض : سبق ذكر مصباته وذكر روافده ، ويخرج إلى اللصاب قُدّام قفل حرض ، ويسقى وادى حرض والموسم الذى هو اليوم بيد السعودية ، ويخرج إلى الشرجة الميناء القديم .

وسائر الأودية سبق ذكرها فى (ص ٥٠ و ٥١) فلا حاجة للتكرار ، فربما يسأم القارىء ، وينسب ذلك إلى الغلط والنسيان ، والله من وراء القصد .

قبائل المخلاف

الذى يغلب على هذا المخلاف قبيلة حكم بن سعد العشيرة من مذحج ، وقد تفرعت إلى فروع وبطون وأفخاذ يطول ذكرها ، ونبذ من خولان وهمدان وخزاعة .

وكانت قبيلة حكم من السّابقين الأولين إلى الإسلام والمساهمين فى الفتوحات الإسلامية ، ونبغ منهم قادة وفرسان ونبلاء مذكورون فى التاريخ ، كما لمع من نفس المخلاف أدباء وعلماء ورؤساء حوتهم الكتب المؤلفة فى هذا الشأن .

المذهب

المذهب المعروف فى هذا المخلاف هو مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعى لا سوى هذا فى الفروع وفى الأصول على مذهب الإمام أبى الحسن الأشعرى .

أما الإنتاج الزراعى والثروة الحيوانيّة فلا تختلف عن ما سلف ذكره ، وكذلك مواسم الزراعة وهطول الأمطار وتدفق السيول إليه .

والمواصلات بدائية فلا تعبيد طرقات ولا تسهيل للمواصلات إلا بالطرق الأولية ، ورغم تدفق الأموال في المملكة السعودية بصورة لا تعقل ، فلم يحصل لها لفتة رحيمة ونظرة عامة من نظرات الإصلاح الحقة البريئة من شائبة الارتياب .

تاريخ المخلاف السليماني

إن تاريخ المخلاف السليماني واضح المعالم وقسمات أحداثه لا غبار عليها ، فهو لا يحتاج إلى كبير عناء ، غاية ما في الأمر أنه يرجع إلى ما كتب عن الأم « اليمن » وإلى ما كتب عن المخلاف نفسه ، وهي متوفرة لا سيما من حوالي القرن العاشر الهجري .

لهذا فقد أخرنا البحث عنه في هذه السطور إلى أن يجيء المحل اللائق ليلتحم التاريخ بانتظام ، ويستطيع القارىء أن يكوّن فكرة صحيحة عن اليمن الخضراء ككل ، وعن كل جزء منه مزّقته الأهواء والخلافات حتى صار نهباً مقسماً .

وبانقضاء الكلام على المخلاف السليماني انقضى موضوع الحديث عن «جغرافية اليمن الطبيعي» متكلا على من بيده الحول والطول بالشروع في العصر الحضاري سائلا منه أن يمدني بروح من عنده مقروناً بالتوفيق والسداد وإصابة الصواب ، وأن يوزعنا شكر نعمته إنه ولينا فنعم المولى ونعم النصير .

هذا وأما بقية المواضيع التي تتعلق بالجغرافية كالعادات والحالة الاجتماعية واللهجات ونبرات الأصوات ونسبة المتفقهين والتعليم والاقتصاد ، وغير ذلك مما لها مساس في هذا الموضوع ، فقد أرجئناها كلها إلى قسم التاريخ الذي عشت فيه واستوفيت كل ما علق في الذهن .

البَابُ الثَّانِي

العصر الحضارى القديم ، أو اليمن الحضارى

وفيه تمهيد وستة فصول

التمهـــيد

اخترنا هذا العنوان الذى لم يسبقنا إليه أحد من المعنيين بتاريخ العرب قبل الإسلام بدلا عما أَلِفَهُ المؤرخون ودرجوا عليه قديماً وحديثاً من تسميته بالعصر الجاهلى ، أو عصر ما قبل الإسلام ، أو تاريخ العرب القديم ، لأن هذا الاسم « العصر الحضارى » هو الذى ينطبق على الحقيقة منذ بزوغ شمس الحضارة على ربوع الخضراء التى لم تعرف الجهالة يوماً ما ، فإنها كانت أمةً راقيةً لها آداب ناضجة ولغة راقية وعمراناً باذخاً وثقافة وتمكن ، كما يلمسه القارىء فى الفصول القادمة .

ولا حظّ للرأى الذى كان سائداً بين المؤلفين بما فيهم المستشرقون قبل أن يزيحوا الستار عن مخدرات الآثار ، ويكشفوا النقاب عن الحقائق اللامعة فى صميم الأحجار ، محتفظين بالجميل للدكتور « غوستاف لوبون » الذى فَنَّدَ رأى كثير من الأفرنجة لتلك المزاعم[1] .

ذلك الرأى هو أن العرب ليس لهم حظ فى الحضارة ولا قدم ولا تاريخ لهم ولا تمدن ، ولم يضربوا بسهم فى شىء من ذلك ؛ وإنما هم عبارة عن بدو رحل رعاة شاء وَحُداة إبل ينتجعون البرارى وَالقفار لطلب الكَلَأ وَالمرعى حيث مساقط

---

(١) انظر كتابه « حضارة العرب » ص ١٨ ، ورده على رينان المتعصب .

الغيث فيقيمون فيه ردحا من الزمن فإذا أدركهم الجدب وصوّح العشب ونبا بهم المنزل رحلوا عنه إلى غيره حيث الخصب والريف وهلم جرا يفترشون الغبراء ويلتحفون الزرقاء، فى يد الواحد منهم الفأس للاحتطاب ليضرم النار فى الصحارى وتحت الخيام فيعشون الى ضوئها ويدفئون بحَظْوتها، وفى اليد الأخرى السلاح للصيد والقنص ولِدَرْأ عادية ذات المِخْلب والناب وللغزو والسلب والنهب والقتل لا يرى فى ذلك بأسا وهكذا دواليك .

ومن ثم سموا العصر الذى قبل الإسلام — العصر الجاهلى لما اشتمل عليه من ظلمات وجهل وفوضى ونحو ذلك .

واطلقوا هـذه الظاهرة على الإنسان العربى بدون استثناء وغاية ما قالوا عنهم أن هناك « اليمن » الجزء الجنوبى من جزيرة العرب فيها نماذج من القرى والمبانى والمزارع التى تدل على الاستقرار وأنهم أصحاب مدن وتعايش سلمى ، ولـكن لا قيمة لها ، ولا ولن تساوى الادعاءات العريضة والمبالغات الطويلة من جانب اليمنيين الذين ينْعتون ملك أسلافهم بالضخامة واتساع رقعتهم التى بلغت أقاصى الجزيرة وتجاوزت إلى غيرها من الممالك النائية كالصين وسمرقند والظلمات .

وكما يزعمون أنهم أشادوا القصور الفخمة ذات الارتفاع البالغ عِنان السماء والهياكل العظمى المطرزة بأنفس الجواهر واليواقيت والذهب والفضة وأنواع الأعلاق النفيسة مما هو أغرب من الخيال وما لا يتصوره عقل إنسان وأنّ وان إلى غير ذلك من المزاعم والأباطيل .

وفنّدوا هذه الأخيلية فقالوا إنها من الأساليب التى يتخذها العاجز المغلوب على أمره ليسلى بها نفسه ، ويطربها بالحلى والزينة ليذهب عنه همه وحزنه ، وليستر ضعفه ويعوض النقص الذى لحقه بعد ظهور الإسلام الذى صار اليمنى بعده تابعا لا متبوعا لحيازة إخوانه دونه الفخر والسؤود بمبعث صاحب النبوة محمد

صلى الله عليه وسلم الذى اعتزوا به وأصبحوا عليهم ظاهرين متعالين كما وهو رأى جميع العرب ليباهوا بذلك دولة الفرس المغلوبة على أمرها ودولة الرومان الشرقية التى صارت فى عقر دارها تحت رحمة العرب .

كذا استثنوا حضارة « أشور وبابل » العربية بعد اكتشافها والتى يقال إن حضارتها مستقاة من حضارة « اليمن الخضراء » وكذا حضارة « مصر » بعد اكتشافها .

هكذا ظلت عقلية المؤرخين المذكورين آنفاً ـ إزاء العرب وتاريخهم وكانت نظرتهم إلى تاريخهم نظرة استهزاء واحتقار واعل عامل التعصب من مؤرخى الأعاجم والمستشرقين ، وعامل السياسة حجب عنهم وجه الحقيقة على أنه يقال إن صح تعبيرهم بالعصر الجاهلى فإنا نتسامح معهم على واقع قبائل عرب شبه الجزيرة أهل الصحارى المحرقة والنجود الجرداء .

الفصل الأول

قصة اكتشاف الآثار فى أرض الآثار

مضت الأيام جادة ـ والآثار راقدة فى مكانها مطمورة تحت السافيات لتبلور الحقيقة ناصعة على أيدى المستشرقين أنفسهم حين أطلت على العالم النهضة الحديثة الجبارة الأوربية خلال القرن الثامن عشر الميلادى حاملة معها أفكار جديدة تواقة لاستطلاع كل دقيق وجليل وكشف أسرار الكون وما فيه من غرائب ومعميات .

لقدظلوا يتساءلون عن تاريخ العرب الذين غيروا مجرى التاريخ إبان نهضتهم الأولى فى صدر الإسلام وبعد ما خرجوا من جزيرتهم حاملين السيف فى يد والدين فى اليد الأخرى وكيف التهموا دولتى القياصرة والأكاسرة فى بضع عشرة سنة فأصبحتا أثراً بعد عين مما لم يُسمع بمثله فى تاريخ الأمم قديما وحديثا ولم يتفق لأمة ما اتفق لأمة العرب من النفوذ وامتداد السلطان والنظام ، الأمر الذى نبههم إلى تقصى الحقيقة نحو تاريخهم القديم وهل قديمهم مثل حديثهم الذى فيه أقاموا الدنيا وأقعدوها وكيف كان حالهم قبل خروجهم من جزيرتهم فإنهم لا يأتون بمثل ما جاءوا به فى صدر الإسلام إلا ولهم تاريخ عظيم وقديم سابق له مؤثرات وأسباب .

أول اكتشاف

وفى نفس الوقت الذى انبعثوا لمواصلة البحوثات هدتهم أسفارهم فى هذه الحقيقة بالذات — إلى طريق الهند عن طريق البحر الأحمر ومصر وسمعوا ما يتناقله أهل شواطىء اليمن عن آثاره المدفونة فى الرمال وأنقاض أوطانهم ،

وَعليها كتابات لم يستطع أحد حلها أغرتهم هذه الحكايات مضافة إلى ما وَجدوه فى الكتاب المقدس وما قرأوه فى كتب مؤرخى اليونان وَالرومان — إلى مواصلة البحث ليَقِفُوا على جلية الأمر .

الإكليل وأثره فى الاكتشاف

كان الجزء الثامن من الإكليل للمؤرخ الكبير الفيلسوف « لسان اليمن » هو المفتاح السحرى للمكتشفين للآثار وكان له أكبر وَأعظم الأثر البالغ فى تحفيز نفوس المستشرقين إلى مضاعفة الجهد وَبعث هممهم إلى وصول الغاية التى تصبوا إليها أفكارهم . فقد وفد عليهم هذا الجزء فى نفس هذه النهضة فأقبل عليه المستشرقون يقتلونه بحثا وَتحقيقا فى عمق وإمعان .

وسرعان ما صدمتهم تلك الأقاصيص عن حضارة « اليمن الخضراء » وقصوره وأبراجه وَهيا كله ومحافده وسدوده الكثيرة التى كانت فى زعمهم أشبه بالخرافات أو أغرب من قصة ألف ليلة وَليلة وَأفاقوا وَكأنهم فى حلم من الأحلام .

وبدون شك إن ما حمله الجزء الثامن من الإكليل بين دفتيه ألقى ضوءا على آثار « الخضراء » بدّدت تلك الشبهات التى علقت فى أذهانهم وزعزت هاتيك النظرية المازئة فى سخرية واحتقار .

كما أيدت ما عندهم من المعلومات السالفة الذكر ألا وَهى :

(١) كتب الرومان واليونان ، (٢) ما جاء فى الكتاب المقدس ، (التوراة) عن تمدن البلاد السعيدة (٣) ما تلقفوه فى أسفارهم إلى الهند من أخبار أهل شواطىء اليمن .

ولم تقف فائدة الجزء الثامن من الإكليل على تلك الأضواء فرغم أنه هدم ما كان يجيش فى خواطر أولئك المستشرقين الفطاحل وغيرهم عن تاريخ العرب القديم — ألقى أشعة ساطعة عن معلومات أخرى هى أحرى بالعلم وأجدى نفعاً وأنصع دلالة على أمانة العالم المتقى ربه .

ألا وهو تسليم مقاليد الخط الحميرى وحروفه الأبجدية بما وضعه فى غضون تلك البحوث فى ذكر بعض الأماكن الأثرية ومواقع التمدن ومدن هيا كله ليتسنى لقارئها أن يهتدى إلى تلك الأسرار والطلاسم الأثرية وأما كنها فلا يكلفه عنها البحث والمشقة والارتياب بهذا الصنيع الذى قدمه « الهمدانى » والإرشادات التى دلتهم على أماكن الآثار والهيا كل والمحافد الأمر الذى زادهم شغفاً إلى المغامرة ودفعت عجلة الارتياد قدما .

طلائع الاكتشاف والمغامرات

لم يبق أمام الباحثين المستشرقين إزاء هذه العوامل المغرية والمعلومات الشيقة الكثيرة إلا ارتياد (الخضراء) واقتحام الأخطار مهما كلفهم الأمر ليحققوا للمعجزة ويطبقوا النظرية المتزاحمة فى عقولهم التى انبثقت عن التمدن الحديث وما حملته النهضة الجبارة مما اكتشفه العلماء من نواميس الكون وقواعد الوجود .

تلك النظرية هو السير على المنهج العلمى الذى بنوا نظرياتهم العلمية عليه فى نفس موضوعنا وفى غيره فلا تخولهم قبول أمثال تلك الحكايات على علاتها وهذه الأساطير على عواهنها دون عرضها على مخبر التمحيص والتحليل القائمين على أسس متينة معتمدةً على المادة وعلى المحسوس كالمشاهدة والعيان ونحوهما أو على القياس المنطقى ونبذ غير المعقول .

وهى لعمرى نظرية عميقة صحيحة وفلسفة صادقة وحقيقة لا تقبل الشك ولا يتطرق إليها الارتياب .

وهذه النظرية التى هى طريقة التجربة والاستقراء التام طريقةٌ قديمة قد سبقهم أسلافنا قبل ألف سنة كالمعتزلة والأشعرية وغيرهم فليست جديدة علينا إلا أنها

دُرِست ونُسِيت فى التطبيق العلمى والعملى فى الشرق بعد ما فشا التقليد وأهدر العقل وأخمدت جذوة الجدل والمناقشة ونزحت إلى الغرب ، وأخرجها الغربيون بثوب ناصع طبقوها فى العلم والعمل وعادت إلينا ظانين أنها وليدة الغرب وأنها جديدة علينا وحديثة فينا ، وذلك نتيجة الجهل وتناسى ماضينا .

العلم حافز قوى والإرادة القوية لا تُقهر

ألح العلم على المستشرقين الأفاضل بنبذ كل الخرافات والخيالات الحائلة دون الوصول إلى المعرفة الحقة فتزايد الشوق واستولت عليهم الحيرة للوصول إلى تلك البلاد القاصية والأراضى النائية بلاد العفاريت والشياطين والتنائف المحرقة والصحارى المهلكة وظنوا بل تيقنوا أن الوصول إليها ضرب من المحال لما يكتنفها من متالف ومخاطر ومخاوف فيها إزهاق أرواح وربما لا تعود على العلم بجدوى .

وفى هذه الحالة المضطربة المهلهلة قضت العزيمة الصلبة والإرادة الفولاذية على الخيالات ، والعزيمة إذا كانت نابعة من القلب فإنها لا تُقهر والعلم الذى هو نور وحافز قوى يتغلب على الظنون والأوهام ويكتسح كل شىء ،ولا يقف أمام الإرادة القوية والعلم النزيه أىُّ عقبةٍ فغامر كثير من العلماء المستشرقين الأوروبيين الذين فضلوا الخلود والمجد وخِدْمةَ العلم إلى ارتياد « الخضراء » وَسجلوا بتلك المغامرة أروَع مثال للتضحية وَالفداء طلبا للمعرفة اليقينية وَكشفاً للحقيقة الواقعية .

وَكانت المغامرات فى فترات متفرقة وَبلون من ألوان للمغامرة فتارة يقوم بها فرد بمجرد حافز من تلقاء نفسه وَحيناً تتكون بعثة من عدة أشخاص من ذات أنفسهم أوَ من قِبَلِ حكوماتهم أوَ نحو ذلك .

وَوَاجهت هؤلاء الرحل الأفاضل وَالبعثات المحترمة شتى المشقات بالغة الخطورة

فنهم من قضى نحبه ولقى حتفه ومنهم من أصيب بالعمى والشلل أو مرض الأعصاب أو فَقْدِ أعزِ ما يملك أو غير ذلك .

كما أن منهم من كُتِبتْ له السلامة فجاء بجماعة وقليل ماء بينما آخرون عادوا وهم يجُرُّ الحقائب وقد ملأوا الدلو إلى عقد الكرب من النقوش والآثار التى بلغت إلى ما يزيد على ألفى نقش تضمنت معلومات قيمة قلبت تصوراتهم رأساً على عقب وحالت ما كان خيالا مشكوكاً فيه إلى واقع ملموس وحقيقة ماثلة للعيان واعترفوا بتمدن الخضراء وحضارتها عندما استنطقوا النقوش والكتابة التى اسدت للعالم والعلم أيادى عظيمة بِفَضْل مغامرة هؤلاء الفطاحل الذين تقرن أسمائهم بكل تقدير وإعجاب وثناء خالد وبما قدموه من ثمار طيبة دانية القطاف أشرقت لها ربوع الخضراء وأضفَتْ عليها حُلةً قشيبةً من المجد والعظمة .

كما اعترفوا بالفضل لذى الفضل العلامة « لسان اليمن » بالصدق والأمانة حيث ألفوا كلامَه يمثل الواقع بدون مبالغة ومجازفة وأنه حَبْر كبير وسجل أمين حافل بالمعلومات النادرة وأنه كتب عن تاريخ وطنه فلم يَعْدُو الحقيقة .

وتكاد تكون كلمة المستشرقين كلمة إجماع فى الثناء على الهمدانى والمدح لمجهوده العلمى وإليك بعض ما قالوه فيه .

جاء فى الانسيكلوبيدية الإسلامية أنه لم يوجد بين كُتَّاب العرب من جاء بتاريخ حقيقى عن اليمن وبمعلومات مؤسسة على قواعد متينة مثل « الهمدانى » فقد كان هذا الرجل يمانيا مولوداً فى « صنعاء » فحمله حب وطنه والإعجاب بقومه على تأليف كتاب « الإكليل » الذى ذكر فيه تاريخ اليمن ووصف الماديات التى فيها .

وإن الهمدانى صادق فى كل ما ذكره عن آثار أجداده بدليل أنهم شاهدوا

تلك الآثار بعد أن وصفها فى كتابه[1] .

على أن كل ما استكشفه المستشرقون هو ما كان ظاهرا على وجه الأرض وفوق الركام وهو لا يُعَدُّ شيئا بجانب ما غطته السافيات وتحت الرمال وثنايا الأنقاض وما هو مدفون وما فى بطون المقابر وجرفته السيول ولو أتيح ليد العلم ولابن اليمن البار سليل الأقيال والعياهلة لبعثها ثورة مدوية نحو تراث آبائه وأجداده وغاص فى كل حدب وصوب يُنَقِّب عن الآثار ويبعثر المقابر وينشل الأنقاض ويرفع عنها ثقل القرون الخوالى ويزيح الستار عنها فى دقة وأمانة وإخلاص مستعينا بخبراء أولى أمانة وثقة ومعرفة تامة لعثر على ما يدهش الألباب ولبرزت حقائق قد تغير مجرى التاريخ ليس فى وطنه الحبيب فحسب بل فى الجزيرة العربية كلها .

وإنّا بفارغ الصبر ننتظر هذا الصوت المجلجل ينبعث من أعماق الشباب فيدوى فى أصماخ القادة المسئولين الذين يتصاممون عن هذا الوجه الوجيه فينبروا لهذا العمل الجليل بقلوب ملؤها الغبطة والسرور ليسجلوا ثورة من نوع آخر ثورة عارمة أحب وأشهى إلى القلوب والنفوس من إزهاق الأرواح والدمار والخراب ويُتم الأطفال وتأيم النساء إذ العلم والمعرفة غذاء الأرواح والأجيال المتلاحقة بالفخر والمجد .

هذا ولسنا بحاجة إلى سرد أسماء هؤلاء العلماء الأعلام المكتشفين للآثار فى البلاد السعيدة وما لاقوه من عنت وحرج وموت زُؤام ومرض عقام ولا أن نسجل قائمة بجلائل أعمالهم الجبارة فقد كُفينا مؤنة التعب بما كتب عنهم وعن أخبارهم وأسمائهم ومغامراتهم الكتب العديدة النافعة والتى سجلت لهم صفحة ناصعة هى أخلد من الخلود وأبيض من صفحة المولود .

---

(١) تعليق الأمير شكيب عن ابن خلدون

ومن أحسن ما ألف فى أخبار المستشرقين الذين كشفوا عن آثار اليمن كتاب « اكتشاف جزيرة العرب » لجاكلين بيرين .

ولكنّ إنصافاً للحق واعترافاً للجميل والفضل وتقديرا لجهودهم العظيمة لابد من تسجيل كلمة عابرة لمشاهيرهم وأوّل من حقق الفكرة وفاز بالقدح المعلى .

الرائد الأول أو المغامر الأول

أول هؤلاء الأبطال المقاحيم المجازفين بالنفس والنفيس والذى اشتهر منهم وحمل لواء هذا الجهد القاسى وجاس خلال الديار فى خدمة العلم فى هذا المضمار وكشف النقاب عن مخبآت حضارة اليمن الخضراء هو العلامة المستشرق كارستين « نيبور » الألمانى وتارة يسمى الدانمركى الذى تعتبر حملته ورحلته أول بعثة وطئت أقدامها « الخضراء » ولكن قساوة القدر حكم على هذه البعثة بالفناء فى مدد متفاوتة ، ولم يبق من أفراد البعثة غير رجلها العصامى « نيبور » الذى حقق المعجزة وَبر بوعده وَبرهن على تفوق عزيمته وَقوة إرادته وَشدة شكيمته وَعظيم مغامرته .

فقد فارقت البعثة فى ٤ يناير سنة ١٧٦١ م الموافق سنة ١١٨١ هـ كوبنهاجن عاصمة الدانيمرك على ظهر طراد حربى إلى أزمير فاستنبول فمصر فبلاد اليمن التى بلغها حوالى أوَاخر سنة ١٧٦٢ م ، أى بعد سنة من إقلاعه من الدانيمرك .

ثم لم يزل القدر يقتنص أفراد هذه البعثة وَأول من مات منهم فى المخا وَثانيهما فى مدينة « يريم » وَهلم جرّا إلى أن بقى « نيبور » وَحيدا فريدا غير متأثر بالوحشة التى تمزق نياط القلب لفراق رفاقه وَلا بالغربة التى يقاسيها وَلم ينهزم أو تتضعضع عزيمته فقد قام بإكمال رحلته أتم قيام ليس فى اليمن فقط بل فى الهند وَغيرها وَطالت غيبته عن وَطنه قرابة ثلاثين سنة أى ما يزيد على ثلث قرن وَلم يشاهد الأرض الذى خرج منها وَعاد إليها وَهى « كوبنهاجن » إلا سنة ١٧٩٧ م الموافق سنة ١٢١٧ هـ .



الرائد الأول والرحالة العظيم
المستشرق « نيبور »



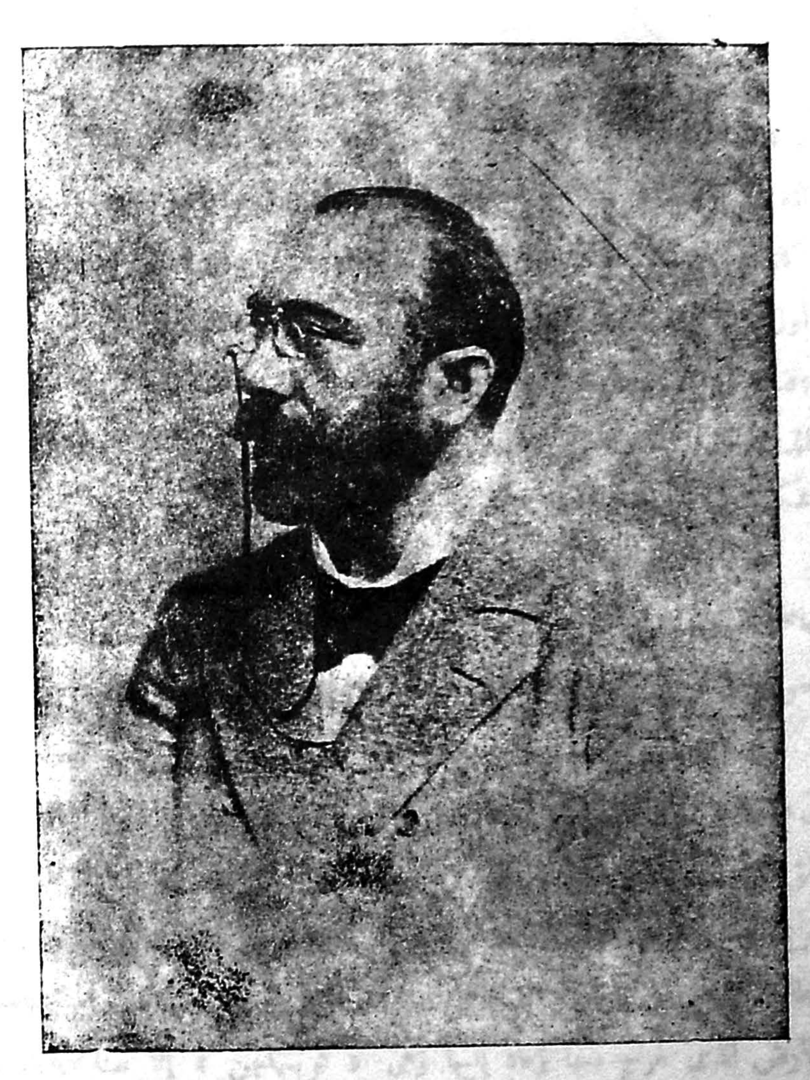
المستشرق العلامة « هاليفى »



الدكتور الكبير خليل نامى



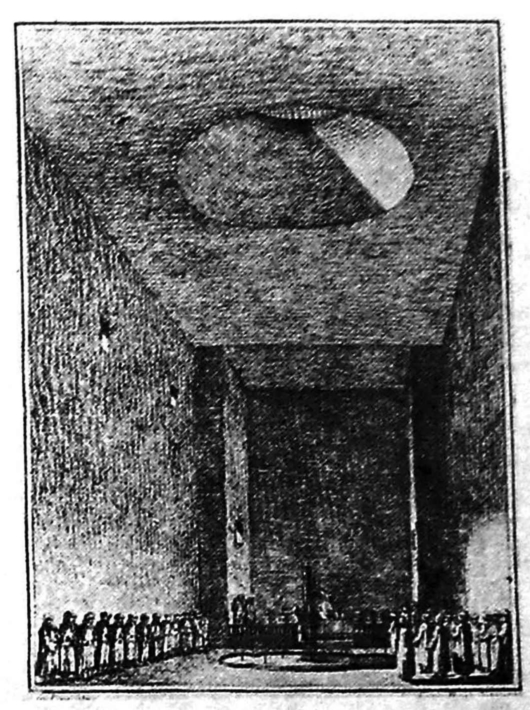
الدكتور الكبير أحمد فخرى



المستشرق « جلازر »



المستشرق « نيبور » بملابسه اليمنية



بلاط الإمام المهدى العباس بن المنصور بن حسين
بريشة نيبور قبل مائتى سنة وسبع سنين

وَأتت رحلته بثمار طيبة وَقد طبعت نتائج رحلته فى ألمانيا وَغيرها كما ألف هو رحلةً استوعب فيها ما رأى وَما سمع مع وَصف دقيق لمشاهداته .

وَمما هو جدير بالذكر أن « نيبور » اتصل فى صنعاء بالإمام المهدى « العباس ابن المنصور حسين بن المتوكل قاسم بن حسين » وَرسم بريشة الفنان بلاط الإمام وَجنوده كما رسم مدينة « تعز » وَمدينة « يريم » وَغيرها .

ثم تلاه فى الأهمية المستشرق «هاليفى» الفرنسى اليهودى الأصل ، وَهو الذى استوعب كثيراً من الآثار كما دخل بقاعا لم يقدر دخولها « لنيبور » وزيارتها .

وَقد جاء « هاليفى » متأخرا بكثير من زمن « نيبور » وَذلك فى سنة ١٨٦٩ م وسنة ١٨٧٠ م الموافق سنة ١٢٩٠ هـ .

وثالثهم العلامة المستشرق « جلازر » وهو أيضاً من أصل يهودى وهو أوسعهم اطلاعا وأكثرهم تجوالاً لأن الفرص واتته لمعاودته زيارة « الخضراء » عدة مرات من سنة ١٨٨٢ م إلى سنة ١٨٨٧ م الموافق سنة ١٣٠٥ هـ.

ويقال : إن جميع ما اطلع عليه « جلازر » الذى يعتبر إمام هـذا الفن لم ينشر بأجمعه لأنه لم يتسع له الوقت ومات قبل أن يتمكن من نشر جميع معلوماته ، وبعد موته نشروا فى « فِينّا» جانبا منها لا كلّها .

كما نشرت نتائج رحلات هؤلاء العلماء الأماثل باللغات الأجنبية عدة مرات وابن اليمن فى سبات عميق .

وساهم فى هـذا الميدان إخواننا الأتراك الموظفون الذين كانوا موجودين باليمن أيام الاحتلال العثمانى الأخير فقد كانوا يشترون بعض النقوش التى كان العرب يجلبونها إلى «صنعاء» وهم بدورهم يبعثونها إلى المتحف التركى فى القسطنطينية ، وقد نشرت هذه المجموعة كلها .

ولا ننسى ما قام به إخواننا العرب العلماء المصريون الذين شاركوا فى هذا المجال مشاركة مقرونة بفخر العروبة الخالصة ، والثناء المستطاب .

فقد أرسلت الجامعة المصرية بعثة علميّة على رأسها الأستاذ الكبير الدكتور بكلية الآداب بجامعة القاهرة (خليل يحيى نامى) حفظه الله ، والأستاذ (سليمان حُزين) سنة ١٩٣٦م للموافق سنة ١٣٥٦هـ لزيارة اليمن ، واتجهت أنظار البعثة صوب مآثر (ناعط) من بلد (همدان) ، الواقع شمال صنعاء بمسافة ما يزيد على خمسة وعشرين ميلا ، وقاموا بالبحث والتنقيب بين قصور ناعط وخرائبه ، وَريدة وعمران البون ونشر الدكتور نامى مجموعة من النقوش ومنها نقشان من ناعط .

وقد أتيحت لى الفرصة لمشاهدة (ناعط) مع الأخ السيد العلامة عبد الله ابن عبد الوهاب الشماحى المجاهد ، فرأينا عجباً ، وكانت زيارة عابرة لم نملك فيها من وسائل التنقيب شيئاً حتى ولا رسامة معنا .

وكان قد سبق هذه البعثة الأستاذ محمد توفيق المصرى الموفد من قبل جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٤ هـ و سنة ١٩٤٥ م الموافق ١٣٥٣ هـ و سنة ١٣٥٤ هـ لدراسة هجرة الجراد الرحّال والكشف عن مناطق توالده ، فأتيحت له الفرصة لزيارة الجوف ، وتمكن من دراسة سطح هذه المنطقة وخرائبها دراسة جديدة مستفيضة ، واستعان على استكمال هذه الدراسة بالصورة الفوتوغرافية التى تظهر لأول مرة عن الجوف وما فيها من نقوش وآثار وزخارف .

ونشر الجزء الأول المسمى (آثار معين) فى جوف اليمن باللغة العربية بإشراف ومساعدة الدكتور الفاضل خليل نامى .

وفى شهر مايو عام ١٩٤٧ م سنة ١٣٦٦ هـ ، زار الخضراء الدكتور الكبير أحمد فخرى أستاذ تاريخ مصر الفرعونية والشرق القديم ، بجامعة القاهرة ، أبقاه الله ، وسُمِحَ له بارتياد المناطق الأثرية فى اليمن ، فزار صرواح ومارب

كما ذهب إلى الجوف ، وعاد بمجموعة صور فوتوغرافية بما رآه من كتابات وأحجار منقوشة .

كما تمكن من نقل نقوش لم يرها أحد من قبلُ ، وقد أضافت هذه الكتابات ثروة كبيرة إلى المعلومات التى سبقت فى البلاد السعيدة وألقت صور الأحجار المنقوشة كثيراً من الضوء على تاريخ اليمن وحضارته .

وأعاد الكرة لزيارة « الخضراء » سنة ١٩٤٩ م – ١٣٦٩ هـ ، وذهب إلى مارب ، وشاهد من الآثار ما أدهشه كما تأسف فى حسرة وألم على ما عاينه من تحطيم وهدم الآثار القديمة من قبل موظفى الحكومة أنفسهم ، وجَعْل الأحجار المنقوشة النفيسة بعد تكسيرها وتشويهها فى عمارة مبانى اصطبلات وأماكن أرضية بشعة وفى دور الحكومة .

وقال فى حديث أدلى به لبعض أصدقائه ما هممت أن أقتل أحداً فى عمرى غير هذا الرجل المجرم عامل مارب أحمد الكحلانى .

وهذا الموظف الجاهل أزال عدداً كثيراً من المعابد والهياكل وحطم النقوش والكتابة والرسوم بحفرها وكشطها تعمداً وحقداً .

بل امتدت يد التخريب من هؤلاء الموظفين الهادفين إلى محو الآثار اليمنية إلى «سد جفنة» القريب من سد مأرب فحطموا جزءاً كبيراً منه .

ولا غرابة من هؤلاء الناس الحاقدين ، فإن دأبهم قديماً وحديثاً محو مجد اليمن وطمس آثاره التى تمثل عظمته وعراقة حضارته بألسن البنيان لخلوهم من هذه المفاخر ، فلا لهم قديم يذكر ولا حاضر فينظر بل هم عُراة فى عَرى .

وإن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ، فانظر إلى الأحجار التى فى ظاهر جامع صنعاء كيف شوهوها ، فكشطوا اسم بانى الجامع المذكور محمد وبنيه ملوك آل يعفر

الحواليين كما شوهوا اسطواناته «دعائمه» بأن طُلِيَت بالكلس السميك «الجص» وحملوها أكثر مما تحتمل كيلا تظهر رشاقة ودقة الفن المعماري اليمني ورقة ذوقه، وما عليها من زخارف وكتابة وهندسة، لأنها تصور قصر «غُمدان» التي نقلت هذه الأحجار والأعمدة منه إلى الجامع المذكور.

وكذا عمل الإمام يحيى حميد الدين إذ نقل أسطوانات وأعمدة من ناعط ورئام على أكتاف الرعايا إلى صنعاء ليبني بها بعد تكسيرها وشطفها وليقلل من عظمتها الأثرية، ويجعل منها عتبات على أبواب المدرسة العلمية بصنعاء التي بناها على أنقاض قصر الأروام ببئر العزب.

وغايته من هذا معروفة هي الاستخفاف بالتراث اليمني والنكاية بالآثار وأهلها وإلا لكان في وسعه أن يعمر بناء ضخما يخلد فيه اسمه، ويبقى له ذكراً في الآخرين، ولكن من لا قديم له لا حاضر له.

ومما زاره الدكتور أحمد فخري للمرة الأخيرة منطقة المساجد القريبة من مدينة الجوبة من «مُراد» التي لم يسبق لأحد زيارتها. ووقف على معابد وآثار لها شأن عظيم.

وقد نشر بعض اكتشافاته في كتيبات صغيرة منها «المحاضرة» التي ألقاها في جامعة القاهرة، وطبعت باسم «اليمن ماضيها وحاضرها» ومنها كتاب باسم اليمن وآخره أسماه أحدث الاكتشافات في اليمن، ورغم ما تحمل من فوائد جمّة، فلا تعطي صورةً كاملةً ومكبّرة على ما انطوت عليه رحلته كما أنه نوه في بعض كتبه أنه أصدر كتباً قيمة أيضاً باللغة الإنكليزية لانتشارها ورواجها في العالم شرح فيها رحلته وما استخلصه من الآثار كما رسم النقوش التي عثر عليها.

ومما قاله الدكتور أحمد فخري: ولا يخالجني شك أن دراسة آثار اليمن بعد حفر مناطقها الأثرية ستلقي كثيراً من الضوء على تاريخ الجزيرة العربية أو الجنس السامي وليس ذلك فحسب بل ستوضح لنا الكثير من صلة الحضارات القديمة ببعضها البعض والدَّوْر الذي لعبه قدماء اليمنيين في تاريخ حضارة الشرق.

وممن زار مارب وبيحان بعثة « ويندل فيليبس الأمريكى » ، الذى كشف النقاب عن آثار ضافية هى عجب العجاب ، ولكن لم يصلنا من أخبارها إلا النزر اليسير كما ترجم منها كتاب « كنوز بلقيس » وهو قصة اكتشافه مدينة بلقيس الأثرية ، وهى بالقصة لرحلته أشبه منها بكتاب علم يبحث عن الآثار . وفيها بعض رسوم قتبانية وسبئية .

ونشرت جريدة المصور فى تاريخ سنة ١٣٧١ هـ سنة ١٩٥٢ م ، أن « ويندل فيليبس » حمل معه ما يزيد على خمسين صندوقاً محشوة بالآثار ليقدمها إلى متحف الآثار فى جامعة بتسبرج ليدرسها على مهل هناك .

وممن لمع اسمه بين المستشرقين المستر « فلبى » الإنكليزى الذى تسمّى فيما بعد بالحاج « عبد الله فلبى » وتقلد منصب مستشار الملك عبد العزيز آل سعود .

وقد أثيرت حوله الشبهات وقامت ضده ضجة صاخبة وحملات عنيفة فى الصحف والمجلات العربية بأسباب التصاقه بالملك الراحل عبد العزيز آل سعود لتنفيذ أغراض سياسية .

ولقد قام برحلة سنة ١٩٥١ م سنة ١٣٧٠هـ على رأس بعثة من البلاد السعودية إلى الربع الخالى وحضرموت وبيحان وما جاورها من المناطق اليمنية ، وعادت البعثة ومعها مجموعة لا بأس بها من النقوش والمساند ولم يقدر لى الاطلاع على ما كتبه فلبى المذكور لا سيما وهى باللغة الإنجليزية غير نقولات من تاريخ جواد على ومن التاريخ العربى القديم ضمّنتها ثنايا البحوث القادمة ، وكما سلف .

ولن ننسى بماطر الثناء ومحمود الجميل العربى الصميم السيد المجاهد الكبير نزيه المعظم الدمشقى الذى زار اليمن وسمح له الإمام يحيى حميد الدين فى يوم اثنين من شهر ذى القعدة سنة ١٣٥٤ هـ الموافق ١٦ كانون ثانى سنة ١٩٣٦ م بزيارة منطقة مارب محفوفاً بالإعزاز مخفوراً بالجنود والعساكر ، وأقام بها أياما كثيرة تمتع بمناظر مدينة مارب الأثرية القديمة والحديثة وسدها العظيم ، وذلك الصقع النزه

النقى الذى صار مثلا أعلى لأعرق حضارة عرفها التاريخ ومأساة لا تزال ماثلة للقرون المتلاحقة .

وألف فى مشاهداته كتابه « رحلة فى البلاد العربية السعيدة » المطبوع فى القاهرة أتى فيه بأوفى وأحسن وصف لسد مأرب العظيم ، ومدينته القديمة والحديثة مُحَلًّى بالرسوم .

هذه خلاصة موجزة عن تاريخ المستشرقين والرُّحل العرب الذين كشفوا عن آثار بلادنا السعيدة ، وعن عظماء وأمجاد أسلافنا ، وبذلك أسدوا للعلم أجلَّ الخدمات التى لا يفى بها لسان الشكر ولا يستوعبها قلم البليغ ، وأضفوا على الخضراء رواية حقيقية ليس للخيال فيها ظل ، ذات فصول شيقة من فصول سجل العالم وصفحة جديدة فى تاريخه القديم ليقتفى الخلف سُبُل السلف . . . ولـكن ! !

هذا وممن شاد بذكر بعض المستشرقين « المصلح الـكبير محمد طلعت حرب » فى مؤلفه تاريخ دول العرب والإسلام ، وأثنى عليهم بالذى هو صالح إلا أنه أومأ من بعيد أن بعض المستشرقين الذين ارتادوا الجزيرة العربية لم تكن مطيتهم خدمة الحقيقة ، والعلم بحسن نية بل كان يَكْمُنُ وراءها خدمة حكوماتهم وجلب منافع لها بكشف أحوال الجزيرة وما فيها من خيرات وثروات ونباتات وغير ذلك من أغراضهم ومطامعهم .

الفصل الثاني

اليمن الخضراء مهد الحضارة

الحِضارة - بالفتح والكسر - الإقامة فى الحضر ، ونقيض ذلك البِدَاوَة والبادية ، قال الشاعر :

وَمن تكن الحِضارة أعجبته   فأىُّ رجال بادية تَرَانا[1]

وهى كلمة جامعة تؤدى معناها على ما نراه من ظواهر التمدن وثماره الطيبة كالثروة والعلم والأدب والهيئة الاجتماعية والاستقرار والنظام وغيرها مما يأتى ذكره ، ويرادفه كلمة التمدن .

ولكى نحلِّلُ بحثنا تحليلا علميا على أسس راسخة نشير إلى أنه سبق فى الباب الأول فى موضوع أصل العرب ومنبتهم ، وأن اليمن الخضراء موطن الإنسان الأول ، كما أثبت البحث الحديث ، كما كان أيضًا موطن العرب والأقوام السامية لما أثبتت الدراسات السامية لا سيما دراسات « نيكر » و « كيتانى » وغيرهما .

وَبيَّنَّا هناك كيف كانت أجواء « الخضراء » صالحة للسكنى ، ومناخها قابلا لوفرة البشر وتزايده ، وأكثر ملاءمة للزراعة الأمر الذى كانت تفيض بموجات بشرية هائلة غمرت الجزيرة العربية وَعَمَرتها وما وراءها ، كما خولها أن تقيم حضارة قديمة وتمدنا عريقًا ، ثم ما طرأ عليها من جفاف وتقلص الأمطار ، وَدَعَّمنا كل ذلك بالبرهان والأدلة .

وهنا نتناول « اليمن الخضراء » مهد الحضارة غير منساقين وراء نزوات الخيال ولا نوازع النفس العاطفية وحب المرء قومه الذى لا يلام عليه ، إذ قد أسقطنا ذلك من حسابنا ، وأخلصنا للحقيقة والحقيقة وحدها .

---

(١) شمس العلوم .

ورائدنا فى هذا كلام المستشرقين الذين استنطقوا الآثار التى هى الدعامة الكبرى ، والركن الأشد والتى جاءت مصداقاً لما كتبه الثقة الأمين « لسان اليمن » وتبعه الإمام « نشوان بن سعيد الحميرى » ليطابق الخَبَرُ الخُبْرَ ، وذلك من أبدع مصادفات التاريخ ، وأعظم مناسبة زادت فى عظمة أقدار مؤرخينا رحمهم الله .

ومن أضواء الآثار التى شعت ساطعة ننطلق وراء المستشرقين ، ومن على شاكلتهم من حاملى راية الفكر والمنطلق ليحدثونا بلسانها ، فهى لسان صدق فى الأولين والآخرين .

يقول الأستاذ « سانس » البحاثة الأثرى : إن اليمن سابقة فى تمدنها على مصر وبابل ، وإنها هى البلاد التى هاجر منها إلى مصر الفراعنةُ العظامُ وحملوا معهم العلم والحكمة والزراعة ، ومنها كان فى الراجح أسلاف البابليين والآشوريين التى حملوا فى هجرتهم إلى تلك البلاد ما حملوا إلى مصر من العلم والصناعة ، كما أن منها أو ما جاورها من بلدان الجزيرة كان معظم الجاليات التى استمرت إلى شواطىء البحر المتوسط فى سوريا وآسيا الصغرى وبلاد اليونان وإيطاليا وفرنسا ، وشواطىء أفريقيا مما يقابل جبل طارق على السويس .

وقال بعض المستشرقين : كانت اليمن إحدى دول المثلث الحضارى « مصر ، والعراق ، واليمن » ومما لا ينسى تاريخ سبأ وبلقيس ، وكانت اليمن فى الزمن القديم موطن فيضان بشرى وهجرات متواصلة طوال ثلاثين قرناً من الزمن ، فمنها هاجر الكنعانيون الذين استوطنوا مصر الشرقية والشام وصحارى مصر الشرقية عدا هجرات كثيرة بعضها ضخم ، وبعضها قليل العدد ، ولكنها على كل حال غزت المنطقة بالدم العربى قبل الميلاد بأمد طويل .

ويقول المستشرق « عبد الله فلبى » : إن مشاركة أهل بلاد العرب الجنوبية

فى بناء الحضارة الإنسانية أمر لا يكاد يمكن فى وصفه المغالاة ، وأقل من ذلك إمكان إنكاره ، وقد يحسن بنا أن نذكر أن بلاد العرب الجنوبية على أقل تقدير طوال ألفى عام السابقة لظهور محمد [صلى الله عليه وسلم] قوة من القوى العظمى على الأرض لها أعمالها التجارية والفكرية ، ثم غدت بعد ذلك من قطب الرحى من امبراطورية عالمية عظمى ، تم لها بوحى الإسلام ومتابعته ، فحملت مشعل المعرفة متوقدة فى عهود كان يغمر فيها الظلام فى أوربا ، ولكنها قد نسيت ماضيها ، أو انصرفت عن تقدير ما قامت بإنجازه من أعمال فى قديمها العتيد ، ثم راحت فى كبرياء تطلق على عظمتها الباكرة اسم العصر الجاهلى : العصر الحضارى ، كما ألهمنا بتسميته .

وقال المستشرق « كارل بروكلمان » عن معين وسبأ وحمير التى أسست هذه المدن ، وعاشت تلك الحضارة بأنها الأمة التى كونت الأصل السامى الذى استوطن جنوب الجزيرة وأنشأ عمرانا ماديا رفيعا .

وقال العلامة « جرجى زيدان » ج ٣ ص ٢٥٣ من التمدن الإسلامى :

وقد ذهب بعض الباحثين فى آثار اليمن وحضرموت إلى أن التمدن العربى القديم أصل التمدن المصرى القديم ، أى إن الفراعنة أخذوا تمدنهم من بلاد اليمن .

وقال « طه الهاشمى » فى الباب الرابع من جغرافيته :

واليمن من أقدم الأقطار العربية التى نشأت فيها الحضارة ، فلو قام علماء العاديات بالحفر فى أنحاء اليمن واطلع العالم على آثار تلك الحضارة لتوصّل إلى معرفة قِدَمها ، وحضارة اليمن العربية القديمة بادية فى بناء سدود الرى وتشييد القصور ، وتأسيس القصبات ، والمدن ، والتفرغ لأمور الزراعة ، ومداولة تجارة الوساطة بين الهند وعالم البحر المتوسط ، والتاريخ يدلنا على علاقة اليمن بالأقطار الأخرى فى الزمن القديم كعلاقته بمملكة العبرانيين فى القدس ، وعلاقته بالحبشة والفرس

قبل الإسلام ، وعلاقته التجارية بالرومان والأنباط ، والمنقولات العربية الموروثة تنقل إلينا أخبار نزوح القبائل القحطانية من اليمن إلى قلب الجزيرة وإلى الحجاز .

فاليمن إذاً مهد الحضارة العربية القديمة وخزانة الأقوام العربية المتدفقة .

وقال بعض المستشرقين : إن المدنية فى جزيرة العرب هى أقدم مدنيات العالم وأرقاها .

وقال آخر : وإنّ أهم أمة فى جزيرة العرب فى الثروة والآثار والعظمة هى أمة قحطان : سبأ ، ومعين ، وحمير .

وقال العلامة الفيلسوف الكبير « غستاف لوبون » فى كتابه « حضارة العرب » : حضارة اليمن العربية التى هى أقدم من حضارة الرومان ، والتى يجب أن يبحث فيها عن بقايا حضارة العرب القديمة ، والتى نأسف على بقائها بعيدة عن يد البحث والتنقيب .

وتدل جميع الدلائل على أنّ كل تنقيب فى بلاد اليمن يأتى بأحسن النتائج .

هذا عرض سريع لبعض أقوال علماء الاستشراق وبعض أعلام العرب ، ويأتى المزيد من ذلك ، ومن منابع أخرى هى فى الظهور والقوة والدلالة تضارع النقوش والآثار .

الفصل الثالث

حضارة الخضراء ومظاهر تمدنها

يقال : « إن تاريخ الأمة الحقيقى هو تاريخ تمدنها وحضارتها ، لا تاريخ حروبها وفتوحها »[1] .

لأن الأولى سعادة ورفاهية ورخاء عيش وحياة رغيدة ، والأخرى هلاك ودمار وخراب وموت زؤام وحياة زهيدة ، وشتان ما بين الأمرين .

والحضارة هى أنفس وأنبل وأخلد ما للأمة من تراث فى جماع علومها وآدابها وأخلاقها ومميزاتها .

وإذا نعمت الأمة فى ظل الأمن والاستقرار والسلام ، وسعدت بقادة مخلصين مصلحين يقودونها إلى الخير والفلاح ، فأحر بها أن تعلو وتسود وتعيش عيشة السعداء ، وتبلغ بالأمد القصير منتهى الأمل البعيد السعيد .

وصف إجمالى

مما أسلفناه تبين أنه لم يبق مجال للشك فى عراقة حضارة اليمن وازدهارها منذ قرون متطاولة ، وأنها سابقة لحضارة غيرها من الأمم ومستوحاة من صميم واقعها ، ومن تصميم أبنائها الذين تفاعلوا مع الزمن ، ومع البيئة الصالحة التى أنجبت أبطالا أخلصوا لوطنهم ، فكوّنوا حضارة عريقة راقيـة كانت مركز

---

(١) التمدن الإسلامى ج ٣ ص ٢٥٣ .

إشعاع لسائر الحضارات ، والتى سيطرت على الجزيرة العربية وشمالها حتى حوض البحر الأبيض وشواطىء أفريقيا .

وإليهم يرجع الفضل فى معرفة أساليب التمدن التى تأثرت بها الأقطار العربية واقتبست منهم نور الحكمة والمعرفة ، إما بواسطة التجارة واحتكاكهم بأقوام الشرق والغرب حيناً من الزمن ، وإما باستعمارهم والاستيلاء على أقطارهم أحياناً أخرى .

ومما يدل على ذلك أيضاً أنهم أنشأوا الدول وبنوا المدن والهياكل والمعابد ، وشادوا ناطحات السحاب ، ونظموا الحكومات ، وسنوا القوانين ، ورقوا الهيئة الاجتماعية ، وتبسطوا فى العيش ، وحجزوا مياه الأمطار وراء السدود فى عدة أماكن من الخضراء مما يفوق الحصر لرى أراضيهم ، ومخرت سفنهم ثبج البحار ، ورسمت قوافلهم الطرق فى القفار لنقل السلع والتجارة ، وكانوا وحدهم تجار العالم كما كانوا غزاة فاتحين ، واستثمروا الأراضى بغرس الأشجار المثمرة ، وبذر الحبوب ، وحفر القنوات كما يأتى تفاصيل ذلك .

مظاهر التمدن

قبل أن يأخذ القلم جولته ويتوغل فى الموضوع لا بد أن نومىء إلى منابع تاريخنا التى استقينا معلوماتنا منها ليكون القارىء على علم بها ، وأنها صافية المنابع صادقة الموارد عذبة المساغ رفيعة الشأن عظيمة الأثر تُوَفِّر للنفس الراحة والطمأنينة والثقة وتشرح الصدر ويثلج لها القلب المؤمن النقى .

وتتلخص منابع تاريخنا العصر الحضارى وحضارة الخضراء فى الأمور الآتية :

(١) العهد القديم الكتاب المقدس ، وهى الأسفار الخمسة من التوراة .

(٢) القرآن الكريم ،

(٣) ما كتبه العلامة « لسان اليمن » والإمام نشوان بن سعيد الحميرى اللذان أبرزا مجد أسلافهم بثوب لامع مرصعاً بكل فخر وإعجاب وعلى حقيقته الناصعة بدون استخدام الخيال أو رجماً بالغيب أو نوعا من المبالغات .

(٤) الآثار التى كشفت الغطاء عن كل ما جاء مصداقا لما سلف من تلك المنابع والآثار ، لها المقام الأسمى والتى تحدثنا عن عظمة غابر بلادنا السعيدة يمكن أبناؤها أن يبؤوها مكاناً بين الأمم علياً .

من القمـــــة

وعلى ضوء هذه المنابع الصافية وما خولتنا الدراسة الطويلة المتعمقة ، ننقل خلاصة ما وصل إلينا مبتدئين بالكلام على المواضيع التالية التى هى من نتائج الحضارة ومستلزمات التمدن والاستقرار والنضوج الفكرى المبكر .

أى نبتدىء بجلائل أعمال الرجال وعظيم آثارهم الذين تبلورت بهم الحضارة وتطورت وأسفرت عن ثمار ناضجة شهية ثم نذكر قائمة الملوك على حدة .

ومن القمة أولا :

الدولة ، الشورى (مجالس النواب) ، التشريع الإدارى ، ولاية العهد ، الأمة الراية والشعار ، النقود ، البناء ، الصناعة ، الزراعة ، التعدين ، التجارة ، المواصلات ، اللغة ، الكتابة ، الديانة ، التاريخ ، الحضارة ، علوم العرب .

الدولة

إن دول اليمن الخضراء فى العهود الحضارية على وجه العموم دولٌ ديمقراطية ذات نظام ثابت بدون أن نفصل ذلك ، فربما تأتى عند ذكر للملوك .

وقد أرشدتنا أوثق المصادر التى بين أيدينا ألا وهو القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إذ لمح بإشارته إلى نظام الحكم وهو الشورى ، وذلك فى سورة النمل بما حكاه عن الملكة « بلقيس » بنت الهدهاد مع سليمان بن داود عليه السلام لما ورد كتابه على يد رسوله الهدهد الذى يقول فيه : (ألاّ تعلو علىّ وأتونى مسلمينَ) ، فإنها جمعت نواب الأمة وأشرافها وأملت عليهم كتاب سليمان واستشارتهم فى ذلك ، وقالت لهم : (يا أيُّها الملا افتونى فى أمرِى ما كُنتُ قاطعةً أمراً حتى تَشْهدون) ، فأجابوها بقولهم : (قالُوا نحنُ أُولُوا قوّة وأُولُوا بَأسٍ شديد ، والأمرُ إليْكِ فانظُرى ماذَا تَأمُرِين) .

ولما كانت من الذكاء والفهم النادر وتعمقها لدراسة نفسية الملوك ، وكأنما الحكمة أجريت على لسانها أجابتهم بقولها : (قالَتْ إنَّ الملوكَ إذَا دَخَلوا قَرْيةً أفْسَدوهَا وجَعلوا أعِزَّة أهْلِها أذِلَّةً ، وكَذلِكَ يفْعلُون) .

وهذه ملامح الشورى بذاتها ، لأن القرآن العظيم يوجز فى كلامه بأبلغ عبارة ، وأنصع لفظ دون التفصيل والتفنين ، إذ يُرْجع ذلك إلى الفهم والذوق السليم .

قال العلامة طنطاوى جوهرى رحمه الله فى كتابه نهضة الأمة وحياتها ما معناه وهذا لعمرك مجلس الشورى بعينه الذى يمثله صفوة الأمة المنتقاة الأمناء عن جميع قطاعات الشعب تمثيلا صادقاً صحيحاً إذ هو مصدر التشريع والذى بيده السلطات التنفيذية ، وإنما الملك رَمْزٌ لتلك الهيئة ليس له حق التصرف المطلق بمهام الدولة إلا بعد انعقاد مجلس الشورى ونوّاب الأمة .

ولا يَعزُبنّ عن ذهنك أن بلقيس وارثة ملك عريق من ملوك سَبأ وهم نسل التابعة الذين أوتوا الملك كابراً عن كابر : انتهى كلام طنطاوى جوهرى .

ثم بربك تأمل إلى قوله تعالى : (يا أيُّها الملأُ) فالملأُ هم نخبة الأمة ومُصاصُها

والجماعة المختارة ، ثم فكّر كيف كان جوابهم ! أنهم أولوا قوة وأولوا بأس شديد .

ولعمرى إنه لم يكن منهم مثل هذا القول جزافا أو مغامرة أو إرساله على عواهنه تبجحا وافتخارا بدون أن يكونوا على حق وعلى أساس من الصحة وأنهم سيواجهون أقواما لا يستهان بهم فيفتضح الأمر ، وإنما قالوه عن صدق وعرامة وصورة للواقع المشاهد .

ثم أمعن النظر إلى قول الملكة الحازمة بعيدة النظر التى أوتيت الحكمة وفَصْلَ الخطاب والذوق الراقى ونفاذ البصيرة ومعرفتها بضروب الحرب ، وإنها سجال ، بين غالب ومغلوب ، وما تدرى ماذا تكون النتائج ألها أم عليها ، فنبهتهم إلى ما هو من نتائج الحرب على المغلوب بقولها : (إنّ الملوكَ إذا دَخلوا) الخ ، فأوضحت خطورة الملوك إذا غلبوا على الأوطان وسوء مقاصدهم ، وكيف دخائل نفوسهم وما ترمى بسياستهم هو إفساد المجتمع وحُبّ الغَلَب والعلو وإذلال الأمة بفساد أخلاقها وابتزاز أموالها وإهدار كرامتها وإهانة أشرافها إلى غير ذلك من تصرفاتهم فى تمييع الأمة وتلاشيها .

وهذه الآية الكريمة أعطت صورة ناطقة عن نظام الحكم كما جاءت مُؤيِّدةً لما ذكره «لسان اليمن فى ج ٢ — ١١٤» من الإكليل من أنّ الأمة اليمنيّة كان لها مجلس شورى نيابى ، فقال :

إن آل خَنْفر يدخلون فى قَيالةِ حمير ، وكانت أقوالها تكون فى كل عصر ثمانين قيلا من وجوه حمير وكهلان ، فإذا حدث بالملك حادث كانوا الذين يقيمون القائم من بعده ، ويعقدون له العهد ، وكان قيام الملك من قدماء حمير عن إجماع كهلان ، وفى الحديث عن رأى أقوال حِمير ، وكانوا إذا لم يرتضوا بخلف الملك

تراضوا لخيرهم ، وأدخلوا مكانه رجلا ممن يلحق بدرجة الأقوال فيتم الثلاثين قيلا ، انتهى كلام الهمدانى .

ولما رسخت فيهم المدنية وبلغوا حد النضوج العقلى والفكرى لحب النظام والإصلاح والاستقرار ، ورست قواعد الملك على أسس متينة تبعاً للتطور التى حدثت وطبيعة سنن الارتقاء ، أسندوا مجلس الشورى والمجلس النيابى إلى ثمانية بيوتات أسموهم فيما بعد المثامنة وهم من صفوة الأمة وأشرافها وأمنائها ليمثلوا جمهور الشعب عن اختيار ورضاً من الجميع ، وعلى عواتقهم تلقى المسئولية ، وبهم تقوم الدولة والأمة وإدارة المملكة خير قيام ، وقد جمعهم شاعرهم بقوله :

كانت لحمير أملاك ثمانية ... كانوا ملوكا وكانوا خير أقيال
فذو خليل وذو سحر وذ وجدن ... وذو حزفر كريم العم والخال
واعلم بذاك ومنهم حين تنسبهم ... ذو ثعلبان بأعلا باذخ عال
ومن مصاصهم ذو عثكلان ولا ... ينبيك مثل امرىء بالعلم قوال
وذو مُقار وذو قيفان ثامنهم ... أولاك أملا كنا فى دهرنا الخال
كانت بيوتات ملك كلما ... فنيت منها ملوك أتوا منها بأبدال

وإليك ما قاله المستشرقون نقلا عن الآثار التى استنطقوها .

قال العلامة المستشرق « سديوه » الألمانى فى كتابه تاريخ العرب العام ، ونكتفى بالقول : إن اليمن كانت ذات حكومة منظمة منذ القدم .

قال بعض العلماء ، ومن تعقب القبائل القحطانية فى الإسلام يرى أنها كانت تحترم النظام المطلق بينما كانت تمقته القبائل الأخرى .

الدستور والتشريع الإدارى

قال لينكوس رودوكا ناكيس فى تاريخ العرب القديم ص ١٣٢ : والحقيقة التى يجب أن نسلم بها مقدماً هى أن تلك البلاد « العربية الجنوبية » عرفت نظاماً يتكون من مجالس تمثل القبائل المختلفة فى الهيئة التشريعية المتعددة ، وكانت إدارة البلاد بيدها ، وربما كان المجتمع القبلى يعقد جلساته مرتين فى العام فى عاصمة الدولة كما كان يوجد ممثلون لأصحاب الأراضى الخصبة والقبائل المنضمة إليها ، وسكان المزارع ، والمراعى ، وكانت تمثلها طبقة الأشراف السادة الحميريين .

أما المجالس الاستشارية ، فقد كانت مكونة من سائر القبائل ولم يحرم منها إلا الرقيق الذين كانوا يعملون فى الأرض ، وكانت تنتهى هذه المشاورة عادة بالموافقة على المواضع المعروضة ، وكانت هذه القرارات التى تتخذ تعرض عادة على القبائل كما أن تلك القرارات كانت تستتبع إصدار قوانين خاصة بتنظيم استثمار الأراضى والعقار ودفع الضرائب ، وهذه القوانين الزراعية كانت الأساس الذى بنى عليه الدولة .

وهذه المجالس لايزال لها آثار بين قبائلنا ذكرنا تفاصيلها فى غير هذا التأليف .

أما الاجتماع الآخر للقبائل فكان الغرض منه الموافقة على القوانين ، فهذا النظام يشبه ما يعرف فى اليونان من نظم تشريعية .

وإلى جانب هذه النظم التشريعية توجد نظم أخرى تعالج إدارة الأرض وتأجيرها والشروط اللازمة عند كل حالة أو مجموعة من الحالات .

أما اجتماع ممثلى القبائل فكان يقرره مرسوم ملكى لذلك من الصواب أن يُطلق على هذا المجلس : المجلس الاستشارى للدولة ، ويتكون من الملك ، ويذكر فى الصدر ، ويشترك فى المشاورة الأشراف ، وهذا المجلس الاستشارى

له حق إصدار القوانين باسم الملك سواء القوانين التى يصدرها ، ويكون الملك مشتركا فى إصدارها أو تكون القوانين التى يصدرها هو المجمع القَبَلى .

وهذا نوع من الرسميات التى يعرفها حاكم البلاد عن طريق المجلس الاستشارى للدولة الذى كان له الحق فى الهيمنة على الحكومة بخلاف المجلس الذى يعقده ممثلون للدولة .

وهذان المجلسان مجلس القبائل ، ومجلس الدولة الاستشارى كان عاملا من عوامل تقوية الروابط بين الملك والشعب

وقد يجتمع المجلسان إذا ظهر فى الجو سياسة تتصل بسياسة الدولة الخارجية .

وهكذا نجد العرش ومجلس الدولة ومجلس القبائل تتكون الدولة ، وهناك قوانين لحفظ المجتمع كقانون العقوبات وآخر للضرائب وجباية الأموال كما توجد هيئة لتصريف المياه إلى الأراضى من السيول والأنهار والسدود وتوزيع الرى بحسب الصالح العام والظروف وغير ذلك من القوانين التى تكفل للمواطن الطمأنينة والاستقرار .

وكان للملوك ألقاب تذكر بجانب أسمائهم كتبع وريام وصدق وينوف مثل ألقاب خلفاء المسلمين فى صدر دولة الخلفاء الراشدين كالفاروق والصديق وكألقاب العباسيين كالمنصور والرشيد ، والمأمون والأمين وغيرهم . انتهى كلام لينكوس

ولاية العهـــد

هذا المنصب صار عندنا معاشر اليمنيين ممجوج غير مستساغ لما يحمل بين طياته من الشرور والآثام والجرائم القتالة والذى يمثل طبائع الاستبداد الذى أجتُثّ من عروقه ليلة الخميس ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٨٢ هـ — ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ م ، ولكن لما ذكره مؤرخونا الأفاضل الهمدانى ، ونشوان واقتفاه

خلفاء المسلمين وأول من اعتمده فى الإسلام الخليفة معاوية بن أبى سفيان ،وتبعه من جاء بعده من الأمويين والعباسيين وغيرهم من ملوك وسلاطين الإسلام والإفرنجة .

كما يجرى اليوم فى تنصيب نُواب لرئيس الجمهورية أو الملوك الذين قد أصبحوا قلةً قليلةً .

وكان نظاما من نظام أسلافنا الذى يقال إنهم أول من أبدعوا أساليب التمدن وبما أنه مظهر من مظاهر حضارة الخضراء ناسب ذكره هنا .

شُرِع هذا النظام أو المَنْصب لصيانة الأمة وضمانتها من أن تقع فريسة للانقسامات والفوضى ونشوب الخلاف بين الأسر الحاكمة والشخصيات التى تتطلع إلى الحكم فتجر البلاد إلى ويلات ونتائج غير محمودة لخراب البلاد وسفك الدماء وإخلال الأمن إلى غير ذلك .

وكانت الدول الحضارية تهتم بهذا المنصب بما فيها المجلس النيابى ، لأن ذلك من مستلزمات الاستقرار ، وفى إقامة ولاية العهد وتنصيبه تَفَادياً ملحوظاً كيلا يتصدع النظام وتتعرض البلاد إلى مالا يحمد عقباه .

وكانت ولاية العهد لاتتخذ إلا فى حالة اضطرارية . وذلك عندما يحس الملك بدنو أجله أو حين يصاب بمرض خطير ، فإنه يجمع مجلس الشورى للمشاورة فى ولاية العهد وما قرره مع المجلس كان هو المتبع .

وطبيعى أنه يكون من أسرة الملك أو ممن أنجب أو أكبر أولاده أو من يكون صالحا من غيرهم .

الراية والشعار

كانت راية دول الخضراء اللون الأصفر وكانوا يفاخرون به ويعتقدون فيه النصر والغَلَبَةِ [1] .

---

(١) دول العرب والإسلام وصبح الأعشى .

وشعارهم صورة النسر الذى يرمز إلى القوة وطول العمر ، وربما إلى الآلهة التى كان النسر أحد آلهتهم كما جاء فى الآية القرآنية من سورة نوح الآية ٢٢ (وَلا تَذَرُنّ وُدًّا وَلا سُواعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً) . ويأتى الكلام على ذلك فى الكلام على الآلهة .

وقد عثر على صور منه كثيرة ، وبعضها فى المتحف الحديث بصنعاء .

الأمة

هذا العنوان مما استنتج من نصوص النقوش كما فى تاريخ العرب القديم كانت الأمة اليمنية فى تلك العصور مؤلفة من أربع طبقات :

(١) الجند المسلح لحفظ النظام والأمن ، وحماية القلاع ، وحراسة القوافل .

(٢) الفلاحون لزراعة الأرض واستغلالها ، وغرس الأشجار واستثمارها .

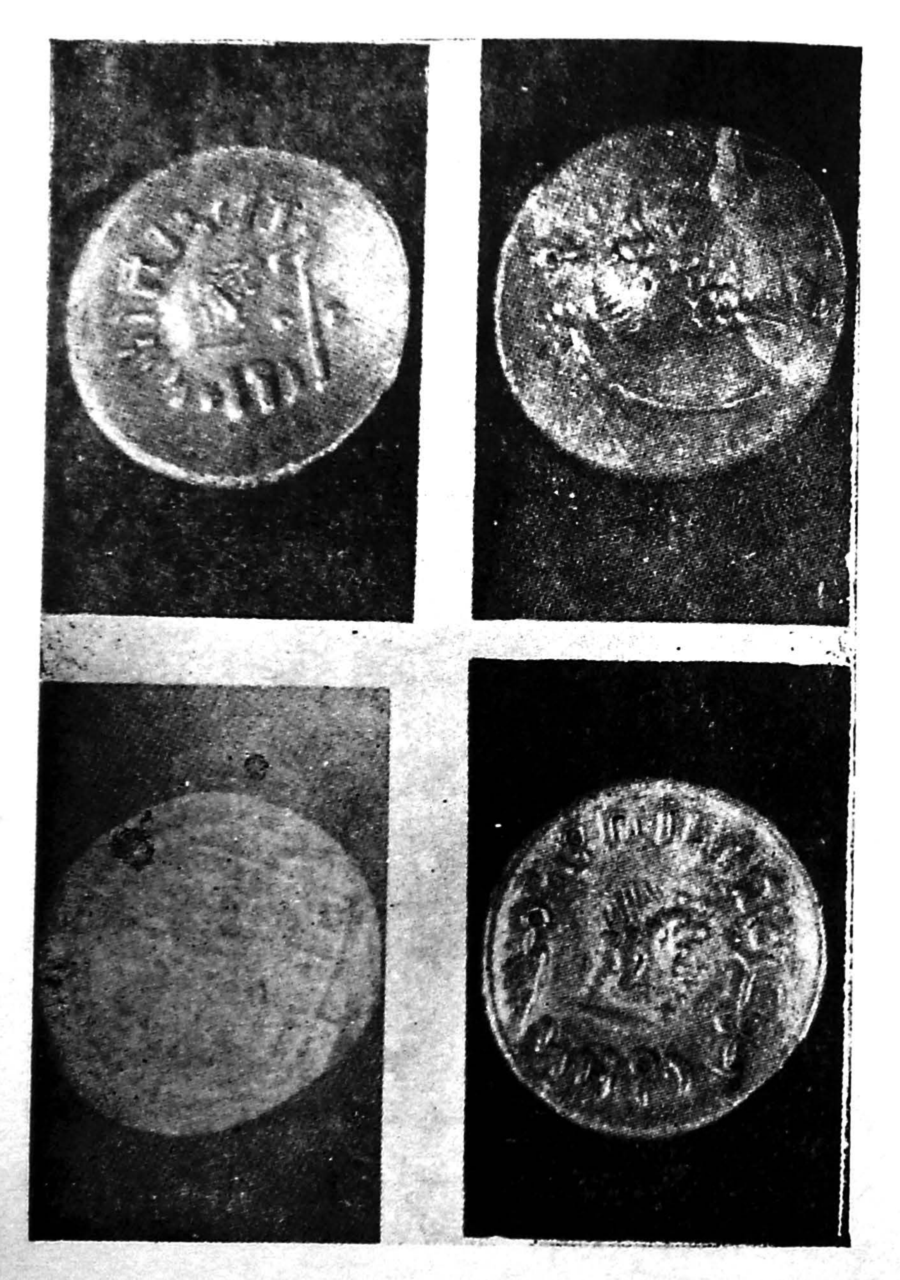
(٣) الصناع .　　　(٤) التُّجَّار .

ولكل طائفة حدود لا تتعداها ، ولا ينتقل أحد من أفرادها إلى سواها .

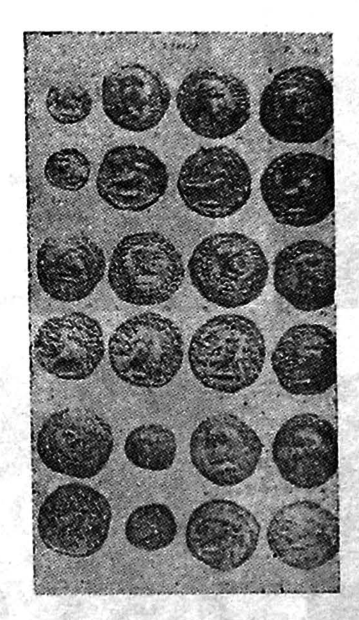
النقـــود

كانت لدول اليمن الخضراء عُمْلةٌ ذهبية وفضية أو برونزية [ضرب من المعادن الجيدة التى لا تتأثر بالتراب مع طول بقائها فيه][1] ، وكانت هذه العملة تضرب بمعامل خاصة عليها عَمَلةٌ حُذّاق ، وكانوا ينقشون على أحد وجه العملة صور الملوك وأسمائهم وأسماء المدن التى ضربت فيه بالحرف المسند وزينوها برموز سياسية واجتماعية كصورة البوم أو الصقر أو النسر الذى هو شعار الدول الحضارية

(١) البرونز : مادة خليطة من النحاس والقصدير شديدة الصلابة ولعل أقرب كلمة عربية تقابلها بالمعنى قلز : بضم القاف وتشديد اللام ، قال فى القاموس وكعتل وقلز : النحاس الذى لا يعمل فيه الحديد .



نقود حميرية



نقود حميرية

أو رأس الثور رمز الفلاحة والزراعة أو صورة الهلال ، وهو رمز دينى ، وبجانب تلك الرموز كتابة بالقلم الحميرى كالخراطيش .

وكانت العملة الذهبية من الذهب الإبريز الخالص الأصيل عن شائبة الغش وكان يتنافس به ويدخر ضنًا به ، وحرصاً عليه وإلى يوم الناس هذا .

ولذيوع هذه العملة وانتشارها ونفاذ سيطرة حُكاّمها كانت هى العملة الثالثة فى العالم القديم ، وثانيهما العملة الرومانية ، والثالثة العملة الفارسية[1] .

ومن هذه النقود توجد مبعثرة بين الحلى والصيغ ، كما توجد على الخناجر وعلى رؤس الجنابى ومقابض السيوف القديمة ، ومنها مجموعة حسنة فى المتحف الأوربى فى « فينا » عاصمة النمسا ، تسربت إليه وفى متحف التواهى بعدن .

ويؤخذ من صور الملوك التى على النقود أن ملوك الخضراء كانوا يطفرون شعورهم جدائل يرسلونها إلى القفا وعلى جانب رؤسهم كما هو اليوم فى بعض أحياء العرب من مشرق اليمن .

ويظهر أنهم لم يكونوا يرسلون لحاهم ولا شواربهم لأننا لم نجد على صورهم التى على النقود ولا على الصور التى اكتشفت واطلعنا عليها من خرائب بلاد عنس الشرقية .

وكانوا يركبون على الأفراس أو المراكب التى تجرها الخيول أو الأفيال جمع فيل : الحيوان المعروف .

وليس عليهم من الملابس إلا مئزر مَحُوكٌ بالذهب الخالص حول حقويه وأساور ثمينة فى ذراعيه . كما هو الحال اليوم فيما نشاهده ونراه فى قبائلنا مراد وسبأ ومارب ومشرق ذمار ، وصنعاء ، وفى سرو مذحج بلاد البيضاء ، وسرو حمير ، بلاد يافع وغيرهم .

---

(١) حضارة العرب لمحمد كرد على .

ويحمل بيده ترساً أو رمحاً وحوله رجال حاشيته وعليهم الأسلحة يتقدمهم زُمْرةٌ من الجنود ينشدون الزامل باطرائه وتفخيمه كما هى العادة فيما عرفنا قريباً .

وهذه العادة هى التى تسلسلت إلينا ولا نزال أوفياء لتقاليد بلادنا التى تمثل قبائلنا الدور الذى كان سائداً بين أجدادنا منذ آلاف السنين .

وكان للمرأة منزلة مرموقة ومكانة عزيزة وحرية تامة حتى تقلدت المناصب ناهيك بالملكة المعظمة « بلقيس » .

البناء

إن آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا إلى الآثار

هذه هى أول الصنائع وأقدمها لاحتياج بنى الإنسان إليها باتخاذ البيوت والمنازل سكنى لتقيه عادية البرد والحر ، وليحفظ نفسه من الوحوش الصائلة قبل أن يهتدى إلى اختراع السلاح ، ولهذا امتن الله على عباده وعدها عليهم من نِعَمِهِ حيث هداهم إلى اتخاذ المساكن فقال عز من قائل :

(وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً ، وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ، وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ، كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) النحل : ٨١ .

ولقد مهر اليمنيون فى فن البناء واتخاذ البيوت والمصانع ، وثقب الأحجار ، ونحت الصخور حتى إنه ليخيل للرأى أن مادة الصخر الجلمد الصلب قد سخر للعامل اليمنى ولانت قساوته تلقائياً ، ومن ذات نفسه .

ونسمع اليوم من قبائل اليمن أنه كان لحمير شهر «آب» « وهو شهر الخراف» تلين لهم الصخور كالعجين والطين فيصنعون فيها ومنها ما يريدون .

فإنك ترى الصخرة العظيمة فى بقايا القصور ، وقد نحتت نحتاً منظما مزدوجاً مع أختها وكأنها صخرة واحدة ملساء لا تبين منها عدد الأحجار ، وهو

معنى قول « لسان اليمن » فى وصفه الأبنية التى أدركها فى بلاده السعيدة ، متلاحكة وكأن يد البانى فرغت منه ، وكذلك الكهوف والكتابة البارزة فى الحجر الصلد .

ومِصْدَاقٌ لما قلناه إن اليمنى الحضارى،ماهرٌ فى الفن المعمارى ونحت الصخور واتخاذها مساكن ومنازل ، إن الله حكى عن قوم عاد رهط النبى هود عليه السلام

وأنبهم لتخلفهم عن إجابة دعوة نبيهم هود عليه السلام وانصرافهم إلى العمارة ومُتَع الحياة ، فقال جل وعز :

(أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مصانع لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) الشعراء – ١٢٩ .

الرِّيع : المكان المرتفع ، والمصانع : البرك والمواجل والكرف ، وقيل القصور المشيدة فى رؤس الحصون .

فأنت ترى كيف خص الله عاداً قوم نبى الله هود عليه السلام بالتعنيف بانصرافهم عن قبول دعوة نبيهم إلى العمارة وإشادة القصور ونحت الصخور وبناء البرك وغيرها .

ولا ريب أن هود وقومه أصل العرب اليمنيين ، وأنهم كانوا فى أرض الأحقاف وحضرموت ، وقال « لسان اليمن » فى دامغته :

ونحن الناحتون الصخر قدما مساكن فسحة والشائدونا

قال فى تفسيرها : يريد ما باليمن من هذه المساكن المنحوتة فى صخر الجبال والبيع ، وأنت تنظرها فى كل جبل وخبت توجهت منها ، وفى ذلك يقول علقمة بن ذى جدن :

عمرت حميرٌ تشيد قصوراً من رخام ومرمر وسِلام
نشرت فى ذرى الهوا إلى النجـم فنطقن بالعمَى والغمام
نحتوا الصخر فى الجبال بيوتا بهموها بقوة وعُرام
فإذا ما نظرت آثارهم قلت.أرانى رأيت ذا فى المنام

كما وأن الصخور الكبار والأحجار الممتازة تنقل من أماكن شاسعة مما يخيل إلينا أن هناك وسائل للنقل أتاحت لهم إيصالها إلى أماكنها الموجودة كما نذكرها فى مواضعها إن شاء الله وذلك كما فى رءوس الجبال والمعاقل وكيف ارتفعت إلى الطبقات العالية مما يدل أن لهم رافعات وناقلات وجرارات .

ولعل طبيعة اليمن قد سمحت بسخاء للفنان اليمنى بوفرة الأحجار حتى تصرف فيها تصرف العجان فى عجينه ومكنته مهارته إلى العمارة الرفيعة ذات الأسلوب الفنى الدقيق واستطاع بعبقريته الفذة أن يشيد الأبنية الباذخة والقصور السامقة المكونة من عدة طبقات ذات المقاصير العجيبة والمناظر الحسنة واللهوج الواسعة التى لا تخشى عادية الزمن ولا كوارث المحن ، ولولا أنها امتدت إليها معاول الهدم والتخريب ويد العبث والفساد لظلت باقية آية من آيات اليمن الخالدة تطاول الزمن وتتحدى كبريائه وكبريات وقائعه .

ولكن من أين لنا بقائها والغزاة سلطت عليها الخراب والحريق وما تبقى منها جاء ضُعَفاء النفوس والحاقدون فأتوا على البقية الباقية فعلى مثلها يناح ويبكى .

وهم الألى سبقوا أمريكا بآلاف السنين إلى البنايات الضخمة الذاهبة فى الهوا والمسماة « ناطحات السحاب » والتى بلغت الذروة فى الارتقاء وروعة البناء .

ومما يلاحظ أن اليمنى كان يشيد المبانى لأغراض سامية وهى أن ينتفع بها بنو الإنسان وفى نفس الأمر مظهر من مظاهر القوة والعظمة لا عبثاً وسخرية لشخص أو أشخاص من أبناء البرية :

همم الملوك إذا أرادوا ذكرها ... من بعدهم فَبألسِن البنيان
إن البناء إذا تعاظم شأنه ... أضحى يَدُلُ على عظيم الشأن

كما أن طبيعة أرضهم أيضاً سهلت لهم بناء السدود وخزانات المياه ونظام

الرى إلى حد أنها مبثوثة فى طول البلاد وعرضها مما يدهش الأبصار ويدل على سبقها إلى هذا الإبداع .

ومما ساعد المهندس المعارى وفرة الرخام بأنواعه على إقامة الأعمدة ونحتها فى تحقيق أغراضه وسبكها فى قالب معمارى رفيع .

كما جادت الأرض الطيبة المكسوة بالغابات آنئذ وبالأشجار المدوحة أن تزود العمارة بالأخشاب اللازمة لمادة البناء .

ولم تجمد براعة الفنان اليمنى على مواد الصخر فحسب بل استخدم الآجر : الطوب فى العمارة واللبن ، الطين النئ .

وتنبه عقله المتوقد إلى مادة الرصاص والقطر : النحاس ومواد ـ الجص الكلس والجبس ومادة النورة ومواد أخرى لم تعرف بعد ويزعم البعض أنه يشبه الأسمنت فى هذه الأيام فاستخدم كل ذلك فى تماسك البناء العظيم وإمعاناً فى تدعيمه وتثبيته على أسس قوية تُصَارع الزمن، فكانت تذاب هذه المواد وتصب بين للداميك وفى الأساس وبين الأظبار والأركان وما بين الظهارة والبطانة .

وإلى جانب هذه الإجادة الفنية أجاد فى زخرفة السقوف والحيطان والأبواب والكوى : الطياق النافذة وعلى النافذة واللهوج. جمع لهج وهو النافذة إلى الخارج والأفاريز : الأرفاف وما يُعَلّقُ عليها .

وكانت هذه الزخارف مكملة للبناء الخارجى والداخلى مجملة له وحيناً قد تطعم بالصدف وسن العاج : وقد شاهدنا فى بعض أبواب وطياق البيوت القديمة فى ماقبل عصرنا هذا وتارة تطعم بالذهب الخالص والأحجار الكريمة وكانت الزخرفة عادة بزهر الزئبق أو بسائر الزهور وأنواع الزركشة .

أما الأعمدة فكانت تزخرف بصفائح الذهب والفضة وهكذا تناول كل ما فيه زينة .

وعرف البناء المثلث والمربع والمكعب وذات الأضلاع والأنحاء والهرمى والمخروط الشكل إلى غير ذلك مما ذكره « لسان اليمن » فى الجزء الثامن من الإكليل ، ووجد فى بعض بقايا الأبنية ووقف على البعض منها المستشرقون .

كما وأن بناء المعاهد والمحاريب التى للإله تمتاز بنوع خاص من العمارة والزخرفة كى تتميز عن غيرها .

ولم تظهر عبقرية اليمنى فى الهياكل والأبراج والمعابد فحسب بل تجلت فى الفنون وفى إقامة السدود ونظام الرى فسد مأرب العظيم الذى حيكت حوله الأساطير إنما هو نموذج لسائر خزانات المياه فى « الخضراء » ودليل قاطع على نبوغ الفكر اليمنى ونضوجه .

وكذلك إحكامه لمصارف المياه ووضع الجِرار والعرمات: المُسَنّاة فى الأراضى الزراعية لحبس المياه أيام الخريف والانتفاع بها أيام الشتاء أوخوف عادية السيول من سحب ما أمامها من مزارع وأراضى وما أكثرها فى البلاد المَنْسيّة والرُعَيْنيّة .

ولهم فى هذا السبيل طريقة خاصة وعمارة هندسية دقيقة فمن ناحية تحتفظ الأرض من أن يدحقها السيل ومن ناحية أخرى تنتفع الأرض بما يحمله السيل من طمى ورواسب غرينية وفى الوقت نفسه يبقى الرى رِوَاء .

وكذا حفر الصهاريج فى الصخور الصماء والكرف فيها وفى شِعاف الجبال : أعاليها وفى أعالى الحصون البركات والمواجل جمع ماجل .

ولقد شاهدت فى بلد عنس ثم فى بنى حديجة «الحدا اليوم» ماجِلاً فى الحجر الصلد الذى يصعب نجره بالآلات الحديثة ويقدر طوله عشرين متراً فى مثلها عرضاً

وفى وسطه أسطوانة كبيرة جداً منحوتة من نفس الصخر وإذا رؤيت من أى جهة خيل للرائى أن ما أمامه أطول إلى الدعامة من الجهة الأخرى فإذا ذهب إلى الجهة الثانية ظن أن الحالة كذلك وليس هناك إلا أنها نحتت على قياس واحد وهندسة فنية رائعة متساوية الأضلاع من كل الجهات .

أما مخرج الماء المنفجر فما يدهش اللب فى تعاريجه وانحنائه وكيف اهتدى إلى نقر الحجر بتلك الصورة وما هى الآلة التى استطاع أن تجمله بتلك الصفة الصعبة فهمها وهكذا الحال فى سدود يحصب وكأنه رمى بهذه الهندسة أن لا يحصل للسد ضرر من اضطراب الماء وتياراته .

وقد كان هذا الماجل غطته الأتربة وتراكم عليه طمى السيول وصار أرضاً تزرع وتقلع وبالصدفة عثر عليه فجلبوا له الثيران وجُرف وأخرج التراب منه إلى أن عاد سيرته الأولى .

ومثل هذا كثير فى البلاد كما شاهدنا مِنبراً صخرياً عريض الدرجات وهو من الحجر الصلد . ومنها مدافن «هران» بظاهر مدينة ذمار ومنها «ماجل» الدنان بأسفل شِرْعة ذى رعين للنازل إلى خبان فإن هناك صخرة عظيمة لعلها قذفتها البراكين فى العصور القديمة ووقعت على ممر المسافرين فاستخدمها أسلافنا منهلاً للمياه بأن نحتوا جوفها وصنعوا لها درجا وبابين للداخل والخارج تخفيفاً للازدحام ووجهوا لها مجارى المياه فإذا جاءت الأمطار ملئت ذلك الصهريج واستغنى المسافرون ورعاة الغنم طيلة أيام وسمى الدنان « لأنه إذا صاح فيه إنسان أو تكلم سمع له صدى « طنين : رنين » .

ومن مخترعاتهم فتح الأنفاق وتسمى عند العامة النقوب جمع نقب واستخدمها الأسلاف لغرضين إحداهما اختصار المواصلات والرفق لبنى الإنسان من صعود جبل وهبوط آخر لأن ببلدنا جبال شامخة وهضاب متناثرة فنقروا فى الجبال أنفاقا ليربطوا القرى والمدن بأقرب الطرق وهى كثيرة .

وثانيهما أن تستخدم لمجارى المياه بأن يحولوا المياه من مجراها الطبيعى الذى لا ينتفع بمياه السيول إلى أودية تنتفع بها .

فمن الأول شِصْرُ عدن «شق عدن» ومن النوع الثانى نفق « بينون » ولقد ذرعته فبلغ طوله مائتين وأربعة وسبعين ذراعا من الشرق الجنوبى إلى الغرب الشمالى مع شىء من التعاريج وفيه مخابىء أشبه بمحل للحرس وعرضه خمسة أذرع ونصف وسمكه يتفاوت ما بين ثمانية إلى عشرة إلى خمسة عشر ذراعا .

وفى مدخله الشرقى الجنوبى ثلاث لوحات من نفس الجبل مكتوبات بالمسند لوحة على الباب وقد مزقتها الرماية بالرصاص وينسبون تلك الحادثة إلى بعض بيت حميد الدين الذى زار منطقة بينون ولم يبق من تلك الكتابة إلا بعض أحرف لا تظهر ، وثانيهما لوحة على يسار الداخل وقد أكل عليها الدهر ولم تعد تظهر من كتابتها شىء واللوحة الثالثة وهى على يمين الداخل والتى صمدت للأحداث ولا زالت كتابتها واضحة جلية وطولها ثلاثة أذرع وعرضها ذراع ونصف .

كما ذرعنا نفقاً نحن والأخ العلامة عبد الله بن عبد الوهاب الشماحى المجاهد فبلغ طوله سبعة وسبعين متراً وعرضه ثلاثة أمتار وسمكه ما يقارب سبعة أمتار .

أما الكهوف والبيوت البدائية فى الجبال فلا تدخل تحت الحصر .

ويلاحظ أنه لا يزال اليمنى يحتفظ بشىء من الفن المعمارى الجميل القديم إلى يوم الناس هذا كما أنه حمله معه أيام الفتح الإسلامى وشيدوا على غِراره فى أفريقية والأندلس وغيرهما وانتشر على أيديهم حضارتهم وثقافتهم .

وصفوة القول : أن الفنان اليمنى امتاز فى مجموع المبانى بطابع خاص يثير الإعجاب والدهشة ومصداق ذلك قول العزيز الحكيم « ولها عرش عظيم » .



الشعار للدول الحضارية ، عثر عليه فى مأرب وظفار الملك



أسد مجنح ، نحت على لوح من المرمر ، صور برقم ١٠٠٦

مطاحن المياه

وإسعاداً للإنسان اليمنى وتخفيفاً لأعباء أعماله اخترعوا مطاحن المياه ، وكانت مبثوثة فى عرض البلاد وطولها « لوجود » الشلالات المائية فيها وتسليط المياه على الأرحاء لتحركها بشدة وتدويرها بقوة ، وقد أدرك الهمدانى منها الشىء الكثير كما ذكر البعض منها فى كتابه صفة جزيرة العرب[١] ، ولا ندرى متى اختفت ، ولعل اختفائها كان تدريجياً .

وقد كشفت السيول فى بلاد ذى رعين كثيراً من الأرحاء ، كدليل على مانوه به الهمدانى وما طاحون قرية « حَدّة » الواقعة فى الجنوب الغربى من صنعاء إلا أثر من تلك المدنية .

الفنون اليدوية

والفنون الدقيقة والجميلة

تفنن اليمنى الحضارى فى الأدوات المنزلية والأوعية للمطابخ والأكل ، ولم يكتف بالفخار والخزف والمدر ، بل تطور حسب الظروف ، فزين الأوانى الأنيقة والأطباق الفضية الجميلة ، والأسِرّة والموائد ذات الأرجل الفضية ، والكؤوس الفضية والذهبية والزجاجية ، وحُلى النساء والأطفال كالخلاخل والدمالج والأساور والوساوس والشنوف والعقود والأحجال والقروط ، وغير ذلك من الصيغ والزينة .

ومن ذلك الخواتم جمع خاتم ، وهو ما توضع فى أصابع اليد ، فقد تفننوا فيه إلى أبعد الحدود فمن ذهب خالص وفضة مطعمة ، ومن الجزع والعقيق والياقوت والزمرد إلى غير ذلك من الأحجار الكريمة .

---

(١) راجعها بتعليقنا .

وهذا ما عثر عليه المستشرقون أو شاهدته أو سمعت به ، وهو قل من كثر ،
من ذلك أنه عثر على مصباح من البرنز ارتفاعه ٣٤ سم ومقمده ينتهى بجسم
أيل : وَعِلٌ يقفز ، وهذه القطعة توجد فى « فينا » عاصمة النمسا عثر عليها فى مدينة
« شبوة » كما عثر أيضاً على قطعتين سبائيتين من البُرُنز محفوظتين فى مجموع تاريخ
الفنون المحفوظة فى « فينا » وهما يستخدمان كقفل أو حلية ، وكلاهما يمثل معبوداً
جالساً ، وفوق هذا المعبود طائر باسط جناحيه ، وعلى اليمين واليسار تيسان فى حالة
استعداد للنطاح والقتال .

وفى « فينا » أيضاً عَصَاتان من البرنز إحداهما تنتهى برأس حية والأخرى
برأس حنش .

كما أن هناك مجموعة تماثيل من الأفاعى والثعابين « الحِنْشان » ، والجمال ،
والخيول ، والفيران ، والغزلان ونحوها .

وشاهدت فى ظفار الملك « بيحصب » فصاً من الجزع الأبيض فيه تجازيع
ويرى من جوهره نصف إنسان قاعداً على منصة وأمامه منضدة من الجزع .

كما شاهدت أيضاً فصاً من الجزع الأحمر عليه رسم فارس بيده الرمح
وكأنه يطرد .

وحُدِّثتُ أن بعض المزارعين من قرية القممة من بنى حشيش خولان
العالية فى الشرق الشمالى من صنعاء بينما كان يحفر بئراً ، فلما بلغ فى
الحفر سبعة أمتار ، إذ وجد ثلاث غرف فى أحدها إناء كبير مملوء بقطع
ذهبية من الذهب المائل إلى البياض ، وهو أجود الذهب ، وفى الآخرتين
قطع كثيرة من الذهب الحميرى وأشياء غيرها من الأحجار الكريمة ، ومن جملتها
خاتم ذهب وعليه تمثال فارس ، وكله من الذهب وهو آية فى الفن والجمال
والاتقان ، وقد تسامع الناس بذلك ووصل خبر هذه الحادثة إلى عباس بن يحيى

حميد الدين حاكم المنطقة المذكورة حينئذ فابتلع أكثر هذه الأشياء بزعم أن فيها « الخُمُس » ، لأنها ركاز واختفى جزء ضئيل بالانتهاب ، هكذا خبرني السيد النبيل إبراهيم بن على الوزير .

وأما الفنون الجميلة فهى نوع من الفنون الدقيقة إلا أنها أخص ، فالفنون الجميلة هى التى تنبسط لها النفس من المصنوعات لجمالها ورونقها لا لمنفعتها ومتانتها، وهى بهذا الاعتبار قسمان :

الأول : ما تظهر أشكاله محسوسة ، كالحفر والتصوير والنحت والتمثيل ، وتسمى الآن الفنون التشكيلية .

والثانى : ما لا يحس ، ولا يرى بل هى من قبيل الخيال كالشعر والموسيقى ، وتسمى عند العرب بالآداب الرفيعة .

فالتصوير والنحت والحفر والرسم والتمثيل ، قد سقنا نماذج من ذلك والبعض يدل على الكل .

وقد كان فن التصوير وما رادفه فى اليمن الخضراء مضرب الأمثال فى الدقة والهندسة إلى حد يعجز عند فنان العصر الحديث فرسمو الإنسان على اختلاف أحواله قائماً وقاعداً ومضطجعاً مع دقة وعناية لحالته النفسية من سرور وحُزْنٍ وغضب وما فى بدنه من علامات كتجعيد الشعر وتغضن البشرة ونحو ذلك من الملاحظات الفائقة حد التصور .

كما نحتوا أشكال الإنسان وسائر الحيوانات والعصافير والطيور والأشجار المثمرة والفواكه إلى ما لا يدخل تحت الحصر .

ولقد شاهدت فى خرائب « ينون » رسم بقرة أضخم من الجاموسة وضروعها متدلية وأمامها إنسان يحلبها كما أبصرت هنالك شجرة تفاحة قد طُعِّمَت

بشجرة الكرم : العنب وبشجرة أخرى ، وقد تدلى عنقود العنب بحباته وشعيراته إلى داخل حبة كأنه حقيقة ، وأمامها عصفور يتناول بمنقاره من حبات العنب ، ومثلها أو ما يشابهها فى ظفار الملك « يحصب » ، والرسم فى غاية من الدقة والملاحظة .

الشعر

ومن الفنون الجميلة الشعر وقد عرّفه العلماء أنه الكلام المقفى الموزون ، ولكن بعض المتأخرين ، ومنهم العلامة « جرجى زيدان » لم يرتض هذا الحد للشعر ، وناقشه بأنه حد للنظم لا للشعر ، فالشعر لغة النفس والقلب والكلام المرسل لغة العقل .

والشعر لا يخلو منه أمة من أمم العالم قديماً وحديثاً لأنه مرآة آداب الناس وصحيفة أخلاقهم وديوان أخبارهم ، وسجل عقائدهم ولأن المدارك النفسية وميولها ارتقت قبل أن يرتقى العقل ، فتكلم بالشعر قبل أن يتكلم بالعلم .

والشعر العربى قديم وفطرى فى العرب ولغتهم واسعة ولتوسعها كانت أكثر استعداداً للتعبير فى الأغراض والمقاصد من غيرها من اللغات لخواص توجد فيها ما لا يوجد فى غيرها .

وبما أن أمة العرب قديمة كما سلف ذكر ذلك فلا بد أن تكون قد نظمت الشعر من قديم الأزمان ، وإذا صح ما فى كتب المؤرخ القديم « عَبِيد بن شَرْية الجرهمى » من القصائد كان ذلك من الشعر اليمنى القديم .

غير أنّ أقدم ما وصل إلينا وهو صحيح من أشعارهم لا يتجاوز القرن الثانى قبل الهجرة .

ولا يبعد أنه ضاع أو أنه لم يسجل لعدم الاهتمام بتسجيله ، فى الصخور

وغيرها أو لجهل الناس به أو سبب من الأسباب غير معروف ، ولعل الأيام تكشف لنا ما لم يكن بالحسبان[1] .

وقال عبد الملك بن هشام المعافرى فى السيرة ص ٤٠ بعد أن ساق قصيدة عمرو بن الحارث ابن مضاض الجُرْهمى التى أولها :

وقائلةٍ والدمع سَكْبٌ مُبَادرٌ　　وقد شَرِقَت بالدمع منه المحاجر
كأنْ لم يكن بين الحجون إلى الصفا　　أنيس ولم يَسْمُر بمكة سامر

وحدثنى بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل فى العرب ، وأنها وجدت فى حجر باليمن ولم يسم لى قايلها .

على أنه قد سبق لنا قريباً أن الملك يتقدمه ثلة من الجنود يرددون أمامه الأهازيج والتغاريد الزوامل ، وهى نوع من المزج أو الحمينى الشعر الشعبى اليوم فهو ضرب من الشعر ، وبهذه الرواية التى هى عن مؤرخى الأغريق واليونان ثبت جلياً على قدم الشعر العربى وقدمه باليمن .

وأجمع العلماء على أن اليمن هى حاملة لواء الشعر العربى بما اشتهر عن حامل لواء الشعراء وإمامهم امرىء القيس بن حجر الكندى ، وأنه أول من فتق عين الشعر ودقه وطوله وتفنن فيه ، ووصف الديار والدمن والعشب والعرس ، وأول من شبه فى شعره وغزل الغزل .

وقد كان من شعراء اليمن من كان أقدم منه على أنه لم يكن فى طبقته مثل الأفوه الأودى وغيره ، لكنه لم يشتهر شهرة مَلِك الشعر والبيان امرىء القيس .

---

(١) راجع الجزء الثامن من الإكليل عن المسند الذى عثر فى مدينة الجند ففيه شعر حميرى .

وقيل للفرزدق من أشعر الناس قال الذى يقول :

كأنّ عيون الوحش حول بيوتنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

وهو القائل فى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت واحد :

كأنّ قلوبَ الطـــير رطباً ويابساً

لدى وكرها العنابُ والحشف البالى

وهو المشبه أربعة أشياء فى أربعة أشياء فى بيت واحد :

لهـا أيطَـلا ظبي وساقا نعـامة وإرخاء سِرْحانٍ وتقريب تَتفُلُ

وقيل للفرزدق من أصدق الناس قال الذى يقول :

الله أنجـــح ما طلبت به والبر نعم حقيبة الرحـــل

يريد أنه لم يمدح أحداً.

فاليمن لها فضيلة السبق فى هذا المضمار وذهبت بالفخر .

وأما الموسيقى فهى فن الغناء ، وتقول العامة موزيكا وموزيقا ، وهو طبيعى فطرى منذ القدم ، وموجود فى كل أمة وعصر لأنه لغة النفوس وترجمان العواطف ، ولهذا قيل : كل واحد يعجبه طنين رأسه .

ويبتدى بتقطيع الحروف وترجيع الصوت ، والشعر ديوان العرب فكانوا يتلونه بدون ترنم ولا غناء ، وتلك أول خطوة نحو الموسيقى لأنها بِنْتُ الشعر أو أُخْته ، والمرؤ شغوف بصوته فكان منه الحداء لسوق الإبل لتخف السير لأنه يتناسب مع سيرها ويستعين به على تخفيف مشقة السفر ، كما وأن الرعاة للغنم والأبقار لهم نوع خاص من الترنم والزجر ، وكذلك الخيل حتى أن العمال فى العمارة والبناء وجميع العمال يستعينون على أعمالهم بشىء من الترنم والنغم وترجيع الأصوات المطربة : وكذا الذى تمتح المياه والسقاة والنواضح لهم تلاحين وأهازيج معروفة ، وذلك أمر مشاهد وملحوظ .

وكان العرب يسمون الترنم إذا كان بالشعر غناء ، وإذا كان بالتهليل أو نوع القراءة تغبيراً « بالغين المعجمة والباء الموحدة » ، وعللها أبو إسحاق الزجاج بأنها تذكر بالغابر أى الباقى أى بأحوال الآخرة .

ثم اخْتُرِعَ آلة الغناء كالشُّبَّابة والربابة والدف والطبل : المرفع ، والمزمار ، والعود والصنج والمِزْهر ، ونحو ذلك وتطور إلى ما هو عليه اليوم .

وحظ اليمن من هذا الفن ـ الحظ الوافر ، « فلسان اليمن » يحدثنا فى ج ٢ ص ٤٤ من الإكليل عن أيوب الوكنى أنه صاحب الأغانى الحميرية ، وقال فى صفة جزيرة العرب ص ٢٠٢ فى مواضع النياحة فأما خيوان ، فإن الرجل المنظور إليه ومنهم لا يزال يُناح عليه إذا مات إلى أن يموت مثله ، فيتصل النوح على الأول بالنوح على الآخر ، وتكون النياحة بشعر خفيف تلحنه النساء ويتخالسنه بينهن وللرجال من الموالى لحون غير ذلك عجيبة الترجيع بين الرجال والنساء ، وقد ذكرنا نعاء الموتى فى كتاب القوس من اليعسوب. الذى لايزال مفقوداً .

وقال المسعودى ج ٣ ـ ٤٥٥ ، وكان أول من غنى من العرب الجرداتان وكانتا قينتين على عهد عاد لمعاوية بن بكر العماقى ، وكانت العرب تسمى القينة الكرينة ، والعود المِزْهَر .

وكان غناء أهل اليمن بالمعازف وإيقاعها جنساً من واحد وغنائهم جنسان حنفى وحميرى والحنفى[1] أحسنهما ، ولم تكن قريش تعرف من الغناء إلا النصب حتى قدم النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار من العراق وافداً على كسرى بالحيرة ، فتعلم ضرب العود والغناء عليه ، فقدم مكة فعلّم أهلها فاتخذوا القينات .

والغناء يرق الذهن ويلين العريكة ، ويبهج النفس ويسرها ويشجع

(١) كذا فى الأصل حنفى والذى فى الإكليل (ج ٢ — ٢٨٠) الحيفانى نسبة إلى ذى حيفان منهم أبو العلا الحيفانى الشاعر صاحب الأشعار الحميرية وله افتخارات حسنة.

القلب ويسخى البخيل ، وهو مع النبيذ يعاونان على الحزن الهادم للبدن ويحدثان نشاطاً ويفرجان الكرب ، والغناء على الانفراد يفعل ذلك ، وفضل الغناء على المنطق كفضل المنطق على الخرس ، والبُرْء على السقم .

الصناعة

سبقت الإشارة عن الصناعة فى ص ٩٥ ، وإن الخضراء فقدت مكانتها التى كانت تتبوأه فى العصر الحضارى القديم ، ولم تعد شيئاً مذكوراً ، ولكن لا بد من الأماع إلى ما كانت تتمتع به إبان حضارتها الأولى ، وإنها كانت آية فى الصناعة التى هى مظهر من مظاهر تمدنها والتى بها صارت مضرب الأمثال .

فلأول وهلة اعتنى اليمنى بالصناعة لاحتياجه إلى ذلك ولخصب بلاده التى تنتج القطن وغيره من المعادن ، واعتمد على نفسه فى الإنتاج المحلى ، فسد حاجته حتى حصل على الاستكفاء الذاتى ، وفاض خيراته على من حوله من مستعمراته وراجت هذه الصناعة فى الجزيرة العربية ، فكانت تصدر كميات كبيرة إلى الأسواق العربية وغيرها ، ومنها تحمل إلى البلدان النائية ، وكانت المثال الراقى للذوق الصناعى والتمدن العربى بفضل نشاط واتقان العامل اليمنى الذى أبدع واخترع مصانع الغزل والنسيج الأولية ، وهيئت له الظروف لتشغيله لإنتاج جميع الصنائع اليدوية ، كالثياب القطنية على اختلاف أنواعها وأشكالها ، وأدخلت عليها أشياء ذوقية راقية من الزخرفة والزركشة من الأصباغ ذات الألوان الحمراء والصفراء والسوداء ، أو تطعيمها بالحرير والكتان وكل ما هو رائج لذلك التاريخ .

وهذا فضلا عن اتقانه أعمال الحدادة والنجارة والخياطة والخرازة والسمكرة وغيرها مما هو معروف لذلك العهد .

فنسج الأقمشة الحبرة ذات الخطوط المزخرفة بالأصباغ الملونة بالحمرة والصفرة

وغيرهما التى كانت الأصباغ تتقن ، وتوضع فى معاجن الصناعة بموازين متساوية ومقادير محكمة وبدقة وملاحظة فيلونها حسب الذوق المتبع لذلك العهد .

واشتهرت من هذه المصانع بين العرب ، وجاء ذكرها على ألسنة الشعراء ، وفى الأقوال المأثورة والأحاديث المشهورة .

فمنها مخلاف المعافر ، وصنعاء وريدة البون ، وريدة حضرموت وعدن ، وحضرموت ومخلاف السحول ، ونجران وغيرها .

فيقال وشى صنعاء ، والعمائم العدنية ، والبرود اليمانية ، والثياب الحبرية : أى الموشاة المخططة ، وقد تنسب إلى حبرة والحبرة إسم محلة أو قرية والثياب المعافرية والسحولية .

قال طرفة بن العبد :

وبالسفح آياتٌ كأن رسومها يمانٍ وَشَتْه رَيْدةٌ وَسُحُولُ

وقال ناهض بن توبة :

ومر الليالى فهو من طول ماعَفا كبرد اليمانى وشه الحبر ناسى

وشه : وشاه : أى حبَّره .

وقال النابغة الجعدى :

رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة كحاشية البرد اليمانى المسَهم

وقال أبو طالب بن عبد المطلب من قصيدة له :

فيصبح آل الله بيضاً كأنما كستهم حبوراً ريدةٌ ومعافر

والشعر فى هذا كثير .

وجاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم كُفِّن فى ثلاثة أثواب سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة .

---

(١) راجع صفة جزيرة العرب بتعليقنا .

ولقد أذكر أنى زرت بعض مناطق السحول ، فأرانى بعض أهلها محل مصانع الثياب السحولية ، وقال لى بهذا اللفظ : هذه هى المصانع التى كان يصنع بها الثياب السحولية التى كفن منها النبى صلى الله عليه وسلم تلقيناه خلفا عن سلف وكابراً عن كابر ، وأنها تسمى المصانع وهى اليوم خراب وأنقاض، وتقع فى متسع من الأرض فى بطن السحول .

وقد بقى شىء يسير بيد اليمنيين من هذه المصانع مما كان عليه أسلافهم إلى زمن البعثة المحمدية وإلى ما بعد ذلك بزمن متراخى .

ومما يدل على ذلك ما رواه فى الأغانى ج ٢ ـ ١٣١ .

قال خالد بن صفوان بن الأهتم قال : أوفدنى يوسف بن عمر الثقفى إلى هشام ابن عبد الملك فى وفد أهل العراق قال فقدمت عليه ، وقد خرج بقرابته وحشمه وغاشيته وجلسائه فى أرض قاع صَحْصَح منيف أفْيح فى عام قد بكر وسميه وتتابع وليه ، وأخذت منه زينتها على اختلاف ألوان نبتها من نَوْر رَبيع مُورق فهو أحسن منظر وأحسن مخبر وأحسن مستمطر بصعيد كأنّ ترابه قطع الكافور ، قال وقد ضُرب له سرادق من حبرة كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن فيه فسطاط فيه أربعة أفرشة من خزّ أحمر من مثلها مرافقها ، وعليه دَراعه من خز أحمر مثلها عمامتها الخ .

ومما هو جدير بالذكر أن الملك تبع أسعد الكامل هو أول من كسا البيت الحرام بالخصيف : الحصير ، ثم كساه الثياب المعافرية ثم رأى أن يكسوه أحسن من ذلك فكسا الكعبة الملاء والوصائل فالملاء الملاحف، والوصائل البرود الحسان اليمانية ، ثم أنشد من قصيدة له :

وكسونا البيت الذى حرّم الله ملاءً مقصّباً وبرودا

قال النعمان بن بشير الأنصارى فى قصيدته المشهورة :

ونحن كسونا البيت أول من كسى وسيقت إلينا فى ظفار النعائم

وكانت كسوة الكعبة فى الجاهلية من عصائب اليمن ، وكذا كان لباس النبى

صلى الله عليه وسلم من البرود اليمنية ، وكذلك الخلفاء الراشدون ، وكان يلبس القلانس اليمانية وهى البيض المضربة .

ولما خرج النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة من داره بمكة أمر علياً أن ينام على فراشه وسُجى ببرده الأخضر الحضرمى .

وذكر علماء السيرة النبوية أن فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم لما تزوجت من علىّ أهدى إليها بعض النساء بردين من برود اليمن عليها دملوجات من فضة مصفرات بزعفران .

وجاء فى الحديث الذى رواه أبو داود فى سننه أن زرعة بن عامر بن سيف ابن ذى يزن الحميرى أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حُلّة قُوِّمَت بعشرين بعيراً ثم كساها عمر وقال له : إياك أن تخدع عنها .

وصنع ابن اليمن البُسُط الصوفية الملونة والطنافس: المخدات المزركشة والمقاعد الجميلة والفرش الوثيرة والرياش الفاخرة والبجادات الطويلة ذات الخمائل الناعمة وسهل له ذلك وفرة القطن وزراعته فى طول البلاد وعرضها ، وتربية الماشية من الإبل والأغنام والمعز والضأن التى تؤخذ منها الأصواف والأوبار .

وبرز فى صناعة الحلى من الذهب والفضة كالدمالج والشنوف والدقو والأسوار والخواتم والخلاخل والقروط وجميع آلة الزينة الجميلة الصنع .

واعتنى بحك الفصوص لجميع أنواع الأحجار الكريمة وجعلها فى الخواتم والحِلَق : جمع حلقه وطرز بها الحلى ورصع بها السيوف وآلة الحرب وعمل منها نصب السكاكين والخناجر ومقابض السيوف والرماح وشَجّر بها الغلافات ونحت منها مجامر للبخور والزينة إلى غير ذلك من التحف .

وسبق إلى طبع السيوف اليمنية التى يعتز بها شعراء الحماسة ويفاخر بها ذو الرياسة والشجاعة وهى مذكورة مشهورة فى أشعار العرب المدونة فى التأليف قال الشاعر :

كأنها أسيف بيض يمانيــة   بيض مضاربها باق بها الأثر

ومنها السيوف اليزنية المنسوبة إلى ذى يزن وكذا السيوف البُرْغُشيّة المنسوبة إلى ذى بُرغش قيل من حمير والأسنة والرماح الشرعبيّة المنسوبة إلى شرعب ابن سهل الحميرى قال الأعشى :

ولدن من الخطى فيها أسنة ذخائر مما سنّ أبزى وشرعب

وقال آخر :

يوم إباضٍ إذ لبست اليزنا والمشرفيات تقدّ البدنا

وقال الكميت بن يزيد :

سقينا الأزرق اليزنى منه وأكعب صعدة حتى روينا

ومنها السهام الصعدية المنسوبة إلى مدينة صعدة ، والدروع السلوقية المنسوبة إلى المدينة الأثرية المشهورة سلوق بمخلاف خدير من السكاسك .

والسيوف النقمية نسبة إلى حديد جبل نُقُم المطل على صنعاء من أشهر السيوف ولم يتوقف نشاطهم فى هذه الميادين بل كان لهم نشاط بحرى هام فهم أول من رفع الشراع ، وركبوا الأخطار فبنوا السفن والقوارب والزوارق وغيرها وعرفوا مواسم الرياح واتجاهاتها وجنوا من وراء ذلك أرباحاً طائلةً

ومن تلك الخدمات الجليلة التى قدمها تجار اليمن القدماء للإنسانية ، وكان لهم فضل آخر على الشعوب المتمدنة التى عاصرتهم بل وعلى عصرنا الحاضر أيضاً اختراعهم السفن ذات الهياكل المدببة مما يسر الملاحة وسهلها لأن السفن المدّبّبةَ أسرع دائماً فى شق عباب الماء من السفن المربعة التى كانت سائدة عند اليونان والرومان ، ومن السفن المقوسة التى كانت معروفة فى وادى النيل .

كما أن ربابنة السفن اليمنيين هم الذين اخترعوا الشراع المثلث الذى تمتد بطول السفينة ، وكانت الشراع عند الأمم الأخرى مربعة الشكل وبعرض السفينة ومما لا شك فيه أن الشراع المثلث يجعل الملاحين أقدر على التحكم فى حركة السفينة وتوجيهها ويضمن لها السرعة وخفة الحركة .

ونظراً لما للسفن المدببة والشراع المثلث من المميزات، فقد أخذ تجار العالم القديم يستخدمونها ، وبدأت السفن المربعة تتلاشى من البحار ، كما قل استخدام الشراع المربع تدريجياً .

وفى الوقت الحاضر أصبحت السفن المدببة والشراع المثلث الذى اخترعه اليمنيون هى السائدة فى أغلب جهات العالم .

وساعدهم على هذا وجود مادة الأخشاب والأشجار المدوحة فى الغابات ، وَمما اكتسبوه بالخبرة الطويلة من الأسفار إلى الأقطار النازحة ومما استجلبوه من هناك

الزراعة

الزراعة مرفق حيوى هام اذ الأرض التى نبتت الثمار والفواكه والاب والمرعى هى نفسها التى أنبتت الإنسان وتغذى منها وعليها تقوم حياته ويعيش بها إلى حين ومصداق ذلك قوله تعالى (مَتَاعاً لكمُ ولأنعامِكم) .

واليمنى القديم اهتم بالزراعة وعمارة أرضه التى منها خلق والتى إليها مصيره فلها المقام المرموق إذ الزراعة مصدر ثروته التى تكمن فيها حياته الطيبة وسعادته والتى حملته فى الذروة من الخبرة التامة والمكنة والقدرة فوق ما يتصور وكان عليما بمواسم الزراعة وأوقات البذور وفلاحتها ودمالها ومواسم هطول الأمطار ومعرفة النجوم وترك السلف للخلف ما يدل على بعض ذلك النشاط الكبير .

ناهيك أنه نحت الجبال وجعل منها أرضا قابلة للزراعة وانك عندما ترى المدرجات الأقسام أو الشماب فى قمم الجبال تأخذك الدهشة والحيرة وكيف وصلت يد الإنسان اليمنى إلى هذه المسالك الوعرة والشناخيب الصعبة والمهاوى والمزالق التى قل من يشاهدها إلا ذهل فضلا عن العمل بها وزراعتها .

ولقد شاهدت فى غير ما جبل — مزارع قديمة ومياه استنبطت وأماكن تزل منها القردة كانت فى القديم وكأنها غابة عامرة وحدائق مثمرة ولا نجد

موضع قدم إلا وقد استثمر وخط فيه المحراث وزرعت وقلعت وعملت فيها اليد اليمنية النشيطة غير الكسلانة « وعمروها أكثر مما عمروها » .

ومهما قيل فى اليمنى القديم فقد استغل ذكاؤه فى عمارة أرضه دهوراً طويلة واستثمر خيراتها بشتى الوسائل وأبدع فيها وتفنن فى زراعتها ولم يدع مجهودا إلا بذله ففتق العيون وَجَرّ الغيول وانبط الآبار وحفر القُلب واستعمل المواجل والكرف وصنع العرمات والحواجز لحفظ المياه والاسداد التى لا تحصى ليسقى أرضه عند خلو الأمطار وفى أزمان المحل والجدب .

والخلاصة أنه كان المثل الصالح للنشاط الزراعى وعمارة الأرض والانتفاع لمعرفته وخبرته إذ هو زراعى بالطبع ولا يزال الخلف محتفظا ببقية من ذلك النشاط

أضف إلى ذلك أن البلاد السعيدة بلد زراعى بطبيعة الحال التى حبتها مملكة السما تربة خصبة وأرضا كريمة ومناخا طيباً جميلا فى فصول السنة وأكبر من ذلك قوله تعالى (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُور) .

هذا وإنما ذكرنا الزراعة فى بحثنا هذا مع أنه قدسبق ذكرها فى ص٧٣ وكذلك سائر البحوث إلا كمقارنة بين الماضى السحيق والحاضر وشتان ما بينهما ، والأمل كبير وكبير جداً أن يخلق اليمنى الروح النشيطة التى كانت فى أجداده لاستثمار خيرات أرضه وبلاده لاسيما والعصر الحديث قد تطور فيه فنّ الزراعة واخترعت له آلات التى تيسر له ازدراع الأرض بشتى الوسائل ولكن الفرد العادى لا يستطيع أن يتوفر منها فيجدر به أن يتعاون مع أخيه فالمرء كثير بأخيه وقد أرشدنا الله إلى التعاون بقوله : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَقْوَى) وأى بر وتقوى من التعاون على قتل الفقر وعلى ما يقضى على البطالة وأذية النـاس بالسؤال المحرم كما يقضى على الغربة عن وطنه لطلب الرزق ولهذا يقول المثل اليمنى (تَجِدَ الصَّلَبْ ولا تجد العرب) الصلب الأرض الصلبة القاسية التى لا تنبت شيئا فطلبها بالحرث والزرع خير له من سؤال الناس ، وفى الحديث : اطلبوا الرزق تحت خبايا الأرض .

«وكما قيل فى التعاون : الفقر رجل قتله التعاون» فهيا بنا إلى ما هو خير وأبقى إلى التعاون لنعمر بلادنا ونستثمر خيراتها وننعم فى أوطاننا التى تربطنا برباطات وثيقة وليس فى هذا الحقل وبس بل فى حقول العمل كلها شريطة الأمانة ومحاسبة النفس بالمثل السارى «عس قلبك وقلب غيرك مثلك» .

التعدين

التعدين هو استخراج المعادن من باطن الأرض سواء كانت هذه المعادن من الذهب والفضة والنحاس والرصاص أو من الأحجار الكريمة كالعقيق والجزع والياقوت والبلور والزمرد والزبرجد والجواهر وغيرها .

واسلافنا استخدموا كل ما كان معروفا لذلك الأوان واستخرجوها من خبايا الأرض وانتفعوا بها وتمتعوا بالنفيس منها واستخدموها فى أغراض شتى سامية ووضعوا كل شىء فى الموضوع اللائق به من تزيين الغرف والسقوف والمصاغات والحلى والأوانى والمتاحف والمجالس وأماكن الاجتماعات ونحو ذلك

والخضراء كما سبق الإلماع إلى ذلك متوفرة فيها المواد المعدنية والحجارة الكريمة والتاريخ أكبر شاهد وكان اهتمامهم بذلك من أهم أسباب ترفهم وسعادتهم وطمع الغزاة لذلك العهد للاستيلاء عليها ، وقد شبهها بعض علماء الاستشراق «بكلفونيا» هذا الزمان لكثرة مناجمها ومعادنها وإنما تعوزها اليد النشيطة العاملة والنوايا الصالحة والرجال المخلصين لوطنهم وبنى جلدتهم[1] .

ومما يدل على ما نوهنا به أن مؤرخى اليونان والرومان مثل «ديودورا» و «استرابون» و «اغا ترشيد» أفاضوا فى ذكر تجارة سبأ واستخراجها للذهب

---

(١) يؤسفنا أن المسئولين طالما تغنوا فى الصحف وإعلان القرارات بالإذاعة باستخراج المعادن لا سيما النحاس والبترول ولكن سرعان ما يتبخر هذا الضجيج

والحجارة الكريمة التي تبيعها من البطالسة بمصر وإلى الفينيقيين بالشام هذا مضاف إلى تجارة العنبر وعود الطيب وغيرها ، وأيدت التوراة هذه الروايات كلها قال الأستاذ جواد علي ج ٢ — ٤٤ وقد أشار « اغاثر سيدس واسترابون » إلى مهارة العرب الجنوبيين ، وحذقهم في صناعة المعادن .

التجارة

ازدهرت تجارة اليمن الخضراء لموقعها الطبيعي الذي سبق التنويه به إلى حد بعيد ، وخولها أن تفيض بالخيرات ، وتقبض على ناصية التجارة العالمية ، وأن تتحكم فيها ، وتكون رمانة الحول والطول ، وكانت هي الأمة الوحيدة لتصريف منتوجات بلادها ومنتوجات البلاد الأخرى التي تتعامل معها كالهند والصين ، فكان بينهما علاقة تجارية لا يعرف مداها ، وكذلك بينها وبين مستعمراتها : الحبشة وسواحل إفريقيا ، فكان للهنود محصولات ومصنوعات ، كما كان لسواحل إفريقيا يحتاج إليها المصريون والأشوريون والفينيقيون ، وغيرهم من الأمم التي تعيش فيما بين حوض البحر الأبيض . وكان اليمني الحضاري هو الذي ينقلها على سفنه البحرية وقوافله البرية ، حتى أطلق قدماء المصريين على اليمن « الأرض المقدسة » لما كانت تمدهم بالطيوب والبخور لآلهتهم ، وكذلك الأفاوية والعقاقير لأصبغتهم ومشروباتهم .

وبهذا النشاط البحري ولا شك ضمن لهم بقاء تجارة الهند بأرباحها الطائلة في أيدي بحارة اليمن وتجاره الذين يطلبون مقابلها ما يشاءون من الأثمان الباهظة ، ويحددون لها السعر الذي يرونه ، وكان المشترون يضطرون أن يدفعوا لهم أثمانها مهما كانت مرتفعة عالية لشدة حاجة العالم القديم لهذه السلع الثمينة .

وكانت على شواطىء اليمن الخضراء فرض وموانىء كثيرة ذكرها مؤرخو اليونان والرومان قد اختفت ولم يعد لها ذكر ، ومنها ما لا يزال حيًّا

كميناء « عدن » ، و « المخا » التى ينطقون بها « موخا » والتى كانوا يسمونها « موزا » .

وكانت هذه الفرض تعتبر همزة الوصل ، والقنطرة التى توصل ما بينها وبين سائر الأقطار ترسو عندها القادمة من الهند كما ترسو عند عدن اليوم أثناء سفرها بين أوربا والهند والشرق الأقصى .

ويرجع بعض المستشرقين وجود الكتابات العربية التى بالمسند فى جزيرة « ديلوس » من جزر اليونان التى يعود تاريخها إلى القرن الثانى قبل الميلاد وفى وجود الكتابات المعينية فى هذه الجزيرة إلى علاقة تجارية واتصال تجارى بين العرب الجنوبيين وبين اليونان وكذلك ما عثر عليه من المسند فى مصر والسودان ، وأن جالية يمينة كانت تقيم فى هذه البلدان لا أنها علاقة استعمارية الأمر الذى يحتاج إلى فضل نظر وفحص دقيق وقد أوضحنا ذلك فى الحضارة .

المواصلات

أثبت التاريخ القديم والمصادر المطلعة التى جملناها من منابع التاريخ نشاط اليمنى الحضارى الذى استطاع أن يخضع الصحارى الملتهبة والقفار الجرداء ذات المسافات الشاسعة والأودية الغائرة والجبال الوعرة ونقوافله البرية ، وعبرت هذه المناطق غير وانية ولا فاترة محملة بالبضائع وأصناف التجارة من منتوجات البلاد السعيدة بما فيها حضرموت وعمان ومن منتوجات الهند وغيره إلى « بطرا » الشام وإلى ما بين النهرين وسواحل غزة والعقبة ومصر وقلب الجزيرة العربية .

وأتاحت له الفرصة لاتخاذ المراحل المناسبة والمحطات الكبيرة التى يتنسم فيها نسيم الراحة والقيلولة ويحط عنه وعن قوافله وعثاء السفر وعناء المشقة ولفح الهجيرة المحرقة ، واستخدم فى طريقه مستودعات ومخازن لحفظ تجارته وخزنها لاستغلال الظروف كما استطاع أن يستعمر بعض المناطق التى على طريقه ويسيطر عليها

وربطها بمجلة تاريخه كالعلا وبلاد الأنباط العرب وسخر أقواماً من أهل البادية لخفر القوافل من المتخطفين واللصوص .

كما سيطر بفلكه على أمواج البحار المائجة وتياراته المادرة وسخر سفنه الفنية المخترعة عابرة الثلاثة بحار ملتقى القارات حاملة مزودة من كل نفيس وغال .

والخلاصة أن الملاحة اليمنيّة والمواصلة البحرية ازدهرت ازدهاراً لا مثيل له فى دولتى سبأ وحمير اللتين كانتا مسيطرتين على جميع المنافذ وعلى كل المجازَات البحرية وكانت بمثابة الشرايين تملأ أسواق الأقطار بالأعلاقِ النفسية والأشياء الثمينة كما كانت تزدحم الموانى بأصحاب السفن والملاحين العرب وكلهم فى شغل شاغل بشئون التجارة ، وكذا معين .

ولولا ضيق المقام لأوردنا كلام المؤرخ المعاصر لهذا العهد الزاهر وهو صاحب كتاب (بربلوس مارس اريتريای) وهذه عبارة يونانية معناها دليل موانى البحر الأحمر، والمحيط الهندى . وهو مؤرخ شاهد عيان وعاش فى مدينة الاسكندرية فى القرن الأول للميلاد .

وبما أن اليمن الخضراء أغلب مناطقها جبلية فقد قام ملوكها القدامى المصلحون بتعبيد الطرقات الجبلية الوعرة وشقوا الجبال الشامخات وأنزلوها إلى الوهاد صالحة للمرور ووصلوها بالمناطق الأخرى رغم بعد المسافات وصعوبة المسالك وقلة المنافذ والمخارم والمجارى ونصبوا الجُسور والقناطر لربط الطرق بعضها ببعض ولمجارى السيول .

ولم يكتفوا بهذا بل صَلّوها « بلطوها » بالحجارة الصلدة والصخور الصماء التى تبقى على ممر الدهور والأعوام ولا تضرها عادية الأيام ولا ينالها التفتيت والاحتكاك وأحكموا تعاريجها وملاويها ليسهل صعودها بفن هندسى رائع وبمدرجات محكمة مدهشة مع تلاحك وتداخل فى أحجارها كى لا تزيغ الأقدام فيها مضافاً إلى المماقم التى تحجز بين الدرج لئلا تذهب بها السيول أو بكثرة المرور

مع الاحتفاظ بالعمارة المتقنة فى جوانب الطرق خوفاً من الانزلاق والخطل فى مهاوى الهلاك فيمر المار ليلَ نهارَ لا يخاف بؤساً ولا حيدا ولا ضاحة .

وبهذه العملية الفنية الفائقة سهل للإبل ذات الحمولة الثقيلة صعود هذه النقل والعقبات الكؤود وكذا البغال المثقلة والحمير المحملة تمرّ وهى فى أمان وسلام .

ولقد شاهدت فى خبان من ذى رعين طريقاً مصلولة ، مبلطة وذَرَعْتُ عرضها فجاءت ثمانية عشر ذراعاً خارجا عن جوانبها .

كما أن الملك أسعد الكامل باط الطريق من مقر ملكه « ظفار يحصب » إلى مكة ولا زالت تذكر باسمه فى بعض مقاطع الطريق كصلول خيوان من بلد حاشد ونقيل الغولة المطل على البون من همدان .

وما طريق الملك أسعد الكامل المذكورة والتى لها بقية فى بلاد عسير يذكرها الناس بالإجلال والعظمة وذكرها فؤاد حمزه فى كتابه « فى بلاد عسير » إلا صورةٌ حيةٌ من ذلك التمدن النابض بالحياة .

والنّقُل والعقبات فى اليمن شىء لا يحصى وكانت قديماً عامرة وإلى زمن قريب ثم تدهورت بسبب الاهمال وتركها بدون معاهدة .

وإنى أهيب بذوى الأمر فى كل مقاطعة أن يلفتوا أنظارهم إلى هذا المرفق ولا يدعو للأمطار والإهمال إليها سبيلا ولا منفذاً .

وَمن وَسائل المواصلة فى عالم اليمن القديم إشعال النار فى شِعَاف الجبال التى سميت فيما بعد بالمنارات ، وَقد قيل إن أول من اخترعها الملك تبع أبرهة بن الحارث الرايش الذى لقب بذى المنار لذلك السبب .

وَقد اهتدى هذا الملك لهذه الوسيلة لنزول حادثة أَلَمّت بالملك أو أمر جلل فتشعل النار فى رأس جبل من الجبال العالية وَمن رآه عمل كذلك وَهلم جراً إلى أقصى الجزيرة العربية[1] فما يأتى صباح تلك الليلة إلا وَقد توافد الناس أولاً فأول .

(١) انظر تفسير الدامغة

ومن المواصلات ماذكره «لسان اليمن» أن أول من سن الديوان واتخذ أصحاب الأخبار وبث الفُرانق والبُخْت[1] هم ملوك اليمن الخضراء، والمراد بالكلام الأخير «البريد» المعروف قديماً وهو إيصال الأخبار بين الملك وعماله.

وقد عنّ لي هنا تتميماً للفائدة وتوفيراً للمعلومات أن نذكر طرق المواصلة الرئيسية لعهود معين وسبا وقِتبان وحمير التي تربط الخضراء بالاصقاع الأخرى والتي ظلت إلى أجل غير مسمى معروفةً ثم قضت عليها المركبات البخارية أو نسيت واندرست.

وتتكون الطرق المذكورة من ثلاث طرق رئيسية طريق بحرى وطريقين بريين عدا الفروع.

فالطريق البحرية: طريق الشراع التي أخضع اليمنى مياه الثلاثة بحار لأنهم كانوا أسيادها وهى القلزم «البحر الأحمر» وبحر الشام «البحر الأبيض» وبحر الهند.

وطبيعى أنه كان لهذه الممرات المائية موانى ومحطات تجارية فيما بين شواطىء هذه الثلاثة بحار لتتبادل معها البضائع وسلع التجارة من تُحَف اليمن وطرائف الهند، والصين فتفرغ حمولتها هنا لتأخذ عوضها من هنالك وهكذا دواليك، ولا زالت بعض تلك الموانى معروفة إلى هذا التاريخ.

أما الطرق البرية الرئيسية التى توصل اليمن الخضراء إلى سائر الجزيرة العربية وأقصاها شمالا وإلى غيرها فمنها طريق الساحل.

وتبتدى من عُمان فدوم فأحور فَعدن وهذه محطات رئيسية وتقدر مسافة هذه الطريق بقرابة نصف شهر بينما قدرها ابن خرداذبة بثمان مراحل.

---

(١) الفرانق بالضم: الدليل لصاحب البريد والبخت: الإبل الخراسانية راجع تفسير الدامغة.

ثم تلتقى بطريق عدن الساحلية والوسطى التى ذكرها « لسان اليمن » مرحلة مرحلة إلى جدة ثم إلى مكة وذكرها أيضاً ابن خِرداذبة وتبعهما نجم الدين «عمارة اليمنى » فى تاريخه ص ٧١ ومن مكة وجدة إلى غزة وسواحل الشام أو إلى وادى القرى والعلا وبطرا .

أما الطريق الثانية فتمر من عُمان ففرق ثم ظفار الحَبُوضى فمهرة فشبام حضرموت فتريم فهينن من حضرموت ثم تتفرع هذه الطريق إلى ثلاثة فروع :

الفرع الأول من هَيْنن إلى بلاد الواحدى : جردان وخورّة ثم بلاد العوالق العليا « عَبَدان » ثم مدينة حصى الأثرية وبنى أرض من سرو مذحج : بلاد البيضاء ثم ردمان ، بلاد السوادية ثم رداع فمدينة ذمار حيث تلتقى بمحجة « عدن » إلى صنعاء .

الفرع الثانى من هَيْنن إلى العَبْر ، ثم بيحان وتمنا : عاصمة قِتْبان فأرض سبأ « مارب » فمدن « معين » بالجوف فنجران وإنشاء صعدة ، وينضم مع أهل حضرموت فى هذه الطريق بيحان ومارب ومرخة والسروين : سرو مذحج وسرو يافع ، وهذه هى الطريق العليا .

قال ابن خرداذابه : ما بين مأرب وعندل ، وهى حضرموت تسع سكك ، أى مراحل .

الفرع الثالث المحجة السفلى : من حضرموت إلى العبر وشبوة فمفازة صيهد وبلد الرس فنجران ، وتقدر مسافة هذه الطريق بثمانية أيام ، وقد يضلُّ فيها السالكون .

ثم من أخذ إخْذ نجران على ذات اليمين فالعقيق والدَّهناء ، ومن أخذ ذات الشمال فمن نجران إلى حبونن : حبونة ثم الملحات ثم لوزة ثم عبالم

ثم مربع ثم المجيرة ثم تثليث ثم جاش ثم بجمة ترج حيث تلتقى بمحجة صنعاء فتبالة فرنية فتربة فالطائف وتلتقى بمحجة العراق واليمامة والبحرين بالمشاش بين حنين والعوارة أعلى مكة .

وثمّ طريق رابع كانت تسمى طريق الرمم وطريق التبابعة إلى العراق للغزو والاستيلاء ، وكذلك كانت طريقاً للقوافل .

ولهذا قال « لسان اليمن » لما ذكر السر سر ابن الرويّة : والسر مبتدأ المحجة من صنعاء إلى البصرة[١] .

وقال قدامة الكاتب (ص ١٨٩) : وكان يمر بها البصريون فى الإسلام إلى صعدة وصنعاء للاتجار وبيع أشيائهم ، ويتعاوضُون بغيرها .

وهذه الطريق تتفرع إلى فرعين :

أحدهما : تأخذ طريق نجران كما ذكرنا آنفاً فإلى الدواسر والأفلاج ثم إلى البديع واليمامة ثم إلى الحساء ، وذكر بعضهم : إن المسافة من الدواسر إلى الحساء ستة أيام ، ثم إلى العراق ، وكانوا يسافرون منها فى كل عام مرتين وفى سنة ٥٣٥ (خمس وثلاثين وخمس مائة هجرية) انقطع السالك منها وانقطع المرور بها ، ولا يمر بها الآن إلا أهل تلك الجهات من القبائل الرحل ، أو من يرفق بدليل من رؤسائهم .

والثانية : طريق الرمل الصحراوية ، وهى ما بين اليمامة ونجد ، وما يسمى الربع الخالى .

وكانت لعهد التبابعة معمورة تسير فيها القوافل مخفورة ، وهناك محطات فيها القُلب العادية والآبار ومخافر للحرس ، ونحو ذلك .

---

(١) راجع صفة جزيرة العرب بتعليقنا ، وكتاب الجوهرتين العتيقتين

وتقدر مسافة هذه الطريق بسبعة أيام ، وقد اندرست وعفى أثرها وخربت لطول الزمن ، وغطت الرياح آبارها بأكوام الرمال .

وكان يمر بها البدو الرحل للغزو والسلب والنهب للإبل والأغنام إلى عهد قريب كما يحدثنا قبائلنا من أهل الجوف وخب من عنسي وهمداني ومرادي .

ولهم طريقة عجيبة فى ذلك فيعمدون إلى تضمير الإبل ، أى تعطيشها ، ثم يجعلون فى أرجلها الأدم (الجلود) من شدة الحر وكثرة الحرشات والعقارب لمعرفتهم بها وصبرهم على قلة الماء ، وتعودهم على شرب الحليب بدلا عن الماء والزاد ، وقد يحفرون اغروب المياه فى الرمال ويضعون عليها علامة إلى عودهم بصورة لا تكلفهم أى عناء أو بحث ولا يعرفها غيرهم .

ولقد حدثنا قبائلنا المذكورة بأشياء تذهل عن هذه الرحلات وما يلاقونه من متاعب ومخاوف ، ويرجعون أحياناً موفورين موقرين بالغنائم من غنم وإبل لأنهم يأخذونها على غرة من الرعاة وأهلها ويفوتهم الطلب ولا يستطيعون اللحاق بهم فى حين أن المسلوبين لا يعرفون الممرات الرملية ، وحيناً يدركهم الطلب ، وتحصل معارك شديدة ويرضون من الغنيمة بالإياب .

ومن هذه القبائل الكرب والصيعر الكنديتين ، ولهم أخبار كثيرة .

ومن هذه الطريق كانت غزاة تبّع حسان بن أسعد الحيرى لقبيلة جديس أهل اليمامة .

وفى سنة ٦٤٩ هـ ، وسنة ٦٥٦ هـ سلك هذه الطريق رسل الملك المظفر يوسف ابن على رسول الغسانى صاحب اليمن إلى الخليفة المستعصم العباسى فى بغداد ، وكان طريقهم من السر سر ابن الرّوية إلى براقش الجوف ، ومنها على طريق الرمل بمعرفة الأدلاء من أهل البادية فوصلوا بغداد على أربعة عشر يوماً[1] .

---

(١) تاريخ الخزرجى وغاية الأمانى ج ١ ص ١٣٧ ، وقد بسطنا القول فى هذه الطرق بأوسع من هذا وأوضح فى كتابنا المعجم .

اللغة ، الكتابة ، والديانة

إن اللغة ضرورية لبنى الإنسان لأنها وسيلة التخاطب ، وواسطة التعارف ، وترجمان لما فى الأفكار ، وتبادل للمعانى التى تجيش فى النفوس الكامنة ، وبها ترتفع الأوهام ، وتتناجى بخاجات الأفهام ، وما فى حنايا الضلوع التى لا تجد متنفساً غير التعبير بالكلام ، ولولاها لما حصل التفاهم ، ولا عرف شىء من المسميات .

وباللغة امتاز الإنسان عن سائر الحيوانات ، ولهذا عرّفه الفلاسفة بقولهم : الإنسان حيوان ناطق .

واختلف علماء الإسلام عن أصل واضع اللغة وأول من وضعها إلى ما يزيد على عشرة أقوال ، وكلها لا تخلو عن فائدة ، كما أن كل قول من هذه الأقوال قد نوقش مناقشة حادة[1] .

والذى تطمئن إليه النفس ويقارب الأفهام وتجنح إليه أن اللغة إلهامٌ دعته حاجة الإنسان لوضع أسماء خاصة للمسميات التى تمر على سمعه وبصره وما يشعر به مما حوله وتوحى إليه بيئته ومجتمعه ولها جرسها ونبرتها ولها خاصيتها فى نفسه وَمدلولاتها عندما تقرع سمعه ثم تواضعوا على تلك الكلمة وَاصطلحوا عليها وَانتشر فيما بينهم ، ونتج من جراء ذلك الاشتقاق الذى تصاغ منه كلمات وكلمات .

وهكذا تصاغ الكلمة بحسب متطلبات الحاجة وظهور كائنات وموجودات وأشياء جديدة تجبره على اختراع مسمى لها ويتكلم بها بداهة ولأول مرّة .

كما ألهم عالم النباتات « جالينوس » على خواص النباتات وأسمائها ومنافعها ومضارّها ، وكما ألهم الإنسان بالضّار والنافع من النبات والهوام والحرشات السّامة وغير السّامة .

---

(١) راجع المزهر ص ٥ ، وكتب أصول الفقه .

مثل ما ألهم الحيوان الأعجم الأشجار وعضة المراعى والأعشاب فإنه يتجنب أشياء ويأخذ أشياء .

ولا خلاف ولا جدال أن لغة بنى حمير ، أو لغة اليمن أو جنوب الجزيرة العربية لغة عربية أصيلة خالصة من كل شائبة ، وإن اختلف فى تفاصيلها وَمفرداتها وتراكيبها ولهجاتها ونبراتها وبعض خصائصها ، بل الراجح أن اليمن منبع اللغة العربية الأصيلة التى استقت منها سائر لغة العرب .

وأما حذلقة عميد الأدب « طه حسين » فى كتابه « الأدب الجاهلى » عن لغة حمير ، فهى ظاهرة السقوط لأول وهلة ، وقد لقى معارضة شديدة وردوداً عنيفة من زمرة من العلماء الأفاضل وهدموا نظرياته السفسطائية ، وأصبح فقيراً من الإجابة وناله الحصر .

وكما أن اليمن الخضراء مهد الإنسان الأول ، أو الإنسان العربى ، وإنه أيضاً مهد الحضارة فهو أيضاً المنبع المعين للغة العربية التى انبثقت عنه وحملتها الموجات العربية إلى أقاصى الجزيرة[1] .

ومن الأدلة على هذا إجماع مؤرخى العرب وعلماء اللغة ، كما سلف الإيماء إلى ذلك بأن اللسان العربى فتق على لسان العرب العارنة الذين هم أولاد يعرب ابن قحطان أبى اليمن لأنه أول من أعرب الكلام ، أى أبانه وتكلم به ، ومنه انتشرت اللغة العربية ، وأخذ عنهم نبى الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام الذى تسمت أولاده بالعرب المستعربة .

قال ابن النديم فى الفهرست (ص ٦) : قال ابن إسحاق : فأما الذى يقارب الحق وتكاد النفس تتقبله أن الكلام العربى بلغة حمير وطسم وجديس وأرم وعوبل ، وهؤلاء هم العرب العاربة .

وقد ثبت بالاستقراء من الباحثين المعاصرين المَعنيين بهذا الشأن أن اللغة

---

(١) راجع جواد على ج ٢ ص ٢٧٩ .

السامية ترجع إلى أصل واحد أسموها باللغة السّامية ، وأن منبت هذه اللغة باليمن على خلاف فيما بينهم .

وأما قول أبى عمرو بن العلاء النحوى : « ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا »[1] فيعنى اللغة العامية واختلاف اللهجات أو من قبيل تداخل اللغة وإلا فبأى لغة كان يحصل التفاهم بين قبائل الشمال والجنوب وبأى لغة فهموا القرآن الكريم ومخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم ومخاطبتهم له ومراسلته لأقيال حمير ووفود شعراء الشمال على ملوك وأقيال حمير ومدحهم بالقصائد الطنانة ولم ينقل إلينا أن هناك مترجمين أو وسائط أخرى[2] .

وما أشبه اللغات وتعددها بأفراد بنى آدم فإنهم يتحدون فى الحيوانية الناطقة بحيث يطلق على كل فرد منهم لفظ إنسان ولكنهم مختلفون بمميزات أخرى مثل الطول والقصر والسِّمَن والنحافة والبياض والسمرة على إن ذلك موجود فى كل اللغات فتعدّادها يختلف بالنسبة للاختلاف الذى يوجد فى ألسنة المتكلمين بها فلغة هذيل غير لغة عقيل وكلاهما غير لغة قيس وكل منهما غير لغة أسد والأربع تتميز عن لغة تميم ويغاير الجميع لغة الحجاز وكذا لغة اليمن[3] .

وقد عقد « لسان اليمن » باباً فى كتابه « صفة جزيرة العرب للهجات لغة جزيرة العرب قطراً قطراً ومنطقة منطقة وخص القسط الأوفر منه « اليمن الخضرا » .

ونستشف منه اختلاف اللهجات وكلها عربية كما أومأ فى الجزء الثانى من الإكليل ص ٢٤٦ على وجه الخصوص إلى اللغة الحميرية ثم أحال سر ذلك إلى كتابه سرائر الحكمة الذى لا يزال مفقوداً يسر الله وجوده[4]

---

(١) ابن سلام فى الطبقات

(٢) راجع الإتقان للسيوطى حيث قال ما معناه أن ابن عباس لم يعرف تفسير بعض الكلمات القرآنية إلا من لغة اليمن

(٣) راجع المزهر ص ١٢٨ ، وتاريخ دول العرب والإسلام ص « ٩٠ » كتاب مميزات العرب

(٤) فى عزمنا إن شاء الله تأليف معجم للغة حمير مع التعرض لأصول اللغة والكتابة

الكتابة

وأما الكتابة والخط فهى صناعة من الصنائع ولدتها الحضارة ومظهر من مظاهر التمدن ونتيجة من نتائج العمران دفعتهم الحاجة لتسجيل أسمائهم وقيد ما يحتاجون إلى قيده ليبقى سجلا على ممر الزمن كذكر تواريخهم وأخبارهم وتخليد وقائعهم وأيامهم إلى غير ذلك من الأغراض كذكر الآلهة والقرابين التى يتقربون إليها ووسيلة من وسائل التفاهم لا سيما لمن شحطت به الديار فإنه لا يعرف ما عند الآخر إلا بالكتابة ولا سبيل إلى معرفة ما ذكرنا كله إلا ابتكار الكتابة والخط .

واستنباط الكتابة التى هى أحد اللسانين من أعظم ما توصل إليه الإنسان وأكرم شىء عرفه ولعظم ذلك أقسم الله بالقلم وما يسطرون .

والخط والكتابة قديم لا يعرف تاريخ وجوده ولا أول من اخترعه واهتدى إليه وإن كان هناك روايات كثيرة فيها اختلاف لكن لا يصح الجزم بها ومنها أن أول من خط بالقلم اخنوخ وهو النبى إدريس بن برد بن مهلائيل ابن قينان بن انوش بن شيث بن آدم أبى البشر .

والقرآن الكريم يشير إلى قدمه : (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ)[1] (والطور وكتاب مسطور فى رق منشور) إلى غير ذلك من الآيات .

واليمن الخضراء عرفت الكتابة منذ أقدم العصور وكانت أعرق الأمم بالخط المسند فقد روى عن الحبر عبد الله بن العباس : أن اليمنيين تلقوا الخط المبتدأ المتصل عن كاتب هود عليه السلام ، وفى سيرة ابن هشام أن الخط جاء من حمير

ونقل فؤاد حمزة فى قلب الجزيرة ص ٣٠٩ ، أن البحاثة الهولندى المستر « فاندرمولن » (زار ديار عاد بحضرموت وقرية المشهد وخرابة عينون ووجد

---

(١) البروج — ٢١ ، ٢٢

هناك كتابات سبئية قديمة إلا أن دراستها وتمحيص ما فيها تستغرق من الجهد وَالوقت مالم يمكنه هو أن يقوم به) .

والشاهد بين أيدينا فأين ما سرت وكيف ما اتجهت تجد الخط المسند متناثرا فى القرى البسيطة التى لا يؤبه لها وعلى قمم الجبال وفى المتدرجات وفى أغوار الأودية وفى الأنجاد فى قلب البلاد السعيدة وجنوبها وَشمالها خصوصا نجد اليمن فإنه مستفيض بكثرة مما يدهش العقل وَيفوت الحصر وَيدل على ثقافة شاملة وَلقد زرت بعض منطقة قائفة « قيفة » وَبعض بلد عنس نحن وَالأخ العلامة الشماحى وَشاهدنا عجبا من انتشار النقوش وكلها فى الأحجار الصلب القاسى المعروف عندنا معاشر اليمنيين بالحجر الصورع وهو حجر أسود لا تفله زُبر الحديد ولا المعاول إلا بمشقة بالغة وتراها وقد نحتت نحتا هندسيا بديعا حتى صارت مَلْساء كالمرآة والكتابة فيها بخط جميل رائع وكذا فى أحجار البلق وعلى مداخل أبواب الحصون الباذخة .

وانك لتقضى العجب إذا قارنت بين الرجل اليمنى اليوم فى هذه المنطقة وغيرها الذى هو مثل التخلف والجهالة الجهلاء والبداوة والغباوة وَبين الرجل اليمنى الحضارى القديم الذى تحدر منه هذا الجيل وتكاد لا تصدق أنه من أبناء أولئك الأبطال صانعى الحضارة .

وَقال الأستاذ أحمد ضيف : (لا يكاد تخلو حجر فى جنوبى الجزيرة العربية قلبها وَشمالها من نقش تذكارى نقشه كتاب محترفون أو غير محترفين من الرعاة وَالقوافل الرحل يذكرون فيه أسماء آلهتهم وَقد يذكرون ما يقدمون إليها من قرابين وَقد يكتبون على قبورهم منتحلين أسمائهم وَأسماء عشائرهم وَما قام به الميت من أعمال وَقد يودعون بعض قرابينهم وَشرائعهم) .

وَالنصب التذكارية للميت على قبره لا زال مستعملا وَموروثا من الأسلاف ، وَيكون من الحجر المرمر البراق وَمن البلق الأبيض ينحت نحتا متساوى الجهات

ويُكتب عليه سطور بخط جميل قد فصل بين كل سطر بعمود لتمتاز القراءة وتظهر يذكر فيه نسب الميت ومولده ووفاته وما قام به من الأعمال ويوضع فى مقدم القبر ليستلفت الأنظار وأغلب ما تكون هذه النصب للعلماء وذوى الرياسة كما أنه مسموح لغيرهم وبدون جُناح وَيسمى الضريح .

هذا وإذا عدنا إلى كلام علماء الاستشراق لكى ندعم ما قلناه كما هو شرطنا فإليك كلمة العلامة المستشرق « مولر » الألمانى حيث قال :

إن أصل اتخاذ الكتابة بالحرف بعد الكتابة الهيروغليفية كان باليمن إذ اعتقد أن اليمنيين هم الذين اخترعوا الكتابة وليس الفينيقيون هم الذين اخترعوها كما هو الرأى المشهور وَقال :

إن الفينيقيين إنما بنو كتابتهم على الكتابة العربية اليمنية ثم إن اليونانيين أخذوا الكتابة عن الفينيقيين وعنهم أخذ الرومان فيكون العرب اليمنيين هم الذين أحدثوا الكتابة فى العالم، وبهذا الاعتبار هم الذين أوجدوا المَدنية ودعم ذلك بالأدلة(١)

وَذهب امام الباحثين العلامة « جلاَزر » إلى أن الكتابة المعينيّة ترجع إلى ما قبل المسيح بألفى عام ولذلك يكون أقدم من الكتابة الفينيقية التى لم تظهر قبل المسيح إلا بألف سنة .

وَيقال : إن « العلامة هاليفى اطلع باليمن على كتابات قديمة من أقدم عهود البشرية لم يطلع عليها بعدَه غيره .

وللمستشرقين حول الكتابة كلام طويل الذيول وللمؤرخين العرب شأن كبير حول الخط العربى وتاريخه وقد بذلوا فى تحقيق ذلك قصارى جهدهم نقلنا البعض فى تعليقنا على ج ١ — ٧٩ من الإكليل ومنهم ابن خلدون .

---

(١) تعليق الأمير شكيب على ابن خلدون

قال فى الفصل الثلاثون من مقدمته (ص ٤١٧) : وقد كان الخط العربى بالغاً مبلغاً من الإحكام والإتقان والجودة فى دولة التبابعة من الحضارة والترف ، وهو المسمى بالخط الحيرى ، وانتقل منها إلى « الحيرة » لما كان بها من دولة آل المنذر نُسَباء التبابعة فى العصبية ، والمجددين لملك العرب بأرض العراق ، ولم يكن الخط عندهم من الإجادة ، كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين ، وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ، ومن الحيرة لُقنه أهل الطائف وقريش فيما ذكر ، إلى أن قال : فالقول أن أهل الحجاز إنما لقنوه من الحيرة ولقنه أهل الحيرة من التبابعة ، وهو الأليق من الأقوال .

وكانت لحمير كتابة تسمى المسند حروفها منفصلة ، وكانوا يمنعون من يتعلمها — هذا مخالف لما ذكرناه آنفاً — إلا بإذنهم ، ومن حمير تعلمت الكتابة العربية إلا أنهم لم يكونوا مجيدين لها شأن الصنائع إذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذاهب ولا مائلة إلى الإتقان والتنميق لبون ما بين البدو ، والصناعة .

ومن المؤرخين المعاصرين المؤرخ الكبير « جرجى زيدان » فإنه قال فى (ج ٣ ص ٥٨) من « التمدن الإسلامى » ما نصه :

الخط العربى ، تاريخه : ليس فى آثار العرب بالحجاز ما يدل على أنهم كانوا يعرفون الكتابة إلا قبل الإسلام مع أنهم محاطين شمالا وجنوباً بأمم من العرب خلفوا نقوشاً كتابية كثيرة ، وأشهر تلك الأمم حمير فى اليمن كتبوا فى الحرف المسند ، والأنباط بالشمال بالحرف النبطى وآثارهم باقية إلى الآن ، والسبب أن الحجازيين ، أو عرب مصر كانت البداوة غالبة على طباعهم ، والكتابة من الصنائع الحضارية .

ثم ساق كلاماً إلى أن قال : واختلفوا فيمن نقله إلى بلاد العرب ، والأشهر

أن أهل الأنبار نقلوه ، وذلك أن رجلا منهم اسمه « بشر بن عبد الملك الكندى » أخو « أكيدر بن عبد الملك » صاحب « دُومة الجندل » تعلم هذا الخط من الأنبار ، وخرج إلى مكة ، فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان والد معاوية ، فعلم جماعة من أهل مكة ، فكثر من يكتب بمكة من قريش عند ظهور الإسلام(١) .

ثم ذكر تطور الخط إلى ما وصل إليه فى الدولة العباسية ، واستقر عليه إلى اليوم ، انتهى .

قلت : وكان الخط المذكور يسمى الجزم ، لأنه جُزم من المسند ، وفى ذلك يقول بشر المذكور يمنُّ على قريش تعليمهم الخط :

لا تجحــــدوا نعماء بشر عليكم فقد كان ميمون النقيبة أزهرا
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتموا من المال ما قد كان شتّى مبعثرا
وأتقنتموا ما كان بالمال مهملا وطامنتموا ما كان منه منفرا
فأجريتموا الأقـــــلام عَوْداً وَبِدْأَةً
وَضاهيتموا كُتّاب كِسرى وَقيصرا
وَأغنيتموا عن مسند القـــوم حميراً
وَما زبرت فى الكتب أقيـــال حميرا

وروى الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر : أن أول من قدم بالكتاب العربى عبد بن قصى جاء به من اليمن ، فتعلمه منه أهل مكة ، قال : ولم يعقب عبد بن قصى .

---

(١) راجع الجزء المذكور والعقد الفريد ج ٤ ص ٢٤١ .

ولشهرة القلم الحميرى ذكرته الشعراء فى أشعارها ، من ذلك قول أبى ذؤيب الهذلى[1] من قصيدة له :

عرفت الديارَ كرقم الدوى يُزَبّره القـــلم الحميرى

ولا زال القلم الحميرى معروفاً إلى ما بعد ظهور الإسلام بمدة غير قصيرة ، وقد عثر بعض الأثريين الإنكليز فى سنة ١٩٠٣ م ، الموافق سنة ١٣٢١ هـ فى شمال الترنسفال من بلاد الكفرة من ليبيا فى إفريقيا على قبر عربى قديم ، وعليه كتابة بالحروف الحميرية : إن اسم الميت سلام توفى سنة ٩٥ هـ سنة ٧١٧ م كذا فى كتاب الرواد .

هذا فى البلاد النائية زمن الفتوحات الإسلامية ، فكيف لو نقب فى عواصم اليمن القديمة وغيرها ورفع عنها الأثقال وبعثر على ألواح المقابر الإسلامية لوجدت نصب تذكارية عليها الخط المسند .

وحتما وقدراً مقدوراً ولا بد أن يأتى اليوم الذى تسلط فيه الأضواء على آثارنا كلها وبأيد يمنية أمينة وما ذلك اليوم ببعيد .

كما وأن « لسان اليمن » وشيخه « أبا نصر اليهرى »[2]، وأضرابهما كان لهم إلمام كبير بقراءة المسند وكتابته ومعرفته جيداً .

وكذا الإمام نشوان بن سعيد الحميرى ، كما تفصح عن ذلك كتبه وغيره من صالحى أسلافنا ، والله من وراء العلم .

وإليك حروف المسند ، قال « لسان اليمن » فى الجزء الثانى من الإكليل :

---

(١) راجع ديوان الهذليين .

(٢) راجع الجزء الأول من الاكليل .

باب حرف المسند

وكتاب حمير ومثلثاته فى حروف : ا ب ت ث . وغيرها قال الهمدانى أ كثر ما يقع بين الناس فيما يقولون من مساند حمير من اختلاف صور الحروف لأنه ربما وقع أربع صور وخمس ، ويكون الذى يقرأ لا يعرف إلا صورة واحدة فلما وقع الخلل فى هذا الموضع رأينا أن نثبت تحت كل حرف من حروف ألف با تا ثا صور جميعها ، وإنما اختلاف الحروف على سبيل اختلاف الكتاب العربى وكانوا يطرحون الألف إذا كان وسطا مثل ألف همدان وألف رئام ، فيكتبون ريم وهمدن ، وكذا تبِع كتّابُ كُتُبِ المصاحف فى رسم الحروف فى مثل الرحمن وألف إنسان ، ويثبتون ضمةً آخر الحروف واوا ، مثل « عليهمو »[1] ، أما اللفظ فيقرأه أهل مكة ومن شا كلهم على ما يجب أن يكون مكتوبا ، ولقد تراهم يقرأون « عليهمو » ولا الضالين ، ويفرزون كل سطرين بخط ، ويَفصِلون بين كل كلمة وكلمة فى السطر بخط قائم ، انتهى كلام الهمدانى .

وقال نشوان : « ويفصلون بين كل كلمتين بصفر لكيلا يختلط الكلام ، وصورة الصفر عندهم كصورة الألف فى العربى » .

هذه حروف المسند ، وقد اقتصرنا على نوع واحد لأنه الأعم الأكثر ، ولأن بقية الأنواع قريبة الشبه بعضها ببعض ، وعليها اقتصر الإمام نشوان ابن سعيد الحميرى ، ومن أراد معرفتها كلها فليرجع إلى الجزء الثامن من الإكليل كما أن فى كتاب المختصر فى علم اللغة العربية القديمة للأستاذ « اغناطيوس غُوَيدى » المطبوع فى القاهرة ما يستعان به على فهم القلم المذكور .

---

(١) وهى إحدى القراآت السبع .

الأبجدية بالقلم العربى القديم (المسند)

ومثيلتها بالقلم العربى الحديث

القلم الحميرى (العربى القديم)	القلم العربى	القلم الحميرى (العربى القديم)	القلم العربى
𐩱	ا	𐩳	ض
𐩨	ب	𐩼	ظ
𐩩	ت	𐩷	ط
𐩻	ث	𐩲	ع
𐩴	ج	𐩶	غ
𐩢	ح	𐩰	ف
𐩭	خ	𐩤	ق
𐩵	د	𐩫	ك
𐩹	ذ	𐩡	ل
𐩧	ر	𐩣	م
𐩸	ز	𐩬	ن
𐩪	س	𐩥	و
𐩦	ش	𐩠	هـ
𐩮	ص	𐩺	ى

ولكن لبعدنا عنه وإهمالنا له وإماتته من بين أظهرنا ، جهلناه وجهلنا معه تراثنا الخالد ، وتاريخنا الذى يشع بالفخر والاعتزاز والتقوى ، ومن جهل شيئاً عابه .

وإنى أهيب بالشبيبة أن تُقبِلَ بنفوس توافة لدراسة القلم المسند مع نحوه وصرفه ومفرداته ، وأن تخصص الحكومة حصة لتعليمه فى المدارس كما خصصت قسطا وافراً لتعليم اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات الأجنبية ، فإن ذلك من زيادة الكمال وتوفير المعلومات .

وبربك أيها أجدى نفعاً وأعظم فائدة أن يعرف المرء أمجاده وعظماء قومه وما خلفوا من علم وبنيان ثم يلتفت نحو اللغات الأخرى فيُضيف كمالا إلى كمال ، ولكن بعد أن يعرف المرء ماعون بيته ، ثم يستعير من ماعون غيره ليرتقى سُلم العُلا .

والعادة أن تُقرأ الحروف المذكورة من اليمين إلى الشمال كما هى القاعدة المتبعة، والمعروف عندنا ، وقد يقرأ من اليمين إلى الشمال ، ثم من الشمال إلى اليمين وهو النادر القليل كما فى الحروف اللاتينية .

وإنما سمى القلم الحميرى بالمسند لأن حروفه ترسم على أشكال خطوط مستندة للأعمدة تشبيهاً لها بالقصور والمعابد والأبراج .

مادة الكتابة

يبدو بعد البحث أن الدولَ الحضارية اليمنية كانت تكتب المراسلات والعهود ، وما كان خفيفاً حمله فى الأديم الخولانى الذى كان يصنع فى خولان قضاعة ، وكان رقيقاً يطوى وينعطف بدليل ما ذكره ابن النديم فى كتابه الفهرست ص ١٣ : وكان فى خزانة المأمون كتاب فيه « حقُّ عبد المطلب بن هاشم

من أهل مكة على فلان بن فلان الحميرى من أهل أزال صنعاء ، وعليه ألف درهم فضة كيلا بالحديد ، ومتى دعاه أجابه وشهد لله وملكان » ، وكان الخط يشبه خط النساء : أى أنه بالمسند .

وكذا روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكتب عهوده ومراسلاته فى فى أديم خولانى فروى صاحب النضرة فى فضائل المدينة عن نافع بن جبير أن مروان بن الحكم خطب الناس ، فذكر مكة وأهلها وحرمتها ، فنادى رافع ابن خديج مالى أسمعك ذكرت مكة وأهلها وحرمتها ، ولم تذكر المدينة وحرمتها ؟ فقد حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتيها ، وذلك عندنا فى أديم خولانى إن شئت أقرأتكه ، قال فسكت مروان ثم قال : قدسمعت بعض ذلك ، ونقل مثله ابن زباله .

وأما المداد فقد عرف قديما إلا أن تحديد ظهوره ، واستعماله مجهول كما أن مادته كانت من الدخان الذى يقال له الصُّدى مع الصمغ ، وهى الطريقة القديمة والمتبعة إلى عهد قريب ، ولا يزال فى البادية إلى اليوم ، أو من النيلة والصمغ ، ثم عرفت الأجزاء الأخيرة كالزاج والعفصِ وبعض الشجر ونحو ذلك .

وآلة الكتابة هو القلم ، وقد أقسم الله به فى محكم كتابه (نُون وَالقَلَمِ) .

الدّيانة أو الآلهة أو الإله

مسألة الآلهة طويلة وقديمة قدم الإنسان الواغلة فى دهر الدهارير ، ومن المشاكل المعضلة ، لاسيما فى المتزعزع العقيدة ، ومن المسائل العويصة الشائكة التى شغلت بال الإنسان منذ وقع على اليابسة ووجوده على البسيطة ، ولا زال وان يزال يصارع أفكاره مع نفسه على هذه الحقيقة الذى شعر ويشعر بقوة غيبية تتصرف بهذه الأكوان الغريبة الذى هو جزء ضئيل منها ، وإن قيل : وفيك انطوى العالم الأكبر ، وتتغلب على الحياة اليومية وتستولى على مشاعره فيؤمن

بها بالضرورة لأنها تربطه بأعماله وأسبابه ومسبباته بيومه وغده برباط وثيق لا يتخلى عنها ولا ينفصم منها مهما تهرب ولاذ بمغالطة نفسه .

وهكذا عبر تاريخ البشرية كما تتحدث عنه الآثار ، نرى القاعدة والأصل هو الإيمان ، أما الإلحاد فَدَخِيلٌ على الإنسان ينغابه فى عصور القلق النفسى ، وفى عصور الترف الحضارى ، وفى الغُرور العلمى .

والحديث النبوى يشير إلى هذا : كل مولود يولد على الفطرة الخ .

وقد يكون الإلحاد رد فعل لموجة قوية من الإيمان كما شاهدنا بعض المعاصرين

وعليه فالصراع قائم بين الإيمان والإلحاد وبين القلب والعقل وملاحم كبرى يشب ضرامُه بين الحين والحين .

وحاول جاهداً وبعد تفكير طويل أن يدرى ما هو مصدر هذه القوة ، وما هى ، ومن أين ؟ وكيف ليتقرب إليها بالقرابين والعبادة والتقديس لأن فيها خيره وشره ومصيره كما حاول أن يعرف كُنْهَهَا وشخصيتها مُجَسَّدَةً بين يديه وبدون جدوى لم يهتد إلى ذلك سبيلا .

ولهذا يقول العلامة ابن أبى الحديد من قصيدة له :

فيك يا أغلوطةَ الفكر تاه عقلى وانقضى عمرى

وهو رأى كثير من الفلاسفة الذين استولت عليهم الحيرة ، ثم يرجعون إلى إيمان العجائز كما يقال .

وحاول الإنسان أيضاً أن يُزِيح عنه الشكوك والأوهام التى تُرْبِكُه ، فعمد إلى أكبر مظهر فى الحياة كالشمس والقمر والكواكب السيارة وإلى غيرها من مظاهر الطبيعة التى تَخْلِبُ حِجاه ، فعبدها بعد أن جسَّدها مشاهدةً أمامه ويراها ويلمسها كالنار والأصنام والأوثان وغيرها .

وكل إنسان اتخذ له آلهة بحسب ما هداه إليه عقله ، وسولت له نفسه وأوصله تفكيره وأدى إليه تصويره لشخصية الآلهة التى ملئت حواسه وجوانب نفسه وأشبعت رغبته .

ومن هنا جاء تعداد الآلهة ظاناً أنه قد ظفر بأنشودته فى الحياة وأمنيته التى تنسيه متاعب يومه وأمسه ، وتسليه عما فاته منها ويستلهم منها روحية خالدة كما يستمد منها العون وطلب الرزق وطول العمر والسعادة الأبدية ، والشفاء من الأمراض والأسقام والنصر على الأعداء ، وكثرة المال والبنين وغير ذلك من الأغراض التى تعرض له فى حياته .

والكلام حول ديانة وآلهة قبائل جنوب جزيرة العرب : اليمن الخضراء أو ديانة جميع العرب أو الساميين القدماء الأزمنة الغابرة ـ طويل الذيول صعب المراس متشعب الطرقات يحتاج إلى تفكير عميق وبحث دقيق مع سعة فى الوقت واطلاع واسع النطاق على كل ما صُنّف فى هذا الباب .

إذ قد ألف العلماء من كل الملل والنحل فى هذا الموضوع الشىء الكثير وبَذَلَ كُلٌ وُسْعَه ، وأنفق مما عنده ، وبلغ غاية جهده ، وما وصل إليه منتهى علمه ، ومنهم من ضَمّن ذلك كتب أصول الدين كما هو معروف ومعلوم ، ولا يزال التأليف إلى يوم الناس هذا .

وقبل أن نبحث عن ديانة اليمن الخضراء وآلهتها ، نلم بإيجاز عن الديانة والآلهة على جهة العموم لندخل إلى بحثنا بنفاذ بصيرة فنقول :

أمامنا أقدس المصادر وأنفعها علماً وأبقاها أثراً ، ومنه نلتمس الحقيقة والفوز ألا وهو القرآن الكريم فهو يقص علينا الأمم السالفة والقرون الخالية على ألسنة أنبيائها واحداً تلو الآخر ، وما لاقوه من صعوبةٍ وعنتٍ فى سبيل دعوتهم لتوحيد الله والانفراد بعبوديته وحده ، وفى كل دعوة تنديد على أقوامهم لانصياعهم إلى هواهم وانصرافهم عن عبادة الله إلى حيث اتخذ إلاهه هواه .

ومن أقدم هؤلاء الأنبياء نبي الله نوح عليه السلام ، فإنه ظل يدعو قومه إلى عبادة الله ألف سنة إلا خمسين عاما ، فلم يرعوا ولا انتهوا عن عبادة آلهتهم التي نص عليها القرآن الكريم ، « وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ، ولاَ تَذَرُنَّ وُدًّا وَلاَ سُوَاعا وَلاَ يَغوثَ وَيَعُوقَ وَنسراً ، وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً » ، سورة نوح الآية ٢٣ .

ومن الأنبياء القدامى نبي الله هود عليه السلام أبو القبائل اليمنية المبعوث إلى قومه عاد الذين كانوا في الأحقاف من بلاد حضرموت .

فقال تعالى : « واذكر أخا عَاد إِذَا نَذَرَ قَومَه بالأَحْقَاف ، وَقَدْ خَلَتْ مِن قبلِهِ النذُرُ مِنْ بينَ يَدَيهِ وَمِنْ خَلفهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ إِنِّي أَخافُ عليكُمْ عذابَ يوم عَظِيم ،قالوا أجئتنا لتأفكنا عَنْ آلهتِنا فأتنا بما تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين» (الأحقاف الآية ٢١ ، ٢٢) ، ولم يبين الله في هذه الآية ولا في كل ما سرده عن قوم هود شخصية الآلهة ولا ما نوعها .

ومن الأنبياء القدامى أيضاً خليل الله ابراهيم عليه السلام أبو القبائل العدنانية والإسرائيلية فإنه أول من أنذر عشيرته وأولهم أحب الناس إليه وأشفقهم به ألا وهو أبوه آزر الذي أزرى عليه وعلى قومه عبادة الأصنام بعد أن وقعت نفسه في الارتباك وخالجتها الشكوك في الإله الواحد الأحد كما يقع فيه كثير من الناس كما سلف الكلام في أول البحث فذهب ابراهيم عليه السلام في شكوكه إلى أعظم مظهر من مظاهر الأكوان زاعماً أنه الإله المطلوب فلما تبين له فساد ذلك رجع عن شكوكه وآمن بالله خالق هذه الكائنات فقال تعالى حاكيا عنه بقوله : «وإذ قالَ إبراهيمُ لأبيهِ آزرَ أتتخذُ أصناماً آلهةً إني أراكَ وقومَكَ في ضَلالٍ مُبين وَكَذلكَ نُرى إبراهيمَ ملكوتَ السَّموات والأرضِ وَليكونَ مِنْ الموقنين . فلمَّا جَنَّ عليهِ الليلُ رأى كوكباً قال هذا ربِّي فلما أفَلَ قال لاَ أُحبُّ الآفلين فلما رأى القمرَ بازغاً

قَالَ هَذَا رَبِّى فلما أَفَلَ قال لئِنْ لَم يَهْدِنى رَبى لأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضالين فلما رأى الشَّمْسَ بازغةً قال هَذَا رَبى هَذَا أَكبرُ فلما أفلت قال يا قومى إنى بَرِىءٌ مما تُشْرِكُونَ إنى وجهت وَجْهِىَ للذى فَطَرَ السَّمواتِ والأرضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ »
(الأنعام — ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩) .

وأنت ترى كيف أنكر إبراهيم على أبيه وقومه عبادة الأصنام بعد أن دلل لهم بأن هذه الكواكب العظيمة والأكوان العجيبة التى هى أكبر من كل كبير يُبْصِره الإنسان تلقاء وجهه ووجوده ليست صالحة أن تكون آلهة ولأن تعبد من دون الله لأنها تتغير وكل ما يتغير غير صالح للعبادة ولا أن تكون صانعة الحياة وخالقة الضر والنفع والأرزاق ولا بيدها الحياة والموت إلى غير ذلك من صفات الله جل وعلا .

وهكذا ساق القرآن عددا كبيرا من الأنبياء بعثوا إلى قومهم لينحّوهم عن عبادة الأصنام إلى عبادة خالق كل شىء والوجود كله ، وآخر الأنبياء بَعْثًا هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد عانى من قومه قريش ماعاناه إخوانه النبيون من قبله.

قال ياقوت فى معجم البلدان (ج ٥ - ٣٦٧) قال أبو المنذر هشام بن محمد الكلبى : كان ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر أصنامَ قوم نوح وقوم إدريس عليهما السلام وانتقلت إلى عمرو بن لحى الأزدى. ثم ذكر صفة انتقالها إلى عمرو بن لحى وكيف وزعها بين العرب وأنه أعطى حميرا نسرا وكان بموضع يقال له «يخلع» وهو يرمز إلى الطائر المعروف وكان على سورة النسر ، وأعطى همدان وخولان «يعوق» وكان فى قرية «خَيْوان» [ويقال إن الناصر أحمد بن الهادى يحيى بن الحسين ، عَمَرَ مكانه مسجدا[1]] وأعطى مذحجا ومن والاها «يغوث» وكان بأكمة تسمّى مذحجا ، وأعطى قريشا «وَدًّا» بالفتح والضم. قال ابن موسى : وموضعه

(١) سيرة الهادى

بتهامة وأعطى هذيل بن مدركة « سُواعًا » وكان من بطن مكة ، وقيل فى ينبع ثم ذكر أسباب أول عبادة الأصنام والدوافع التى زجتهم إلى عبادتها فارجع إليه.

كما وأن العلامة ابن الـكلبى المذكور ألف كتاب « الأصنام » الذى طبعه وعلق عليه شيخ العروبة أحمد زكى باشا ، حشر فيه كل ما وصل إليه علمه عن الأصنام فى الجاهلية وأسمائها.

وعلى ضوء ما سلف عرفنا قدم الإله وتغلغله فى أجذام الزمن وأن النفوس تواقة ومحبة إلى العيان والمشاهدة وأن المغيبات لا يؤمن بها صريعاً لذا جُسِّدَتْ فى الآلهة كائناتٌ لتشاهدها أمامها فتعبدها وتقدّم لها القربان وتلمس منها الغفران وتزعم إنما تقربها إلى الله زلفى .

واليمن كغيرها من الأمم والأقوام قد طافت حول الآلهة وعبدتها كما جاء نصاً فى القرآن الكريم حكاية عن قوم هود عليه السلام وإن لم يشر إلى ذاتية الآلهة وكذا فى قوله تعالى « وأصحابُ الأيكةِ وقَوْمُ تُبَّعٍ كلٌ كَذَّبَ الرُّسُلَ فحقّ وعيد» ق: ١٤ وتشير الآية إنأن قوم تبع كانوا وثنيين وأن تُبعاً كان مؤمناً كما قاله بعض المفسرين كما يرشدنا القرآن أن الله قد بعث إليهم جملة رسل لم ينوه بأسمائهم صريحاً ليدعوهم إلى عبادة الله فكذبوهم فحق عليهم عذاب ربك .

ويشير القرآن صراحة فى سورة النمل إلى ديانة اليمن وأنها كانت عبادة الشمس وذلك حيث قص الله علينا حديث الهدهد رسول سليمان وملـكة اليمن « بلقيس» فقال: « وَجَدتُّها وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعْمالَهم فَصَدّهم عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهتَدُون » الآية ١٢٤، وهذا يدل على رفيع ذوق اليمنيين واختيارهم هذه الآلهة لأنها مظهر من مظاهر القوة .

وأشار « لسان اليمن » إشارة صريحة إلى أن آلهة اليمن هى الشمس فإنه لما وصف قصور « رئام » من بلد أرحب قال : وقُدّام باب القصر حائط فيه بلاطة

فيها صورة الشمس والهلال فإذا خرج الملك لم يقع بصره إلا على أول منها فإذا رآها كفّر لها بأن يضع راحته تحت ذقنه عن وجه بستره ثم يخرّ عليها وهو معنى قوله عز وجل فى بعض التفاسير «ويخِرّونَ للأذقانِ سُجَّداً يبكُونَ ويزيدهم خُشُوعا»(١) كما ذكر أن من آلهتهم القمر والزهرة وهو النجم الثاقب الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم كما تسمى أيضا «المقة» كما جاء ذكرها فى النقوس بكثرة وبها سميت الملكة بلقيس أو هى الآلهة على الإطلاق .

وذكر «لسان اليمن» أن من ديانتهم «الصَّابِئةُ»(٢) وكذا فى تاريخ العرب العام ، وفى مروج الذهب ج ٢ – ١٩١ . وقد كان أهل مارب يعبدون الشمس فبعث الله إليهم رسلا يدعونهم إلى الله ويزجرونهم عما هم عليه فأبوا فحق عليهم عقاب ربك .

قلت ومما يدل على عبادتهم الشمس أنهم سموا كثيرا من أولادهم بعبد شمس ومنهم حمير الأكبر الملقب عبد شمس .

وكشفت الآثار عن آلهة كثيرة متعددة لم يفهم معناها كذات حميم وذات بعدان وتالب رئام وعثتر وعشتر ونهون وغيرها ، ومنها رأس الثور الذى يرمز إلى آلهة الحراثة والزراعة .

كما عثر على آلهة تسمى «بعلاً» الذى جاء ذكره فى القرآن بسورة الصافات «أَتدْعُون بَعْلاً وتَذرُون أَحْسَنَ الخَالقين» الآية ٢٥ . وذكر أهل التفسير أنه صنم كان لقوم إلياس النبى صلى الله عليه وسلم وكان لأهل بك من الشام وهو البلد الذى سمى بعلبك من أعمال دمشق ، وصنعوا فيها من النقوش العجيبة المحفورة فى الحجر مع علوّ سمكها وعظم أحجارها وطول أساطينها .

---

(١) سورة الإسراء الآية ١٠٩

(٢) راجع الدامغة والتفسير للقرآن الكريم

وقيل : البعل : الرب بلغة أهل اليمن ، قلت: وهى لغة فصحى عالية ومنه بعل البيت أى ربه ومالكه ، ومنه سمى البعل الذكر « الزوج » لأنه يرب ماق البيت ويقوم عليه ولا زالت مستعملة عندنا بهذا المعنى .

ويبدو أن العقلية اليمنية لم تجمد على آلهة واحدة بل تطورت وتبلورت وتدرجت تبعا لظروفها ولاكتمال العقل المفكر قبل أن تظهر اليهودية باليمن على يد الملك أسعد أو على يد غيره كما نبينه فيما بعد وأصبحت دين الدولة الرسمى وبعده كان له أكبر الأثر فى تحول وجوه الناس عن الآلهة القديمة إلى الدين الجديد الذى قدم به الملك ، فالناس على دين ملوكهم كما قيل .

ثم غزت النصرانية نجران وانحصرت فيه ولم تتوطن فى أرجاء اليمن إلا بالقوة وسرعان ما ذهبت بذهاب ريح الغزاة الأحباش ، وظهر الإسلام والديانة الظاهرة فى البلاد السعيدة هى اليهودية كما يأتى قريباً وكما سبق .

ومما يدل على ما قلناه من تطور العقلية اليمنية نحو النور وتغيير رأيها فى الآلهة التى لاتسمع ولاتبصر ولا تنفع شيئاً من دون الله ويبتدىء من قبل دخول اليهودية إلى اليمن أنه قد جاء اسم قيل يسمى «ذو سماء» كما نص الهمدانى فى ج ٢ — ٣٨٥) من الإكليل وجاء فى النقوش ما يدل على اسم الله و الرحمن واسم الرحيم بنصه ويبدو أن هذا التحول كان تدريجياً .

ومن ذلك ما يروى عن إيمان الملك أسعد وما قاله من الأشعار الدالة على إيمانه ، قد تصاحبه الصحة وأنه من هذا القبيل .

ومن غريب تطور الآلهة ما أوقفنا عليه أهل «قانئة» فى زورتنا لها نحن والأخ العلامة عبد الله بن عبد الوهاب الشماحى المجاهد على مدينة تسمى « مكة » ومعبد يسمى «الكعبة» وعلى موضع آخر يسمى « طابة » وهذا يدل على تحول عجيب وشعور بضرورة الوحدة العربية الشاملة وتبتدىء من عند الآلهة .

ومن الأدلة أيضاً أن كتب السيرة لم تتعرض لذكر الأصنام التى كانت باليمن حينما بعث النبى صلى الله عليه وسلم عماله إليه ولم يرد لها ذكر لا فى مراسيمه وعهوده ولا فى مراساته لأقيال حمير ولا إلى تحطيم أو كسر آلهة أو وصنم أو وثن إلا ما ورد عن على لما أوفده النبى صلى الله عليه وسلم إلى اليمن أمره أن يحطم القبور المشرفة المرتفعة ويسويها بالأرض وإلا ما جاء فى حديث جرير بن عبد الله البجلى فى « ذى الخلصة » الصنم الذى كان لخثعم ودوس وقبائل بيشة والسروات ويسمى « الكعبة اليمانية » والبيت الحرام الكعبةَ الشامية ، فبعثه النبى صلى الله عليه وسلم لكسره وتحطيمه ، ولم تطل غيبته حتى رجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : « هدمته » ؟ قال : نعم والذى بعثك بالحق وأحرقته بالنار فتركته يسوء أهله ، فدعا صلى الله عليه وسلم لبجيلة ، وكذا جاء ذكر الصنم الذى يسمى « عُمْيانس » الذى ذكره ابن الكلبى والهمدانى وذكر فى عدة مساند حميرية وجاء ذكره فى الحديث ، وقال العلماء إنه المَعْنِىّ بقوله تعالى : « وجعلوا للهِ مما ذَرَأ من الحَرْثِ والأنعام نصيباً فقالوا هذا للهِ بزَعْمِهم وهذا لشركائنا فما كانَ لشركائهم فلا يصلُ إلى اللهِ ، وما كانَ للهِ فلا يَصِلُ إلى شُركائهم ساء ما يحكُمُون » الأنعام الآية ١٣٦ . وكان هذا الصنم لخولان صعدة وفى ديارهم .

ويسمى مكان الصنم المذكور اليوم « ذو الأله » بتسهيل الهمزة ويقع فى خولان رازح وسنذكر مزيدا فى وفد خولان فى العصر الإسلامى .

وهذا يدل على أن وطأة عبادة الإسلام قد تخففت أو أزيلت بالكلية واستبدلت باليهودية والنصرانية فى نجران فقط ولم يبق من الأصنام غير النزر اليسير ويؤكد هذا حديث معاذ بن جبل الأنصارى رضى الله عنه حينما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وفيه إنك ستقدم على أقوام أهل كتاب يسألونك عن مفاتيح الجنة فقل لهم : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فأسلم جمع كبير من اليهود[١] .

(١) الجندى وغيره .

ومما هو جدير بالملاحظة أن النقوش التى كشفت إلى اليوم لم يوجد بينها ذكرٌ للأصنام التى ورد ذكرها فى القرآن كنسر ويعوق ويغوث وسواع وود وغيرها إلا أنه يوجد فى قرية غيمان محلة تسمى يغوث ، وإنما جاء ذكر « وُدّ » فقط مصرحا به فى النقوش لا سيما القتبانية ، وود معناه الحب أى حب الآلهة .

هذا ما عن لى الكتابة حول هذا البحث وقد استرسل القلم وربما لا يخلو من فائدة .

التاريخ

سبقت الإشارة فى ص ١٠ ، ١٢ عن التاريخ ووعدنا بالاستيفاء هنا ومن نور القرآن نستضىء لبحثنا هذا فهو قد ألقى ضوءً ساطعاً فى حكاياته عن الأمم الخالية والقرون الغابرة : « وكُلاًّ نقصُّ عليكَ من أنباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بهِ فؤادكَ وجاءكَ فى هذه الحقُّ ومَوْعِظةٌ وذِكْرى للمؤمنين » هود ١٢٠ ، وهذا لون من ألوان التاريخ بل هو التاريخ نفسه واستكفى بالإشارة ولم يتوغل التفاصيل لأن المراد منه انتزاع الموعظة والعبرة ، وكما هو كتاب تشريع وهداية فهو أيضا كتاب إرشاد وهدى يسرد الأمثال والقصص والحكم .

وهكذا جاءت القصص والأمثال فى الكتب السماوية السابقة على القرآن الكريم مما يشعرنا أن التاريخ مقرون بالإنسان منذ القدم .

وسبق فى ص ١٥ ذكر الآيتين الكريمتين عن عدد السنين والحساب وهو إرشاد إلى السنين الشمسية والقمرية ، كما ذكر الأيام والشهور فى غير ما آية تدليلا على ما اهتدى إليه الإنسان .

وطبيعى أن البشر لا يقدمون على وضع علم أو فن أو شىء من الأشياء إلا لأسباب حملتهم على ذلك لأنهم مساقون فى شئونهم وأعمالهم بدوافع ضرورته ودواعى الحاجة .

ولذا قالوا الحاجة أم الاختراع .

ولسنا بحاجة إلى التوسع فى البحث فالحديث ذو شجون ويكفى من القلادة ما أطاف بالعنق بل نقتضبه اقتضابا .

فالحميريون أو بعبارة أعم دول الخضراء الحضارية كسائر الدول للأمم المتحضرة لما استكملت أسباب الحضارة واتسعت متطلبات التمدن واستبحر العمران بالتدريج كما هو سنن التطور والارتقاء احتاجت إلى صنع التاريخ ووضعت لذلك أسماء للسنين والشهور والأيام لتدوين الحوادث والوقائع وما شاكلها .

ولم يكن عندنا ضبط وتحقيق لتحديد الزمن الذى وضع فيه التاريخ واستعماله لأن البحث العلمى لم يستكمل عناصره وكذا التنقيب على الآثار لم يستوف الباحثون مناطق التنقيب غير ظواهرها وغير أماكن تعد بالأصابع .

كما أن ذكر الأيام لم تجىء فى النقوش التى قد أزيح عنها الستار أما أسماء الشهور فقد كشف عن البعض منها فى النصوص الحميرية ولم يعثر عن بقيتها .

وقد توفقنا إلى العثور على أسماء الشهور الحميرية بأكملها وافية(١) غير منقوصة

---

(١) عثرنا على قصيدة للعلامة البحر النعامى من آل ذى نعامة وهو من حمير سكن صنعاء ومن أعيان القرن الخامس الهجرى نظم فيها الأشهر الحميرية وقرنها بالشهور الرومية وبين فيها ما يصلح لكل شهر من الأغذية والملابس ونحوها وسقط من القصيدة المذكورة مقطوعة احتوت على الشهر الأخير من الأشهر الحميرية وما قابله من الرومية فتوفقنا =

ومن الملاحظة الجديرة بالاهتمام أنهم كانوا يؤرخون بالشهور الشمسية وفقاً لمواسم الزراعة وحصاد الثمار وهطول الأمطار لانتظام فصول السنة وكانت توافق الأشهر الرومية بالضبط ولنفس الغرض الذى ذكرناه بالذات .

وكانوا يسجلون تاريخ الحوادث ونحوها بزمن محدود من السنين التى اشتهرت عندهم كما عثر على ذلك فى المساند أو بما مضى من سنى الملك الحاكم كما نص على ذلك « لسان اليمن »[1] وعضدته النقوش والآثار .

عدد	الأشهر الحميرية	الأشهر الرومية	عدد	الأشهر الحميرية	الأشهر الرومية
١	ذو الصراب	تشرين الأول	٧	ذو النابه	نيسان
٢	ذو المهلة	تشرين الثانى	٨	ذو المفكر	إيار مايس
٣	ذو الأل	كانون الأول	٩	ذو القياظ	حزيران
٤	ذو الدباو	كانون الثانى	١٠	ذو مذران	تموز
٥	ذو الحله	شباط	١١	ذو الخراف	آب : أغسطس
٦	ذو معوان	أذار	١٢	ذو علاّن	إيلول

هذه هى الأشهر الحميرية وما قابلها من الشهور الرومية ولكل شهر مغزاه واشتقاقه ذكرناها فى غير هذا التأليف .

= على العثور على اسم الشهر الحميرى فى مجموعة كلها من تأليف الملك الأفضل العباس بن المجاهد الرسولى الغسانى وهو « ذو علان » الذى لا يزال يسمى فى عموم اليمن إلى ذا الحين ويقابله بالرومية « أيلول » وقد أثبتت القصيدة كما وجدناها فى مقدمة « تفسير الدامغة » فارجع إليها .

(٢) راجع الدامغة .

وطبيعى أن البشر لا يقدمون على وضع علم أو فن أو شىء من الأشياء إلا لأسباب حملتهم على ذلك لأنهم مساقون فى شئونهم وأعمالهم بدوافع ضرورته ودواعى الحاجة .

ولذا قالوا الحاجة أم الاختراع .

ولسنا بحاجة إلى التوسع فى البحث فالحديث ذو شجون ويكفى من القلادة ما أطاف بالعنق بل نقتضبه اقتضابا .

فالحميريون أو بعبارة أعم دول الخضراء الحضارية كسائر الدول للأمم المتحضرة لما استكملت أسباب الحضارة واتسعت متطلبات التمدن واستبحر العمران بالتدريج كما هو سنن التطور والارتقاء احتاجت إلى صنع التاريخ ووضعت لذلك أسماء السنين والشهور والأيام لتدوين الحوادث والوقائع وما شاكلها .

ولم يكن عندنا ضبط وتحقيق لتحديد الزمن الذى وضع فيه التاريخ واستعماله لأن البحث العلمى لم يستكمل عناصره وكذا التنقيب على الآثار لم يستوف الباحثون مناطق التنقيب غير ظواهرها وغير أماكن تعد بالأصابع .

كما أن ذكر الأيام لم تجىء فى النقوش التى قد أزيح عنها الستار أما أسماء الشهور فقد كشف عن البعض منها فى النصوص الحميرية ولم يعثر عن بقيتها .

وقد توفقنا إلى العثور على أسماء الشهور الحميرية بأكملها وافية[1] غير منقوصة

---

(١) عثرنا على قصيدة العلامة البحر النعامى من آل ذى نمامة وهو من حمير سكن صنعاء ومن أعيان القرن الخامس الهجرى نظم فيها الأشهر الحميرية وقرنها بالشهور الرومية وبين فيها مايصلح لكل شهر من الأغذية والملابس ونحوها وسقط من القصيدة المذكورة مقطوعة احتوت على الشهر الأخير من الأشهر الحميرية وما قابله من الرومية فتوفقنا =

ومن الملاحظة الجديرة بالاهتمام أنهم كانوا يؤرخون بالشهور الشمسية وفقاً لمواسم الزراعة وحصاد الثمار وهطول الأمطار لانتظام فُصول السنة وكانت توافق الأشهر الرومية بالضبط ولنفس الغرض الذى ذكرناه بالقات .

وكانوا يسجلون تاريخ الحوادث ونحوها بزمن محدود من السنين التى اشتهرت عندهم كما عثر على ذلك فى المساند أو بما مضى من سنى الملك الحاكم كما نص على ذلك « لسان اليمن »[1] وعضدته النقوش والآثار .

عدد	الأشهر الحميرية	الأشهر الرومية	عدد	الأشهر الحميرية	الأشهر الرومية
١	ذو الصراب	تشرين الأول	٧	ذو التابه	نيسان
٢	ذو المهلة	تشرين الثانى	٨	ذو المفكر	إيار مايس
٣	ذو الأل	كانون الأول	٩	ذو القياظ	حزيران
٤	ذو الدباو	كانون الثانى	١٠	ذو مذران	تموز
٥	ذو الحله	شباط	١١	ذو الخراف	آب : أغسطس
٦	ذو معوان	أذار	١٢	ذو علّان	إيلول

هذه هى الأشهر الحميرية وما قابلها من الشهور الرومية ولكل شهر مغزاه واشتقاقه ذكرناها فى غير هذا التأليف .

= على العثور على اسم الشهر الحميرى فى مجموعة كلها من تأليف الملك الأفضل العباس بن المجاهد الرسولى الغسانى وهو « ذو علان » الذى لا يزال يسمى فى عموم اليمن إلى ذا الحين ويقابله بالرومية « أيلول » وقد أثبتت القصيدة كما وجدناها فى مقدمة « تفسير الدامغة » فارجع إليها .

(٢) راجع الدامغة .

وهناك أشهر أخرى أقدم من هذه لم يستكمل البحث أسماءها ولم يُكْشَف بعد عن ترتيبها .

ويقول جرجى زيدان فى تاريخ العرب قبل الإسلام ص ١٧٨ بعد ما حكى نص المسند الذى فى سد مأرب الحاكى فراغ ترميمه فى شهر ممان «أى ذى ممران» سنة ٦٥٨ وهذه السنة فى حساب الحميريين تعدل سنة ٥٤٣ للميلاد لأنهم كانوا يبدؤن تاريخهم سنة ١١٥ قبل الميلاد ، وللازر كلام فى هذا الشأن سنأتى عليه إن شاء الله .

ومع الأسف لم يحك جرجى كلام « جلازر » كما وعد ولا تكلم عن التوقيت عند العرب لا فى كتابه تاريخ العرب قبل الإسلام ولا فى كتابه التمدن الإسلامى .

واستكمالا للبحث وتتميما للفائدة نورد هنا ما قاله العلماء عن ما كان يؤرخ به عرب الجاهلية الذين كانت تواريخهم غير مَزْبورة بل كيفما اتفق ، لتوقد ذكائهم وشدة حافظتهم وطلاقة ألسنتهم بالبداهة ، فأرخوا بالنجوم قديماً فيقولون نجمت عليك كذا حتى تؤديه فى نجوم كذا وأكثر ما يخصون بالنجم : الثريا ، وتارة يؤرخون بهبوط آدم وتارة بعام الخُنان بضم الخاء المعجمة آخره نون لأنهم تماوتوا فيه وعظم عندهم أمره .

قال النابغة الجعدى :

فمن يك سائلا عنى فإنى   من الشبان أيام الخنان

مضت مائة لعام ولدت فيه   وعام بعد ذاك وحجتان

وأرخوا أيضاً بنار إبراهيم وببناء البيت العتيق الكعبة كما أرخوا بزمن

الفِطَحل : بكسر الفاء وهو زمان كان يؤرخون كما قدم عليه العهد ومرت عليه الدهور والعصور ومنهم من قال هو زمن نوح عليه السلام ومنهم من قال : هو الزمن الذى كانت الحجارة فيه رطاباً ، وقيل زمن الخصب والريف قال رؤبة بن العجاج يخاطب امرأةً يريد يتزوجها بعد ما سألته بأسئلة :

لمّا ازْدَرَتْ نقدى وقلّت إبلى تألقت واتصلت بِعُـكل
تسألنى من السنين كم لِى فقلت لو عمرت عمر الحِسْل
أو عمر نوح زمن الفِطحَل والصخرُ مُبتَل كطين الوحل
أو إننى أوتيت علم الحُـكْلِ علم سليمان كلامَ النمل[1]
* كنت رهين هرم أو قتل *[2]

وقال أمية بن أبى الصلت ، وكان من حكماء العرب :

وإذ هم لا لبوس لهم عُـراة وإذ صم الصِّلاب لهم رِطاب
بآية كان ينطق كل شىء وخان أمانة الديك الغراب

أى إن كل شىء كان يتـكلم أيام كانت الحجارة رطبة ، وإذ كل شىء ينطق .

هذا وقد كنا نسمع ونحن أطفال بمعنى هذا وأكثر من ذلك ، ولعل ذلك من الأمور التى يتداولها جهلة الأمم والقصاص .

ومن هذا المعنى ما تقوله العامة من الناس من البدو والفلاحين ، إنه كان

---

(١) عـكل بالضم : قبيلة معروفة والحسل : بالكسر ، ولد الضب والحكل : بالضم ما لا يسمع صوته كالذر .

(٢) راجع المحبر ص ٥ .

لملوك حمير من السنة شهر فيه ترطب الحجارة لهم وتلين ، لهذا سَهُل نحت الصخور وقطع الأحجار ذات الأحجام الكبيرة ونقلها من أماكن شاسعة إلى القصور والمحافد وحين ما يزبرون الكتاب للسند تلين لهم الحجارة وكأنهم يكتبون فى طين ويذكر البعض منهم أن ذلك فى شهر الخراف « آب » لكثرة الأمطار كما سبق فى ص ٢١٨ .

وتارة يؤرخون بعام الفيل لأنه قد تنوسى التاريخ الأول وطال عليه الأمد وَمَلّوا منه وصار كالمجهول وتارة بذى قار وحرب الفجار ونحو ذلك وقد مضى أن كل أمة لها تاريخها .

وأما أسماء الشهور القديمة عندهم التى يقال إنها وضعتها العرب العاربة واصطلحوا عليها فهى كما قال الهمدانى فى ج ١ — ٨٢ من الإكليل «عند ذكر أولاد إرم بن سام وكان قد مضى من سنتهم أشياء أبدلها الإسلام مثل: الميسر والفرع والعتائر وبقى فى الناس من أسماء شهورهم ناجر وبوم العروبة وكانت أسماء الشهور عندهم ناتق وهو المحرم ونفيل وطليق وهو ناجر وأسخ وأنتح وحلك وكسح وزاهر ونوط وخوف وبغش .

والأيام : أول وهو الأحد ، أهون وجبار ودبار ومونس وعروبة وشبار وكذا ذكرها المسعودى فى مروج الذهب ج ٢ - ٢٠٧ .

ومنهم من يقول إن أسماء الشهور هى مؤتمر وناجر وحوان « بالحاء المهملة وبالخاء المعجمة » ويقال فيه وَبْصَان ، وربى وابده والأصم ، وعادل وناطل وواعل وورنه ، وعللوا لتسمية هذه الأشهر وما قبلها تعليلات كثيرة(١) .

وقال نشوان بن سعيد : إنهم نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة وسموها بأسماء

---

(١) راجع بلوغ الأرب ج ٣ ص ١٧٩ .

الأزمنة التى وقعت فيها التسمية ، فوافق « رمضان » الرمض وشدة الحر ، وكان اسمه ناتق .

ويقال إن الذى نقل هذه الشهور إلى الأشهر المعروفة من أيام النبوة إلى اليوم هو كلاب بن مرة[1] ، والموضوع يتطلب مزيداً من البحث ، وفضل نظر لنقف على تحديد الزمن الذى أتاح الفرصة لنقل أسماء الأيام والشهور الجاهلية على التدريج إلى أسماء الأيام والشهور التى طالعت العرب مصاحبة لأيام البعثة ، وكيف نسيت الأولى أو اختفت على التدريج .

وهذه أسماء الأيام فى الجاهلية وما يقابلها فى الإسلام .

عدد	فى الجاهلية	عدد	فى الإسلام
١	أول	١	الأحد
٢	أهون	٢	الاثنين
٣	جُبار	٣	الثلاثاء
٤	دبَار	٤	الأربعاء
٥	مونس	٥	الخميس
٦	عروبة	٦	الجمعة
٧	شيار	٧	السبت

وقد جمع أيام الأسبوع شاعرهم بقوله :

أؤمل أن أعيش وأن يومى   بأول أو بأهـــون أو جُبار

أو التالى دُبار فإن يفتـــنى   فمؤنس أو عروبة أو شيـــار

هذا ما سمح به الخاطر فى هذا الموضوع وأرجو أنى وفقت إلى محط الفائدة وطالعت القارىء بشىء جديد .

---

(١) بلوغ الأرب .

موكب الآثار

هذا البحث امتداد لما سلف ذكره من المواضيع والأبحاث ومزيد من البراهين والشواهد لتلك الآثار الغابرة ووصف للعاديات القديمة.

وكل ذلك من تلك المنابع الصافية التي انبثقت من وصف مؤرخي اليونان والرومان وتلام المستشرقون كشاهد عيان لما تبقى من تلك المدنية الزاهرة، ثم بوصف « لسان اليمن »، وما قيل في ذلك من الشعر.

قال في تاريخ العرب قبل الإسلام ص ١٨١ : « أهل اليمن حَضَرٌ من أقدم أزمانهم، ولذلك لم يطلق عليهم اسم « العرب » قديماً لأنه كان يراد به « البدو » على الإجمال كما تقدم، فهم أهل مدن وقصور ومحافد وهياكل وأثاث ورياش لبسوا الخز وافترشوا الحرير واقتنوا آنية الذهب والفضة، واغترسوا الحدائق والبساتين » وقال أغاثرسيدس : « وللسبأيين في منازلهم ما يفوت التصديق من الآنية والأوعية على اختلاف أشكالها من الفضة والذهب، وعندهم الأسِرّةُ والموائد من الفضة، والرياش من أفخر الأنسجة وأعلاها، قصورهم قائمة على الأساطين المحلاة بالذهب أو المزينة بالفضة، يعلقون على أفاريز منازلهم ـ جمع إفريز ـ وهو ما أشرف على خارج الدار أو داخله أو أشرع فوق الدار ـ كالرف والمظلة، والصفيف، والسقيفة والمخدعة والروشان والسكنة ـ صحائفَ الذهب مرصعة بالجواهر ويبذلون في تزيين منازلهم أموالا طائلة لكثرة ما يدخلون في زينتها من الذهب والفضة والعاج والحجارة الكريمة، وغيرها من المواد الثمينة».

وقال أيضاً بعد ما وصف البلاد السعيدة وتجارتها، ومحصولاتها، والوارد إليها : إنه كان يوجد في سبأ كل شيء يجلب السعادة لبني آدم، وغير المحصولات المشهورة يوجد فيها اللبان والمر والقرفة، وكانوا يطبخون مأكولاتهم بالأخشاب

ذات الروائح الزكية ، وكانوا فى أرغد عيشة ، وفى راحة ونعمة يحسدهم الأمراء والسلاطين ، ودعائم بيوتهم تلمع بالذهب والفضة ، وموائدهم تفوق كل ما رآه الأوربيون .

وقال ديودور الصقلى المتوفى سنة ٨٠ ثمانين قبل المسيح : كأن خزانات الدنيا كلها وثرواتها فى بلاد العرب السعيدة واجتمعت فى سوق واحد .

وجاء فى الانسيكلوبيديا الإسلامية « دائرة المعارف » أنه جاء فى كتب مؤرخى اليونان ، والرومان مثل « ديودور » ، و « هيرودوت » وغيرهما ، كلام كثير عن حضرموت واليمن ، ووجد مطابقا للكتابات التى عثروا عليها فى جنوب الجزيرة العربية .

ومن ذلك يظهر أن أهالى اليمن كانوا أشداء فى الحروب ، أصحاب إقدام ونشاط فى أعمالهم ، وكانت لهم زراعة راقية ، وتجارة ممتدة إلى سائر الأقطار ، وعلاقات اقتصادية مع مصر وفينيقية ، وكان لهم قيام على الملاحة وركوب البحر يعجب به المؤرخون ، وكان السبئيون سباقين فى هذه المزايا كلها ، وكانوا أصحاب يَسَارٍ وترفٍ[1] .

وذكر بلين اليونانى فى معادن جزيرة العرب ، واسترواج هذه الأمة للذهب الذى زاد فى ثروتها وسهل طرق مدنيتها .

وأما محصول الطيب فقد كان خاصاً بالسبئيين والمعنيين ، وقد أشارت التوراة إشارة إلى ثروة السبئيين فى عدة أماكن كما أشار القرآن الكريم فى وصف عرش الملكة بلقيس بالعظمة ، فقال عز من قال : « وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ » . فسره العلماء بأن قوائمه من الذهب الخالص ، والأحجار النفيسة[2] .

---

(١) تعليق الأمير شكيب إرسلان على تاريخ ابن خلدون . (٢) راجع التفاسير .

وقال فى الإنسيكلوبيديا الإسلامية : أن لا مبالغة فى أن أبواب منازل سبأ وجدرانها وسقوفها وأعمدتها كان منها الكثير مموها بالذهب والفضة مرصعاً بالحجارة الكريمة ، وأن أبنيتهم كانت مصنوعة من أنفس المعادن ، وقد وجد كثير من المسكوكات السبئية ، ومن الحلى تؤيد روايات الرواة من كل قبيل[1] .

قال الفيلسوف « غستاف لبون » فى حضارة العرب ص ١٢١ : واشترى « مسيو شلومبرجر » فى القسطنطينية حديثاً مائتى قطعة من نقودُ ملوك اليمن التى اكتشفها عرَبى فى صنعاء ، فترجع فى قدمها إلى ما قبل الميلاد .

وتكاد كلمة المستشرقين تكون كلمة إجماع بأن مدنية الخضراء كانت راقية جداً ، وأرقى من المدنيات العربية الأخرى ، فالمبانى القديمة الدارسة من آثار سبأ والنقوش والتماثيل ، وبقايا الأعمدة ، والهياكل والقصور والأسوار والأبراج وسدود المياه مما شاهدوه بأعينهم يطابق أشد المطابقة للأوصاف التى وصف بها اليونان والرومان ، تلك الآثار الباهرة لا يعود متعجباً مما جاء عنها فى كتب الإسلام مما كان يظنه من أساطير الأولين .

قالوا وقد كان العرب فى جزيرتهم فى حاجة إلى خزانات مياه الأمطار لأجل زراعتهم ، فبلغوا من الاعتناء ببناء السدود والحياض أقصى درجة يتصورها العقل ، وترقت الزراعة فى اليمن لذلك العهد إلى حد لا يخطر ببال أحد ، ولم تكن الزراعة وحدها هى التى بلغت الأمد الأقصى بل ضارعتها التجارة من جهة ، والصناعة من جهة أخرى ، واستخراجها للذهب والحجارة الكريمة التى كانت تبعثها إلى الأقطار الشاسعة ، هذا مع تجارة العنبر ، وعود الطيب .

---

(١) تعليق شكيب أرسلان .

وقال العلامة المستشرق « كارل بروكلمان » فى تاريخ الشعوب الإسلامية « ص ١٥ » : وفى جنوب بلاد العرب حيث كان المناخ أكثر ملاءمة للزراعة ، ازدهرت منذ الألف الثانى قبل الميلاد حضارة راقية عن أساس الزراعة والتجارة .

وفى الحق أن السدود المنشأة لخزن المياه وتصريفها والمدن المحصنة ، والقصور والهياكل فى تلك الأصقاع لا تزال إلى اليوم ، تشهد على ما كان يتمتع به بناتها من الصنـاعة الزاهرة ، وما كان يتحلون به من التقوى والنزعة الاجتماعية .

أما حياتهم الفكرية فيؤخذ من النقوش التى خلفوها أنها لم تبعد عن وضع مجموعة من القوانين التى نظمت شئون المملكة والملكية العقارية تنظيما دقيقاً .

وما أن أطَلَّ الألف الثانى قبل الميلاد حتى كان المعينيون من قبل العرب الجنوبية قد توسعوا فى مستعمراتهم التجارية بعيداً نحو الشمال ، وأعقبتهم سبأ ، ثم خلف من بعدهم الحميريون .

هذا وإذا تركنا للقلم أن يسترسل فى حكاية كلام علماء الاستشراق وسردها طال بنا السرى ودب إلى القارىء الملل والسآمة ، وحسبنا بهذا القدر ، وهذه الإشارة العابرة إذ البعض يدل على الكل ، ووفاء لشرطنا وتدعيما لما نقوله ، ويقوله أسلافنا المورخون ولتعرف الناشئة والجيل الجديد كيف أعمال أجدادهم الجبابرة الأبطال ، فتعمل فوق ما عملوا ، ويقول تبع :

مآثرنا فى الأرض تصديق قولنا   إذا ما طلبنا شاهداً أو دلائلا

مآثر الخضراء كما يقصها علينا « لسان اليمن »

خصص « لسان اليمن » الجزء الثامن من الإكليل فى وصف محافد اليمن

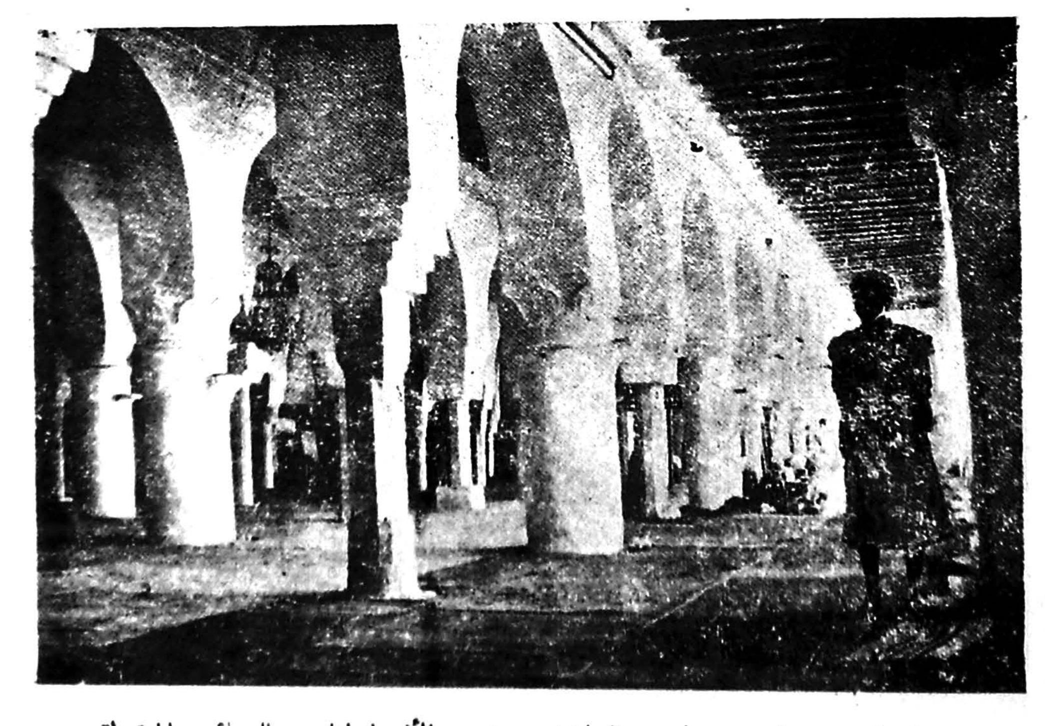
وقصوره وهيا كله ، وغير ذلك التى شاهد بقاياها ماثلة للعيان أو حدثه عنها أشياخه كما كتب عن مآثر أجداده فى كتابه المفقود « المسالك والممالك اليمنية » .

وقد قال المستشرقون بعد وصف حضارة اليمن وحسبك دليلا ما ذكره الهمدانى من قصر غمدان وغيره من قصور سبأ ، مثل قصر سلحين وقصور بينون وما ذكره عن عظمة سد مارب .

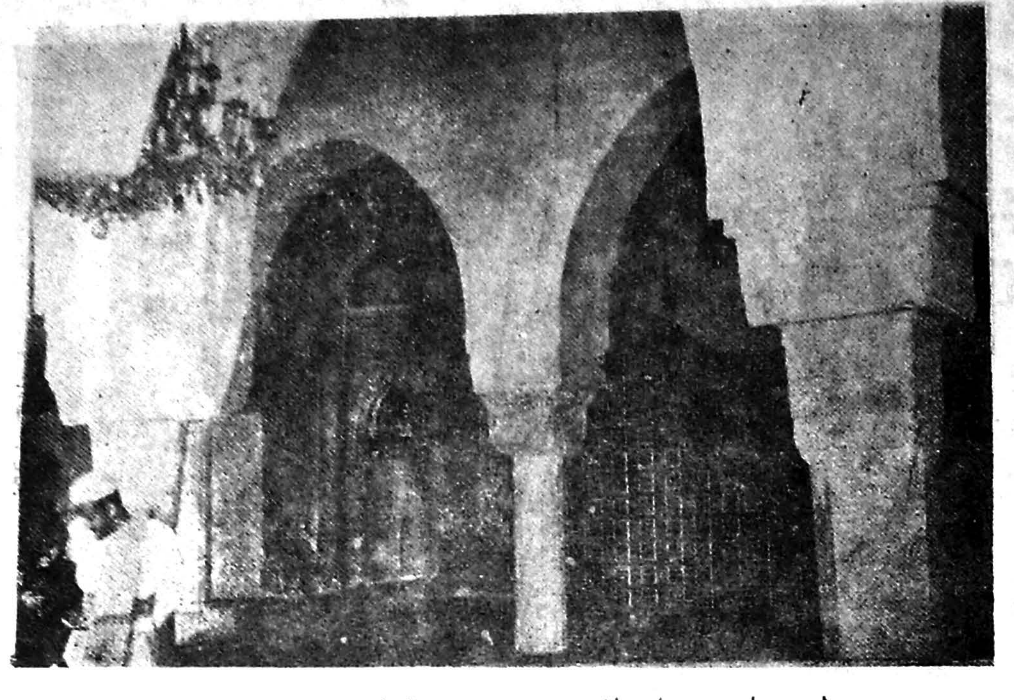
وما جاء كلام مؤرخى اليونان والإغريق ، وما أسفر عنه كشف علماء الاستشراق إلا معززاً ومصدقاً لكلام الهمدانى ونشوان .

ونبتدىء بقصيدة علامة عصره « أبى علكلم المرانى الهمدانى » الذى كان حياً فى أيام الخليفة « هارون الرشيد » فى القرن الثانى الهجرى ، إذ فيها تعداد لبعض ذلك المجد ، وتلك العظمة ، ثم نتبع بذكر بعض ما عن لنا التقاطه من ذلك السفر الجليل ، قال أبو علكلم من قصيدة طويلة :

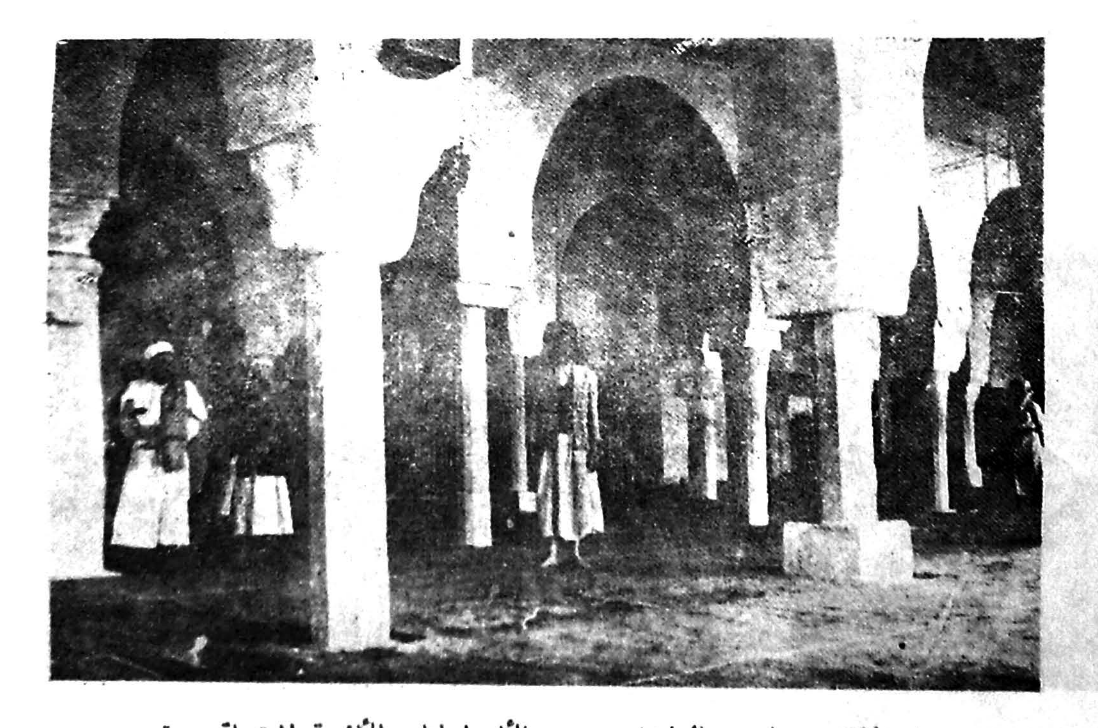
نحن المقاول والأملاك قد علمت ... أهل المواشى بأنا أهلُ غُمْدانا
وأننا رب بينون وأضرعة ... والشيد من هكر ناهيك بنيانا
براقش ومعين نحن عامرها ... ونحن أرباب صرواح وَرَوثانا
وناعط نحن شيدنا مخالفها ... وقصرها وقرى نشقٍ ونوفانا
وتلفم البون والقصرين من خَمِرٍ ... وتنعما وقرى شرح ودعانا
والمندتين بنى ذو التاج من تَبَع ... وقصر ذى الورد تاما رأس ملحانا
وصبيح نجر ونجر فوق قنتها ... بنى لنا وشباماً بيت أقيانا
وفى رئام وفى النجدين من مدر ... عَلاَّ المنار وحَبٌّ شاد إيوانا
وفى ظفار بنت آباؤنا غرفا ... فى كوكبان وقصر الملك ريدانا
وقصر بينون علاه وشيده ... ذو الفخر عمرو وسوّى قصر غيمانا
وقصر أحور أس القَيْلُ ذو يزن ... وقصر فائش فى أرباب قد كانا



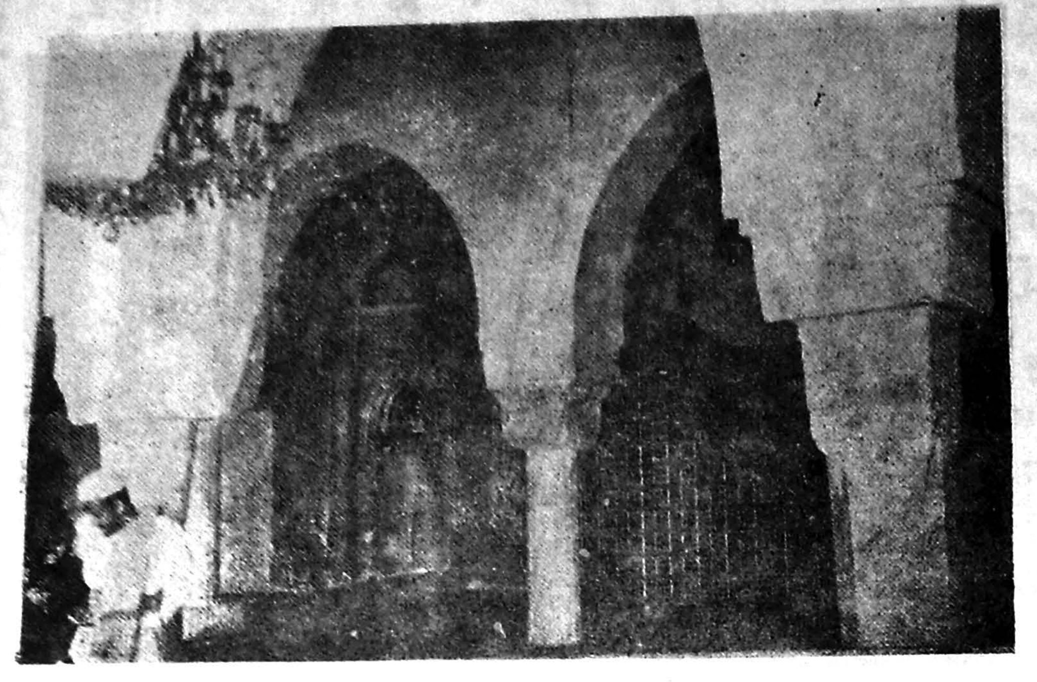
منظر لبعض جامع صنعاء من الداخل ، وترى الأسطوانات ، الدعائم ، المنقولة من قصر غمدان وقد أزيح عنها الكلس ، الجص ، والبعض لا يزال مثقلا به
(تصوير الفنان علي بن محمد السمه)



محراب جامع صنعاء والمنبر (تصوير الفنان علي بن محمد السمه)



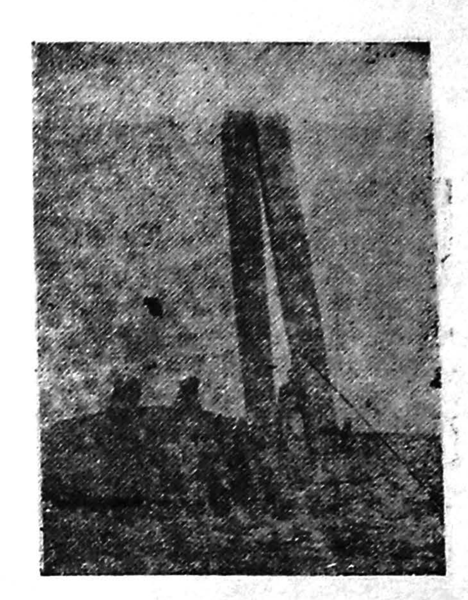
منظر لجامع صنعاء من الداخل ، وترى الأسطوانات الأثرية المنقولة من قصر غمدان ، كما ترى بعض الإخوان المصلين (تصوير الفنان علي بن محمد السمه)



محراب جامع صنعاء والمنبر (تصوير الفنان علي بن محمد السمه)



منظر لجامع صنعاء من الداخل ، وترى الأسطوانات الأثرية المنقولة من قصر غمدان ، كما ترى بعض الإخوان المصلين (تصوير الفنان علي بن محمد السمه)



مسلتان من بقايا آثار تاعط



صورة حجر من المرمر وعليها نقوش
زخرفية لسنابل « البر » من مأرب

وَقصر سلحين علاه وشيـــده   كهلان والدنا أحبب بكهلانا
فأصبحت مأرب للريح مخترقا   بعد القصور وبعد الشيد مَيْدانا
ساق المياه إلى ســـد بمأربنا   للجنتين مغانينا وبنيـــانا

مـــارب

بفتح أوله وثانيه بعده ألف ثم راء مكسورة ثم باء موحدة هكذا ينطق به معاشر اليمنيين وإلى يوم الناس هذا ، وهكذا ضبطه الوزير البكرى فى كتابه معجم ما استعجم وقال ويقال : مأرب بإسكان ثانيه قال الأعشى[1] :

من ســـبأ الحاضرين مأرب إذ
يبنون من دون ســـيله العَرِما

وقال ياقوت مأرب : بهمزة ساكنة وكسر الراء ، والباء الموحدة .

وهى عاصمة سبأ والبلاد السعيدة فى غابر الأزمان والفردوس المفقود الذى قال فيه « لسان اليمن » فى ج ١ ، ص ١٤٠ من الإكليل :

وهى بيضة العز ودار المملكة وبقعة الجنتين ، ووكر قحطان ووَسط الأقليم وما سماها الله « بلدة طيبة » .

واشتهرت « مارب » بسدها العظيم وآثارها الكثيرة قال الهمدانى فى الجزء الثامن :

قال الله (لَقَدْ كَانَ فِي سَبَإٍ فى مَسْكَنِهِمْ آيةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ واشكروا له بلدةٌ طيبةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) .

---

(١) الذى فى الأغانى وسائر كتب الأدب أن البيت للنابغة الجعدى لا للاعشى .

وهى « أى سبأ » كثيرة العجائب والجنتان عن يمين السد ويساره وهما اليوم غامرتان ، وَالغامر العافى ، وإنما عَفَتا لما اندحق السد فارتفع عن أيدى السيول ، ووجدت فى إحداهما عربق أراك وَفى أصله جذع نخلة أسود قد كبست بافيه السوافى فقال بعض من كان معى : لا أظنه لا من بقايا نخل الجنين وما أظنه بقى من العصر القديم.

أما مقاسم الماء من مداحر السيول فيما بين الضياع فقائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالأمس ، ورأيت بناء أحد الصدفين ، وهو الذى يخرج منه الماء قائماً بحاله على أوثق ما يكون لا يتغير إلا أن يشاء الله ، وإنما وقع فى الكسر فى العرم شىء بما يصالى الجنة اليسرى يكون عرض أسفله خمسة عشر ذراعا قال تبارك وَتعالى (فأعرَضُوا فأرْسَلنَا عليهم سيلَ العَرِم ، وبدّلناهم بجنّتيهم جنتين ذَوَاتَىْ أُكُل خَمْطٍ وَأَثْلٍ وشىء مِنْ سِدْرٍ قليل) قيل : الخمط الأراك ، والأثل الطرْفا والسدْر المعروف الضّرج وهو العِلْبُ وجمعه عُلوب والواحدة علبة .

ومن أمثال العرب فى الرجل المنيع الجانب: « وَهو رجل لا ينياش عِلْبَه ولا يجلَفُ أثله ودومه « الدوم » وحَمله المَقل «النبق» والكباث » وبها من الأراك ما ليس ببلد ومن الحمام المطوق فى الأراك ما يجل عن الصفة ، وكان السيل يجمع من أماكن كثيرة ومواضع جمة باليمن ، وفيها يقول الأعشى :

ففى ذاك للمؤتسى أسوةٌ ومارب قفى عليها العرم
رخام بنـاه لهم حـمـيرٌ إذا جاء ماؤهم لم يرم
فأروى الحروث وأعنابها على ساعة ماؤهم ينقسم
فطار القيول وقيالهـا ببهما فيها سراب يَطِم

وكان العرم مسند إلى حائط وأثر ما بين عضاد بالمداحر بمعازيب من الصخر عظام ملس ملحمة الأساس بالقطر ، انتهى كلام الهمدانى . وقد جاء كلامه مطابقاً لما وجده المنقبون الذين اكتشفوا ذلك الخزان العظيم .

وقد أكثر شعراء الجاهلية من ذكر مارب وسدها الأثرى لبعد صوتها وهى مبثوثة فى كتب الأدب وفى الثامن من الإكليل وقد أجاد « لسان اليمن » فى وصف ذلك ووصف عرش بلقيس شعرا فقال :

وجنتا مأرب من بعد ذا مثل والعرش فيها وسد وسط واديها
ما بين طودين لا دار ولا كثب وجربة السد طول الدهر يسقيها
كأنها حين تهوى فى مشاعبها كواهل الصُّهب ازدانت هواديها
وتارة إذ تعالى المــــاء غاربه جُذْرٌ مُجَصَّصَةٌ مالت سواريها
تسقى بها جنتاها ثم بعدهما مسافة الخمس موصولا لياليها
تغدوا النواصف بالأطباق تملؤها من كل فاكهة بالكف تجنيها
وليس يمنع نفساً أن توافيها منها مجانبها ألا تمانيهـــــا
وعرشها شاهق من فوق أعمدة من الرخام سواقيها تحاذيها
حروفها لنواحى البتر مرهفة إذا العيون بطول السجل يعييها
فلا يقابل منها حرفها دقلا أو لينة كاد ذاك الحرف يثريها
وان تحيط بإحداهن ما قدرت حضنا بليغ طويل الباع تحويها
فى طول عشرين بعد الفرض كاملة من بعد خمس حَسِيباً فى كراسيها
وفوقها مثلها والعرش منتصب من فوقها وخرير الريح يدويها
ورأسها قبة كالنجم بيضتها من علوها قد يكاد الغيم يخفيها
فليس منظرها إلا لمضطجع ومقنع الرأس كرهاً من تنائيها
متى تظل بها أملاك ذى يمن تظل تخترق الأرواح تلهيهـا
وحولها الطاير وسط الجو عاكفة تظـــــل صادحة فيها تغنيها
فأخلقت بلباس الدهر جدتهـا ولابس الحلة الشوهاء يبليهـا

وكان بمارب قصر سلحين والهجر ، والقشيب ، وقصور من بمارب اليوم من مبانيهم .

وأعمدة العرش السفلى قائمة إلى اليوم لو اجتمع جيل على أن يصرعوا واحدة منها لم يقدروا لأن كل عمود منها نقر له فى الصفا ، ثم صب بينهما القطار ويسمى قصر بلقيس سلحين .

قال علقمة بن ذى جدن :

لو رأيت القشيب بعد بهاء　　خاويا هد بعضه فوق بعض

وأقاويل مارب قد تولوا　　بعد عقد الأمور منهم ونقض

وقال :

وقصر سلحين قد عفاه　　ريب الزمان الذى يريب

تعوى الثعالب فى قراها　　ما فى مساكنها غريب

واسمع إلى كلام المسعودى حين تكلم عن مارب :

« ذكر أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبأ كانت من أخصب أرض اليمن وأثراها وأغدقها وأكثرها جنانا وغيطانا وأفسحها مروجا بين بنيان وجسر مقيم وشجر موصوف ومساكب للماء متكاثفة وأنهار متفرقة وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجد على هذا الحال وفى العرض مثل ذلك وأن الراكب أو المار كان يسير فى تلك الجنان من أولها إلى أن ينتهى إلى آخرها لا يرى جهة الشمس ولا يفارقه الظل لاستتار الأرض بالعمارة والشجر واستيلائها عليها وإحاطتها بها فكان أهلها فى أطيب عيش وأرفهه وأهدأ حال وأرغده ، وفى نهاية الخصب وأطيب الهواء وصفاء الفضاء وتدفق المياه وقوة الشوكة واجتماع الكلمة ونهاية المملكة فكانت بلادهم فى الأرض مثلا وكانوا على طريق حسن من اتباع شريف

الأخلاق وطلب الفضائل على القاعد والمسافر بحسب الإمكان وما توجده القدرة من الحال فمضوا على ذلك ما شاء الله من الأعصار وَلا يعاندهم ملك إلا قصموه ولا يوافيهم جبار فى جيش إلا هزموه ، فذلت لهم البلاد وأذعن لطاعتهم العباد فصاروا تاج الأرض » وله وصف أكثر من هذا .

وتقوم مدينة مأرب على أرض الجنتين ذات اليمين وذات الشمال وَيحدها من الغرب جبل بلق والسدومن الشمال جبال منخفضة متصلة بجبال هيلان الشامخة ومن الشرق والجنوب : الفلاة «الربع الخالى» وتعلو عن سطح البحر بألف وثلثمائة متر «١٣٠٠» وعليها سور مرتفع عن وجه الأرض فى الحال الحاضر نصف متر ، إذ قد فقد مناعته التى وصفه بها الطمحان القينى فى شعره :

أما ترى مأربا ما كان أحصنه   وَما حواليه من سور وبنيان

وتبعد عن صنعاء بخمس مراحل بالقوافل وثلاثة أيام لغيرها وبـ ١٦٥ مائة وخمسة وستين كيلومترا كم .

غُمْدان أحد ناطحات السحاب

ومن الآثار الغابرة قصر غمدان ضبطه الخليل بن أحمد الفراهيدى الأزدى ومن بعده من الأعلام — بضم الغين المعجمة وسكون الميم زنة عُثْمَان وذُأبَان وينطق به اليوم بفتح المعجمة .

قال الجاحظ : إن عجائب الدنيا القديمة ثلاثون أعجوبة وعد منها قصر غمدان وكان غمدان أحد ناطحات السحاب التى أول من اخترعها اليمنيون .

ولما كان لغمدان من الشهرة أكثرت الشعراء من ذكره والتغنى بعظمته فقال بعض من له عناية بأخبار العالم وملوكهم :

الدار داران إيوان وغمــــدان   والملك ملكان ساسان وقحطان

والأرض فارس والإقليم بابل والإسلام مكة والدنيا خراسان

وقال الربيع بن ضبيع الفزارى وكان قد عمر طويلا :

وغمدان إذ غمدان لا قصر مثله ... زهاء وتشييداً يحاكى الكوكبا

ومارب إذ كانت وأملاك مارب ... توافى جباة الصين بالخروج ماربا

وأرباب بينون وأرباب ناعط ... خلا ملكهم منهم فأصبح عازبا

وقل فى ظفار يوم كان وأهلها ... يدينون قهراً شرقها والمغاربا

لهم كانت الدنيا جميعاً بأسرها ... يؤدى إليها خرجها الروم دائبا

فمن ذا يرجى الملك من بعد حمير

ويأمن تكرار الردى والنوائبا

أولئك مأوى النعم كنعام

ولكن رأينا الشر للخير صاحبا

أما «لسان اليمن» فقد استهل الجزء الثامن من الإكليل بذكر غمدان فقال أقدم شىء قصر غمدان .

قال الهمدانى أول قصور اليمن وأعجبها ذكرا وأبعدها صيتاً قصر غمدان قصر أزال وهو فى صنعاء ثم ساق كلاما كثيراً إلى أن قال :

وقد بقى من حد غمدان القديم قطعة ذات جروب ملاحك عجيب فهو قبالة الباب الأول والثانى من أبواب الجامع الشرقية وباقى غمدان تل عظيم كالجبل وكثير مما حوله من منازل الصنعانيين فمنه بنيت .

وكان غمدان عشرين سقفا غرفا بعضها على بعض واختلف الناس فى الطول والعرض فقائل يقول كل وجه علوه ألف بألف وقائل يقول كان أكثر وكان ما بين كل سقف عشرة أذرع ، وفيه يقول الأعشى :

وأهل غمدان حيث كانوا أجمع ما يجمع الخيار
فصبحتهم من الدواهى نائحة عقبها الدمار

وفيه يقول الهمدانى :

من بعد غمدان المنيف وأهله وهو الشفا اقلب من يتفكر
يسمو إلى كبد السماء مصعدا . عشرين سقفا سمكها لا يقصر
ومن السحاب معصب بعمامة ومن الرخام منطق ومؤزر
متلاحكا بالقطر منه صخرهُ والجزع بين حروبه والرمر[1]
وبكل ركن رأس نسر طائر أو رأس ليث من نحاس يزأر
متضمنا فى صدره قطارة لحساب أجزاء النهار تقطر
والطير وَاقفة عليه وفودها ومياهه قنواتها تتهدّر
ينبوع عين لا يصرد شربها وَبرأسه من فوق ذلك منظر
برخامة مبهومة فتى ترد أربابه مدخولة لا يعسر

وكانت إلى جانب القصر نخلة تسمى اليانمة سحوق تطرح بعسبانها إلى بعض أبهائه .

وَلم تزل حمير تنزله وتزيد فيه حتى أخرب فى أيام عثمان . أ كل ما كان وكان له أربعة أوجه فى ترابيعه ، وجه مبنى بحجارة بيض ووجه بحجارة سود ووَجه بحجارة خضر وَوَجه بحجارة خضر ووجه بحجارة حمر وكان فى أعلاه ، غرفة لها لمج وَهى السكوى كل كوة منها بناء رخام فى مقيل من الساج والأبنوس ، وَسقف الغرفة رخامة وَاحدة صفيحة وكان الملك يستلقى على فراشه فيمر بها الطائر فيعرف به الغراب من الحدأة من تحت الرخامة .

---

(١) وفى نسخه بين جروبه

وكان يثقبون فيها السراج فترى من رأس عجيب ولا ترى فيه حمرة النار مع الرخامة المسطوحة ، ويؤيد ذلك قول علقمة حيث يقول :

مصابيح السليط تلحن فيه إذا يمسى كتوماض البروق

وفى كل ركن من أركان القصر عند ترابيعه أسد من نحاس رجلاه فى الدار وصدره ورأسه خارجان من القصر مَفْضِىٌّ ما بين فيه إلى دبره عن حركات فيه مدبرة فكانت الريح إذا هبت ترددت فى أجواف تلك الأسد فتزأر ، وكانت فيها ستور فيها أجراس إذا ضربت تلك الأرياح تلك الستور تسمع الأصوات من تلك الأجراس من مكان بعيد ، وإذا طلعت الشمس أصاب ظله جبل عيبان .

فلما فرغ إلى شرح ابن يَحْضُب من بنائه قال شعرا بالحميرية لم يحفظ منه إلا هذا البيت :

إنى أنا القيل إلى شرح حصنك غُمدان بمبهمات

انتهى كلام الهمدانى باختصار. وإن شئت أن ترى عظمة قصر غمدان فانظر إلى أحجار وأسطوانات الجامع الكبير الذى بنى من أنقاضه .

وقد استدل من شعر الهمدانى أنه كان فى القصر المذكور ساعة زمنية لحساب ساعات اليوم وأن الحميريين هم أول من ابتكر الساعة القطارة .

وقال ياقوت : كان يؤمر بالمصابيح فتسرج فى ذلك البيت ليلا فكان سائر القصر يلمع من ظاهره كما يلمع البرق فإذا أشرف عليه إنسان من بعض الطرق يظنه برقا أو مطرا ولا يعلم أن ذلك ضوء المصابيح ثم ذكر شعر ذى جدن المذكور .

وقال : وهدم غمدان فى أيام عثمان فقيل له : إن كُهّان اليمنَ يزعمون أن الذى يهدمه يُقتَل فأمر بإعادة بنائه فقيل له : لو أنفقت عليه خراج الأرض ما أعدته كما كان فتركه ، وقيل : وَجد فى خشبة لَمَّا خرب وهدم مكتوبٌ برصاص مصبوب : إسلم غُمدان هادمك مقتول ، فهدمه عثمان فقتل .

وفى غمدان وَغيره وَفى ملوك اليمن يقول دعبل بن على الخزاعى :

منازل الحى من غمدان فالنضد ... فمارب فظفار الملك فالجند

أرض التبابع والأقيال من يمن ... أهل الجياد وأهل البيض والزرد

ما دخلوا قرية إلا وقد كتبوا ... بها كتابا فلم يدرس ولم يبد

بالقيروان وباب الصين قد زبروا ... وباب مرو وباب الهند والصغد

هذا وقد أوضح الهمدانى أين كان مكان قصر غمدان وَأنه قبالة الجامع الكبير من الشرق وهو المرتفع الذى فيه البنايات والبيوت وقد كان ممتدا إلى سوق القصب وَمسجد الشهيدين كما هو متعالم به اليوم .

وأما ما يسمى اليوم وكذا فى التواريخ « بقصر غمدان» الواقع أعلى صنعاء فى جَبُوب جبل نقم والذى أصبح مستودعا للذخيرة الحية الحربية ومخزناً للحبوب وَمعتقلا للسياسين ولأهل الجرائم الكبار فإنه أسس عن كثب أى بعد خراب القصر المشيد غمدان بمدة لا تعرف ، وكل أمير أو رئيس يزيد فى بنائه من اللبن والآجر وَفيه عدة بنايات ومسجد بقُبة ومنارة وَبئر عدّ لا تنكش ويقال إن بانى القبة مراد باشا التركى فى القرن الحادى عشر الهجرية .

ومن ذخائر الآثار « ناعط »

قال الهمدانى : قد نظرت بقايا سائر اليمن وقصورها سوى غمدان فإنه لم يبق منه سوى قطعة من أسفل جدار فلم أر مثل ناعط ومأرب وضهر ، ولناعط الفضل .

وهى مصنعة بيضاء مدورة منقطعة فى رأس جبل تَنَعين وهو أحد جبال البون

وهو جبل مرتفع مقابل لقصر «تَلْفُم» وهو جبل فى سرة همدان وهى ربدة مسكن الهمدانى.

فمن قُصور ناعط قصر المملكة الكبير ويسمى يَمْرُق ومنها قصر ذى لعوة المكعب، وذلك بكعاب خارجة فى معازب حجارته على هيئة الدّرق الصغار وذَرَعْتُ فى معزب منه سبعة أذرع إلا ثلثاً بالذراع التامة وَبها سوى هذين القصرين ما يزيد على عشرين قصراً كبارا سوى أماكن الحاشية وكان عليه سور ملاحك بالصخر المنجور وما فيها قصر إلا وتحته كريف الماء مجوف فى الصفا مصهرج فما ينزل من السطح ابتلعه وفيه الأسطوانات العظيمات طول كل واحد منها نيف وعشرون ذراعا مربعة لا يحضن الواحدة إلا رجلان وفيها بقايا مسامير حديد، قيل إنها مراقى إلى رؤوسها وإنه كان يُثْقَبُ عليها الشمع إذا أرادوا الصرخة فتنظر النار من جبل سفيان ومن جبل حضور ورأس مُدَع وجبل ذُخار: كوكبان وظاهر خَرفان، «ولا تزال أسطوانتان قائمتان من هذه الاسطوانات إلى اليوم مع المسامير التى فيها»

يقول الهمدانى على حد الخبرة بها:

ألم تر أن الدهــــر زلزل ناعطا ... فأصبح مسحول التراب وساقطا

تكبكب بعد الشيد سبعين بسطة ... لأذقانه عن طفة النيق هابطا

تعاوره ريب الزمان فــلم يدع ... من الشيد إلا أسطوانا وحائطا

يطول بنـاء الغابرين وإن عـلا ... كما طلت إما قمت من كان لائطا

فمن يك ذا جهل بأيام حمـــير ... وآثارهم فى الأرض فليأت ناعطا

تجد عمداً تعــــلو الفِناء مرمرية ... وكرسى رخام حوله وبلائطـا

ملاحكةً لا ينفذ المـاء بينها ... ومبهومةً مثـل الفِراخ خرائطا

على كُرفٍ من تحتها ومصانع ... لهـا بسقوف السطح ليس وقائطا

تخال حنين الريح فى نزعاتها ... إذا اخترقت بين الزئير برابطا

كأنْ رفعت عنها البناة أكفها ... بأول يوم قيل أمسك فارطا

ترى كل تمثـال عليها وصـورة ... سباعا ووحشا فى الصفاح خلائطا

بجانب ما تنفــــك تنظر قابضاً ... لإحدى يديه فى الحبال وباسطا
ومستنمات من عقاب واجدل ... على أرنب وهم ذا فراخ وَقامطا
وسِرْب ظباء قد نهلن بمخنق ... وغضف ضراء قد تعلقن باسطا
وذا عقدةٍ بين الجياد مواكبا ... وسامى هاد للركاب مواخطا
وكأنْ به رفشان تحمى جَناته ... له أرض مصر والفرات فسابطا
فلم ينجه من حادث الدهر حصنه ... ولا مقربات كن فيه مرابطا
وكان على نائى الذؤابة شاهق ... تحامى عتاق الطير منه اللطائطا
وكان إليه الوفـد تترى نقيرة ... من الأرض جماء ذا ارتعاب وخالطا
تخال حبال الفُلك فى طرقاته ... إذا طَنَّبَتْ نحو الشراع البواسطا
محافدُ كانت للملوك محـــله ... ولم تخو هينا بالمُطَيفَ وَقاسطا
فأصبح مسلوب النضارة خاويا ... وأى وشاح لا يصادف كاشطا
فلا من أجال الطرف ينظر غاديا ... ولا من أصاخ السمع يسمع لاغطا
وما زال صرف الدهر كل مارأى ... واسمه للخير والشر سامطا
وأى فتى يرضى على الدهر يومه ... فأصبح إلا مظهر العيب ساخطا
ولو أن أسباب الردى هِبْن معشراً ... لهبن بنى الصوار حُضْرًا وشاحطا
أولئــك كانوا للبرَّيةِ كلها ... نظاما وما بين النظيمة واسطا
وكانت بنو المنتاب عنها بنجوة ... تفاخر ذا لمس علوما ولامطا

هذا ما اخترناه ووقع عليه انتقائنا من الجزء الثامن من الإكليل لنرفه على القارىء ونوسع له المعلومات[1] .

وثم بقية هيا كل وقصور ومحافد كثيرة هى آية الآيات عبرة وفناً وغاية الغايات عظمة ومجدا فارجع إلى الجزء الثامن من الإكليل ففيه الروض الأريض والفخر العريض .

---

(١) راجع تفسير هذه القصيده الجزء الثامن بإخراجنا .

وهذا ملحق فيما قيل من مفردات الشعر ومقطوعاته التى تدل على الترف والسعادة والغنى والرفاهة وما وصل إليه اليمنى من العزة والبذخ ورفاغة العيش

قال تبع :

ومارب قـــد نُطّقت بالرخام وفى سقفهـــا الذهب الأحمر

وكقوله يذكر عرش بلقيس :

عرشها شرجع ثمانون باعاً كللته بجوهر وفريد

وبدر قـــد قيـدته وياقـــوت وبالتبر أيما تقييـــد

وقال علقمة ذو جدن :

سائل سلحين وأيامها أيام كان الملك فى حمير

واسل ببلقيس وأيامها وعرشها من ذهب أحمر

وقال آخر فيه :

لو ترى بينـون ينـ يك أزالا وظفـــارا

ورأيت الليـل فيـه من سنا العود نهارا[1]

وقال علقمة ذى جدن :

وَاسل بينون وحيطانها قـد نطقت بالدر والجوهر

وقال من قصيدة له :

لخوى وما من ذى شباب يرتجى أبداً شبـــابه

ثار الغبـــار وفاح منه المسك إذْ قضّت قِبَـابه

وقال تبع من قصيدته المشهورة :

وبينون مبهمة بالحديد مَلاَزِبها الساج والمرمر

---

(١) وفى بعض النسخ العنز .

الأســـــداد

عقد أبو محمد « لسان اليمن » الحسن بن أحمد الهمدانى فى إكليله من الجزء الثامن بابا فى ذكر الأسداد التى عثر عليها فى وطنه الحبيب وخزانات المياه التى تناهت إليه ونوه بالكثير منها ناهيك أن فى بلاد يحصب ثمانين سداً كما قال تبع من قصيدته :

وفى الربوة الخضراء من أرض يحصب
ثمانون سـداً تقلس الماء سائلا

وقد أثبتنا فى تعليقنا على الجزء الثامن كلما وقفنا عليه من الأسداد باليمن مع بعض الرسوم لها فارجع إليه .

ولكن أعظمها شهرة وأبعدها صيتاً وأكثرها ذيوعا ـ سدّ مأرب المتقدم الذكر ولهذا نزيده هنا بيانا .

وسد مأرب أشهر الآثار لا فى اليمن فحسب بل فى بلاد الشرق كله وسلف لنا ذكر ميازيب اليمن الخضراء ومن بينها ميزابها الشرق الأعظم ومأتيه التى تنحدر إلى سد مأرب فى ص ٥٣ فإنه بعد ما يدخل سائله أذنة « ذنه » البالغ ارتفاعها ١١٠٠ ألف ومائة متر على سطح البحر ويتراوح عرضها على اختلافها بين ٣٣٠ ، و ٣٠٠ « إلى ٣٥٠ » مترا وتتجه نحو الشرق الشمالى حتى تنتهى إلى مكان قبل مارب بثلاث ساعات يسمى تارة باب الضيقة : أى المضيق أو باب الفرجة .

ومن هنا يقسم المر إلى جبلين بلق الأيسر لأنه واقع عن يسار القادم إلى مأرب من الغرب وهو الشمالى بعبارة العلم وإلى بلق الأيمن الآتى أيضاً من الغرب

وباللغة المتداولة الجنوبى ، وبينهما مسافة ستمائة خطوة أو ذراعاً أو نحو « ٢٠٠ » مائتى متر ، وعندما يخرج من الضيقة يتسع الممر المائى فى اتجاهه إلى السد أو الوادى كما يسمى ، كلما سار الإنسان إلى الشرق إلى أن يبلغ عرضه ٥٠٠ خمسمائة متر ثم يضيق إلى أن يبلغ ١٧٥ مائة وخمسة وسبعين مترا فى مخرجه بآخر الجبلين بمكان يقال له مربط الدّم وهو المكان الذى بنى فيه السد وتبعد المسافة من باب الضيقة إلى مدينة مارب أو سبأ قدر ساعة واحدة أما الجبلان عند أن يتقاربا عند بلق تبلغ إلى مارب نحو الشمال الشرقى ثلاث ساعات فى الجانب الغربى أو الأيسر من وادى أذنة .

فإذا جرى السيول حاذى بابها الشرقى ، وَبين المضيق الضيقة ، والمدينة متسع من الأرض تبلغ مساحة ما يحيط به من سفوح الجبال ٣٠٠ ثلاث مائة ميل مربع أو ٨٠ ثمانين كيلو متراً مربعاً هى الجنتان عن يمين وشمال اللتان كانتا كأنهما مدينة واحدة ذات مساكن ومدائن آهلة بالسكان والبستان يلصق البستان ، ولكن بعد ما بدلهم الله بجنتيهم جنتين ودَمَّرَ جميع هذه البساتين والجنان والمساكن والمدن ، وصار ما بين مدينة مارب ، وأقرب مدينة إليها كصرواح مثلا عشر ساعات إلى الغرب وبينها وبين مدينة براقش بالجوف وهى إلى الشمال من مارب نحو إحدى عشر ساعة .

وطبيعى أن مياه السيول كانت تَغمُر الطريق التى فى وادى أذنة لذلك فَكَّرَ أهل سبأ فعبدوا طريقاً حجريا فى الجهة الشمالية من جهة جبل بلق إلى مارب .

موضع السـد

انتهى بنا مجرى المياه إلى مخرجه الذى يقال له مربط الدّم والذى يبلغ ما بين للأزمين الجبلين ما يقرب من ١٧٥ مترا وفى هذه النقطة وَضع السد وهو عبارة عن

حائط ضخم أقاموه فى عرض الوادى المازمين وسموه العرم وهى تسمية لا تزال عندنا معروفة لا تحتاج إلى تفسير وهى المُسَنَّاة .

وهو سد أصم طوله من الشرق إلى الغرب نحو ثمانمائة ذراع وعلوه بضعة عشر ذراعا أو ثلاثة عشر مترا وعرضه ١٥٠ مائة وخمسون ذراعاً لا يزال ثلثه الغربى أو الأيمن باقياً كما ترى فى الخريطة وأما الثلثان الباقيان فهما اللذان تفجرا وفاض الماء منهما .

فالعرم يقف فى طريق السيل كالجبل المعترض ويصده عن الجرى فتجمع مياهه وترتفع وينتهى العرم فى طرفيه بمصارف الماء .

وذلك أن الذين هندسوه جعلوا طرفيه عند الجبلين أبنيةً من حجارة ضخمة متينة فيها منافذ يتصرف فيها الماء إلى إحدى الجنتين اليمنى أو اليسرى .

فأنشأوا عند قاعدة الجبل الأيمن « الشرق الجنوبى » وهو جبل بلق الأيمن بنائين بشكل المخروط المقطوع (١ و ٢) علو كل منهما بضعة عشر ذراعا سموهما الصدفين أحدهما (١) قائم على الجبل والآخر (٢) إلى يساره ، وبينهما فرجة عرضها خمس أقدام ، وقاعدة الأيمن منهما تعلو قاعدة الأيسر ثلاثه أقدام « أنظر الخريطة » والأيسر مبنى من حجارة منحوتة يمتد منها نحو الشمال والشرق جدار طوله ١٤٠ أربعون ذراعا ينتهى فى العرم نفسه ويندغم فيه وعلو الجدار المذكور مثل علو الصدف ومثل علو العرم .

وفى جانب كل من الصدفين المذكورين عند وجهيهما المتقابلين ميزاب يقابل ميزابا فى الصدف الآخر ، والميزابان مدرجان أى فى قاع كل منهما درجات من حجارة كالسلم الدرجة فوق الأخرى ولما يقتضيه شكل الميزاب السلمى أصبحت

المسافة بينهما عند القاعدة أقصر منها عند القمة ، وقد مثلنا الميزاب فى الخريطة بشكل (ع غ) كأنك تنظر إليه بجانب الصدف .

ويظهر من وضع المخروطين ، والصدفين على هذه الصورة أن أصحاب ذلك السد كانوا يستخدمون المسافة بينهما مصرفا يسيل منه الماء إلى سفح جبل بلق الأيمن فيسقى الجنة اليمنى ، وأنهم كانوا يقفلون المصرف بعوارض ضخمة من الخشب والحديد تنزل فى الميزابين ، عرضاً كل عارضة فى درجة لتكون العارضة السفلى أقصرها جميعاً والظاهر أن تلك العوارض كانت مصنوعة على شكل تتراكب فيه أو تتداخل حتى يتألف منها باب متين يسد المصرف سداً محكما يمنع الماء من الانصراف إلا عند الحاجة فإذا بلغ الماء فى علوه إلى قمة الصدفين رفعوا العارضة العليا فيجرى الماء على ذلك العلو إلى سفح الجبل فى أقنية معدة لذلك ونقر أحواض لخزن الماء أو توزيعها فى سفح ذلك الجبل فلا يزال الماء ينصرف حتى يهبط سطحه إلى مساواة العارضة الثانية فيقف فمن أراد رياً آخر نزعوا عارضة أخرى وهكذا بالتدريج وعلى قدر الحاجة .

وفى الطرف الأيسر من العرم وهو الغربى الذى ينتهى بالجنة اليسرى كالحائط عرض عند قاعدته ١٥ خمسة عشر ذراعا وطوله نحو ٢٠٠ مائتى ذراع وبجانبه من اليمين مخروطان أو صدفان أيمنان (٣ و ٤) أحدهما (٣) متصل بالعرم نفسه والآخر (٤) بينه وبين السد الأيسر فيتكون من ذلك مصرفان (٦ و ٧) مثل المصرف الأيمن لكل منهما ميزابان مدرجان متقابلان تنزل فيهما العوارض وتنزل حسب الحاجة لصرف الماء إلى الجنة اليسرى وينتهى العرم من حده الغربى بحائط مِنْبعلى الشكل : أى « كالشربم » فى عرفنا مبنى بحجارة منحوتة صلبة لعله الذى يسميه الهمدانى « العضاد » .

فكان السيل إذا جرى فى وادى أذنة حتى تجاوز المضيق بين جبلى بلق صده

العرم عن المجرى فيتعالى الماء ويرتفع ويتحول منه جانب نحو اليسار نحو السد الأيسر فإذا أرادوا رى الجنة اليمنى رفعوا من العوارض بين الصدفين الأيمنين على قدر الحاجة وإذا أرادوا رى الجنة اليسرى صرفوا الماء من المصرفين (٧ و ٨) بنفس الطريقة فيجرى الماء فى أقنية وأحواض فى سفح الجبل الأيسر حتى يأتى مارب لأنها واقعة إلى اليسار كما تقدم .

من بانى هذا السد ، ومتى بنى ؟[١]

اضطربت كلمة مؤرخى العرب من هو الذى بنى السد ومتى بنى وليس تحت اختلافهم طائل إذ كل ذلك مبنى على حكايات وعلى ما يتناقله الناس عامة وإن كانت تمت إلى الحقيقة بخيط دقيق .

ولنا رأى خاص أثبتناه فى الجزء الثامن من الإكليل فارجع إليه ، أما المستشرقون فإنهم اعتمدوا على النقوش التى وقفوا عليها واستدلوا بها على بانيه وأهمها نقشان أحدهما على الصدف الأيمن الملاصق للجنة اليمنى « تفسيره أن يثعمر يبين بن سمه على ينوف مكرب سبأ خَرَقَ بلق ، وبنى مصرف رحب لتسهيل الرى » والآخر على الصدف الآخر تفسيره « أنَّ سَمَهَ على ينوف بن ذمر على مكرب سبأ حزق بلق وبنى رحب لتسهيل الرى » وسمه على هذا هو والد يثعمر المذكور وكل منهما بنى صدفا أو حائطا وكلاهما من أهل القرن الثامن قبل الميلاد فهما المؤسسان ولم يتمكنا من إتمامه فأتمه خلفاؤهما وبنى كل منهم جزاء نقش اسمه عليه فعلى المخروط أو الصدف فى اليسار نقش قرأوا منه « كرب إيل يبين بن يثعمر مكرب سبأ بنى » وعلى جزء آخر من السد اسم

(١) قد حققت الموضوع بأكمله من هذا فى الجزء الثامن من الإكليل .

« ذمر على ذرح ملك سبأ » وفى محل آخر اسم « يدع إيل وتار » وعلى السد الأيسر مما يلى الجنة اليسرى عدة نقوش بمثل هذا المعنى مما يدل على أن هذا السد لم يستأثر ببنائه ملك واحد ، وتلك هى العادة فى تشييد الأبنية الكبيرة فى كل زمان[١] .

والعجب من « لسان اليمن » أنه لم يشر إلى هذه الكتابة فى كتبه والحال أنه قد زار ماربا ولعله جارى القوم فى تكهناتهم الخيالية كما أنه لو أتى بشىء جديد غير مألوف ولا معروف عند أهل زمانه لقالوا فيه قولا فربًّا فطوى عن ذلك صفحا

وما يدريبنا أنه ناقش الموضوع فى الجزء السابع من الاكليل الذى يبحث عن الأخبار الباطلة والحكايات المستحيلة .

تَهَدُّمُ السد وخرابه وفى أى زمن كان خرابه

تؤلف قصة خراب سد مارب العظيم فى كتب مؤرخى العرب رواية ذات فصول طويلة لا يخلو أن لها أصلا كما هو الشأن فى الأحداث الجسيمة التى ليس لها سند غير تناقل الأجيال ورواية الأسلاف وتلك القصة عن الكاهنة « طريفة » والملك « عمران بن عامر الأزدى » .

خلاصتها أن الحادث كان مفاجأة وذلك أن الجُرْذان « الفيران » أقبلت تفتك بالعرم فتكاً ذريعاً حتى فتحت فيه شقوقا كبيرة وأوجدت ثغرات وثقوبا عديدة ليتخللها مياه السيل فينبثق وعبثا حاولوا القضاء على تلك الفيران وصدها عن عملها الإجرامى فغلبتهم فجلبوا لها الدّم[٢] : القطط من كل ناحية وربطوها موزعةً على العرم الذى لا يزال يُسمَّى فيما بعد وإلى يوم الناس هذا « بمرط الدم » كما سبق التنويه بذلك فغلبتهم الجرذان فجاء السيل والعرم متهيئاً للهدم فلم يقو على

---

(١) جرجى زيدان العرب قبل الاسلام ص ١٧٢ ، وراجع مقدمة ابن خلدون

(٢) الدمم بكسر الميم جمع دمة كقطط بكسرها أيضا وقطه لغة عمانية لاتزال حية إلى اليوم ولها أسماء غير هذه .

التماسك لصدمات السيول وشدة عدوه وجريه فتهدم وتداعى وجاء حديث الكاهنة « طريفة » لتنبيء عن خراب السد وذلك فى أيام « عمران بن عامر الأزدى » أى حوالى تاريخ الميلاد فتفرق قبائل سبأ فضرب بهم المثل المعروف إلى اليوم « تفرقوا أيدى سبا »[1] .

بينما المؤرخون المعاصرون أو بالأحرى المستشرقون يفندون هذه الرواية ويجعلونها من قبيل الخرافات والأساطير وأن الفيران لايتصور أن تحدث مثل هذا الحدث الجلل ويعزون هدم السد إلى نتيجة الإهمال وأن خرابه فى سنة ١٢٠ مائة وعشرين بعد الميلاد .

ولنا رأى خاص هو أن من يُفَنِّدْ كلام مؤرخى العرب فيه خطل ومجازفة لأنه لا غرابة فى عمل الفيران بالسد وفتكها العرم فإن الفارة ومجموع الفيران تشكل خطراً كبيراً فى الفتك والبَعثرة بالمزارع والعرمات والمسناة والبيوت فتبعثر الأرض وتزحزح الأحجار الكبار عن أماكنها وتخرق ما بين الجدران الصلبة كما يحدثنا أسلافنا ونشاهده فى بعض السنين العجاف والحطمة .

وغير بعيد أن فى بعض الأعوام كان يقل ارتفاع مياه سيل مأرب إلى أصبلر السد ومرتفعاته وتنحسر عنها المياه فتجف الرطوبة فتزحف عليه الجرذان بالعيث بين أحجاره حتى أحدثت الخلل وَهيئته للاندحاق عندما جاء له سيل عظيم .

وأيضا أن اندحاق العرم بأسباب عمل الفيران يكون أظهر أعجوبة لآيات الله . « فأعْرَضُوا فأرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العرِمِ » كما أفار الله ماء الطوفان من جوف التنور وذلك أثبت للعبرة وأوكد للحجة .

ولا يتناكر آل قحطان إلى وقتنا هذا ما كان من أمر اندحاق السد : العرم وأنه مستفيض فينا مشهور عندنا واسمع إلى قول عمارة اليمنى المتوفى سنة ٥٦٩ هـ

---

(١) راجع الجزء الثامن من الإكليل ومروج الذهب وغيرها

وقد هدّ قِدْماً عرشَ بلقيسَ هُدْهُدٌ   وخرّب فارٌ قبل ذا سدٌّ مارب

ولا عجب فى ذلك « فلو علم المستشرقون » ما يفعل الفار الآن « بزم راتا » فى « سكسونيا » من فتك وثقب البرك وأبنية الرىّ حتى أزعج حكومة سكسونيا « لم يجدوا امجبهم هذا محلا »[1] .

وذكر المؤرخ المشهور محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه أن فى سنة ٢٢٢ ﻫ اثنتين وعشرين ومائتين للهجرة : ظهر فى كُورَتى سرخس ومروالروذ نسق من الفار مالم يَحُطْ به الاحصاء ولا أطاق الناس لدفعها إلى حيلة من مضرّة هذه الافة أنها أتت على غلات تلك السنة فى الكورتين معاً ثم تفانت لوقوع الموتان فيها . فربما أن خراب السد كان من هذا القبيل .

هذا ولا مانع من أن يلتقى القولان ويجمع بين الرأيين وهما الإهمال الذى سبب وجود الفيران وقلة المياه فكان العيث والتخريب وبذلك يتم التوفيق بين القولين .

ومن الأقوال التى فيها اختلاف فى الزمن عن انبثاق العرم وخرابه قول حمزة الأصفهانى أنه وقع قبل دخول دولة الإسلام بأربعمائة سنة[2] وقال ياقوت : أنه وقع فى ملك جيشان[3] وقال سيديوه فى سنة ١٢٠ مائة وعشرين بعد الميلاد تقريباً[4] .

ويرى غستاف لوبون: أن خراب السد فى القرن الأول للميلاد[5] وقال الأستاذ الأب أنستاس الكرملى اتضح للعلماء أن انبثاق سيل العرم أو انهدامه كان بين

---

(١) هدية الزمن ص ٤٨
(٢) تاريخ سنى ملوك الأرض ص ١٠٨
(٣) معجم البلدان ج ٥-٢٤
(٤) تاريخ العرب العام — ٤٦
(٥) حضارة العرب — ١١٩

سنة ٥٥٢ أو سنة ٥٧٠ بعد الميلاد وليس كما توهمه كثيرون من علماء العرب ونُصَراء الغرب[١] .

وثم أقوال أخرى ويرى جرجى زيدان وَنَحنُ معه فى هذا الرأى إلى أن تصدع سدّ العرم كان عدة مرات منها وهى الأولى حوالى تاريخ الميلاد وفيها تفرقت أيدى سبا بطونا وأنخاذا نحو الشمال والجنوب وعمان وانتقلت عاصمة الدولة إلى « ظفار الملك » حيث ظهرت دولة حمير الذين تلقبوا بملوك « سبا وريدان ويمنات » وتوجهوا بالعناية لتعمير ظفار غير ناسين ولا متناسين وَكْرَم الأصلى « مارب » فكانوا يرممون السد بين فينة وأخرى ، ومن ذلك الحين أخذت « مارب » بالتقهقر كما هو طبيعة الملك والعمران ، وكلما انفتق العرم من ناحية رمموه وهكذا دواليك إلى قبل ظهور الإسلام[٢] .

وممن جدد إصلاحه ورممه الملك شرحبيل يعفر بن أسعد الكامل حسب النص الذى ظفرنا به فى ظفار الملك وَكما هو مَزْبورٌ فى صدف فى سد مارب أيضاً .

ويؤيد ذلك أن العلامة « جلازر » توفق عند زيارته لمارب إلى اكتشاف أثرين هامين عليهما كتابة مطولة تتعلق بتهدم السد بعد دخول الأحباش أحدهما مؤرخ سنة ٥٣٩ م ، والآخر سنة ٥٦٥ م وهما من أهم ما وقفوا عليه من آثار تلك الدولة لما فيها من الإشارة التاريخية والاجتماعية والعلاقات السياسية أحدهما كتبه أبرهة الحبشى هذه خلاصته :

بنعمة الرحمن الرحيم ومسيحه والقدس أن أبرهة عزيز الأحباش الاكسوميين ملك أراحيس زيبان ملك ساوذوريدان وحضرموت اعرابهم فى نجد وتهامة قد

---

(١) الثامن من الإكليل — ٢٦٤

(٢) جرجى زيدان تاريخ العرب قبل الإسلام

نقش هذا الأثر تذكارا لتغلبه على يزيد بن كبشة[1] عامله الذى كان قد ولاه كندة ودى وعينه قائدا ومعه أقيال سبا الصحاريين وهم مرة وثمامة وحنش ومرثد وصنف ذو خليل ، واليزنيون إقيال معدى كرب بن السميفع وهمان وإخوته إبنا الأسلم[1] ما نفذ إليه الجراح ذا زنبور فقتله يزيد وهدم قصر كدار وحشد من أطاعه من كندة وحريب وحضرموت وفرعجان الدمارى إلى عبران وبلغ الملك الاستصراخ فنهض بجنده الأحباش والحميريين ألوفاً فى شهردو القياظ من سنة ٦٥٧ « من تاريخ اليمن » فنزل أودية سبا فجاء يزيد وبايع وخضع الملك بين أيدى القواد وهم فى ذلك جاءهم النبأ بتهدم السد والحائط والحوض والمصرف فى شهرذو « المذران » سنة ٦٥٧ بالتاريخ الحميرى ، فأمر بالعفو : وبعث إلى القبائل بانفاذ الحجارة للأساس والحجر الخام والأخشاب ورصاص الصب لترميم السد فى « مارب » فتوجه أولا إلى مارب ، وصلى فى كنيستها ثم عمد إلى الترميم فنبشوا الأنقاض حتى وصلوا إلى الصخر وبنوا عليه ، وعلم وهو فى ذلك أن القبائل تضايقت من العمل ورأى إعدامهم يعود بالضرر فعفا عنهم أحباشهم وحميرهم وأذن بانصرافهم ، ورجع الملك إلى « مارب » بعد أن عقد تحالفا مع الأقيال الآتى ذكرهم اكسوم ذو معاهر بن الملك ، ومرجزف ذو ذرناح وعادل ذو فائش واذوا سولمان وشعبان ورعين وهمدان والكلاع . . . الخ وثم جاء إليه وفد النجاشى ووفد ملك الروم ورسول من المنذر وآخر من الحارث بن جبلة وآخرون جاءوا بعون الرحمن يخطبون مودته فى أواخر شهر داوان ، وبعثوا إليه من غلة أراضيهم لترميم ما انصدع من البناء فرمموه وسمّوه حتى بلغ طوله « ٤٥ » خمسة وأربعين ذراعا وارتفاعه « ٣٥ » خمسة وثلاثين ذراعا .

---

(١) يزيد بن كبشة ورد ذكره فى كتب العرب .

(٢) هذه الأسماء جاء ذكرها فى ج ٢ من الإكليل فى نسب البزنيين ص ٢٥٤ . وفى نسب ذى خليل ٣٢١

ثم ذكر ما أنفق فيه من الحجارة والأطعمة للعملة والحيوانات للعمل واستغرق العمل فى ذلك ٥٨ ثمانية وخمسين يوماً و ١١ إحدى عشر شهراً وكان الفراغ منه فى شهر ذو معان : ذو معوان سنة ٦٥٨ « بالتاريخ الحيرى » .

وأما النقش الأخر فهو باسم التبع الملك شرحبيل يعفر بن أسعد الكامل .

علوم العرب

العلم كما يقال ـ قائد خير وأفضل مكتسب ونور فى القلوب يقذف يقول الله تعالى (هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ) والقرآن ملىء بتفضيل العلم على الجهل ووصف الله نفسه بأنه عليم وعلاّم كما أشادت به السُّنة النبوية وسائر العظماء والحكماء .

فهو أعظم أركان الحضارة وأقوى أسباب التقدم والارتقاء ، وما ارتقت أمة من الأمم إلى سلم العلم إلا خيمت عليها السعادة ورفرفت على ربوعها راية السلام وكان لها شأن كبير وذكر حسن وحظوة تامة وكانت مثلا أعلى وأسوة حسنة يقتدى بها مُقَدَّمة على غيرها صاحبة حق وكلمة نافذة يرنو إليها بعين التقدير والإحزاز وموضع إجلال وإكبار .

وما من أمة نهضت وسادت إلا كان طلب العلم من مظاهر سيادتها وما من أمة نامت وخملت نفسها وجهلت بحياتها إلا كان زهدها له أكبر نذير لانهيارها .

ولا ارتفعت أمة من الأمم إلا بسلطان العلم ولا سقطت أمة إلى الحضيض إلا وسببه الجهل الذى جثم على عقلها .

ولا حاجة بنا لضرب الأمثال فهى ماثلة وحية بين أظهرنا ناخذ مثلا الفرق الشاسع بين أمم الشرق وأمم الغرب وكيف سيطرت الأخيرة على العالم وأصبحنا ننظرهم من

تحت وهم ينظروننا من فوق بعيون ملؤها السخرية والازدراء وهم فى مزيد من الكمال ونحن نتعثر .

والأمة اليمنية قديماً كما امتازت بما أسلفناه من مجد وعظمة لم تتقاعس عن مشاركة إخوتها فى الشمال فى سائر علومهم التقليدية التى كانت تتحلى بها وتمتاز بمعلوماتها وكانت لها صفة لازمة ونعت بارز ، ومن خصائصها التى امتازت بها عن سائر الأمم إذ أبناء الجزيرة العربية من أثلة واحدة ومن منبع صاف معين وهم فى الملكة والعرق والذكاء والبيئة وغيرها متساوون وفيهم قدر مشترك لا ينكره أحد ولا تنفصم عراه .

وتلك العلوم التى يَعبُّ فيها القلم نُغبةً وينهلُ ـ هى المعروفة قبل الإسلام والذى لا زال بعضها يمارس إلى هذا العهد .

قال العلامة جرجى زيدان فى ج ٣ — ١٢ من التمدن الإسلامى : فالعلوم التى كانت شائعة فى جزيرة العرب قبل الإسلام ضرورية باعتبار تلك الأقاليم وطبائع أهله ، وقد سميناها علوما بالقياس على ما يماثلها عند الأمم الأخرى فى عصر العلم وإلا فالعرب الجاهليون لم يتعلموها فى المدارس ولا قرأها فى الصحف ولا ألفوا فيها الكتب لأنهم كانوا أميين لا يقرأون ولا يكتبون وإنما هى معلومات فى محفوظاتهم بتوالى الأجيال بالاقتباس والاستنباط وتنوقلت فى الأعقاب وما زالت تنمو وتتزايد حتى بلغت عند ظهور الإسلام بضعة عشر علما بعضها من قبيل الطبيعيات والبعض الآخر من قبيل الرياضيات أو الأدبيات أو الكهانة .

وهذه العلوم هى الأنساب والشعر والخطابة والنجوم والطب والأنواء ومعرفة الخيل ومهاب الرياح والميثولوجيا والكهانة والقيافة والعيافة وغير ذلك .

وان نتوسع فى الكلام على هذه البحوث لضيق المقام ولأنها مبثوثة فى المؤلفات التى نحيل القارىء عليها .

الأنساب

الكلام على الأنساب طويل الذيول وقد أفرغ العلماء الوسع فى ذلك وان تخلو قبيلة من قبائل العرب أو عمارة منها أو بطن إلا وفيها أكثر من عَلاَّمَةٍ ونَسَّابَةٍ يلم بأنسابها ومعارفها .

ولما دونت العلوم أبان النهضة الإسلامية هب لتدوين الأنساب كثير من العلماء وفى مقدمتهم الهيثم بن عدى الطائى المتوفى سنة ٢٠٩ تسع ومائتين ثم أمام النساب والمرجوع إليه فى هذا الفن ومَنِ الناسُ عالة عليه ألا وهو هشام بن محمد الكلبى المتوفى سنة ٢٠٤ هـ وهناك كتب كثيرة فى الأنساب كالإكليل للسان اليمن وغيره فارجع إليها .

الشعر

لسنا نطيل القول فى الشعر عند اليمنين فقد سبق الإلماع إليه فى ص ٢٢٨ وما كان حصة الخضراء فيه وأنه امتاز بالحظوة والشهرة ولنا إنشاء الله لفتة إليه فيما يأتى من الوقت إن سمح الله به وما ذلك على الله بعزيز .

أما الخطابة فأحيلك على كتاب بلوغ الأرب فى تاريخ العرب للعلامة الألوسى فإنه أمعن فى ذكر خطباء العرب وعلى كتاب جمهرة خطباء العرب وعلى تفسير الدامغة للهمدانى وغيرها .

علم النجـــــوم

تكلم العلماء فى مطولات الكتب عن معرفة العرب للنجوم وأوسعوا فيه ولكننا هنا نقتطف من كلام العلامة جرجى زيدان فى التمدن الإسلامى ج ٥ ـ ١٢ لما فيه من الإيجاز .

قال : الكلدان أساتذة العالم فى علم النجوم وهم واضعوا أسسه ورافعوا أعمدته إلخ .

والعرب كان لهم معرفة تامة فى منازل القمر والشمس وبالنجوم السيارة والمشهورة والأبراج وكذا عرفوا كثيراً من الثوابت وأتقنوا مواقعها إلى غير ذلك من المعلومات والتى قيدها العلماء فى مضانها وألفت فيها المؤلفات .

ومن أساتذة العرب قيس بن مكشوح المرادى فإنه كان له إلمام عظيم ومن أمثلة ذلك أنه التقى بسليك بن سعد فسأل قيساً أن يصف له منازل قومه ثم هو يصف له منازل قومه فتوافقا وتعاهدا ألا يتكاذبا .

فقال قيس المرادى : خذ بين مهب الجنوب والصَّبا ثم سر حتى لاتدرى ظل الشجرة فإذا انقطعت المياه فسر أربعاً حتى تبدو لك رملة وقف بينها فإنك ترد على قومى مراد وخثعم .

فقال السليك : خذ بين مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى العاقد لها موافق السماء فثَمَّ منازل قومى بنى سعد بن زيد مناة .

وكانت حمير تعرف هذا العلمَ جيداً يشهد لذلك خبر الحارث وعريب ابنى عبد كلال مع جرير بن عبد الله البجلى الوافد عليهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى خبر الملك سيف بن ذى يزن مع عبد المطلب بن هاشم الآتى ذكرها راجع تاريخنا الجزء الثانى اليمن «حامل لواء الإسلام» .

الطب

عَرَف الطب العرب نتيجة للتجارب وضرورة لإزالة المرض الحادث الحاد فاستعملوا أولا الرق والتعاويذ ثم تجاوزوها إلى الحجامة والضمادات والجراحة وبتر العضو الفاسد وكذا التغميز والمراخ والدهن والكى الذى قيل فيه : « آخر الطب أو الدواء — الكى » وعرفوا من الأمراض عرق النسا والشقيقة وذات الجنب وانحباس البول : الحصر وغير ذلك مما هو مذكور فى مواضعها .

وَمنها ما يعالجونه حول البصر ونقشه وشرب الماء الحار والبارد(١) .

ولا زال بعضها عندنا معروفا إلى هذا العهد وقد يرجع إليه إذا استعصى الداء وعجز عنه الطب الحديث .

أما عند البدو فلا يتداوون إلا بما يعرفونه عن أسلافهم .

وَهل الطب النبوى الذى ألف فيه علماء الإسلام إلا من علم العرب وكفى بعلم سيد الخلق عليه السلام شرفا .

الأنواء ومهاب الرياح

الأنواء جمع نوء ، وهو ما يسمى اليوم علم الظواهر الجوية » وهو مما يتعلق بالمطر والرياح والتقلبات الجوية وينسبون ذلك إلى طلوع الكواكب أو غروبها وكانوا يسمون طلوع المنزلة نوءها أى نهوضها وسموا تأثير الطلوع بارحا وتأثير السقوط نوءاً ولهم فى ذلك أشعار مأثورة .

---

(١) راجع الأغانى .

وكان عندهم لمطلع كل كوكب أو منزلة وصف يدل على تأثير ذلك فى الطقس : المادة الدينية ـ فى اعتقادهم وأن النجوم لها تأثير فى أعمال البشر وموتهم وحياتهم .

وبما أن النجوم كان يهتدى بها العرب فى أسفارهم «وبالنَّجْمِ أفَلاَ يَهْتَدُون»[1] فقد كانوا يتخذون من مهاب الرياح علامات لأسفارهم وغيرها .

وقد عدها الهمدانى فى كتابه « صفة جزيرة العرب إلى إثنى عشر إسما فارجع إليه .

الخيـــــــل

أما معرفة الخيل والبصر بفروسيتها فاليمن مجلية فى هذه الحلبة وارجع إلى تفسير الدامغة وفيها الخبر اليقين .

الميثولوجيا

هذه تسمية أفرنجية « وهو نوع من الأساطير والقصة » . وقد اتبعنا فى تسميتها مؤرخى العرب المعاصرين لأن المغلوب مولع بتقليد الغالب وهى فرع من معرفة الحروب والزواج ومايعرض للبشر عما كانوا يزعمون وقوعه بين الكواكب من النجوم والكواكب وهى عبارة من الأجرام السماوية كالنحس والسعد ومثل قصة بلقيس أن أمها جنية وأن قبيلة جرهم عن نتاج الملائكة وبنات آدم ونحو ذلك من الأساطير .

---

(١) سورة النحل ١٦

الكهانة والعرافة

هما لفظان مترادفان ، وقيل أن الكهانة مختصة بالأمور المستقبلة والعرافة بالكسر بالأمور الماضية وعلى كل فالمراد بهما التنبؤ واستطلاع الغيب والإخبار به وكان للعرب اعتقاد كبير فى الكهان والكاهنات وأخبارهم مسطورة فى الكتب بكثرة فائقة .

واشتهر فى بلاد العرب جماعة كبيرة من الكهان والكواهن أقدمهم شق بن صعب القسرى جد خالد بن عبد الله القسرى أحد عظماء اليمانية وأمير العراقين فى الدولة المروانية وسطيح بن مازن الأزدى الذئبى وكان يقيم بنجران وحكايتهما مشهورة .

ومن الكهان الذين نبغوا قبل الإسلام « خنافر بن التوأم الحميرى » وله أقاصيص طريفة وحكايات مستعذبة وأشعار كثيرة وأدركه الإسلام فأسلم وكذا سواد بن قارب الدوسى .

ومن النساء الكواهن « طريفة » كاهنة اليمن وهى أقدمهم وإليها ينسبون الإنذار بخراب السد ومنهم «زبرا» التى كانت بين الشحر وحضرموت و«سلمى الهمدانية » ، «وعفيرا» الحميرية ومنهم «كاهنة بنى سعد بن هذيم من عذرة» التى لها قصة فداء عبد الله بن عبد المطلب أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإبل والقصة مشهورة وفى السيرة النبوية مذكورة .

وَلا زالت الكهانة فى العرب حتى أبطلها الإسلام ونهى عنها كحديث : « من أتى كاهناً أو عرّافاً لا يقبل الله منه عدلا ولا صرفاً » أو بمعنى هذا .

القيافة والعيافة

كلا الكلمتين بالكسر فالقيافة نوع من الكهانة لكنها ترجع إلى حدة الذكاء والفطنة وتختص بتتبع الآثار والاستدلال على الأعيان وهى قسمان :

قيافة الأثر ، وقيافة البشر .

والأولى تختص بتتبع آثار القدم والحوافر والأظلاف والأخفاف والاستدلال عليها من آثارها فى الرمل أو التراب أو الحجر الصلد الذى يعلق بهغبار ولا يدرك إلا بتأمل أو شم ويعملون عملية دقيقة كأن ينبسط على بطنه ليلتقط الأثر فيعرفه وغير ذلك من أخبارهم المأثورة إلى يومنا هذا .

والفائدة من ذلك هو الاهتداء إلى الفار من الناس والضال من الحيوان أو المسروق أو اللص أو القاتل أو نحو ذلك .

وقد أتقن العرب هذا الفن إلى أبعد ما يتصور حتى أن بعض القائفين يفرق بين أثر قدَم الشاب وَالشيخ والمرأة والرجل وبين البكر والثيب وَذى العاهة من غيره وَكذا آثار الحيوانات على اختلاف أصنافها .

ولا زال معروفا هذا إلى هذه الغاية عند قبائل الجوف ومراد وَبلاد مشرق اليمن وَأنهم ليحدثونا بأحاديث ما يكاد يصدقها المرء وكذا يوجد فى أرض تهامة ولكن دون ما هو فى الشمال والمشرق .

وأما قيافة البشر فهو الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما فى النسب والولادة والقربى وسائر أحوالهما ، وهو ما يسمى اليوم عندنا معرفة الدم ؛ أو الدمة ، والسحنة وهى شائعة عندنا .

وكانت القيافة شائعة عند العرب واشتهرت قبيلة بنى لهب من خزاعة الأزد وبنى مدلج .

وذهب الإمام الشافعى إلى العمل بالقيافة مستدلا بخبر المدلجى مع أسامة بن زيد وأبيه زيد بن حارثة الكلبى حيث وجدهما نائمين فى نجاد واحد وأقدامهما ظاهرات فقال : ما أشبه هذه الأقدام بعضها من بعض فسر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك الخبر والقصة معروفة .

ومن القيافة الفِراسة وكان للعرب فيها باع كبير وهى من قبيل الذكاء وسرعة الخاطر .

ومن قبيل الكهانة تعبير الرؤيا وكان معروفاً عند العرب وكانوا يفزعون إلى الكهان فى تفسير الأحلام .

وقد ورد ذكرها فى القرآن فى سورة يوسف عليه السلام وتبدو ظاهرة من ظواهر طباع الإنسان الذى يتطلع إلى الأشياء الغريبة ، وإلى الغيب ويستطلع إليه بنفس حافزة شفافة وإمام تعبير الرؤيا فى الإسلام التابعى الجليل محمد بن سيرين .

وأمّا العيافة فهى زجر الطير والتبخت بأسمائها ومساقطها وألوانها فتسعد أو تتشأم والعائف المتكهن بالطائر .

وكانت العرب مولعة بزجر الطير والوحش لتتفأل به أو تتطير وكثيرا ما كانوا يتطيرون بالغراب والبوم وبالصرد والأخيل ، والثور الأعضب « مكسور القرن » حتى إلى يومنا هذا ولهم فى ذلك أشعار وقصص وحكايات يطول ذكرها قال الكميت بن زيد الأسدى ينفى الطيرة ويدفعها عن نفسه :

ولا أنا ممن يزجر الطـــــير همه … أصاح غراب البين أم تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشيـــة … أمرّ صَحِيحُ القرنِ أم مرّ أعضبُ

وكذا كانوا يتشاءمون بالأسماء والصفات إذا جاءت ثقيلة على السمع وكريهة وكذا

ذوو العاهات ولا زال بعض التشاؤم والتفاؤل إلى عهدنا هذا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن ويكره الطيرة ونهى عنها في الحديث « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة وَلا صفر في الإسلام » .

واشتهر بزجر الطير بنو لهب الأزديين وفيهم قالت العرب أشعاراً كثيرة قال الشاعر :

خبير بنو لهب فلا تك ملغيا　　مقالة لهبي إذ الطير مرت

وقال كُثَيِّر عَزَّة :

تناولتُ لهباً ابتغى العلم عندها　　وقد رد علم القائفين إلى لهب

هذه لمحة من حضارة اليمن ومظاهر تمدنه وبانقضاء الكلام على علوم العرب انصرم الكلام عن الفصل بأكمله .

سؤال وجوابه

هذا سؤال يدور على الألسنة ويداعب أذهان بعض النبهاء الذين يعيشون بين طيات تراثهم وتاريخ وطنهم ويولونه من العناية والاهتمام مزيداً من البحث والتنقير وبلهف شديد ويحتجب عنهم وجه الصواب كما يخفى عنهم الجواب .

وذلك السؤال هو كيف قامت الحضارة اليمنية في الجزء الشرقي منها والشمال الشرقي ووسط الهضبة النجدية وكأنها وقف على تلك الأصقاع التي لا تزال بقايا أثرها ماثلة للعيان ، ولم نسمع أو نشاهد أو نعثر على حضارة أو بقية آثار تمدن في جنوب اليمن أو الهضبة الغربية التي تشكل أخصب المناطق التي ربما سميت «اليمن الخضراء» باسم هذه الرقعة ، وكذلك لم يذكر «لسان اليمن» شيئاً عن تهامة اليمن وغيرها .

والجواب على هذا السؤال الذى بدوره كانت تخالجنى فيه الظنون والشكوك هو أنه سبق فى ص ٢٠٨ ذكر منابع التاريخ وكان من جملتها « كتب الهمدانى » التى بين أيدينا وهى المفتاح الذى هدى الباحثين إلى تنقيب بلادنا السعيدة والتى فيها ذكر حضارتنا العريقة ولا مصدر لنا من الكتب سواه .

ومن غير شك أن ما جاء فى كتب « لسان اليمن » ليس كل ما فى اليمن قد استوعبه البحث عن حضارتنا أو أحصى كل شىء عددا بل أنه أورد فيها ما عَنّ له إيراده أو تيسر زيارته ومشاهداته أو نقل إليه عن ثقات أو أخذ عن أشياخه ، واسمع إلى كلمته فى الجزء الثامن ص ١٣٧ :

قال الهمدانى : هذا ما علمناه من قصور اليمن ومحافده سوى ما خفى عنا منها .

وعلى رغم مما ذكره من الاعتذار بعدم الاستقصاء فقد ألمع إلى أماكن أثرية لها قيمتها الحضارية فى هذه الأصقاع المشكوك فيها عن وجود حضارة أو آثار غنية لم تصل إلى الآن يد البحث عنها .

وذلك مثل مخلاف المعافر : الحجرية فإن فيها مآثر عظيمة وقصوراً فخمة ومليئة بالنقوش تشبه (بينون) .

كما أنا بالذات عثرنا على حصن فى عزلة السواء يسمى القدمة وهو ملىء بالآثار وفيه نفقان من أعلا الحصن أحدهما إلى قرية « بُريدة » والآخر إلى قرية « الزكة » وفيه أربعة مواجل وعدد كثير من المدافن : مستودعات الحبوب قد أعشب فيها القرض والطلح وفى أسفله بقرب قرية « الزكة » بركة أثرية آية فى الفن المعارى والهندسة الرفيعة وكأن البانى رفع يده منها ويبالغ الرعايا أن عمقها ثلثماية وستون ذراعاً وعرض كل درجة متران ونصف والظاهر منها قراب خمس عشر

درجة وهى اليوم تزرع وتحرثها الثيران وتسمى بركة « الجاهلى » أو بركة « الكافر » ولعلها بركة « الغماد » التى ذكرها الهمدانى فى صفة جزيرة العرب .

وكذا يوجد بقايا حضارة فى كل من جبل « ذخر » حبشى وجبل « صبر » وأخيراً وفى هذه الأيام بالذات عثر فى محل يسمى « الظهرة » من العاملى شرق طريق «زبيد ـ تعز » وأسافل شمير : مقبنة ـ على أعمدة صخرية يبلغ طول أحدها إلى ثلاثة عشر ذراعاً ، ويرجح البعض أنها معبد وأنها أقدم من الآثار المشهورة بينما آخرون يقول : إنها كانت مساكن قوم قدامى والله من وراء العلم .

كما وأن « لسان اليمن » أورد فى كتابه صفة جزيرة العرب فى حصن «الدملوة» فى « الصلو » من مخلاف المعافر وذكر أيضاً مدينة « سلوق » المشهورة فى خدير التى ينسب إليها الدروع والكلاب السلوقية ، وكذا وحاظة فى عزلة « شباع » أعلا جبل حبيش وكذا حصن « خدد » فى نفس جبل « حبيش » .

وهناك حصن «التعكر » الذى قيل إنه أسس قبل الهجرة بثلاثة آلاف سنة[1] ومنها « حصن حَبّ » مقر عزّ القيل الكبير ذى رعين وكذا قصور « ريمان وإرياب » التى يقول فيها الأعشى من قصيدة له يمدح القيل ذا فائش الحميرى :

بهمدان أو ريمان أو رأس سلية ... شفاء لمن يشتكى السمائم بارد

وبالقصر من إرياب لو بتّ ليلة ... لجاءك مثلوج من الماء جامد

تغنى الحمامُ الورقُ فى شُرُفاتها ... ويهلك من برد الشتاء المداهد

أما سرو مذحج وسرو حمير : يافع وغيرها من الجيوب اليمنى فشىء لا يحصى حفظ لنا منها «لسان اليمن» شيئاً وغابت عنه أشياء .

---

(١) طبقات ابن سمرة ص ١٥٩ .

وهكذا القول فى مخلاف ذى رعين ومخلاف العود .

أما حضرموت فتكاد تلحق باليمن الأم فقد تحدثت عنها الآثار كثيرا وما ذكر «الأحقاف» إلا رمز لتلك المدنيّة الخالدة وما كان فيها من عمران وبنيان .

كما عثر فى سنة ٦١٩ هـ على مدينة أثرية فى حراز وفيها نقوش عظيمة وتسمى المدينة » بمدينة « أبى سنار » قرىء على حجر منها بالمسند ما معناه « طلبنا البر بالدر فما وجدناه »[٢] ويقال إنها عمرت قبل زمن موسى بن عمران .

وفى وصاب العالى ثم فى مخلاف جَبِر « مدينة العركية » أثرية والقول فى صقع تهامة كالقول فيما ذكرناه إلا أنها لما كانت تربتها رملية فسرعان ما دفنتها السافيات منذ آماد بعيدة على أنه قد عثر على بعض نقوش فى مدينة حرض وفرضة الشرجة الأثرية .

وفى بيت خولان أعلى جبل حضور عثر ـ قبل خمس سنوات أيام الحرب الطاحنة ـ على مسند ضخم فيه كتابة بالمسند وبجانبه حلى وصيغ وعملة ذهبية نادرة ولكن الأيدى العابثة أخفت ذلك وفى الأخروج الحيمة حصن الكامل فيه آثار ضخمة ومساند دهرية وكذا فى العروس فى أعلا جبل صبر فيه آثار وكتابات ومدنية راقية كما بلغنى ومن صبر مدينة «جبا» المشهورة الآثار. وهكذا الآثار مبثوثة فى بقاع اليمن وكذا فى بلاد « صعدة » وجبالها الغربية والشرقية وإلى حدود اليمن الطبيعى ناهيك أنه قد عثر على مساند حميرية فى قلب الجزيرة كمنفوحة مسكن الشاعر أعشى قيس وفى البحرين والأحساء وحتى فى «الحيرة» عاصمة الملوك اللخميين وغير ذلك مما يطول ذكره .

ومما هو جدير بالذكر أن لسان اليمن كتابا أسماه « بالمسالك والممالك اليمنية » لا يزال مفقوداً فما يدرينا ما فى مضامينه من عجائب وغرائب .

---

(١) غاية الأمانى .

أما المنبع الثانى وهو النقوش فإن المستشرقين لم يولوا وجوههم إلى نواح أخرى بل اقتصروا على الناحية التى اهتم بها ونوه إليها « لسان اليمن » فى الجزء الثامن من الإكليل اللهم إلا إذا جاءت عرضاً أو على سبيل الصدفة أو وقوعها على طريقهم أو حدثهم الأعراب لما كانوا يبحثون عن العادات الاجتماعية أو النباتات الأرضية أو جيولوجية الأرض : علم طبقات الأرض ، أو نحو ذلك .

ومن مجموع ما أسلفناه نستطيع أن نجزم بدون شك أو تردد أن مدنية زاهرة خصبة الأثر وثقافة عامة وشاملة قد غمرت الجزيرة العربية وشيدت فى هذه الربوع النضرة وعلى جبالها الخضراء .

لأن وفرة سكانها وخصب تربتها وكثرة خيراتها وذكاء أهلها وفطنتهم وميلهم الطبيعى إلى التعليم والكتابة والاستقرار كانت من أقوى العوامل الأساسية لإشادة حضارة راقية وعمران فايق بالغ الدرجة القصوى .

والماضى مرآة المستقبل فنحن نشاهد بأبصارنا ونلمس بأيدينا الأبنية الفخمة ذات الطابع الأنيق والفن الرفيع وهى مبنية بالحجر الصلد المحكمة الصنع المزخرفة بشتى الألوان المعروفة وترى القرايا وهى معلقة فى تلك الجبال الشوامخ وفيها القصور تلمع مكونة من طابقين إلى ثلاثة طوابق وَقل هذا فى مدنهم مع كثافة السكان واشتباك العمران وإقامة الأسواق وكثرة الاصدار والإيراد إلى غير ذلك من أسباب الرفه والترف .

ولكن الذى أغار على هذه الحضارة وغَيَّرَ معالمها وقلب وجهها ومحا أثرها ونسى أو تنوسى ذكرها — عاملان اثنان عامل طبيعى وعامل سياسى .

فأما العامل الطبيعى هو أن هذه المناطق الكريمة معرضة للأمطار الغزيرة صيفاً وشتاء بحكم قربها من خط الاستواء أو البحر الأحمر فلم ينقطع عنها الامطار ولا سيما العهود القديمة وينتج منها أنهمار السيول العظيمة المدارة التى تجتحف ما أمامها بدون رحمة إلى سحيق الأودية وَبطون الشعاب ونتكدس عليها الأتربة وتجثم عليها الصخور الثقيلة وتضيع هذه الآثار فى ثنايا هذه الثورة الطبيعية لأن الآثار على طول الأعصار فى هذه البيئة لا تقوى على مقاومة عاديات العواصف والرعد والبرق والسيل الجارف .

وساعدها على التدهور والمحو إهمال أهلها من تعهدها وترميمها أو الاحتفاظ بشىء منها أو منع من يسطو عليها كما أن عقيدة الإسلام جاءت تحارب القديم الجاهلى وتحقره وتزدريه : « ولا تسكُنُوا مَسَاكن الذينَ ظلموا » وزهدتهم عن عهود الكفر بكل ما فيه من خير وشر فلا يذكر إلا بالمقت والشنآن وكانوا ينظرون إلى ذلك التراث بعين السخط والحقارة وفى ذلك مغزى لدفن الماضى والالتفات إلى الحاضر الجديد الذى له لذة واستهواء وزاده ركاما على ركام الجهل والجهل « أقبح علة الشعوب » فكان الخراب والدمار هذا هو العامل الطبيعى .

أما العامل السياسى فبما أن اليمن الخضراء قد تعرضت لما ذكرناه فإنها فى نفس الوقت تعرضت للغزو الخارجى من الأحباش الذين أول ما اجتاحوا هذه المناطق لوقوعها على مقربة من بلد الغزاة فأول تصادم بطبيعة الحال بين المحتلين وأصحاب الحق كان فى هذه المناطق فامتدت يد التخريب والتدمير إليها وسطوا على آثارها فَدَعثروها وأتوا على بنيانها من القواعد كما تعرضت لغزو الاعراب أو البدو الرحل فى المناطق النائية الذين مَلُّوا حكم الحميريين .

هذا من وجه ومن وجه آخر فإنها تعرضت أيضاً لغزو داخلى وذلك بالهجرات

إليها والانتقال فى أكنافها إما لطلب الكلأ والمرعى وأما للعيش الهنى المادىء لأنها لما كانت هذه المناطق ذات خصب وريف تزرع وتقلع على ضرع السماء وبدون عناء لا يصيبها جدب ولا ينالها قحط مهما كانت السنين شهباً فتدفقت إليها الهجرات من البلد الميت المجدب الذى تقلص عنها الخصب وشحت عنها السماء وحصل الجفاف وتبدلت الأرض غير الأرض لا سيما بعد خراب السد ، سد مأرب وإهمال سائر الأسداد فى عموم الخضراء .

وطبيعى أنه لأول مرة ينزل فيها المهاجر يحصل احتكاك بين المواطن الأصلى وَبين الرجل الطارىء الوافد فيغير الآخر بحكم الاغتصاب والقهرية الضرورية التى أجبرته على البقاء والنزول إلى هذه الأرض — على معالم الحضارة أو يأتى عليها لينكى أصحابها ويضعف شوكتهم هـــذا علاوة على الحروب الأهلية التى تقوم بين الإمارات والمقاطعات التى تأتى على كل شىء وفى مقدمتها المبانى والآثار .

ومما هو جدير بالملاحظة وفى صميم الموضوع بل وطبيعى أيضاً أن إشادة الحضارة وإقامة التمدن وازدهار العمران إنما يكون فى عواصم الملوك الذين يغلب على طباعهم حب مظاهر العظمة وأبهة الملك وتزيين عواصمهم بالمبانى الفخمة والطرقات الواسعة والهيا كل الجميلة والمعابد الأنيقة والقصور الباذخة وكل ما فيه غرابة وَلفت نظر الزائرين والوافدين وما يجلب المتعة والحياة السعيدة وتخليد الذكر وما يزيد فى قيمة البلد ورفع شأن العاصمة ليتباهى بها على غيره من الملوك المنافسين هذا ما أمكن دراستنا له وأدى إليه نظرنا وقصارى علمنا وفوق كل ذى علم عليم .

الفصل الرابع

العصور الذهبية للدول الحضارية

أو عهد النهضة

تمهيد

إن حصيلة دراسة عميقة منذ سنين طويلة وعصارة بحث متواصل خولتنا عدم مهاجمة الموضوع بادى ذى بدء قبل أن ندخل عليه بوضع أسس متينة مغربلة صفينا معها الحساب وأخذنا اللباب دون القشور .

وتشكل هذه الدراسة جسراً قوياً صحيح الجوانب يكون عليه العبور إلى نتائج حسنة وكمدخل لذكر الدول الحضارية على علاتها صافية الموارد مجلوة الملامح وكأنها لوحة الفنان والمرآة الصافية تعكس الصورة بأمانة واتقان .

ويتلخص بحثنا فى ثلاثة أمور أو ثلاث نقاط هامة الأولى متى ابتداء تاريخ اليمن الخضراء الحقيقى وازدهار حضارتها ؟

الثانية إلى أى مدى بلغ نفوذ الدول الحضارية وامتداد سلطانها فى التوسع والانتشار هل إلى بعد المشرقين ، وأقصى المغربين كما يقال ؟

الثالثة هل ظلت السلطنة الزمنية فى بيت واحد متسلسلة فيه يتلقفها رجل رجل من البداية إلى النهاية أم تداول صولجان الحكم أسر عديدة وبيوتات كثيرة هذا ما يعنى القلم بتسجيله ؟

الأمر الأول أو النقطة الأولى هو متى ابتداء التاريخ الحقيقى للخضراء ؟

والجواب عليه أننا إذا أمعنا النظر وعمقنا البحث وغصنا إلى جذور التاريخ محاولين ربط أوائله بأواخره لنجعلها سلسلة وثيقة العرى قوية الأسر أو على الأقل

نفتزع منه ماعرفه الإنسان منذ العهود الحجرية – كما يقال – صَعُب علينا ورجع عنا التفـكير وهو حسير وكليل أيضا لعجزنا عن الدراسة الحديثة والوسائل العلمية وحينئذ نخرج بدون نتيجة وصدمتنا الحقيقة المُرّة ألا وهو فقدان ما بأيدينا من دلائل تعتمد عليها لتقييم التاريخ الواغل فى القدم على وزن صحيح .

كيف وقد رجع من أبْوابه من قبلنا من فطاحلة العلماء وأرباب الفـكر ومن هو أوسع اطلاعاً وأكثر تعمقا وتفـكيراً ولديه من وسائل العلم والمعرفة ما ينوء به الفهم إلا أموراً على جهة الافتراض والتخمين والمقارنة .

كما أنه من البلاهة أن ننخرط وراء المزاعم الهدامة التى تبنى نظريتها على البغض والشنآن ويمليها عليه الهوى المحض والحقد الدفين لأننا مربوطون بعواطف مشدودة بصلة الماضى السحيق بأشد الوثاق ومتوارثة منحدرة من أصلاب السلف إلى ظهور الخلف ومتأثرين بأقوال الأباء والأجداد الذين ينقلون إلينا صور ماضى أمجادنا وعظمة تاريخنا بأبطاله وشجعانه وحضارته وتمدنه بأسلوب قصصى رائع جذاب يعلق بالأذهان ويلصق بالأفـكار لا يمحى ولا يزول وهم بدورهم تلقوه عن السلف الصالح وهلم جرا .

وقد سجلت هذه الروايات الطويلة فى بطون الدفاتر وثنايا الأوراق والـكتب بأقلام بريئة نزيهة غير خادعة ولا داعية إلى باطل .

ولـكننا أمام هذا كله حريصون أن نؤدى الأمانة كما هى والدراسة كما علمتنا فنضع أمام القارىء وبين يديه أقوال المؤرخين على علاتها ثم نـكر عليها بأن نسلط عليها أضواء كاشفة وندع الحـكم للقارىء الناقد البصير .

وإليك أقوال المؤرخين فى الأمر الأول أو النقطة الأولى

أقوال مؤرخى العرب

قسم مؤرخوا العرب الشعوب العربية إلى ثلاثة أقسام : العرب البائدة ،

والعرب العاربة أو العرباء ، والعرب المستعربة وقد سبق الإشارة إلى ذلك فى ص ٣٠ ثم تناولوا هذه القبائل بما يطول شرحه فارجع إليها .

وبما أن « لسان اليمن » قد خصص قلمه السيال لتاريخ وطنه وبلاده السعيدة فى شتى مجالاتها ولمسنا من كتبه وفى مقدمتها الإكليل — أنه قد قسّم أدوار تاريخ الخضراء قبل الإسلام إلى ثلاثة أدوار :

الدور الأول من بدء الخليقة إلى أيام تبع أبى كرب ، وهو ما حواه الجزء الرابع

الدور الثانى من أيام « تبع أبى كرب » إلى عهد ذى نواس وهو ماحواه الجزء الخامس .

الدور الثالث من عهد ذى نواس إلى ظهور الإسلام وهو ما حواه الجزء السادس .

وأنت ترى كيف يدل هذا التقسيم على عقلية ناضجة وذوق سليم وفقه للأمور سديد .

ولكن للأسف الشديد كل هذه الأجزاء الثلاثة مع ثلاثة أخرى هى الثالث والسابع والتاسع لا تزال مفقودة يسر الله وجودها وَلو طالعتنا وَتيسر العثور عليها لألقت أضواء على تاريخنا القديم ولأستطعنا مناقشتها ولكن

هذا وَتشير التواريخ العربية التى بين أيدينا أن أول من تملك « يعرب ابن قحطان » الذى يعتبر أول من أفصح بالعربية وأول من حيّوه بتحية الملوك وَأول من لبس على رأسه التاج الذهبى وأول من عقد الإمارة على بلدان اليمن لبنيه واخوته وهذا يدل على وجود أمة.

أما ابتداء التاريخ الحقيقى للبلاد السعيدة فيبتدىء من سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان واسمه عبد شمس وهو أول من سبا الحرم وَالذرية وَبذلك سمى « سبا » وَتسلسل الملك فى أولاده حمير وَكهلان إلى ما شاء الله ، وكان سبا فى عصر ابراهيم الخليل عليه السلام .

ثم يذكرون التبابعة من أيام الحارث الرائس ، وَلهم فى ذلك روايات وَحكايات وَوَصايا وَغزوات وَمدة عمر كل وَاحد منهم ومدة سنى حكمه ومدى ما وَصل إليه نفوذه وَفتوحاته مما يطول شرحه مع ما فيه من المبالغات فى الأعمار وغيرها[1] ومن هـذه الأدوار المتوغلة انبثقت الحضارة وَالتمدن اليمنى بدون تحقيق الزمن هذا بعض ما يقوله مؤرخوا العرب على وجه الاختصار .

وهذه آراء الإفرنجة

وَنعنى بهم علماء الاستشراق الذين لهم فضل غير منكور فإنهم قسموا أدوار تاريخ « الخضرا » إلى ثلاثة أدوار تعتبر رئيسية وَبشكل آخر وَهـذا عدى الدويلات الصغرى .

الدور الأول : المعينى والسبئى

الدور الثانى : عهد الدولة الحميرية

الدور الثالث : الدور الحبشى وَالفارسى وَهو دور الاستعمار وَدور الاحتلال

وَيردون تاريخ « الخضراء » الحقيقى وَقدمه وَفجر حضارته إلى الألف الأول قبل الميلاد أو منتصف الألف الثانى قبل المسيح زاعمين أنهم لم يعثروا على حضارة باليمن أقدم منها كما أن معالم التاريخ قد تحدد من النقوش التى هى سجل صادق ، وَأمكن بالتخمين وَالحدس تحديد الزمن الذى ظهرت الدول الحضارية فيه .

وَهذه أضواء كاشفة على كلا القولين

لندع هذه الأضواء تتكلم من مصادرها وَمنابعها فبين أيدينا القرآن الكريم فهو يحدثنا عن قوم هود الأولى وَأين مساكنهم وَما شادوا فيها من قصور وَاغترسوا من أشجار وَجنوا من ثمار وَكانوا فى الاحقاف من شرق حضرموت وَأن الله بعث إليهم نبيه هود عليه السلام فكذبوه وَاستمع إلى صوت السماء

---

(١) رفع النشوانية ومروج الذهب وغيرها

«أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون، وإذا بطشتم بطشتم جبارين، فاتقوا الله وأطيعون، واتقوا الذى أمدكم بما لا تعلمون، أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون»[1] وقد تقدم تفسير بعض هذه الآيات ونزيدها بيانا إذ وصفهم الله تعالى بأنهم يبنون بكل ريع مرتفع من الأرض كالحصون والجبال آية علامة يمتازون بها عن غيرهم من القوة وإشادة البنيان فى شامخ الجبال وحسن الشارة كالهيا كل الضخمة ونقب الصخور وتتخذون مصانع : أى بركات لخزن مياه الأمطار أوقلاعا صعبة المرتقى ليعتصموا بها وينازلون منها عدوهم كما هو أحد التفاسير وآتاهم من البنين والأنعام ما يقوون بها على غيرهم ويفتخرون بهم وزينة لهم، وتفجرت حولهم العيون والأنهار فاغترسوا الحدائق الغنّاء والجنان الفيحاء فى الأرض اللينة السهلة الخصبة ذات الزروع والثمار والفواكه التى آتت أكلها كل حين وكانت مصدر سعادتهم فلما بطروا النعمة وكفروا بآلاء الله حق عليهم العذاب وحل بهم العقاب وانقلبت النعمة عليهم نقمة وشقاء .

والأحقاف هى اليوم ومن قبله بآلاف السنين مناطق جرداء محرقة .

وقبيلة عاد بإجماع المؤرخين والمفسرين قبيلة يمنية نبتت فى أرض يمنية متوغلة فى أجذام التاريخ بنص القرآن : «واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف، وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه»[2] ولا يعرف عن عاد إلا هذا القدر الذى حكاه الله عنها فى آيات من القرآن والحصة التى ضرب الله لنا بها المثل .

وعاد بدون ارتياب سابقة لدولتى معين وسبا اللتين هما سلالة منحدرة من هذه الأمة أمة قحطان بن هود ومنسوبة إليها .

---

(١) الشعراء ١٢٨ — ١٣٤

(٢) الأحقاف ٢١

وتأمل إلى قوله تعالى : « وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يديه وَمِنْ خَلْفِهِ » مما يدل أن هناك أمة قد سبقته .

ومن البعيد أن يبعث الله نبياً إلى قوم همج رَعَاع لا مساكن لهم ولا منازل ولا زرع ولا ضرع وأنهم أشبه بالأنعام السائمة التائهة فى البيداء أو فى بطون الشعاب تأكل من خشاش الأرض وما أنبتت من عشب وعضم.

ولِقِدَم عاد ضربت العرب بها المثل ونسبوا كل شىء قديم إلى عاد وإلى عهدنا هذا فيقولون : هذا عادى أى قديم جداً ولها صدى كبير وذكريات عارمة.

وقد جاء ذكر عاد فى كتب اليونان[1] ولم تنوه التورات عنها بما يستحق الذكر واتل معى قوله تعالى : « أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ طَلْعُهَا هَضِيم ، وَتَنْحِتُونَ مِنْ الجِبَالِ بيُوتاً فارِهِين[2] هضيم : لطيف فارهين : بطرين .

وهذه الآيات الكريمة نزلت فى ثمود قوم صالح النبى عليه الصلاة السلام الذين كانت مساكنهم فى جنوب اليمن ثم انتقلوا منها إلى « الحجر » الواقع فى وادى القرى من الحجاز قرب الأردن وليس لدينا معلومات عن أسباب انتقالها من اليمن إلى الحجر وربما انها موجة من الهجرات أو أنه نشب حرب بين ثمود وعاد استطاعت الأخرى أن تنفى ثمود عن مساكنها وتجليها عن موطنها الأصلى وتتغلب عليها .

ولثمود كتابات منتشرة فى بلدنا « اليمن » ربما أنها ترجع إلى ما قبل الميلاد أو بعده .

---

(١) جرجى زيدان

(٢) الشعراء ١٤٦ — ١٤٩

وقصة عاد وثمود إنما تناولها القرآن على الجملة دون تفاصيلها ، كما هو الأسلوب الكريم .

ثم التفت إلى سورة الفجر التى قص الله فيها خبر إرم ذاتِ العماد ، فقال عز من قائل : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلَادِ » الآية ، ترى عجباً كيف وصفها المفسرون والأخباريون ، وما بلغت من الرقى والحضارة ورفاهة العيش والسعادة حتى قالوا : إنه كان حصباء شوارعها الذهب والفضة ، وقصورها العديدة مرصعة بالجواهر ، وأنفس الأعلاق الكريمة بصورة تدهش العقول وتحير الفكر ، وأن أنهارها جارية بالأزقة على القنوات ليل نهار ، وجناتها متدلية الأغصان فيها من كل فاكهة ، ومآكلهم ومشاربهم من أطيب الطيبات ، وحاكوا حولها أساطير وأقاصيص يقف أمامها العقل مدهوشاً .

وذهب بعض المفسرين الفحول إلى أن عاد إرم وصف للرجال طوال الأجسام ضخام الأبدان ، ونفى أن تكون وصفاً للمدنية والله من وراء العلم .

وكانت هذه المدينة أو هذه الأمة فى تيه أبين من أرض عدن ، وهى اليوم وما قبله بآلاف السنين صحراء قاحلة .

وهناك أصحاب الرَّسِّ الذى حكى الله عنهم قوله : « وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ »[1] ، وفى آية أخرى : « وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرَةً »[2] ، ولا يذكر الله جل شأنه هذه الكثرة فى حساب السماء إلا وهى آماد بعيدة وآلاف من السنين عديدة .

---

(١) الأحقاف آية ١٢ (٢) الفرقان آية ٣٨

وهذه الأمة قبيلة يمنية مساكنها باليمن ، فى فلاة صيهد : الربع الخالى ، وكذلك وبار .

قال الإمام نشوان بن سعيد الحميرى : وبار فى مشارق اليمن ، وهى اليوم مفازة لا يسكنها أحد لانقطاع الماء ، وقد كبستها الريح والرمل ، ويقال : إنها كانت لأهل الرس ، وهى أمة من قحطان[1] .

وقال « لسان اليمن » فى ج ١ ص ١٢١ من الإكليل : « والرس بناحية صيهد ، وهى فلاة جدًّا ، وفيها قصور هذه الأمة فيما يصلى العمران من جانبها الغربى يُعَدِّنها الناسُ فيجدون فيها الذهب وما قد أسرع إليه أكل التراب من الفضة » .

وقد أيد هذا القول المستر « فلبى » فى كتابه « الربع الخالى » الذى اخترقه عدة مرات ، وشاهد أدلة جيولوجية كافية للاستدلال أن بقاع الربع الخالى حافلة بالخصب والعشب فى عصور سحيقة ، وأنها كانت تصب إليه أنهار وأودية الدواسر ، وأصبحت تلك الأودية كما هى اليوم غاض الماء ، وجف الهواء ، وأقحلت تلك البقاع وأقفرت .

كذا من الأضواء أنه جاء فى سفر الأخبار من التوراة ذكر « سبأ » عدة مرات ، وكذا معين ، وسفر الأخبار قبل ظهور سليمان صاحب بلقيس بألف وسبعمائة عام ، ويظهر أنهم أقدم من ذلك لأنه عثر فى بابل بين سنة « ٣٧٥٠ » قبل الميلاد على نقوش ورد فيه ذكر معين .

كما جاء أيضاً على قرميدة[2] يرجع تاريخها إلى سنة « ٢٥٠٠ » ألفين وخمسمائة قبل الميلاد ذكر معين .

---

(١) شمس العلوم . مخطوط

(٢) الآجر والطوب وكلها لغة عربية .

يضاف إلى هذه الأضواء ما سبق عن العلامة « جلازر » الذى ذهب إلى أن الكتابات المعينية ترجع إلى ما قبل المسيح بألفى عام .

وهناك من الأضواء ما هو جدير بالملاحظة ، ومن الأهمية بمكان ، وهى طبيعة النشوء والارتقاء التى هى من السنن الكونية ولا تتخلف ، وتلك سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وأيضاً سبقت الإشارة فى صدر المقدمة كيف ابتداء تاريخ الإنسان وأوّلياته وكيف كان يعيش ، وما زال يتطور إلى بناء المساكن ، وإيجاد النار ، وصنع الأطعمة وآلاتها إلى غير ذلك مما يطول ذكره ، ولهذا يقال فى الأمثال العامة : « لا يزال الإنسان يتعلم من المهد إلى اللحد » وهو إلى اليوم يطلب المزيد من الاختراعات والابتكارات ، وإلى ما شاء الله .

وهكذا الحضارات لا تجىء طفرة واحدة ومباغتة ، وبين عشية وضحاها ، فلا بد أن تأخذ وقتاً للتدرج والارتقاء إلى أن يبلغ ما وصل إليه عقله شأن الطفل ، والكائن الحىّ يتدرج إلى أن يبلغ الكمال حتى الذى يجىء من قبل الصدف لا بدّ أن يسبق لها تفكير ، ولو فى العقل الباطن كمثل من يحاول شيئاً من خلال عمله الدائب فيه ، إذ ظهر له شىء آخر عكس مطلوبه ، ولكنه خير مما كان يأمل ، كما قيل فى ظهور الكهرباء وغيرها من المخترعات الحديثة : أنها وليدة الصدفة

وهذه دولتا « معين ، وسبأ » لم تظهرا على مسرح التاريخ ، وولدت معها الحضارة ، بل أنها وارثة حضارة من أسلافهم ومن أزمان متقدمة ، ولكنهم بطبيعة الحال أدخلوا عليها تحسينات جديدة وزيادات مبتكرة وأشياء غير معروفة مما يتناسب وذوقهم وزمنهم ونضج أفكارهم .

وطبيعى أن الآخر يأخذ من الأول ولهذا قيل : كم ترك الأول للآخر وهكذا شأن كل حضارة ، تقتبس من الأخرى فمثلا حضارة العرب إبان نهضتهم فى العهود الإسلامية فبعد أن خرجوا من جزيرتهم التى كانت فى نظر البعض شبه معزولة عن العالم واستولوا على مملكتى الأكاسرة والقياصرة واختلطوا بالأمم فى أنحاء الدنيا اقتبسوا من حضارتها وتمدنها ثم هضموا كل ذلك وأبدعوا حضارة راقية وتمدنا زاهراً وعمراناً باذخا وعلوما شتى كما هو مذكور فى مضانه ، وتلك النهضة الحضارية هى نتيجة الاقتباس والاحتكاك والامتزاج .

وقل مثل هذا فى حضارة الغرب منذ النهضة الحديثة فى أوربا فإنها وليدة مجموع حضارات مستوردة من الشرق والغرب فقد أخذوا معظم نهضتهم من حضارة العرب فى الأندلس ومن الشرق أيام الحرب الصليبية ومن تجوالهم فى أنحاء المعمورة كما هو مذكور فى مواضعها مما لا داعى لذكر شىء منها .

واسمع كلمة العلامة «غستاف لوبون» الرجل المنصف رداً على الأفرنجى المتعصب على العرب « رينان » حيث قال فى ص ١٠٩ من كتابه حضارة العرب :

وعندنا أن ذلك الرأى فاسد أول وهلة وإن لم نعلم شيئاً عن ماضى العرب وإن أمكن ظهور حضارة أمة ولغتها بغتة على مسرح التاريخ لا يكون إلا نتيجة نضج بطىء فلا يتم تطور الأشخاص والأمم والنظم والمعتقدات إلا بالتدريج ولا تبلغ درجة التطور العالية التى تبدو للعيان إلا بعد الصعود فى درجات اخرى .

فإذا ما ظهرت أمة ذات حضارة راقية على مسرح التاريخ قلنا إن هذه الحضارة ثمرة ماض طويل ، ولا يعنى جهلنا لهذا الماضى الطويل عدم وجوده وتؤدى مباحث العلم الحديث فى الغالب إلى عرض ذلك الماضى للناظرين .

ولم يكن أمر حضارة العرب قبل ظهور محمد غير ذلك وأن عسر علينا أن نقول

كيف كانت هذه الحضارة فقد أثبتت الآثار والوثائق التى بأيدينا وجودها وأنها لم تكن على ما يحتمل دون حضارة الأشوريين وحضارة البابليين ظهر شأنهما حديثاً بفضل علم الآثار بعد أن كانتا مجهولتين إلى أن قال :

ولم يكن التاريخ صامتاً إزاء ثقافة العرب ضمن إزاء الحضارات الأخرى التى رفع العلم الحديث عنها التراب ولو كان التاريخ صامتاً إزاء حضارة العرب لقطعنا مع ذلك بوجودها قبل ظهور محمد بزمن طويل انتهى .

هذه هى الأضواء الكاشفة التى سلطناها على كلا القولين أو الرأيين فى النقطة الأولى ، والأمر الأول ومن خلالها يستطيع الألمعى المنعم النظر أن يحكم جازماً بدون تردد .

كما أنه يخيل إلينا أنه لو جاز أن نبدى رأينا لما كان فى ذلك من جناح ألا وهو أن نسمى عصر معين وسبأ وحمير العصور الذهبية أو عصر النهضة الحديثة التى عنونا بها الفصل الرابع وبهذه التسمية أو الرأى نتخلص من حكم قد يجانبه التوفيق .

النقطة الثانية أو الأمر الثانى إلى أى مدى بلغ نفوذ الدول الحضارية وامتداد سلطانها فى التوسع والفتوح .

وإليك أقوال الفريقين كلام مؤرخى العرب وكلام المؤرخين المعاصرين الذين استقوه من المستشرقين والأفرنجة الذين كشفوا النقاب عن النقوش والآثار .

أقوال العرب

يقول مؤرخوا العرب على سبيل الجملة إن اليمن الخضراء كانت مقراً لأقوى دول الأرض فى ذلك الزمن وأن حكم ملوكها دام ثلاثة آلاف سنة وتزيد كما يأتى

ذلك وأنها غزت الصين وبلاد الهند من المشرق وخاضوا بحر الظلمات ووطئت سنابك خيلهم سمرقند وإنما سميت بذلك باسم فاتحها «شَمِر» فَعُرِّب فقيل «سمرقند» وكذلك الصغد ونزلت على وادى الرمل بأفريقية وإنما سميت «أفريقية» بأفريقيس الحميرى الفاتح لها وأنهم الرادمون لسد يأجوج ومأجوج إلى غير ذلك من هذه الحكايات .

وَتجد ذكر هذه الفتوحات والغزوات مبثوثة فى كثير من كتب المؤرخين العرب كابن جرير الطبرى وإن كان ناقض كلامه بنفسه وفى مروج الذهب وفى السيرة الجامعة للامام نشوان الحميرى وتاريخ حمزة الأصفهانى والكامل لابن الأثير والمعارف لابن قتيبة وتاريخ ابن واضح وغيرها كالمحبر لابن حبيب الهاشمى .

أما أقوال المستشرقين فإنها تتلخص فى أنهم يقفون إزاء هذه الحكايات والمبالغات موقف الشك والارتياب بل موقف المنكر ويردون هذه المبالغات إلى الأساطير ، والخرافات لأنها مخالفة للعقل وأيضاً أنهم لم يجدوها فى تواريخ أعدائهم الذين قهروهم كالفرس ، والرومان وغيرهم ولا ذكر شىء منها هـــذه خلاصة القولين .

وهـذه الأضواء على كلا الأمرين

ولكى نرسم الأضواء رسماً صادقا فنبتدىء بكلمة أمير البيان «شكيب أرسلان» فى تعليقه على تاريخ ابن خلدون فإنه بعد أن ساق كلام المؤرخين الذين ينكرون حضارة العرب وسموقها وإلى أى درجة بلغت قال :

وهذه مسألة يجب أن تكون عبرة ودروساً للذين يحملون جميع ما يتناقله الناس من الأخبار القديمة تَحَمّل الأساطير والأقاصيص الواهية فهو ظن باطل ورأى فائل فإنه مهما كان التواتر قد تداخله أقوال عامية وآراء ساذجة فإنه يرجع

إلى نصاب صدق فى الأصل لا شبهة فيه فى مجموعه وهذه قصة تاريخ جزيرة العرب على ذلك بعد أن جاءت فيها المكتوبات الحجرية معززة للقراطيس والأوراق عن اليونان والعرب تعزيزاً لم يكن ينتظره أحد انتهى كلام الأمير شكيب .

وقد أثبت العلم أن بعض الأساطير لها أصل تمت إلى حقائق تاريخية واقعية وأنها صدى لتلك الأحداث بقيت ذكراها فى أذهان الخلف الذى استقاه من السلف وهل التاريخ إلا من هذا النوع .

ويحدثنا المستشرقون أنفسهم أنهم عثروا على نقوش حميرية أى معينية وسبئية فى اليونان ومصر والسودان والعلا والحجر والحيرة وخليج العرب وغيرها ، ولكنهم يرجعون هذه الكتابة إلى علاقات تجارية بين تلك الأصقاع النائية وبين البلاد السعيدة وإنها كانت لهم محطات للتجارة ومخازن لبضائعهم فيكتبون الكتابات ذات المسند فى الأصقاع النائية لدلالة الأثر على المؤثر .

كما يحدثنا صاحب كتاب الطواف إنه كان لليمنيين مستعمرات فى أواسط أفريقية وسواحلها .

بينما يقول العلامة « مولر » أن مرجع وجود هذه النقوش إلى امتداد نفوذ دولة معين إبان نهضتها إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط وإلى شواطئ إيران .

وغير مستحيل على صانعى التاريخ أن يبلغوا إلى ما بلغوا إليه من التوسع وبعد المغار فإن العرب أتوا بما هو أعظم من ذلك كثيراً فى صدر الإسلام ومما لم يأت به الأوائل .

وثم نقطة يجب أن تلاحظ وهى أن التاريخ اليمنى القديم دوَّنه أمثال « عَبيد بن شَرْية » ووهب بن منبه وهشام بن محمد الكلبى وأبوه محمد بن السائب ومحمد بن

ذلك وأنها غزت الصين وبلاد الهند من المشرق وخاضوا بحر الظلمات ووطئت سنابك خيلهم سمرقند وإنما سميت بذلك باسم فاتحها «شَمّر» فَعُرِّب فقيل «سمرقند» وكذلك الصغد ونزلت على وادى الرمل بأفريقية وإنما سميت «أفريقية» بأفريقيس الحميرى الفاتح لها وأنهم الرادمون لسد يأجوج ومأجوج إلى غير ذلك من هذه الحكايات .

وَتجد ذكر هذه الفتوحات والغزوات مبثوثة فى كثير من كتب المؤرخين العرب كابن جرير الطبرى وإن كان ناقض كلامه بنفسه وفى مروج الذهب وفى السيرة الجامعة للامام نشوان الحميرى وتاريخ حمزة الأصفهانى والكامل لابن الأثير والمعارف لابن قتيبة وتاريخ ابن واضح وغيرها كالمحبر لابن حبيب الهاشمى .

أما أقوال المستشرقين فإنها تتلخص فى أنهم يقفون إزاء هذه الحكايات والمبالغات موقف الشك والارتياب بل موقف المنكر ويردون هذه المبالغات إلى الأساطير ، والخرافات لأنها مخالفة للعقل وأيضاً أنهم لم يجدوها فى تواريخ أعدائهم الذين قهروهم كالفرس ، والرومان وغيرهم ولا ذكر شىء منها هــــذه خلاصة القولين .

وهــذه الأضواء على كلا الأمرين

ولكى نرسم الأضواء رسماً صادقا فنبتدىء بكلمة أمير البيان «شكيب أرسلان» فى تعليقه على تاريخ ابن خلدون فإنه بعد أن ساق كلام المؤرخين الذين ينكرون حضارة العرب وسموقها وإلى أى درجة بلغت قال :

وهذه مسألة يجب أن تكون عبرة ودروساً للذين يحملون جميع ما يتناقله الناس من الأخبار القديمة مَحْمَل الأساطير والأقاصيص الواهية فهو ظن باطل ورأى فائل فإنه مهما كان التواتر قد تداخله أقوال عامية وآراء ساذجة فإنه يرجع

إلى نصاب صدق فى الأصل لا شبهة فيه فى مجموعه وهذه قصة تاريخ جزيرة العرب على ذلك بعد أن جاءت فيها المكتوبات الحجرية معززة للقراطيس والأوراق عن اليونان والعرب تعزيزاً لم يكن ينتظره أحد انتهى كلام الأمير شكيب .

وقد أثبت العلم أن بعض الأساطير لها أصل تمت إلى حقائق تاريخية واقعية وأنها صدى لتلك الأحداث بقيت ذكراها فى أذهان الخلف الذى استقاه من السلف وهل التاريخ إلا من هذا النوع .

ويحدثنا المستشرقون أنفسهم أنهم عثروا على نقوش حميرية أى معينية وسبئية فى اليونان ومصر والسودان والعلا والحجر والحيرة وخليج العرب وغيرها ، ولكنهم يرجعون هذه الكتابة إلى علاقات تجارية بين تلك الأصقاع النائية وبين البلاد السعيدة وإنها كانت لهم محطات للتجارة ومخازن لبضائعهم فيكتبون الكتابات ذات المسند فى الأصقاع النائية لدلالة الأثر على المؤثر .

كما يحدثنا صاحب كتاب الطواف إنه كان لليمنيين مستعمرات فى أواسط أفريقية وسواحلها .

بينما يقول العلامة « مولر » أن مرجع وجود هذه النقوش إلى امتداد نفوذ دولة معين إبان نهضتها إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط وإلى شواطئ إيران .

وغير مستحيل على صانعى التاريخ أن يبلغوا إلى ما بلغوا إليه من التوسع وبعد المغار فإن العرب أتوا بما هو أعظم من ذلك كثيراً فى صدر الإسلام ومما لم يأت به الأوائل .

وثم نقطة يجب أن تلاحظ وهى أن التاريخ اليمنى القديم دوّنه أمثال « عَبِيد بن شَرْية » ووهب بن منبه وهشام بن محمد الكلبى وأبوه محمد بن السائب ومحمد بن

إسحاق المطلبي وعبد الملك بن هشام المعافرى وذلك فى العصر الأموى وما بعده وهو العصر الذى كانت فيه العصبية بين اليمانية و النزارية فى عنفوانها وعلى أشدها وفى جو ملىء بالدس والوقيعة وفى عهد كان صولجان الخلافة بأيدى سادة قريش وكانت المعركة حامية الوطيس بالمفاخرة بالأحساب والأنساب وبالملك التليد والطارف ولم يَزْرِ على اليمانية بهذه المبالغة والافتخار ، زَارٍ ولا أنكرها منكر بل باركوها وزادوا فى الغلو بها والاعتزاز بهذا التاريخ وتطاولوا به على غيرهم من الأمم الأعجمية وأسمع إلى الشاعر المخضرم أحد رجالات المعلقات السبع وهو لبيد بن ربيعة :

فإن تسألينا فيم نحن فإننا … عصافير من هـذا الأنام المسحر

عبيد لحي حميران تملكوا … وتظلمنا عمال كسرى وقيصر

ونحن وهم ملك لحمير عنوة … وما أن لنا من سادة غير حمير

تبابعة سبعون من قبل تبع … تولوا جميعاً زاهراً بعد أزهر

ومما هو جدير بالذكر ما عزاه طفيلى التاريخ إلى بعض المساند الحميرية التى عثر عليها أن شمر يرعش غزا فارس وعاد مثقلا بالغنائم واجتاز فى عودته عن طريق صعدة وخولان ، فهذا المسند يثبت لنا حقيقة تاريخية واقعية لا تقبل الجدل .

ومن تلك الأضواء كلمة المستشرق الروسى الكبير الذى لايزال على قيد الحياة « دوبرب بورنييوف » فإنه قرر صحة رواية غزو اليمنيين لآسيا الوسطى قبل الإسلام وحكم بصدق هذه الرواية وأقام عليها البرهان .

ومن هذه الأضواء أيضاً ما نقله ياقوت الحموى فى معجم البلدان ج ٤ ص ٤٩ فى مادة طوس حيث قال : وقال : مسعر بن مهلهل : وطوس أربع مدن منها اثنتان إسلامية جليلة وبها دار حميد بن قحطة ومساحتها ميل فى مثله وفى بعض بساتينها

قبر على بن موسى الرضا ، وقبر الرشيد ، وبينها وبين نيسابور قصر هائل محكم البنيان لم أر مثله علو جدران وإحكام بنيان ، وفى داخله مقاصير تتحير فى حسنها الأوهام وأزوج وأروقة وخزائن وحجراً للخلوة ، وسألت عن أمره فوجدت أهل البلد مجمعين على أنه من بناء بعض التبابعة ، وأنه كان قد قصد بلد الصين من اليمن ، فلما صار إلى هذا المكان رأى أن يخلف حُرمه وكنوزه وذخائره فى مكان يسكن فيه متخففاً ، فبنى هذا القصر وأجرى له نهراً عظيما آثاره بيّنة وأودعه كنوزه وذخائرَه وحُرمه ومضى إلى الصين ، فبلغ ما أراد وانصرف ، فحمل بعض ما كان جعله فى القصر وبقيت له فيه بعدُ أموال وذخائر تخفى أمكنتها ، وصفات مواضعها مكتوبة معه ، فلم يزل على هذا الحال تجتاز به القوافل ، وتنزله السابلةُ ولا يعلمون منه شيئاً حتى استبان ذلك ، واستخرجه أسعد بن أبى يعفر صاحب كحلان فى أيامنا هذه لأن الصفة وقعت إليه فوجه قوماً أخرجوها وحملوها إليه إلى اليمن . ومسعر بن مهلهل كان موجوداً فى آخر القرن الثالث وأول الرابع ، كما ترجم له ياقوت ، وسعد بن أبى يعفر ملك اليمن موجود أيضاً فى هذا الوقت .

هذه هى الأضواء التى طرحناها أمام القارىء ليهضم منها ماهضم ، ويلفظ منها ما يستحق اللفظ أو الرفض ، ويستخلص الحقيقة من ثناياها ، ومما يتجمع لديه من معلومات ، أو تواتيه ظروف أكمل فى البحث والتفتيش على الآثار ، فالمستقبل كشاف ، وإنا لننتظر اليوم الذى تنتشر البعثات التنقيبية فى أنحاء أماكن الآثار وأرض الأمجاد ، وإن غداً لناظره قريب .

أما ما يتعلق بالنقطة الثالثة أو الأمر الثالث ، وهو استتباب الحكم فى أسرة معينة أو بيت واحد أو سلالة تنفرد بالحكم دون أن ينتقل إلى أخرى ، فإن هذا الرأى كان سائداً فى العصور التى قبل الإسلام وبعده لأن العقل البشرى لم يتطور بعد

ولا بلغ حد النضوج والكمال ، بل كانوا يعتبرون بقاء السلطة بيد الأسرة الحاكمة تنفرد بها حيناً من الدهر حقاً مقدساً مستمداً من آلهتهم ، وما أشبه ذلك بالإمامة عند فرقة من الفرق الإسلامية التي نذكرها في تاريخ الإسلام ، ورغم هذه الفكرة في التاريخ القديم ، فلم تجمد طويلا بل قامت حكومات وحكومات كما كشفها التنقيب .

وظلت هذه الفكرة يتلاعب بها القادة في العصور الإسلامية خصوصاً عند جمهور العامة حتى كشف القناع مخترع علم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون الكندى الحضرمى فى مقدمته المشهورة ، وعقد لذلك فصلا بالغ الأهمية ، وقال ما معناه :

إن طبيعة الملك حب الغلب والعلو ، ولا يدوم سلطان يتناقل صولجان الحكم فيه بيت واحد ، فلا بد ما يظهر له منافس ومنازع لا سيما فى الدور الذى بلغت الدولة من الهرم والشيخوخة ، فإنه بطبيعة الحال يبرز إلى الميدان كثير من المنافسين الطامحين ، وقال :

إن نهاية الشرف والحسب فى العقب الواحد أربعة آباء ، وساق كلاماً دسماً ، ولن نذهب بعيداً فبين أيدينا أمثلة حيّة نرجع إليها ، وهى العصور الإسلامية من لدن الخلفاء الراشدين إلى عهدنا هذا ، وكيف تناوب على كراسى الحكم طوائف وأسر مختلفة ، وعلى أصناف شتى ، وستمر بك فى الأبواب والفصول القادمة فى العصور الإسلامية إن شاء الله ، وقل مثل هذا فى العصور القديمة حتى لقد قيل إنّ مصر حكمتها قبل الإسلام ما ينوف على أربع عشرة أسرة ، وكذا حكومات الفرس وغيرها ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تحويلا .

والقول بأن مُلك اليمن فى العصور القديمة ظل فى يد أسرة واحدة ،

ليس له إثارة من علم ولا قابل لطبيعة العمران وسنن التطور والاختلاف والتنافس على الملك فى هذه الحياة الزائلة .

وإنما جاء الوهم لمؤرخى العرب فى تسلسل الحكم والسلطان فى أبناء حمير ، وحمير فقط لأنه ظهر الإسلام والأسرة الحاكمة باليمن هم بنو حمير ، وفيهم الأقيال والأذواء ، وكانت الانطباعات قد تركت أثرها فى تناقل الأجيال لها ، فانسحبت هذه الانطباعات والذكريات إلى الخلف ، فجاء المؤرخون وليس فى أذهانهم غير هذه الدولة دولة حمير فأرخوا لها على هذا الأساس من لدن يعرب إلى سيف ابن ذى يزن ، وغطت هذه الأسرة على جميع الدول التى ظهرت على مسرح التاريخ كدولة معين وسبأ وقتبان وغيرها .

انتهى البحث وأرجو أنى وفقت إلى هذه الدراسة والتحليل .

تبابع الأملاك

أو مواكب الأملاك

من حميريين وسبئيين وقتبانيين وحضرميين وأوسانيين

وقوائم أسمائهم

يَجْمُلُ بنا وقد أنهينا أعمال الملوك ، وما خلفوا من آثار وقاموا به من سن الشرائع ومشاريع وإصلاح وتمدن ، وما أتبعنا ذلك من فذلكة ودراسة وعلوم أن نمر بك على مواكب الأملاك فى عظمتهم وهم فوق السوائح وعليهم السوابغ فى قومهم كموج متلاطم ، وكالجبال الرواسى تزحف فى شمم وشموخ .

ونبتدىء بذكر أسماء الملوك الذين لعبوا تلك الأدوار المجيدة التى كانت غرة فى جبين الدهر متوجة بنماذج راقية لكبريات الدول ، وصفحة لامعة للتمدن المنقطع النظير فى جميع الميادين الحافلة لتلك العصور الذهبيّة ، ونبراساً اقتبس منه الشرق والغرب ، وكانت بالغة الجلالة والروعة والبهاء ، كما كانت حضارتهم نابعة من واقعهم ، ونتاج أفكارهم ، ونبضات أحاسيسهم ، ونضج عقلى ، وبلوغ سياسى .

يقول المؤرخ الكبير « فيليب حتى » فى تاريخه :

وهنالك بضع وثائق شرعيّة تنم عن تطور ورقى فى الحياة الدستورية ، فشريعة حمورابى وشريعة موسى نزلتا من فوق وليست شرائع الحثيين إلا مراسم أصدرها ملوك مسيطرون .

أما شرائع عرب الجنوب فتمتاز بصفات النضج الشرعى والبلوغ السياسى ،

وتدل على نظام دولة تلوح من خلاله أوضاع الحكم النيابى وربما لم يكن فى آثار القدم السحيقة ما يدانيها رقياً .

الدولة الحميرية فى نظر مؤرخى العرب

سميت هذه الدولة باسم مؤسسها حمير بن سبأ الذى جاء ذكره فى النقوش وإنما قدمناه فى القوائم لما ذكرناه قريباً وأن حمير هى القبيلة الرئيسية فى اليمن عند ظهور الإسلام وكانت حكومة بالغة الخطورة ذائعة الصيت وتركت أثراً فى القصص العربى وفى مقاومة الأحباش وفى قصة الشهداء النصارى بنجران وفى ظهور الملك سيف بن ذى يزن الحميرى المنقذ المعظم

وقد سلكنا الجادة فى إيضاح كلتى النظريتين نظرية مؤرخى العرب الذين بذلوا الجهد بإخلاص ونزاهة فى الوصول إلى كبد الحقيقة بمبلغ ما وسعهم العلم وما لديهم من وسائل البحث لعهدهم .

ونظرية المستشرقين الذين كشفوا النقاب باستنطاق النقوش الحميرية والمساند الدهرية عن دول راقية لم يجىء ذكرها فى كتب مؤرخى العرب إلا عرضاً أو بقسط ضئيل والحالة هذه فإنهم قد دمجوهم فى دولة واحدة هى : « دولة حمير » وتبع المستشرقين فى هذا الرأى كثيرٌ من المعاصرين الفحول ، زاعمين أنه لم يعد أحد يأخذ بهذه القوائم التى رواها الأخباريون ومؤرخوا العرب لأنها مبنية على غير منطق وفى نطاق ضيق هو نطاق الحدس ، والتخمين .

وحقيقة أن الآثار هى العمود الفقرى ، والدعامة التى تتركز عليها الحقيقة ناصعة ناطقة .

هذا ولن نتعرض لذكر حروب هذه الدول وما قام بينها من نزاع وتنافس على الملك وما اعتورت الحضراء من انقضاضات وانتقاضات وَصاحَبَهَا من انقسام وداخلها من إقطاع وفوضى فذلك من حتمية التاريخ .

ومن الأمور الطبيعية فى بنى الإنسان وهو حب الأثرة والانتفاع بالعاجل وإرادة الغلب حتى قيل : «إن الحرب ضرورة من ضروريات البقاء» ولا يخلو منها عصر من العصور ولا دولة من الدول ولا قطر من الأقطار ، والحاضر والمستقبل هو امتداد للماضى السحيق بدون شك ولاريب .

كما أننا لن نتعرض لكيف انتهت هذه الدولة وخلفتها أخرى ، وما هى الأسباب فإن تلك ظاهرة طبيعية كما نبينه فى الجزء الثانى وكما يأتى قريباً .

على أننا لو تبسطنا فى هذا الموضوع لأربكنا القارىء وزججناه فى مهمه متشعب المسالك وفى غابة متأشبة على السالك وقد يخرج منها معسول الفائدة .

وفى عزمنا إخراج كتاب جامع للوثائق السياسية سائلين الله أن يمد بالأجل ويرخى خيط العمر فهو القادر على كل شىء .

وتنقسم طبقة الحاكمين فى تلك العصور الغابرة إلى ثلاث طبقات :

١ — الأولى طبقة الملوك ويلقبون بالتبع ولا يلقب بهذا اللقب إلا إذا أتبعته حمير وبنو جشم وحضرموت وهو يشبه لقب « كسرى » لفارس وَ « قيصر » للروم .

٢ — الطبقة الثانية من يلقب « بالقيل » وجمعه قيول وأقوال ومقاول وأقاويل وغيرها وهو دون الملك فى الرتبة ويحكم مقاطعة واسعة ويقود الجيوش ويتقدم بين يدى الملوك وهو كمثل « البطريق » للروم والقواد للعرب ويشتق من لفظ «القيل» العظمة والصدارة .

٣ — الطبقة الثالثة « الأذواء » وهم الذوون ومرتبة ذى كذا دون مرتبة القيل ، ويحكم مقاطعة دون مقاطعة القيل ، بل يدخل تحت أوامر ونواهى القيل .

والأقيال والأذواء لايحصون وإنما يتفاوتون فى الأقدار والشرف وعد منهم « لسان اليمن » فى الجزء الثانى قرابة مائة وأربعين «ذوياء» والحال أنهم ملأوا الأوطان والأطيان وتحت أطباق الثرى فأكثر القرى والمزارع والحصون مسميات باسم « ذى كذا » ولا يأتى عليها الحصر .

والأذواء تكون أسماء وألقابا أما القيل فلا يكون إلا لقباً وقد يلقب الملك التبع « بذى كذا » زيادة له فى التفخيم والتعظيم .

وهذه قائمة الملوك الحميريين عند مؤرخى العرب الذين تواريخهم تحت أيدينا مع ذكر مدد حكمهم وأعمارهم حسبما سجلنا ذلك من تلك المصادر :

سنى حكمهم	عدد الملوك	أسمائهم عند ابن واضح
—	١	سبأ بن يشجب
—	٢	ابنه حمير بن سبأ
	٣	كهلان بن سبأ
٣٠٠	٤	أبو مالك بن عميكرب
١٢٠	٥	جناده بن غالب بن زيد
١٤٠	٦	الحارث بن مالك بن أفريقيس
١٢٥	٧	الحارث الرائش
١٨٠	٨	أبرهة بن الرائش
١٦٤	٩	أفريقيس بن أبرهة
٢٥	١٠	العبد ذو الأذعار
١	١١	الهدهاد بن شرحبيل
٤٠٠	١٢	زيد بن ينكف
١٢٠	١٣	بلقيس بنت الهدهاد
٨٥	١٤	ياسر ينعم بن عمرو
٥٣	١٥	شمر بن أفريقيس
١٦٣	١٦	تبع الأقرن بن شمر
٣٢٠	١٧	مليكرب بن تبع
٢٥	١٨	حسان بن تبع
٦٤	١٩	عمرو بن تبع
٧٨	٢٠	تبع بن حسان بن بجيلة
	٢١	عمرو بن تبع آخر
٤٠	٢٢	مرثد بن عبد كلال
٣٩	٢٣	وليعة بن مرثد

سنى حكمهم	عدد الملوك	تابع أسمائهم عند ابن واضح
٩٣	٢٤	أبرهة بن الصباح
	٢٥	عمرو بن ذى قيفان
	٢٦	ذو الكلاع
٢٧	٢٧	لخنيعة ذو شناتر
٦٨	٢٨	ذو نواس بن أسعد
	٢٩	سيف بن ذى يزن
		أسمائهم عند حمزة الأصفهانى
	١	عبد شمس وهو سبأ
١٥٠	٢	حمير بن سبا
١٢٥	٣	الحارث الرائش
١٨٣	٤	أبرهة ذو المنار
١٦٤	٥	أفريقيس بن أبرهة
٢٥	٦	أخوه العبد ذو الأذعار
٧٥	٧	الهدهاد بن شرحبيل
٢٠	٨	بلقيس بنت الهدهاد
٨٥	٩	ناشر ينعم
٣٧	١٠	شمر يرعش
٥٥	١١	أبو مالك
٥٣	١٢	الأقرن بن مالك
٧٠	١٣	ذو جيشان بن الأقرن
١٦٣	١٤	تبع الأقرن بن شمر
٣٥	١٥	كليكرب بن تبع

سنى حكمهم	عدد الملوك	تابع أسمائهم عند حمزة الأصفهانى
١٢٠	١٦	أسعد أبو كرب
٧٠	١٧	ابنه حسان بن تبع
٦٣	١٨	عمرو بن تبع
٧٤	١٩	عبيد بن كلال
٧٨	٢٠	تبع بن حسان بن تبع
٤١	٢١	مرثد بن عبيد كلال
٣٧	٢٢	وليعة بن مرثد
	٢٣	أبرهة بن الصباح
١٥	٢٤	صهبان بن محرث
٥٧	٢٥	حسان بن عمرو بن تبع
٢٧	٢٦	ذو شناتر
٢٠	٢٧	ذو نواس
٢٨	٢٨	ذو جدن

ولم يذكر سيف ذايزن ولا ما بعده

وإليك ما فى تفسير الدامغة

سبأ بن يشجب عبد شمس

سنى حكمهم	عدد الملوك	الاسم
١٢٥	١	الحارث الرائش
١٨٣	٢	ابنه أبرهة ذو المنار
١٦٤	٣	أفريقيس بن أبرهة
٢٥	٤	أخوه العبد ذو الأذعار
١	٥	الهدهاد وهو اليشرح بن شرحبيل

سنى حكمهم	عدد الملوك	تابع أسمائهم كما فى تفسير الدامغة
٧	٦	بلقيس بنت الهدهاد
١	٧	سليمان وابنه
٤١	٨	ياسر ينعم
١٨٥	٩	شمر يرعش بن أفريقيس
١٨٠	١٠	الأقرن بن شمر يرعش
١٣٣	١١	التبع بن الأقرن
٣٥	١٢	كليكرب بن التبع الأكبر
٦٨٠	١٣	كلكيكرب أسعد أبو كرب
٢٥	١٤	ابنه حسان بن أسعد الذى
٣٣		غزا طسم وجديس
٩٤	١٥	أخوه عمرو بن أسعد
٤٠	١٦	خانه ولم يسمه
	١٧	التبع الآخر وهو عمرو بن حسان بن أسعد
٤١	١٨	مرثد بن عبد كلال
٣٩	١٩	ابنه وليعة بن مرثد
٧٣	٢٠	الصباح بن لهيعة بن شيبة الحمد
٩٣	٢١	ابنه أبرهة بن الصباح
٥٧	٢٢	حسان بن عمرو بن حسان
٢٧	٢٣	لخنيعة ذو شناتر
٧٨	٢٤	ذو نواس صاحب الأخدود
٢٠	٢٥	سيف بن ذى يزن
٣	٢٦	أخوه شرحبيل بن ذى يزن

انتهى ما فى تفسير الدامغة وهذا ما عند نشوان بن سعيد الحميرى فى السيرة الجامعة ولم يعين مدد حكمهم إلا أفراداً قلائل :

سنى حكمهم	عدد الملوك	أسمائهم عند نشوان بن سعيد الحميرى	سنى حكمهم	عدد الملوك	تابع أسمائهم عند نشوان بن سعيد الحميرى
	١	يعرب بن قحطان		٢١	تبع بن زيد
	٢	يشجب بن يعرب		٢٢	علهان ونهفان ابنى بتبع
٥٠٠	٣	سبأ بن يشجب		٢٣	شهران بن بتبع
	٤	حمير وكهلان ابنى سبأ		٢٤	ابنه تألب رئام
	٥	الهميسع بن حمير		٢٥	حاشد ذو مرع
	٦	أيمن بن الهميسع		٢٦	الحارث الرائش
	٧	زهير بن أيمن		٢٧	ابنه ذو المنار واسمه أبرهة
	٨	عريب بن زهير		٢٨	العبد ذو الأذعار
	٩	قطن بن عريب		٢٩	أخوه أفريقيس بن أبرهة
	١٠	جيدان بن قطن		٣٠	الهدهاد بن شرحبيل
	١١	الغوث بن جيدان		٣١	ابنته بلقيس
	١٢	وائل بن الغوث		٣٢	ياسر يهنعم
	١٣	عبد شمس بن وائل	١٠٠	٣٣	شمر يرعش بن أفريقيس
	١٤	الصوار بن عبد شمس		٣٤	الأقرن بن شمر
	١٥	ذو يقدم بن الصوار		٣٥	الرائد تبع الأكبر بن
	١٦	ذو أنس بن ذى يقدم			الأقرن
٣٣٦	١٧	عمرو بن ذى أبين	٣٢٦	٣٦	تبع الأوسط وهو أسعد
	١٨	ابنه الملطاط بن عمرو		٣٧	ابنه حسان تبع
	١٩	شدد بن الملطاط		٣٨	عمرو بن تبع الآخر بن حسان
	٢٠	وتار بن شدد			تبع

سنى حكمهم	عدد الملوك	تابع أسماء الملوك عند نشوان بن سعيد الحميرى
	٣٩	عبد كلال بن مثوب
	٤٠	ذو معاهر
	٤١	ذو نواس
	٤٢	سيف بن ذى يزن

وهذا ما فى المحبر لمحمد بن حبيب الهاشمى

سنى حكمهم	عدد الملوك	تابع أسماء الملوك عند محمد بن حبيب الهاشمى
٢٠٠	١	قحطان بن هود
٢٠٠	٢	ابنه يعرب بن قحطان
	٣	يشجب بن يعرب
	٤	ابنه سبأ وهو عبد شمس
	٥	حمير بن سبأ
	٦	أخوه نصر بن سبأ
	٧	الحارث شداد الرائش
	٨	شداد بن عاد وشديد
	٩	المدهاد بن الرائش
	١٠	أبرهة بن الرائش
	١١	ابنه العبد
	١٢	أفريقيس بن قيس
	١٣	أخوه مالك بن قيس
	١٤	الحارث بن مالك
	١٥	مياس بن يعرب
	١٦	عروة بن معاوية
	١٧	ماء السماء بن عروة
	١٨	شرحبيل بن يحصب
	١٩	الهمال بن المثلم
	٢٠	الصعب وهو ذو القرنين
	٢١	زيد بن همال
	٢٢	تاران يهنعم
	٢٣	الحارث بن عمرو بن يعفر
	٢٤	زهير بن عبد شمس
	٢٥	بلقيس بن اليشرح
	٢٦	الحارث بن شرحبيل ذوجدن
	٢٧	ذو رداع يهنعم
	٢٨	ملكيكرب
	٢٩	أسعد وهو تبع الأصغر
	٣٠	ابنه حسان بن أسعد
	٣١	أخوه عمرو وهو موثبان
	٣٢	لخنيعة ينوف ذو شامر
	٣٣	زرعة ذونواس .

انتهى ما فى المحبر
لمحمد بن حبيب الهاشمى

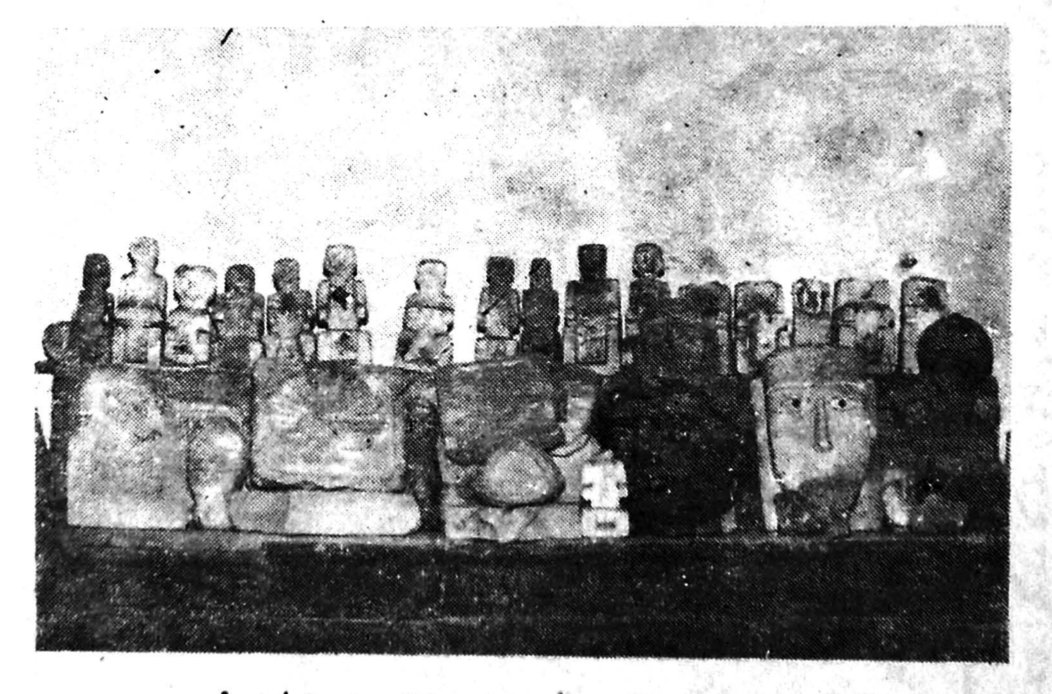
وهذه أسماء الملوك كما رواها المسعودى
فى مروج الذهب

سني حكمهم	عدد الملوك	أسماء الملوك عند المسعودي
٤٣٤	١	سبأ بن يشجب
٥٠	٢	ابنه حمير بن سبأ
٣٠٠	٣	أخوه كهلان بن سبأ
٣٠٠	٤	أبو مالك عمرو بن سبأ
١٤٠	٥	جبار بن غالب
١٢٥	٦	الرائش بن شدد
٢٨٠	٧	ابنه أبرهة
٢٥	٨	أخوه العبد
١٠	٩	الهدهاد بن شرحبيل
٤٠٠	١٠	التبع الأول
١٢٠	١١	بلقيس بن الهدهاد
٢٣	١٢	ثم سليمان وابنه
٢٥	١٣	ناشر ينعم
٣٢٠	١٤	كليكرب بن تبع
٢٥	١٥	حسان بن تبع
٦٤	١٦	عمرو بن تبع
١٠٠	١٧	تبع بن حسان بن ملككرب
٤٠	١٨	عمرو بن تبع
٤٠	١٩	مرثد بن كلال
٣٩	٢٠	وليعة بن مرثد
٩٣	٢١	أبرهة بن الصباح
١٧	٢٢	عمرو بن ذو قيفان
٣٠	٢٣	لخنيعة ذو شناتر
٢٦٠	٢٤	زرعة ذو نواس وهو يوسف
٤	٢٥	سيف بن ذي يزن

انتهى ما في تاريخ المسعودي

وهـــــذا ما عند ابن خلدون

سني حكمهم	عدد الملوك	أسماء الملوك
١٢٥	١	الحارث الرائش
١٨٠	٢	ابنه ذو المنار
١٦	٣	أفريقيس بن أبرهة
	٤	أخوه العبد ذو الأذعار
١٠	٥	الهدهاد بن شرحبيل
٦	٦	بلقيس بنت الهدهاد
	٧	ناشر ينعم
١٦٠	٨	ابنه شمر يرعش
٥٣	٩	تبع الأقرن واسمه زيد
٣٠٠	١٠	تبان بن أسعد أبو كرب
	١١	ربيعة بن نصر بن الحارث
	١٢	حسان بن تبان أسعد
٦٣	١٣	أخوه عمرو بن تبان
٧٤	١٤	عبد كلال
	١٥	تبع الأصغر بن حسان
٤١	١٦	مرثد بن عبد كلال



مجموعة نماذج من التماثيل الأثرية السبئية التى عثر عليها فى مأرب

سنى حكمهم	عدد الملوك	أسماء الملوك عند ابن خلدون	سنى حكمهم	عدد الملوك	أسماء الملوك عند ابن خلدون
٣٧	١٧	وليعة بن مرثد	٢٧	٢٠	لخنيعة ذو شناتر
	١٨	أبرهة بن الصباح	٦٨	٢١	ذو نواس زرعة المسمى يوسف
٥٧	١٩	حسان بن عمرو بن تبع أسعد	٤	٢٢	سيف بن ذى يزن

انتهى ما عند ابن خلدون وبانتهائه انتهت قوائم أسماء الملوك عند مؤرخى العرب التى تواريخهم بين أيدينا أما التى لم نطلع عليها فيغلب الظن أنها لا تكاد تخرج عن هذا الإطار فى الكم والكيف .

وقد عقب المؤرخون المذكورون بعد سرد الملوك بكلمات تعبر عن آرائهم يشتم منها الميول والأهواء حيناً والترويج والنقد حيناً آخر وهذا ما قالوه .

قال ابن واضح : وكان ملوك اليمن يدينون بعبادة الأصنام فى صدر ملكهم ، ثم دانوا بدين اليهودية وتلوا التورات وذلك أن أحبار اليهود صاروا إليهم فعلموهم دين اليهودية ولم يكن يتجاوزون اليمن إلا أن يغيروا على البلاد ثم يرجعون إلى دار ملكهم .

وقال حمزة الأصفهانى : وليس فى جميع التواريخ أسقم وأخل من تاريخ أقيال اليمن لما قد ذكر فيه من كثرة عدد سنى من ملك مع قلة عدد ملوكهم .

ونحن نقول للمؤرخين المذكورين ولابن جرير أيضاً لم يعد الأمر كما زعمتم فقد تبين الصبح لذى عينين وتكشفت الحقائق باستنطاق النقوش والآثار وكلام مؤرخى اليونان والمحافد والهياكل والقصور والسدود التى نطقت بعظمتهم .

وقال المسعودى : فعدد ملوكهم سبعة وثلاثون ملكا ملكوا ثلاثة آلاف سنة ومائة وتسعين سنة ، راجع الجدول والأرقام فلعلها ثلاثة آلاف سنة وثمانون سنة والملوك أربعة وعشرون ملكا بعد المراجعة والمقابلة .

وقال فى تفسير الدامغة : يكون جميع ما ملكوا ألفى سنة وإحـــدى وثمانين سنة من الرائش سوى ما ملكوا قبل . ثم تفلسف فى ذلك بما يطول ذكره فارجع إليها .

وقال نشوان بن سعيد الحميرى :

وملوك حمير ألف ملك أصبحوا   فى الترب رهن ضرائح وصفاح

واستدل بقول علقمة ذى جدن الشاعر :

ألف مَلْكٍ سقاهمُ الدهر كأساً   مُرَّةً زلزلت بهم كلُّ أرض[1]

إلى أن قال : والتبابعة الذين غزوا بلاد العجم سبعون تبَّعاً .

وإن ترى ما فى هذا القول من المبالغة فاعرضها على مسبك التمحيص والتحليل وجرد نفسك من العاطفة .

أما المؤرخ محمد بن جرير وتبعه ابن الأثير فى كامله فلم يذكرا غير حديث بلقيس فى ضمن خبر سليمان بن داود كما ذكرا مختصراً خبريا سر ينعم وأسعد تبع وعقبا بكلمة تنم عن إنكار تلك المبالغات .

وحكى ابن الأثير غزاة تبع أسعد إلى أن قال : وقد خالف هـذه الرواية كثير من أصحاب السير والتواريخ وكل واحد منهم خالف الآخر وقدم بعضهم من أخَّره الآخر فلم يحصل منهم كثير فائدة ولكن ننقل ما وجدنا مختصراً .

وتبعهما ابن خلدون ونقل كلام الطبرى بالنص ، وقولنا فى الرد على هؤلاء بما سلف إذ صَدَّقَ الخبرَ الخُبْرُ .

أما لسان اليمن فالذى اعتقد جازماً أنه لم يقف صامتاً إزاء هذه الأقوال بل أدلى دلوه بين الدلاء وتفسير الدامغة توحى إلى إعطاء رأيه فى الموضوع وأنه لا يختلف

---

(١) راجع السيرة الجامعة ص ٢٠

قوله عن قول كثير من المؤرخين لا سيما نشوان الوارث لتراثه والآخذ عنه معلوماته ولكن لا يصح أن يكون تفسير الدامغة وما فى الجزء الثانى من الإكليل فى الأنساب سنداً لنا عن رأيه ونجزم بها عن قوله .

فهناك الثلاثة أجزاء المفقودة المخصصة للملوك هى وحدها التى تدلى لنا برأيه وتفصح عن خبايا أسراره كما وأن الجزء السابع الموضوع للنقد وتزييف للحكايات الباطلة لو وجد لكلمتنا عن سحناء وملامح رأى الهمدانى واضحة جلية ، والهمدانى كما عرَفناه ناقد بصير لا يرسل كلامه عن عواهنه .

ومن سجل القوائم سالفة الذكر نستطيع أن تقول كلمتنا صريحة غير متوارين عن الإنصاف والحقيقة وهى : أن فى مجموع هذه القوائم ، وما قيل عنها وعن كل ملك نوعاً من الاضطراب والالتباس ، وذلك فيما بين قحطان إلى الملك أسعد أبى كرب الكامل ، كما أنها تكاد كلمتهم تكون إجماعاً فيما بين الملك أسعد الكامل المذكور إلى ظهور الإسلام ، وإن اختلفوا فى مدد حكمهم وسنىء تملكهم ، وهذا بعد المقارنة والمقابلة .

وليس معنى حكمنا على هذه القوائم إنا ألصقنا بمؤرخينا أى تهمة أو تقصير أو سحبنا عنهم الثقة ، فذلك مما لا يدور فى خلدنا أو خلد أى إنسان ، ونعوذ بالله أن نكون كالذين ضرب الله بهم مثلا «وَلاَ تَكُونُوا كالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً»[1] .

ومما يدل على أن مؤرخى العرب صادفوا اللهجة ، تصاحبهم الأمانة أنه قد كُشِفَ الستار النقوش التى نَوَّهَت عن بعض ما تحدثوا عنه ، فكان مصداقاً لما قالوه .

ولا تنسى الانطباعات التى خلفها لنا السلف عن ملوكنا القدامى ، ولا زالت

---

(١) سورة النحل .

إلى يوم الناس هذا أذهى جزء من حياتنا وفى دمائنا وتاريخنا لا محيص عنها بحكم تسلسل القرون وتناقل الأجيال ، وهى مرآة صادقة للماضى .

فمثلا قحطان وشخصيته فهى تعانقنا معانقة الحبيب لحبيبه ، وفى أذهاننا نحن اليمنيين عند كل فرد وعند أحقر الناس وأتفههم حتى الأطفال .

والحالة هذه ، فقد ذكره فى التورات والنقوش كما سلف الحديث عنه فى ص١٠٧ وتكلم المسعودى فى مروج الذهب « ج٢ — ١٧ » بما فيه مقنع وهو نفس الشيء الذى نقوله اليوم .

ومنهم الحارث الرائش وسبا ، وحمير ، وشَمَّرَ يُرْعِش وبلقيس التى تتلى قصتها فى محكم التنزيل صباح مساء ، فإن أصداء هؤلاء الملوك ملؤ الأسماع والأبصار والقلوب والمجالس العلمية والمحافل العامة ، تتردد بكل إجلال وإعجاب وجاءت النقوش ، مؤيدة لتلك الرويات والأقاصيص والذكريات الطريفة .

وكذا الملكة « بلقيس بنت الهدْهاد » المسماة « المقة » التى لعبت دوراً نبيلا فى الملك ، والقصص الشعبى الذى تلاعب بأفلاذ أبنائها ، ومازج أرواحهم ونفوسهم .

وكلمة مؤرخى العرب عن إجماع منهم مُؤَيَّدَةً بمـا فى التوراة : إنهـا هى التى ظهرت على المسرح التاريخى ، وصاحبة القصة مع سليمان بن داود عليه السلام .

ولا يضيرنا نفى المستشرقين لها لعدم وجود اسمها بين الآثار بلفظ « بلقيس » أما « المقة » فقد عثر عليها ، ولكنها أولت « بالآلهة » فالأيام بالتنقيب كاشفة للحقيقة المربوطة بكلام المؤرخين المذكورين وإليه نذهب .

كما لا أصل لمـا تزعمه ملوك الحبشة ، فذلك من نسج خيالهم ، وبدوافع نفسية لقرب كتابة تاريخهم .

وبلقيس هذه هى التى حملت معها دين اليهودية إلى اليمن ، بدليل ما حكاه الله سبحانه عنها : « قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »[1] ، ولكن هذه الديانة لم تعمر طويلا حتى ظهرت مرة أخرى أيام أسعد الكامل .

وفى تسميتها « بلقيس » واشتقاقه كلام ليس هذا موضعه .

ومنهم أسعد الكامل الذى تتموج ذكرياته فى أعماق القلوب والذكريات صدى السنين الحاكى لما قام به من جلائل الأعمال كبناء الحرار ومصارف المياه وفتق العيون وجر الغيول وحفر المواجل وعرمات السدود وتعبيد الطرقات وعمل الجسور والقناطر، وكل عمل مبرور نسبوه إليه ، فيقولون هذا أسعدى كما يقولون هذا عادى فتغلغلت محبته فى القلوب حتى سموا أولادهم «أبو أسعد» و«أبو حسان» تفاؤلا باسمه وتيامناً وفخراً واعتزازاً إلى هذه الغاية ، وهذا مظهر من مظاهر العظمة كيلا ينسى اسمه ويدرس ذكره ، وجاء ذكره فى النقوش أيضاً .

وكذا ذو نواس صاحب الأخدود ، وسيف ذى يزن المنقذ الأعظم الذى له أثر بالغ فى نفوس اليمنيين ، والذى أثر فى القصص العربى تأثيراً كبيراً ، وورد ذكره فى آداب اليونان والرومان .

ومما أقطع به أن كل ما فى هذه القوائم فيه تداخل بين الملوك والأقيال والأذواء ، وأن من ظهر منهم على مسرح التاريخ بسمة من السمات محتاج إلى غربلة ونقاش لتقف على فص الحقيقة ، ولا تكشف ذلك غير النقوش والوقت لم يحن للتنقيب الكامل لكل أرض الآثار ، ونحن بإذن الله على مقربة من هذا اليوم .

وأن مؤرخى العرب لم يلقوا كلامهم على عواهنه أو جزافا أو من نسج الخيال أو بعاطفة قومية وبحب العرق العربى أو نحو من هذا ، فإنهم أسمى من هذا كله

---

(١) سورة النمل ٣ .

فهم حملة أمانة ودعاة رسالة ذات طابع نزيه طاهر ، تربأ نفوسهم الأخلاقية عن اقتراف الخطأ والخطل ، وإنما سجلوا كل ذلك عن غربلة ونخل للحقيقة ، وما معهم من وسائل العلم بالنقل عن الثقة وأهل الأمانة .

ودليل لما قلنا من تداخل الملوك والإقيال فيما رقموه ، وذلك مثل زيد ابن جمال الرائد عده ابن حبيب فى الملوك ، بينما ذكره الهمدانى فى الإكليل ج ٢ ـ ١٠٩ أنه قَيْلٌ ، وكان صاحب مقدمة أفريقيس وقائد بعوثه ، وكان مع ذلك يتولى أعمال تهامة والحجاز وأعمال اليمامة والبحرين ونجد إلى كندة .

وكذا أبرهة بن شرحبيل عدوه من الملوك والحال أنه « قيل » وكان يتولى تهامة كما فى الإكليل ج ٢ ـ ١٤٨ ، وكذا ذوقيقان ص ٣٠٢ .

هذا والحامل لمؤرخى العرب فيما اعتقد إلى مضاعفة سنى حكم الملوك بتطول أعمارهم أنهم انجرفوا وراء الإسرائيليات وحكايات الأخباريين أن عمر الدنيا من آدم أبى البشر إلى فنائها أو قيام الساعة ستة أو سبعة آلاف عام ، وإنه قد مضى إلى زمن الهجرة ما يقارب الخمسة آلاف كما وإن نوحا عليه السلام ظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، فأرادوا أن يلفقوا هذه الآراء الإسرائيلية على ملوك حمير ويطبقوها عمليا فوفروا لهم العمر وسنى الحكم بسخاء مع قلة عددهم لتخرج النتيجة إن عمر الدنيا صحيحة على ما قالوه ، ولتتم القصة الخيالية بجميع فصولها ، وغاب عنهم وجه الصواب ، إن عمر الدنيا لا يعلمه إلا الله ، وأنها آماد وآماد ودهور ودهارير كما وإن عمر نوح عليه السلام ظاهرة خارقة للعادة ومعجزة من معجزات ربنا لا تطبق فى غيره من البشر إلا بتلك الصفة وبنوع من أنواع مَعايير الحياة .

هذه دراسة تمحيص وتحليل لدولة حمير عند العرب وضعناها بين يدى القارىء ليكون على بصيرة من أمره والله من وراء القصد .

وتعتبر عاصمة الحميرين أو ملوك حمير المذكورين فى نظر مورخى العرب هى « مارب » ، و « صرواح » و « ظفار » ، وقد سبق وصف مارب ، وأما وصف صرواح وظفار ، فإن وصفهما يكثر ، وقد أغنانا عن عنا الوصف الجزء الثامن من الإكليل وزدناها توضيحاً بما رسمنا من الصور هناك .

بينما يعتبر المؤرخون المعاصرون عاصمة الحميريين « ظفار » فحسب مع بقاء علاقات لهم فى عاصمة سبا وهى صرواح « ومارب » .

الدولة الحميرية الحضارية فى نظر المستشرقين

رتب المعاصرون والمستشرقون دول « الخضرا » ترتيباً زمنياً باعتبار ما وقفوا عليه ـ ظنا وتخميناً ـ من النقوش ، فقدموا دولة معين ثم سبا ثم حمير ، ونحن خالفناهم فى تقديم حمير فقط على كلا القولين تقديما موضوعيا لأنها الدولة الرئيسية التى ظهر الإسلام وهى الحاكمة وعليه وضع المؤرخون العرب تواريخهم كما أسلفنا قريبا .

ولم يشر كِتابُ « تاريخ العرب القديم » إلى اسم دولة « حمير » بشىء من ذلك بل مرّ بها مرّ الكرام وإنما ذكرها باسم « ملوك سبا ، وذوريدان » ولم يكن وافٍ بالمراد « ص ٩١ » .

إما جواد على فقد جاد فى ذلك ، فإنه عقد الفصل الخامس من «ج ٢-٢١٢» باسم « ملوك سبا وذو ريدان » وباسم « سبا » ، ولم يذكر باسم دولة « حمير » شيئاً بل جال قلمه فى دراسة مستفيضة لها قيمتها بدون أن يصل إلى قول قاطع ووضع قوائم باسم جمهرات أكثر فيها النقل والدراسة .

لهذا عدلنا إلى كلام المؤرخ « جرجى زيدان » فهو الذى أورد اسم هذه الدولة باسم دولة « حمير » ، ووضع لها جداولا وعرفها تعريفا شافيا ، ونحن نخلص كلامه مع إبداء ملاحظاتنا المستقاة من النقوش قال :

دولة حمير أو العصر الحميرى من سنة ١١٥ ق . م إلى سنة ٥٢٥ ـ بعد الميلاد

قلت والحميريون فرع من السبئيين بحكم الولادة والصهارة وكانوا يقيمون فى « ريدان » « ظفار » المَلِك الواقع فى حقل قتاب من يحصب يتولون أعمالاً لدولة « سبا » وباسم أقيال وأذواء حتى إذا آنسوا ضعف دولة سبا ، وأنه قد أدركها الهرم ونزل بها عوامل الشيخوخة وثبوا على الملك ، ولُقِّبَ الملك منهم باسم ملك « سبا وذوريدان » كمثل ما وقع لبنى رسول مع نبى طاهر ولبنى رسول مع بنى أيوب وكما سيمر لك فى العصور الإسلامية ، وهكذا فى سائر الدول وأخريات الممالك وإن اختلفت الأسباب والمسببات .

وكلما اتسعت رقعة مملكة «سبا وريدان» أضافوا إليها لقب « وحضرموت » وهكذا إلى أن تكاملت لهم الأصقاع يضيفون إلى ألقابهم لقبا آخر مثل ملك « سبا وذوريدان وحضرموت ويمنات وجبالها وتهامتها » .

ويبتدىء عصر الحميريين من سنة ١١٥ ق . م خمس عشر ومائة قبل الميلاد وينتهى بذى نواس الذى يسمى عند مؤرخى اليونان « دميانوس » سنة ٥٢٥ خمس وعشرين وخمسمائة .

وتنقسم إلى مدتين متساويتين : المدة الأولى أو الطبقة الأولى هى التى يلقبون فيها ملك « سبا وريدان » لأنهم أبقوا علاقتهم بعواصم سبا قوية ومتينة ، وتنتهى بضم « حضرموت » إلى ألقابهم .

والمدة الثانية أو الطبقة الثانيـة : يضم حضرموت إلى ألقابهم كملك « سبا وريدان وحضرموت » .

وأول من نال اللقب هذا « الملك شمر يُرْعش » فهو آخر الطبقة الأولى وأول الطبقة الثانية من حمير .

ورتبهم « جرجى على هذا النمط بمجرد حدس وتخمين ومقارنة كى يُوَفّق

بين ما أنت به النقوش و بين كلام اليونان والعرب إلى غير ذلك من الاستنتاجات التى قد يداخلها حينا الخطأ ، وقد جاريناه حتى يجىء اليوم الموعود باستنطاق جميع النقوش والكشف عنها فى جميع أرض الآثار وهوآت بدون ارتياب إن شاء الله .

الطبقة الأولى من ملوك حمير

« ملوك سبا وريدان »

من سنة ١١٥ ق . م إلى سنة ٢٧٥ ب . م ، وهم كما يلى فى الجدول

عدد	اسم الملك	مدة الحكم	قدرها	الملاحظات
١	علهان نهفان	١١٥–٨٠ ، ق . م	٣٥	ورد ذكرها فى النقوش و١٠ الإكليل
٢	شمراوتر بن علهان نهفان	١١٥ – ٥٠ ق . م	٣٠	ورد ذكره فى النقوش و ٢ من الإكليل
٣	يريم أيمن			ورد ذكره فى النقوش و١٠ من الإكليل
٤	قرع ينهب	٥٠ – ٣٥ ق . م	١٥	ورد ذكره فى النقوش و١٠ من الإكليل
٥	اليشرح يحضب وابنه يزل بيين	٣٥ – ١٥ ق . م	٢٠	ورد ذكره فى النقوش و ٢ من الإكليل وهو يازل
٦	اليشرح يحمل بن يزل	١٥ – ٥ ق . م	٢٠	فى النقوش فقط
٧	وتار	٥ – ٣٥ ب . م	٣٠	« « و٢ من الإكليل
٨	كرب إيل وتار يهنعم	٣٥– ٧٠ ب . م	٣٥	« « « ٢ – الإكليل
٩	ذمار على ذرح بن كرب إيل	٧٠–٩٥ ب . م	٢٥	« « « ٢ باسم ذا المرعلى

عدد	اسم الملك	مدة الحكم	قدرها	الملاحظات
١٠	هلك أمير بن كرب إيل	٩٥ـ١٢٠ ب.م	٢٥	فى النقوش فقط
١١	ذمار على يبين	١٢٠ـ١٤٥ ب.م	٢٥	» »
١٢	وهب إيل يحز	١٤٥ـ١٧٠ ب.م	٢٥	» »
١٣	ملوك مجهولون	١٧٠ـ٢٥٠ ب.م	٨٠	
١٤	ياسر ينعم	٢٥٠ـ٢٧٥ ب م	٢٥	» و٢ ـ الإكليل وكتب العرب

الطبقة الثانية من ملوك حمير

ملوك سبا وذوريدان وحضرموت وما بعدها من الألقاب من سنة ٢٧٥ بعد الميلاد إلى نهاية ذى نواس سنة ٥٢٥ بعد الميلاد

عدد	اسم الملك	مدة الحكم	قدرها	الملاحظات
١	شَمَّر يُرْعِش	٢٧٥ ـ ٣٠٠	٢٥	شخصية عالمية وأسطورة رائعة عند العرب وفى النقوش
٢	ذو القرنين افريقيس أو الصعب	٣٠٠ ـ ٣٢٠ ب م	٣٠	ورد ذكره عند العرب بكثرة ولنا فيه رأى خاص [1]
٣	عمرو زوج بلقيس	٣٢٠ ـ ٤٣٠ ب.م	١٥	ورد ذكر عمرو عند العرب غير مقرون بزوج بلقيس
٤	بلقيس وهى الفارغة	٣٣٠ ـ ٣٤٥ ب م	١٥	هذه بلقيس غير صاحبة سليمان فى زعم جرجى زيدان عن المستشرقين

(١) راجع الجزء الثامن بإخراجنا وتفسير الدامغة .

عدد	اسم الملك	مدة الحكم	قدرها	الملاحظات
٥	المدهاد أخوها	٣٤٥_٣٧٤ب.م	٢٥	المدهاد عند العرب أبو بلقيس لا أخيها
٦	ملكيكرب يُوهنمم	٣٧٤_٣٨٥ب.م	١١	فى النقوش التى عثرنا عليها يهامن
٧	أبو كرب أسعد بن ملكيكرب	٣٨٥_٤٢٥ب م	٣٥	تقدم التنويه بهذه الشخصية الكبيرة
٨	حسان بن أسعد	٤٢٩_٤٥ب م	٥	عند العرب وفى نقش عثرنا عليه وهو الذى غزا طمس وجديس وأثبتت النقوش هذه الغزوة
٩	شرحبيل يُعْفِر ابن أسعد	٤٢٥_٤٥٥ب.م	٣٠	فى النقوش والإكليل
١٠	شرحبيل ينوف	٤٥٥_٤٧٩ب.م	١٥	فى الإكليل٢ والنقوش
١١	معديكرب ينعم وابنه لخَنيعة	٤٧٠_٤٩٥ب.م	٢٥	« « وفى النقوش
١٢	مرثد اللات ينوف	٤٩٥_٥١٥ب.م	٢٠	فى النقش الذى عثرنا عليه فى ظفار مرثد ألن ينوف
١٣	ذو نواس	٥١٥_٥٢٥ب.م	١٠	مشهور يأتى ذكره
	ذوجدن لم يكن له حكم	٥٢٥_٥٢٣ب.م	١٫١٣	عند بعض مؤرخى العرب ويأتى ذكره

هذه القوائم للمؤرخ البحاثة جرجى زيدان المأخوذة عن المستشرقين بعد غربلته لها اعتمدناها مع إبداء تلك الملاحظة التى كشفنا بها عما جاء فى

النقوش وما هو عند العرب كما ذكر سابقا فى جداول مؤرخى العرب ، على أنها الطريقة السليمة .

ومما ننبه القارىء إليه أنا عثرنا فى الفينة الأخيرة وبعد انتهاء التأليف على مسند فى ظفار الملك كشفته الأمطار وهو باسم الملك « شرحبيل يعفر بن أبى كرب » أسعد ، وفى آخره تاريخ زبر المسند المذكور فى شهر ذى الآل بخراف سنة ٥٧٢ ، اثنين وسبعين وخمسمائة مما يدل أنه متأخر عما ضمنه «جرجى» فى قائمته المذكورة ، وتكون مدته من سنة ٤٢٥ ب م إلى ما بعد سنة ٥٤٧ حسبما تقرر من النقش ، وربما نجعل ملحقا لما عثرنا عليه من النقوش إن شاء الله .

ومعنى إل فى مثل كرب إل أو وهب إيل «الله» لأن إل اسم من أسماء الله قال أبو بكر رحمه الله ، وقد سمع شيئا من كلام مُسَيْلمة الحنفى : هذا كلام ما أتى من عند إلّ . أى من عند الله ، وهو فى الأسماء الأعجمية مثل : إسرافيل ، وجبريل ، وميكائيل ، وإسرائيل[1] .

والهاء فى مثل : يوهنعم ويهرجب ويهرعش يُؤتى بها للتفخيم عند حمير فيفخمون بالهاء ، وبالنون فيما ظهر من الأشياء واستعظم[2] ، وقد تبدل الهاء همزةً عند حمير مثل هشوع والأصل أشوع[3] .

انتهى كلامنا على دولة حمير فى نظر المستشرقين على ترتيب الزمن الذى حددوا ظهورها فيه بالخرص والتحين والله ولى التوفيق .

(١) ج ٢ – ٧ الإكليل (٢) ج ٢ – ٧٣ الإكليل (٣) ج ٢ – ٦ الإكليل

الدولة المعينية الحضارية فى العصور الذهبية

هذه الدولة أقدم دولة حضارية قامت باليمن « الخضراء » فى رأى المستشرقين نظرا لما اكتشفوا من نقوشها واهتدوا إلى ذلك بالخرص والتخمين . وثَمّ رأى حديث يقول إن سباء أقدم من معين ولم يبرز هذا الرأى إلى حَيّز الظهور

ولم تظهر هذه الدولة على مسرح التاريخ عند العرب إلا عَرَضاً كاسم من الأسماء كما جاء ذكرها فى الشعر الجاهلى .

والجلى فى هذا الميدان هو « لسان اليمن » ، الذى تكلم عنها ضمن إطار « الدولة الحميرية » وذكر محافدها وتبعه نشوان وأما غيرهما فلا حتى ولا إشارة .

قال فى الإكليل ج ٨ — ١٢٤ :

«ومن محافد اليمن ـ براقش ومعين « بفتح أولها » . وهما بأسفل جوف ارحب فى أسفل جبل هيلان وهما متقابلتان فمعين بين مدينة روثان وبين درب سُرَاقة ، وأما براقش فقائمة فى أصل جبل هيلان وأسماء أهلها مكتوبة فى حجارتها » .

وفى معين يقول مالك بن حَريم الدالانى الهمدانى :

ونحمى الجوفَ ما دامت معين بأسفله مقـــابلة عِرَادا

وقال فروة بن مُسَيك المرادى :

احلّ يُحابرٌ جَدى غُطيفاً معينَ الملك من بين البنينا

وملّكنا براقش دون اعلا وانعم اخوتى وبنى أبينا

وفى براقش يقول علقمة ذو جدن :

وقد اسوا براقش حين اسوا ببلقـــمةٍ ومنبسط أنيق

وحلوا مِن معينٍ حين حلوا لعزّهم لدى الفج العميق

وقال أيضاً :

وبراقش الملك الرفيع عمادها هَجرَ الملوك كأنهم لم تُهجِر

وقال غيره :

يقود بها دبانها غير عاجز ثمانين ألفاً قادها من براقش
فآبوا بألفى كاعب مُضرّبة على إبل مثل الضباع النواهش

وقال «لسان اليمن» : وبالجوف سوى براقش ، ومعين - البيضاء والسوداء مأثرتان فيهما آثار عظيمة وقصور أخرى فى الجوف ومارب يُعَدِّنُ الناسُ منها الذهبَ القُبورى ودنانيرُهم ودراهمهم عليها صور .

و « كمنا » بجوف همدان انتهى كلام الهمدانى . وكمنا هى التى تسمى قرنا أو كارنا عند اليونان فإنهم ذكروا دولة « معين » ذكرا مجملا دون أن يذكروا أسماء ملوكها ، وكذا ورد ذكرها فى سفر الأخبار[1] .

وأول من تنبه لهذه الدولة من المستشرقين « هاليفى » فقد هداه « الإكليل » إلى مكانها فاقتحم الأخطار فزار الجوّف واكتشف أنقاض « معين » وقرأ اسمها عليها وبجانبها « براقش » وبلغت النقوش الكتابية التى اكتشفها « هاليفى » فى سفرته إلى الجوف وحدَها ، ٣٠٣ ثلثمائة وثلاثة نقوش منها ٧٩ تسعة وسبعون نقشا فى « معين » و ١٥٤ مائة وأربعة وخمسون نقشا فى براقش ، أوبالقرب مَنها و٧٠ سبعون نقشا فى السودا ، وهى القرنا فى الآثار ، وكارنا أوقرنا عند اليونان وكَشَف مدينة « نشق » ويسمونها اليوم « البيضاء » وكلها مدن معينية ولا سيما براقش ، واسمها على أنقاضها[1] .

وسموا تلك الدولة أو الأمة « المعينيين » كما قرأها « هاليفى » فيما كشفه من الآثار من أسماء ملوك هذه الدولة وآلهتها وعادات أهلها وغير ذلك حتى لم يبق شك فى أن المعينين ينسبون إلى هذا المكان وهذا الرأى هو المعول عليه .

---

(١) جرجى زيدان — ١٢٢

وزار هذه المدن أيضاً « جلازر » وأخذ عنها معلومات كافية وزارها محمد توفيق ورسم بعض معالمها راجع رسومها وزارها أيضاً الدكتور أحمد فخرى .

وامتد نفوذ هذه الدولة إلى حوض البحر الأبيض وخليج العرب أى شملت جميع الجزيرة العربية وإلى خارجها واتسعت تجارتها وانتشرت وكانت من الحظوة والخطورة بمكان رفيع .

ويبتدى عصرها الذهبى فى رأى بعض المستشرقين فى منتصف القرن الثانى للميلاد .

وقال فى التاريخ العربى القديم ، والمعينيون هو الشعب الذى يعتبر بحق أقدم الشعوب التى حملت لواء الحضارة فى بلاد العربية الجنوبية .

وهى دولة وأمة من قحطان وصميم اليمن وعرق يَعْرُب لما أسلفناه من الأدلة والبراهين وأنها أنشأت هذه الحضارة بتسلسل الزمن وتوالى الأجيال ومن واقع حياتها وابتكار أفكارها ووحى نفسها وشعبها العريق .

ولا أساس لما زعمه « جرجى زيدان » أنها نزلت مهاجرة من العراق وبابل وأنشأت حضارة بسرعة فائقة وبين عشية وضحاها فقد بينا خطل هذا الرأى وأنه رأى شخصى لجرجى زيدان وليس له أثارة من علم .

وهذه قائمة أسماء الملوك الذين عُثر على أسمائهم فى أنقاض الجوف معين وغيرها كما أوردها المنقبون وبلغ عددهم ٢٦ ستة وعشرين ملكا يشترك كل بضعة منهم فى اسم واحد ويتميز بعضهم عن بعض بالألقاب إذ كان لملوكهم نعوت تفخيم مثل قولنا الغازى والفاتح ، والناصر ، والمنتصر ونحو ذلك ، وهذه أسمائهم حسب تشابهها .

ملوك معين

عدد	اسم الملك	اللقب	عدد	اسم الملك	اللقب
١	اب يدع	بدون لقب	١٥	حفن صديق بن يثع كرب	بدون لقب
٢	اب يدع	يثيع أى المنقذ			
٣	اب يدع	ريام أى السامى	١٦	حفن ريام بن اليثع يأسر	»
٤	اليفع	بدون لقب	١٧	يثع إيل	»
٥	اليفع	بقيس أى الشهير	١٨	يثع إيل	صديق أى الصادق
٦	اليفع	يأسر أى السعيد	١٩	يثع إيل	ريام : السامى
٧	اليفع	يثيع أى المنقذ	٢٠	خال كرب	صديق : الصادق
٨	اليفع	ريام أى السامى	٢١	هو فعثت ابن اليفع	رِيام
٩	وقه ايل	يثيع أى المنقذ			
١٠	وقه ايل	نبيط	٢٢	معدى كَرِب	بن اليفع يثيع
١١	وقه ايل	صديق أى الصادق	٢٣	تبع كرب	بن يثع ابل ريام
١٢	وقه ايل	ريام أى السامى	٢٤	ام يثع	بن أبو كرب
١٣	حفن اب يدع	بدون لقب	٢٥	أبو كرب	» »
١٤	حفن اب يدع	ريام أى السامى	٢٦	يثع كرب	» »

الجملة ٢٦ ستة وعشرون ملكا ، وكان ملوك هذه الدولة يعرفون فى صدرها بلقب مَزْود كما كان ملوك « سبأ » فى أول الدولة يسمون « مكرب » ولعل هذين اللقبين يتضمنان معنى الكهانة فضلا عن الحكومة فيكون المراد بقولهم « مزود معين » حاكم معين وكاهنها ، وذلك قبل تحول الدولة إلى ملك عضود[1].

(١) جرجى زيدان ـ ٣٢

قلت : وبنو مزود ، والمزاود بطن فى أرحب ، ثم من حَكَمَ ، ثم من ذبيان ، وفيهم بقية ، ولهم نجدة ، وهم عتاة يمتون إلى أصل قديم .

ومع كثرة النقوش المعينيّة التى عثروا عليها وقرأوها ليس ثمة أثر تاريخى يساعد على تنسيق حوادثها ، أو مبدأ أمرها على أنهم استدلوا على أمرها من كلام اليونان والتوراة لا سواه ، وسيأتى اليوم الذى يكشف الحقائق مجلوّة إن شاء الله .

ويبدو أن دولة « سبأ » هى التى قَضَتْ على دولة « المعينيين » وأدخلتها فى حيازتها ، وبقيت معين بدون سلطان تعانى التجارة ، والتجارة فحسب ، إذ لا تزال لدينا الدلائل ضئيلة ، والمستقبل هو الكفيل بالتفاصيل الواضحة إن شاء الله تعالى ، والله الموفق .

الدولة السبائية الحضارية

فى العصور الذهبية

من الدول الحضارية التى قامت بأرض « الخضراء » دولة « سبأ » .

وهى كسابقتها دولة « معين » أى لم تعرف عند مؤرخى العرب إلا أنها اسم جد لسلالة « حمير » غير أنهم وَعَوا عنها أشياء فى ذاكرتهم بفضل القرآن الكريم الذى يتلونه كل يوم « لقد كان لسبأ فى مساكنهم آية »[1] إلخ .

فداهم هذا القصص القرآنى إلى التقاط ما ورد عنهم من أخبار وحكايات لأن القرآن لم يكن ليشير إلى « سبأ » وليس فى أذهان العرب الجاهلين عنها شىء أو لم يكن لديهم عنها قصة تروى فى مجالسهم ومنتدياتهم وإلا فما ضربهم المثل المشهور « ذهبوا أو تفرقوا أيدى سبأ » أى متفرقين كتفرق ولد سبأ ، إذ انبثاق هذا المثل لا يكون إلا عن انطباعات فى أذهانهم عن سبأ واندحاق سد العرم وكذلك خبر بلقيس مع سليمان صورة من ذلك القصص وكذلك ذو القرنين .

كما ورد ذكر « سبأ » فى أشعار العرب القدامى كالنابغة الجعدى والأعشى وغيرهما وجاء ذكرها أيضاً فى الأحاديث النبوية ، ولكن كما قلنا أن مؤرخى العرب لم يذكروا «سبأ» كدولة بل ذهبوا إلى أنه اسم جد لأولاد نسلوا منه ومنهم حمير بن سبأ الذى ورث الملك وسيطر على مشاعر العرب ومؤرخيهم دون سائر الدول أو الأسر كما سبق التعليل بذلك .

قال نشوان بن سعيد فى شمس العلوم « سبأ » اسم رجل يجمع قبائل اليمن وهو

---

(١) النمل

سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه السلام وسمى « سبأ » لأنه أول من سبا من ملوك العرب وأدخل إلى اليمن السبايا .

قال علقمة بن ذى جدن [1] :

ومنا الذى لم يسب قبل سبائه   سباء ومن دان الملوك مرارا

فهذا الأصل فيه ثم همز للفرق بين الاسم والفعل الماضى قال الله لقد كان لسبأ إلخ قرأ عبد الله بن كثير بغير همز والباقون بالهمز انتهى كلامه .

أما المستشرقون بفضل الآثار التى عثروا عليها فى مارب وصرواح فقد جعلوا سبأ دولة ذات سيادة وكيان ونفوذ وسلطان وأولى بأس شديد وهو الذى يتبادر إلى الأذهان وتمليه الحقيقة وتوحى إليه آيات التنزيل « وجئتك من سبأ بنبأ يقين » « قالوا نحن أولوا بأس شديد » النمل .

و« لسان اليمن » يشير إلى ذلك فى وصفه مأرب «وكر قحطان ودار المملكة» وكما كانت يطلق عليها وإلى يوم الناس هذا « بلاد سبأ » .

وأول من اهتدى إلى هذه الدولة المستشرق « هاليفى » وتبعه « جلازر » اللذان زارا مأرب وصرواح ووقفوا على أسماء الملوك الذى بلغ عددهم فى نظر جرجى زيدان ٢٧ سبعة وعشرين مكربا وَملكا بينما المستشرق « فلبى » أوصلهم إلى خمسة وسبعين بين مكرب وملك وقسمهم إلى أُسَرٍ وأجيال وفترة انتقال [2] .

وتبتدىء دولة «سبأ» فى رأى جرجى زيدان من نحو سنة ٨٥٠ ق . م . إلى سنة ١١٥ ق . م .

وهذا افتراض من جرجى زيدان تبعاً لبعض المستشرقين أن ابتداء هذه الدولة من أواسط القرن التاسع قبل الميلاد فيما إذا اعتبرنا الملك « يثعمر » أقدم رؤسائها

---

(١) راجع ج ١ – ١٠٢ الإكليل .

(٢) راجع الملحق لتاريخ العربى القديم ص ٢٩٢ .

وهذا الافتراض معرض للنقاش كما سلف لنا فبلقيس ملكة سبأ التي حكى الله عنها القصة مع سليمان كانت في القرن التاسع قبل الميلاد .

وإن التوراة ذكرت « سبأ » وهي في أيام موسى وقبل سليمان بثمان مائة عام ولا تذكر ذلك إلا وهي دولة قائمة بعيدة الصوت وأنه بطبيعة الحال قد سبقها ملوك وليست بلقيس أول ملك لدولة سبأ .

وكما سلف لنا أنه جاء ذكر سبأ في قرميدة «آجرة » عثر عليها في أنقاض آشور سنة ٢٥٠٠ ألفين وخمسمائة قبل الميلاد وهـــذه المناقشة مما يعترف بها جرجي زيدان .

وبما أن الموضوع يحتاج إلى بحث دقيق وشامل في أرض الوطن والاستقصاء أحد عوامل القول الفصل ، ولم يسمح الوقت لزيارة مارب وصرواح وغيرها للاحداث التي اجتاحت بلادنا في هذه الفترة العصيبة التي نعيش فيها وعبء النهوض بهذا الأمر الذي ننوء به حملا ونرزح تحت وطأته شاق وصعب فقد أرجئنا الحكم لليوم الذي يزخر بالحفريات وما ذلك على الله بعزيز .

وجريا على افتراض المؤرخ جرجي زيدان رجحنا العدول إلى قوله في عدد ملوك هذه الدولة دولة « سـبأ » كيلا نطيل على القارىء الكلام ونربكه فيما إذا مشينا على سنن المستشرق « فلبي » فالعدول إلى أقرب الطرق هو الوسيلة الوحيدة حتى يأتي اليوم الذي تكمل فيه الأسس السليمة .

وهذا جدول أسماء ملوك « سبأ » حسب تعاقبهم وكانوا يلقبون « مكرب سبأ» أي مُقَرِّب القربان للآلهة وهي صفة دينية فالمكرب هو الواسطة بين الآلهة والناس وهو الكاهن الذي يحكم باسم الآلهة الذي يتحدث باسمها ويقابل لقبه هذا « مزود » في صدر الدولة المعينية كما سبق ذكر ذلك .

ويوجد لدينا في الوطن الحبيب أماكن ومزارع كثيرة تسمى باسم مكارب ومكرب ولعلها قرابين وأوقاف قدمت للآلهة .



الملك ذمار على يهبر ملك سبأ وذوريدان ، عثر عليه فى مدينة النخلة الحمراء جنوب صنعاء سنة ١٣٥٥ هـ ، وتهشم رأسه بعمل المنقبين ، وهو من البرونز وعليه كتابة اسمه بالقلم الحميرى (متحف صنعاء)



« معدى كرب الحميرى »

يبدو أنه قائد جيش بملابسه العسكرية

واسمه مزبور على صدره (متحف صنعاء مما نقل من مأرب)

ولما ارتقى بهم الحال لقبوا بملك « سبأ » كالهم ألقاب خاصة غير ألقاب الدولة المعينية وهى هنا كما حللها المستشرقون خمسة « وتار » المظيم « يبين » المتاز أو المضيء ، و « ذرح » : الشريف ، والمحسن ، وينوف » السامى كما ترى فيما يلى فى هذا الجدول :

عدد مكارب سبأ	عدد ملوك سبأ
١ يثعمر	١ ذمر على
٢ ذمر على : ذمار	٢ ذرح
٣ يدع إيل بن ذمر على	٣ سمهعلى ذرح
٤ سمهعلى ينوف	٤ كرب إيل بن سمهعلى ذرح
٥ كرب إيل وتار ذمر على	٥ اليشرح بن سمهعلى
٦ يثعمر يبين بن سمهعلى	٦ يدع إيل وتار
٧ سمهعلى	٧ يثعمر
٨ يثعمر وتار بن سمهعلى	٨ كرب إيل وتار
٩ يدع إلّ ذرح بن سمهعلى	٩ يثعمر يبين
١٠ سمهعلى ينوف بن يدع إيل ذرح	١٠ يكرب ملك وتار
١١ يثعمر وتار بن يدع إيل ذرح	١١ يدع إيل يبين
١٢ يدع إيل يبين بن يثعمر	١٢ يريم أيمن
١٣ سمهعلى ينوف بن يثعمر	
١٤ كرب إيل يبين	
١٥ ذمر على وتار بن كرب إلّ	

فهؤلاء خمسة عشر مكربا واثنا عشر ملكا إذا اعتبرنا تعاقبهم من الآباء إلى الأبناء رأينا مدتهم لاتتجاوز ٢٣ ثلاثة وعشرون جيلا ويقدر الجيل ٢٥ خمسة وعشرين سنة .

وإن هناك أجيالا لم تصل معرفتنا بهم وذمر هو ذمار لأن القلم المسند يسقط الألف فى المكتابة لا فى النطق كما سلف .

وعلى تقدير « جرجى زيدان » فقد كانت مدة حكم دولة سبأ الحقيقية أو العصر السبأى ٧٤٥ خمس وأربعين وسبعمائة سنة .

وقد وفق « جلازر » فى تحقيق الزمن الذى انتقلت فيهما الدولة إلى العصر الحميرى من مقابلة ما لديه من الأساطير المنشورة وغير المنشورة فترجح له أن دولة سبأ الحقيقية تنتهى سنة ١١٥ قبل الميلاد كما سلف فى دولة حمير .

ويستدل من مقابلة أسمائهم أن السبائيين تدرجوا فى الحكم من الإمارة البسيطة أو الكهانة إلى الملك الواسع من النفوذ والحضارة الراقية كما يقع عادة فى بعض الدول .

ونوهت التوراة بغناء سبأ واسترخاصها الذهب النفيس الكثير كما ذكرت وفادة الملكة بلقيس بنت الهدهاد وكثرة ما أهدته لسليمان من الذهب الخالص وكذا ورد ذكر سبأ فى كتب مؤرخى اليونان ولم يتعرضوا لملوكها كما سلف .

وتعتبر « مأرب » و « صرواح » عاصمة الدولة السبائية الحقيقية . وصرواح أقدم من مارب فيما يظهر .

سبب انقضاء دولة سبأ الحقيقية

قد سبق لنا فى دولة « حمير » على رأى مؤرخى العرب أن ألمعنا إلى بعض الأسباب هنالك وبقى أسباب طبيعية .

منها خراب سد « مأرب » وانتقال عاصمة السبئيين إلى « ظفار الملك وهذا رأى مؤرخى العرب ، وهم يعنون بهذا السبب انقضاء دولة حمير .

ولما انفجر السد وتهدم العرم نزحت القبائل اليمنية إلى العراق والشام والحجاز وغيرها كما سلف وكما يأتى :

ومنها أن دولة السبئيين ذهبت تدريجاً بذهاب أسباب قوتها وتحول التجارة من مجراها الطبيعي إلى الممرات البحرية .

وهذا الرأي هو الذي فندناه عندما ذكرنا الدول الحميرية وتحول تجارتها عن ممرها البرى غير واضح البرهان وثم أسباب أخرى غير مدعومة بالحجة تركناها والله من وراء العلم .

مملكة قتبان[1]

من الدول الحضارية الكبرى مملكة قِتبان ، وقتبان بكسر القاف وسكون التاء المثناة من تحت ثم موحدة آخره نون بطن من رعين ثم من حمير كذا في اللباب وشرح القاموس .

---

(١) كنت عقدت العزم على إهمال هذه المملكة وطويت عنها صفحاً وأن لا أكتب عنها شيئاً لأن دراستي عنها قليلة ومعرفتي ضئيلة وبحيث لم تكن بالشهرة وانتشار ذكرها مثل دولة حمير وسبأ وبينما الكتاب قد أكمل صكه وسبكه وجاهز للطبع إذ ترامى إلى مسامعي وأنا مقيم بمدينة «تعز» العاصمة الثانية مجتمعاً بأخي الأستاذ العلامة إسماعيل بن علي الأكوع وذلك في غرة صفر سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م أن في جبل العود المشهور الواقع شمال قعطبة وهو مخلاف معروف - مأثرة عظيمة وحصناً أشم فيه مدينة كبيرة زاخرة بكتابات حميرية فاستخفني الفرح لقاء الكنز الدفين الذي لم تصل إليه يد البحث ولا يعرف عنه شيء وفي نفس الوقت سأمنح لقب الرائد الأول اليمنى للنص التاريخي العظيم فزميت الركائب ومعي أخي المذكور الذي عين في الوقت نفسه رئيساً لمصلحة الآثار فوصلنا إلى أرض رعين . وادى بنا وأقمنا في مدينة السدة في ذرى قاضيها محمد بن يحيى عبد الغني يومين متتاليين واستدعينا الأخ العزيز الأستاذ أحمد عبد الولي الأشول اليحصبي من قرية بيت الأشول لأنه الدليل الأول لزيارة تلك المنطقة قبل هذه المدة بأسابيع وأشاع أن القلم المسند هناك قتباني لأن له معرفة =

وقال ياقوت : قتبان : بالكسر موضع بنواحي عدن ،

وفي أحد نسخ الإكليل ج ٢ ص ٤١ قتبان بن ردمان ، وقتاب بن مالك بن

= جيدة بالقلم الحميري ونشاط زائد وحب عميق لتتبع مآثر قومه وإبرازها للوجود
وفي اليوم الثالث نزلنا على الرجل المضياف عبد الواحد العامري الشمري الرعيني في قريته النزهة أحد جنان وادي بناء « أشمح » .

وفي اليوم الرابع نزلنا ضيوفا لدن حاكم قضاء النادرة السيد عبد الغني أحمد الكمالي الرعيني واجتمعنا هناك بإخوان لنا كرام .

وفي الصباح الباكر من يومنا الخامس امتطينا متن سيارتنا يرافقنا الحاكم المذكور والأخ الأديب محمد بن أحمد السماوي العتمي وهو أيضاً يعرف قراءة المسند ، والأستاذ أحمد بن عبد الولي الأشول وثلاثة جنود أحدهم علي البكايلي ممثل قدير لمحاكات النشرات الأخبارية والإذاعة اليومية وإصدار قرارات وتعيين موظفين وإعدام بالموت وعفو بالحياة فتملأ السيارة ضحكا وقهقهة وكانت الطريق وعرة لم تعبد ولا كما ينبغي وكان لا بد أن نسرع شوقا إلى أرض الآثار وقبل أن ترسل الشمس خيوطها بحرارتها وكان الوقت صيفاً والأرض خضراء فاخترقنا الأودية والهضاب والشوق يحدونا والفرح يتقاذف بنا حتى وصلنا قرية «الصوبة» من مخلاف العود وعندها تنتهي طريق السيارات ووقفنا هنيئة حيث تناولنا طعام الإفطار وشيئاً من قهوة القشر والمعلبات وكي نأخذ راحتنا لأننا قادمون على صعود لاندري منتهاه وأيضاً مشياً على الأقدام وفعلا أظهرنا الهمة والنشاط وصعدنا العقبات والثنايا والتعاريج في فرح ومرح وبين الأهازيج والنوادر للضحكات التي كانت تخفف مشقة الصعود حتى قدمنا قرية « ذي الدروب » الواقعة في لحف جبل العود من شرقيه وهي قرية آل العودي الكرام نضرة الروى ذات قصور وعلالي شامخة وماسمعوا بقدومنا حتى هرعوا إلى الطريق ليأخذونا إلى منازلهم الرحبة المضيافة . وبعد اللتي واللتيا كان التمام أن نقف في كنف المسجد ووعدناهم عند الرجوع نصير إلى منازلهم العامرة فما لبثنا يسيرا حتى أحدقوا علينا وقدموا لنا عجالة المسافر من القهوة والمرطبات وعلب الفواكه فتناولنا من أخيارها مالذ لنا =

زيد بدون ضبط وفى قرية « الصَّنْع » من جبل العود موضع يسمى « قِتَّان » بكسر القاف وتشديد التاء المثناة من تحت آخره ألف ونون واصل الباء الموحدة قد أدغمت بالتاء المثناة من فوق وأن الأصل قتبان .

= وطاب شاكرين هذه الحفاوة الزائدة لهم وللأخ صالح بن على الدبيلى الذى شارك فى كرم الوفادة .

ثم عاودنا السير صعدا فى عقاب وثنايا ضيقة وصعبة المرتقى وقد تجمع معنا كوكبة من شيوخ قرية ذى الدروب وشبابها وكهولها وكلنا مرح وشوق والأهازيج الشعبية تتردد أصداؤها فى صوافح الجبل الشامخ المكسوة بذكى العضاة الندية والورود العطرية والأشجار المتفتحة عن أريج يملأ النفوس طيباً والهضاب نوحاً وعرفاً والمناظر تهدى إلى عينيك ومسامعك طربا وإلى جسمك نشاطاً وحياة وكلما تنسمنا نسيم الريح العليل والمباهج التى هى أبهج من الجنان باكرها الحياء أنسانا مشقة الصعود حتى تراءت لنا قرية « الصنع » ومعالم طريق الحصن فما رآنا أهل تلك القرية المذكورة حتى تلقونا بالحفاوة والترحاب وانضموا معنا حاملين معهم أخلاق العربى الأصيل ، وفى مقدمة من واجهنا الحاج ناصر الحاشدى وهو يتهلل كرما وجودا وأخلاقا ، وارتقينا إلى محل ذى ظل ظليل ، وماء عليل ومعين كالكوثر أبرد من الثلج وأعذب من العذب وأقمنا قليلا بينما تناول الأخوان القهوة والشاى أما الحاكم الفاضل فإنه أخذ فى التدخين لأنه مولع بالمداعة « الشيشة » ومفتون بها لا تفارقه لا فى حضر ولا فى سفر ثم سرعان ما عاودنا الصعود حتى تراءت لنا معالم الحصن الذى زبر على بابه المسند القتبانى وهو يلمع إلى أبصارنا ببعض سطوره وكأنها بسمة اللقاء وفرحة العناق :

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضدة وبرد أو أقاح

لأن الكتابة قد زبرت فى جانب الجبل الأصم وعلى يسار مدخل باب الحصن بحيث يرى بادئ ذى بدء بدون عناء ولوحة المسند براقة بيضاء كأنها قد طليت بشىء أبيض أو هو من أصل الصفاء ولكن ما بجانبه وجواره من الجبل هو العادى الطبيعى ، والحروف برزت من خلال هذا البياض وتقدمنا أماماً نحو المسند فما كان أحر ذلك اللقاء ، ولن نقول =

هذا كل ماجاء فى كتب العرب عن هذه الأمة وهذه المملكة ، وقد ظلت هذه البطن فى مواطنها الأصلية إلى زمن الفتح الإسلامى فهاجرت إلى الشام وأثرت ونبغ منهم علماء جلة ولم يبق لهم باليمن عقب ولا ذكر .

= كما قال موسى النبى عليه السلام « لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا »[1] بل نقول لقينا من سفرنا هذا فرحا وجذلا .

وتقدر مسافة الصعود من قرية ذى الدروب إلى الحصن ساعة وكسراً باعتبار أن مشينا كان وئيدا نتنسم ذاك النسيم الذى يفوح منه الأريج الفواح والمناظر الخلابة التى تسبى العقول .

وقعدنا أمام المسند وكأننا فى معبد فى خشوع ورهبانية محتضنين له اضيق الرقعة نمسح عنه غبار وقائع الدهر ونتساءل معه فى صمت وجلال ماذا شاهدت أيها الحصن الشامخ والقلعة الشهباء من ملوك وأقيال وحياة ناعمة وبدور طالعة وشموس ساطعة ونفوس مشرقة بالكمالات الإنسانية وقلوب مليئة بحب الإصلاح والخير للبلاد والعباد وماذا وماذا فيجيبنا فى صمت رهيب تتجاوب معه أصداء الدهر فى متاهة الماضى الغابر ونحن محدقون حوله كالهالة للقمر :

هنا الجلال هنا القربى هنا الرحم   هنا التبابع والأقيال والشيم
هنا النفوس الأبيات التى صنعت   تاريخها تزدهى مجدا به الأمم

وتتجلى لنا العظمة وتطيش أحلامنا فنسمع صوتا يدوى فى أعماق الماضى السحيق يتسلل إلى آذاننا فى خفوت وروعة :

تلك آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا إلى الآثار

ونحن بدورنا نردد فى عظة وعبرة :

رب رسم وقفت فى طلله   كدت أقض الحياة من جلله

وبعد أن أخذ كل مكانه وقابلنا المسند وجهاً لوجه لننقله حرفياً وليس معنا =

---

(١) الكهف

ومن رَوَى قطبان بالطاء والقاف فقدوهم ووقع فى الخطأ بالبداهة .

وأول من اكتشف هذه المملكة المستشرق « جلازر » فقط لأن بلاد

= للأسف رسامة بعد أن أعوزنا الطالب فتبين أن الظاهر من السند قرابة ثلاثة سطور فدعونا بالمساحى «المجارف» والمفارس فجىء بها بأسرع ما يكون وجد الركب الذى معنا بالنبش والحفر عن بقية السطور وإزالة الأتربة منه وإزاحة الصخور المتكدسة بجانبه إلى أن بدا كاملا وظهر واضحاً وكلما بدا سطر أزلنا عنه وعثاء الماضى وثقل القرون ، واتخذنا مكاناً لنقل السند وكانت الشمس ملتهبة محرقة تلذعنا بحرارتها وكنا نهزأ بها لما غمرنا من الجذل ومتعة النظر إلى تلك اللوحة الأثرية إذا ما زدته نظرا زادك حسناً .

وكان أحدنا وهو الأستاذ أحمد عبد الوالى يتأمل المسند ويتفصل حروفه ثم يملى علينا وأنا والأخ محمد السماوى نكتب بالقلم السند الحميرى ووقتاً نعاونه إذا أكدى ، وأطلنا المقام للتأمل لأن بعض الحروف قد تأكلت بعامل الزمن وتراكم الأتربة عليها وتساقط الأحجار حتى مل بقية الصحاب البقاء بين وهج الشمس فصعدوا الحصن ليتعرفوا إلى معالمه ويشاهدوا أطلال قصوره وما فيه من غرائب وعجائب وطال بهم التفرج وعادوا ونحن فى خلال النقل وقد لذعتهم سورة الجوع لأن الوقت قد حان قرب العصر فاستأذنوا بالهبوط إلى منازل الكرماء آل العودى بقرية « ذى الدروب » .

أما نحن فلم تفرغ من نقل المسند إلا بعد العصر أو الساعة العاشرة بالتوقيت المحلى إذ أنه يتكون من أربعة عشر سطراً وطوله متر وربع وعرضه كذلك وقد أضنانا البقاء بين وهج الشمس وطول الانحناء وتكرار النظر إلى المسند وإمعانه والتعطف بين الأتربة والرطوبة الناشئة من الأمطار القريبة العهد بها وقمنا من أماكننا ولم نستطع حراكا ولا تسنى لنا الصعود ولا الهبوط بل بقينا فى محلنا كأننا مسند من المساند وحاول الحاج ناصر الحاشدى عبثاً أن نعود إلى قريته « الصنع » التى جاء ذكرها فى المسند لتناول الغداء فلم نسعفه فتحتم عليه أن يرسل الغداء مع بعض كرائمه وأولاده حاملين له بمشقة بالغة ولسان حالهم يقول : =

القتبانيين لم يقصدها أجنبي من قبل ، والبدو هم وحدهم الذين استطاعوا أن يحتفوا

= ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا

وكان الجوع والضنا والتعب والحر والبرد قد بلغ منا كل مبلغ ولكنه يتلاشى بجانب ذلك الأثر العظيم وقدم بين أيدينا ذلك الطعام الميسور الذى ليس فيه كلفة الضيافة ولا صنعة المدنية الزائفة ولا .. ولا . . وسرعان ما التهمناه بنهم وشهية وبدون شعور غير لذة لا توصف ولم نعهدها ، وبعد الأكلة الهنيئة المؤلفة من الهريش المجروش البر ومن الخبز والدجاج تناولنا الماء والقهوة وحاولنا أن ترضخ للحرائر والصبى الغرير للطبوع بطابع البادية شيئاً من المال لقاء المشقة والأتعاب فأبدوا من الإباء والشمم وعزوف النفس مما يذكرنا بأجدادنا الأمجاد .

وحينما كنا نتفكه على جودة كتابة المسند وإتقان حروفه وحسن بروزها بين البياض وكيف استطاعوا رقمه على الصخر الأصم حدثنا الحاج ناصر المذكور بقوله إنه كان لحمير قلم يؤثر فى قطع الحجر بدون أى مشقة كما يؤثر المنشار المصنوع من الحديد فى قطع الصلب من الحديد وهذا لا يستبعد أن تكون لهم آلة من الأقلام تسهل لهم الرقم فى الحجر بسهولة أو مادة أخرى .

وبعد أن أخذنا حظنا من الراحة صعدنا الجبل الأشم وولجناه من بابه الرئيسى المسمى « باب النقر » وكان على مدخله رسم فارس ذهب بذهاب الأيام ومر الغداة وكر العشى ، ثم جلنا فى أنقاض البنايات وبعض من سطح الجبل الذى يقدر طوله بين أربعة أميال إلى خمسة أميال ممتدا من الشمال إلى الجنوب وينفرج منه جبل ممتد من الشرق إلى الغرب ووجدنا أنقاض مدينة كبيرة خاوية على عروشها ، وخزانات للمياه وأنفاق ومزارع ومستودعات (مدافن للطعام) وأشياء أخرى ولعل تحت الأنقاض ما لا يوصف وقد عثر على قطع ذهبية وخواتم ورسوم وتماثيل .

وللجبل ثلاث طرق أحدها فى الشمال الغربى والآخر فى الغرب الجنوبى وثالثهما وهو الذى منه صعدنا باب النقر الواقع على مقربة من قرية «الصنع» وكل الطرق إليه مصلولة مبلطة بالحجارة فتطلع الجمال وغيرها محملة بالأثقال ، والجبل فى ذاته استراتيجى هام يسيطر على مناطق كثيرة كما يرى من أعلاه جبل صبر وجملية مدينة «تعز» =

رغبة « جلازر » بعد أن علمهم طبع النقوش على ورق مخصوص ، وجاءوا له بعدد كثير من صور النقوش الكبيرة القتبانية .

= وجبل التعكر وحب بعدان وجبل « حمر » وسورق من السكاسك هذا من جهة الغرب ومن جهة الجنوب الشعيب ويافع والجبال المطلة على أبين ولحج ، ومن الشرق سرو مذحج بلاد البيضاء وإلى بيحان وما ناوحه ومن الشمال نقيل يسلح وضوران أنس ووصاب وبلاد ريمة .

وبعد تطوافنا على أبعاض الجبال ، أدينا الصلاة جمعاً وقصراً فى ثنايا الحصن وقد كاد قرص الشمس أن يجب يسقط وعدنا إلى قرية « الصنع » حيث بتنا فى بيت الحاج ناصر الحاشدى وتناولنا القات وشربنا الماء المثلج الطبيعى فى أيام الصيف وسمرنا إلى هدئة من الليل وحدى حادى النوم وأخذنا مضاجعنا فكان نوما هادئاً وليلة سعيدة وفى الصباح الباكر قدم لنا ميسور الطعام للافطار فأخذنا منه القدر الكافى شاكرين للحاج ناصر كرمه وأخلاقه وودعناه منصرفين ومنحدرين فى العقبات نتدحرج كالحجر من عل ولم يقر بنا القرار إلا فى ذرى آل العودى بذى الدروب وحاولوا جاهدين البقاء ذلك اليوم فى ضيافتهم وفى إصرار منا وتشدد منهم أرجعوا الأمر إلينا فاخترنا الرحيل ذلك اليوم فودعونا إلى ثنايا الوادى شاكرين حفاوتهم وتقديرهم وهرعنا بسرعة تصحبنا تلك الفرحات والنسمات ونشوة الظفر والنصر حتى وصلنا قرية « الصوبة » وامتطينا السيارة التى كانت فى انتظارنا وأخذت تنهب الأرض الخشنة الصعبة حتى وصلنا النادرة حيث تناولنا الغداء عند الحاكم غنى النفس وواصلنا السير عائدين أدراجنا والعود أحمد .

هذا الأمر الذى جعلنى أعيد النظر فى مملكة « قتبان » وما بعدها وأن أضعها نصب عينى وفى اعتبارى ووضعت لها هذا البحث الخاص لأنها أخذت منى كل مأخذ .

ثم التفت إلى الماضى القريب فذكرت أن الرائد الأول لاكتشاف هذا الأثر فى هذا الجبل هو الأخ العلامة السيد عبد الرحمن يحيى الأريانى اليحصبى رئيس المجلس الجمهورى اليوم حينما كان حاكما لقضاء النادرة حوالى سنة ١٣٥٧ وسنة ١٣٥٩ وعثر فى أعلا الجبل المذكور على تمثال رأس ثور من البرونز أهداه فيما بعد للدكتور أحمد فخرى المصرى سنة ١٣٦٦ هـ حينما اجتمع به بمدينة « تعز » كما لمح لنا الحاج ناصر الحاشدى السالف الذكر فى كلمة عابرة أن أحد الأجانب زار هذه المنطقة .

وذهبت بعثة أمريكية علمية يرأسها « فيندل فيلبس » فى عام ١٩٤٩ م وسنة ١٩٥٠ م مؤلفة من طائفة من المتخصصين إلى وادى بيحان للتنقيب عن الآثار وزار « تمنا » المدينة القتبانية وبعض المواضع القريبة منها ، ولكن للأسف الشديد لم تظهر نتائج رحلته إلى حال كتابة هذه السطور وربما تكون للنتائج التى سيتوصل إليها بعد دراسته أهمية كبيرة فى توجيه تاريخ العرب قبل الإسلام .

ولم يذكر جرجى زيدان مملكة قتبان الا كمنغبة الطائر الفزع أى ذكر الاسم دون الشرح والتحليل .

والذى أفاض فى دراسة هذه المملكة هو المؤرخ «جواد على» فى صدر كتابه ج ٢ - ٨ فإنه عقد لها فصلا مستقلا كما ألم بقسط منها كتاب التاريخ العربى القديم وملحقه ونحن نلخص ما جاء فيهما بإيجاز ونعقب على ذلك بما كشفناه فى الآونة الأخيرة .

ولقدم « قِتْبَان » أشار بعض كَتَبة مؤرخى اليونان كأسترابون وبلينوس وغيرهما إلى القتبانيين كأمة من الأمم العربية الجنوبية دون أن يتحدثوا عنها سوى طريق تجارتهم ووصفهم للأحوال الاجتماعية واسم مساكنهم كل ذلك باللغة اليونانية غير المعروفة عندنا مع الأسف .

واختلف الباحثون عن ابتداء هذه الدولة ونهايتها فيميل العلامة « هومل » فى رأيه إلى أن ابتداء هذه الدولة يعود إلى زهاء ألف سنة قبل الميلاد ونهايتها القرن الثانى قبل الميلاد وهو الوقت الذى انقرضت فيه مملكة « قتبان » وقد جمع منها ثمانية عشر ملكا حكموا هذه المدة .

بينما أرجع «فلبى» أيام سمه على إلى حوالى ٨٦٥ قبل الميلاد .

ويرى جلازر أن نهاية هذه الدولة كانت فى القرن ٢٠٠ أو ٢٤٠ مائتين أو مائتين وأربعين قبل الميلاد .

ويرى البرانت أن بداية هذه الدولة كانت فى القرن السادس قبل الميلاد ، ونهايتها كانت عند خراب مدينة « تمنا » عاصمة القتبانيين أى حوالى سنة خمسين قبل الميلاد .

ولا بد أن ألقى دلوى بين الدلاء وأبدى رأى فى هذا الموضوع فأقول إن ظهور حكومة «قتبان» على مسرح التاريخ كان أقدم مما قاله «هومل» أى أنها ظهرت قبل الألف سنة قبل الميلاد بدليل النقش الذى عثرنا عليه فى جبل العود فلامح قدمه وصور حروفه تدلى بعراقته فى القدم كما يبدو أن المملكة القتبانية تأسست أولا فى موطنها الأصلى « قتبان » بلاد ذى رعين وفى هذا الجبل بالذات ثم امتد نفوذها نحو المشرق وأسست عاصمتها الثانية فى « بيحان » وستبدى لنا الأيام ما يؤيد هذا الرأى إذ البحث متواصل عن الآثار فى هذه المنطقة فان المكتبات فيها كثيرة خصوصا فى شعاف الجبال ومخارم الحيود وهذه ظاهرة بارزة لم تكن فى غير مملكة «قتبان» والغالب عليها لوجود الجبال فى ممتلكاتها .

أما نهايتها فلم يتحدد بعدُ عندى لأن الوقت لم يحن للجزم بذلك وحتى تصلنا الكشوف الأخيرة ، وتقضى على هذه الآراء المضطربة ، ويتاح المزيد من الاكتشافات لأن ما وصل إلى يد الباحثين لا يبعث على الاطمئنان لأن النقوش لا تزال قاصرة .

وتمتاز هذه الدولة بدقة إصدار أوامر رسمية تخص الضرائب واستيفاء الجباية وسن القوانين الجنائية والأحكام الشخصية والجزائية التى تنظم علاقات الأفراد بعضهم ببعض وأحوال التجارة فهى تعتبر أقوى دولة يمنية نظمت داخليتها والقيام بأعمال عمرانية كشق الطرقات وفتح الأنفاق لإيصال الممرات الجبلية بعضها ببعض ، وصلها بالجسور بأقرب الوسائل والقيام برصفها ورصها بالأحجار وتبليطها خاصة

بالأسفلت ، وكذا تنظيم المرافق الحيوية كالأحواض للمياه والمناهل ونحو ذلك[1] .

ولا تزال نظم الري القديمة والممرات شاهدة على ذلك فى العاصمة جبل العود « وتمنا » وفى غيرها حتى اليوم كما أن النقود الأثرية التى عثر عليها بالمدينة المذكورة وفي « حريب » وفى أماكن أخرى والتماثيل المصنوعة من المعدن وبعض المصنوعات المعدنية الأخرى تشير إلى تقدم القتبانيين وضربهم بسهم وافر فى المدنية والثقافة .

ولم تكن حكومة « قتبان » مستبدة تبت وَحدها فى شئون الحكومة والرعية فقد كان لهم « مشاور » أى مجالس شورى فى المدن والقرى والقبائل تساعد الملك فى تقديم مشورتها ورأيها فى مسائل الحكومة الخطيرة فى السلم والحرب كما كانت تبت فى المسائل الأخرى التى لا مساس لها بالقضايا العامة كالحكم بين الناس فى الخصومات والمنازعات وكان الأشراف يتفاخرون ببناء مجالس الشورى ويعدون ذلك سعادة وقربى للملك وللآلهة تجلب لهم الرضى والعافية ويسجلون كتابة عليها فى أبرز محل ليطلع عليها الناس .

وأزهى عصور الدولة القتبانية التاريخية عند بعض المستشرقين هو الممتد من سنة ٣٥٠ إلى ٥٠ قبل الميلاد أى خمسين وثلاثمائة إلى خمسين سنة . إذ يقول هذا البعض أنه وصلته مجموعة من النقوش واطلع على أهمها ، ومنها يتبين أن « قتبان » كانت فى ذلك العصر الذهبي هى المملكة الوحيدة فى بلاد العرب الجنوبية حيث أخضعت لسلطانها كلا من « معين وسبأ » لكن حدث قبل الميلاد أن غزا شعب غير معروف عاصمة « قتبان » وأحرقها كما ظهرت مملكة أخرى إلى عالم الوجود

---

(١) راجع جواد على ج ٢ الفصل الأول

تسمى مملكة سبأ وذو ريدان ، وقد قامت على أنقاض كل من « قتبان » و «معين»[1] .

أين تقع مملكة « قتبان »

الذى يبدو لى من النص الذى عثرنا عليه فى جبل العود ، والذى يضارع النصوص التى عثر عليها فى « تُمنا » ، أن مملكة «قتبان» تمتد من وادى بيحان وحريب شرقا إلى باب المندب والتهائم ، وما سامت هذا الوجه غربا ، فتأخذ مثلا بلاد مراد وردمان وسرو مذحج ، وبلاد رداع وأرض يحصب الذى فيها «ريدان» ثم أرض رعين ، ثم تتجه غربا فيدخل بعدان والسكاسك الذى منها الجند ، وحمر الذى جاء ذكره فى النفس ، وحمر أيضاً جنوب العود ، ثم جبل « صبر » الذى جاء ذكره فى النص أيضاً ، والواقع فى سفحه « مدينة تعز » ، ثم مخلاف المعافر الذى ورد ذكر « دُبحان » فى نفس المسند وهى فى منطقة المعافر ، وكذا ورد فى النقش الذى فى العود ذكر « أخلة » أحدهما مخلاف فى سرو حمير : يافع ، وثانيهما بلدة من الشعر ثم من ذى رعين .

ومما جاء فى النقش المذكور «ذودان» أو « ذو ذودان » وهو موضع وجبل فى العود من شماله .

وأعتقد أن نفوذ هذه الدولة قد سيطر على مقاطعات كبيرة ، ومنها أبين ولحج بما فيهما « عدن » بدليل ما ذكره ياقوت .

والخلاصة : أن نفوذ « قتبان » قد أخذ يزداد فى عصورها الذهبية ، حتى الشمال ومعظم جنوب اليمن فى ذلك الحين بما فيه حضرموت ، أو ما يسمى اليوم اليمن الأسفل مع المناطق الشرقية .

---

(١) جواد على والتاريخ العربى القديم .

ومما استدليت به على قدم «قتبان» إن مؤرخى الخضراء «كلسان اليمن» ، و «نشوان» لم يعرفا عنهما شيئاً يستحق الذكر غير ما سبق لبعد العهد بها .

أما عاصمة «قتبان» ، فمما يظهر من النقوش هنا وهناك أنه كان لها عاصمتان إحداهما مدينة «تمنع» كما جاءت فى كتب المستشرقين .

والصحيح كما حدثنى أهل بيحان أن العاصمة تسمى «تُمْنا» بضم التاء المثناة من فوق وسكون الميم ثم نون وألف مقصورة باسم البئر الموجودة بظاهر «الهجر» المدينة بلغة حمير المستعملة لهذا العهد والهجر هى أنقاض مدينة قتبان «تُمنا» وهى العاصمة الرئيسية للدولة ، وتقع فى وادى بيحان الذى كان يزخر بالخصب والعمران وثانيهما جبل العود ، هذا الحصن الواسع الأشم الذى كان كهمزة الوصل يوصل بين غرب المملكة وشرقيها ، وقد يتخذ حيناً للنزهة والاختلاء وإراحة النفس من المتاعب والمشاكل أو مركزاً هاماً لتلك المقاطعة الاستراتيجية .

هذا وقد وضع الباحثون فى العربية الجنوبية قوائم بأسماء حكام «قتبان» غير أنهم لم يتفقوا فانتخبنا منها قائمة «فلبى» لأنه حدد الزمن لمبدأ ونهاية «قتبان» بتخمين وحدس لا على جهة الجزم واليقين ، وتتألف أسمائهم كما يلى :

(١) سمه على : وهو مكرب ولم يعرف اسم والده ، وقد حكم على تقديره فى حدود سنة ٨٦٥ قبل الميلاد .

(٢) هوف عم يهنعم بن سمه على ، وهو مكرب كذلك حكم فى حدود سنة ٨٤٥ قبل الميلاد .

(٣) شهريَجِل يهرجب بن هوف عم ، وقد جعله ملكا حكم فى حوالى سنة ٨٢٥ قبل الميلاد .

(٤) ورواِلّ ، ورو إيل غيلن : غيلان يهنعم بن شهريَجِل يهرجب ، وقد كان ملكا فى حوالى سنة ٨٠٠ ثمانمائة قبل الميلاد .

(٥) فرع كرب يهوضع بن شهر يهرجب وشقيق ورو إلّ ، وقد كان ملكا حكم فى حوالى سنة ٧٨٥ قبل الميلاد .

(٦) شهر هلل: هلال بن ذرأ كرب بن شهر يجل يهرجب ، وقد كان ملكا حكم فى حوالى عام ٧٧٠ قبل الميلاد .

(٧) يدع اب ذبين : ذيبان يهرجب من شهر هلل «هلال» ، وقد كان على رأى فلبى مكربا وملكا حكم فى حدود ٧٥٠ قبل الميلاد .

(٨) . . . . بن شهرهلل « هلال » ، وقد كان حكمه حوالى سنة ٧٣٥ قبل الميلاد.

(٩) شهر هلل « هلال » يهنعم بن يدع اب ذين : ذيبان يهرجب ، وكان ملكا حكم حوالى سنة ٧٢٠ قبل الميلاد .

(١٠) نبط عم بن شهر هلل « هلال » حكم فى قرابة سنة ٧٠٠ قبل الميلاد .

(١١) يدع اب ينف «ينوف» أو يجل بن يهنعم بن ذمر على أو شقيق شهر هلل « هلال » بن يدع اب ذيبان يهرجب ، وقد حكم حوالى سنة ٦٨٠ قبل الميلاد.

(١٢) . . . . وقد حكم فى حوالى سنة ٦٦٠ قبل الميلاد .

(١٣) سمه وتر بن . . . . حكم حوالى سنة ٦٢٠ قبل الميلاد .

(١٤) ورو إلّ بن سمه وتر وحكم حوالى سنة ٦٢٠ قبل الميلاد .

وترك فجوة قدرها بنحو من عشر سنين بين الملك المتقدم والملك الذى تراه ثم ذكر

(١٥) اب شبم[١] لم يعرف اسم أبيه ، وقد حكم على تقديره فى حوالى سنة ٥٩٠ خمسمائة وتسعين قبل الميلاد .

(١٦) اب عم بن اب شبم[١] وكان حكمه فى سنة ٧٥٠ قبل الميلاد .

---

(١) أى شبام كما هى القاعدة فى القلم المسند كما نبهنا على ذلك .

(١٧) شهرغيلان بن اب شبم[1] وقد كان حكمه من سنة ٥٥٥ خمس وخمسمائة إلى سنة ٥٤٠ قبل الميلاد .

وفى سنة ٥٤٠ أربعين وخمسمائة كانت نهاية مملكة (قتبان) على رأى (فلبى) فاندمجت فى مملكة (سبا) وأصبحت جزءاً منها .

وأنت ترى أن (فلبى) واهم فى هذا التقدير كما بيناه سابقاً .

أما قائمة البرايت فقد بدأ باسم سمه على « مكرب » وختم باسم شهرهلل « هلال » وخراب « تمنا » ، ونهاية استقلال مملكة « قتبان » فى نهاية حوالى سنة خمسين قبل الميلاد ودخول « قتبان » فى حكم ملوك حضرموت .

أما هومل فقد شرع باسم « شهر » وجعلها جمهرات أى مجموعة ملوك ومكارب وختم ذلك باسم « ورو إلّ » وروايل غيلان بينهم .

وهناك قائمة « رودوكنناكس » ، ويتألف من جمهرات أيضاً قدم فيها (إب شبم) وأنهاها بيدع (إب يجل) .

هذا ما سجله القلم لمملكة (قتبان) ، وستأتى الأيام بتحقق رغبة الباحثين راجياً من الله أن تكون على أيدى اليمنيين الخاص لأنفسهم وبلادهم ، فكفى استجداء من أيدى الناس حتى فى العلوم والآداب ، وحتى لماعون بيوتنا ، فصاحب البيت أحق بما فيه ولأهله ، وهو أجدر بالنفع ، وفق الله قومى وهداهم سواء السبيل .

---

(١) أنظر الهامش السابق .

مملكة حضرموت الحضارية

أوعب مؤرخو العرب والأخباريون وأصحاب المعاجم ـ الكلام عن حضرموت ولونوا الكتابة عنها ألوانا شتى فمن جغرافيتها الى اشتقاقها إلى تاريخها إلى أول من نزلها وتعليل تسميتها إلى غير ذلك مما لم يبق مجال لقلم العلم التزيد فيها كما كان لقلمنا نصيب من ذلك فيما سبق وفيما هنا .

وعلى الخصوص « لسان اليمن » الذى أوقف قلمه السيال فى خدمة وطنه الحبيب الذى من ضمنه حضرموت فإنه أفاض القول فيه وحلى جيد كتبه بالتغنى بها وتطريتها بأسلوبه الدقيق الممتع فكتابه « صفة جزيرة العرب » خصص بحثاً لحضرموت تناولها من جميع النواحى فذكر بلدانها ومدنها ومسالكها ومن يسكنها ونحو ذلك كما عقد مواضيع شيقة فى الجزء الأول والثانى من الإكليل فى أنسابها ومعارفها .

وهو أيضاً الوحيد بين المؤرخين الذى أولاها عنايته من الناحية التاريخية والسياسية ومن الناحية الأثرية كما عودنا أبو محمد « لسان اليمن » ففى الجزء الثامن من الإكليل يحدثنا عن محافدها والأماكن الأثرية فيها فيذكر منها « حصن النجير الأثرى المشهور وحورة ودمون وتريم موضع الملوك من بنى عمرو بن معاوية ، و « شبوة » العاصمة القديمة لحضرموت إلى غير ذلك .

ويحدثنا عن ملوك كندة وأنه كان منهم سبعون ملكا متوجا آخرهم الأشعث بن قيس الكندى الصحابى الجليل .

ورمز القرآن إلى عاد ومملكتها بالأحقاف من حضرموت وما كانوا عليه من نعمة وقوة كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، ثم جاء مؤرخو العرب ففاضت أقلامهم عن هذه الأمة وعظمتها ما أتاح لهم القول مستندين إلى الآيات القرآنية

وإلى ما نقلوه عن الأخباريين وتلقفوه عن القصاص ورُواة الشعر وغيرهم بدون تفصيل ، وتلاعب الخيال العربى بأذهان الناس إلى هذه الغاية .

ولاتساع رقعة « حضرموت » فقد احتفظت بسمعتها وظل اسمها صامدا طوال القرون وحيًا على مر السنين لهذا فهى تستطيع أن تفخر على شقيقاتها الدول المارة الذكر التى عاشت قبل الميلاد ثم ماتت أسماؤها أو قل ذكرها .

كما أن اسم حضرموت مدون فى كتب مؤرخى اليونان والرومان وكُتِبَ لذلك التسجيل الخلودُ حتى هذه الغاية رغم ما فيه من تشويه ونقص .

كما وردَ اسمها فى التوراة ، وأنها اسم الابن الثالث لأبناء قحطان « يقطان » ومعناه بالعبرية (دار الموت) ، ونقله العرب عنها إلى كتب الأنساب .

وتجىء الأسطورة الرامية إلى أن النبى صالحا عليه السلام أو غيره حضرها فمات محاولة من العلماء فى اشتقاقها ، ثم امتزج الاسمان وصارا اسما واحداً .

ويهمنا فى هذا البحث هو لفت نظر الباحثين إلى أن المؤرخين العرب لم يذكروا فى تواريخهم عن الدول الحضارية فى هذا الصقع شيئاً سوى أمة عاد قوم هود عليه السلام كما سلف .

وبالدرجة الأولى ما ورد فى النقوش التى استنطقها المستشرقون ، ووقفوا على تلك الكنوز الثمينة التى أظهرت حضرموت على سطح الخضراء دولة لها حظرها وشأنها كان عنها مؤرخوا العرب جاهلين .

وسنلم باختصار ما جاء فى التاريخ العربى القديم وتاريخ جواد على فى ج٢ـ٦٤

لم يهتد الباحثون إلى ترتيب زمن قيام دولة حضرموت لا بدايتها ولا نهايتها إلا افتراضات قد يكون لها مفعولها فى الظروف الراهنة لقلة النقوش التى وصلت إلى أيدى الباحثين فى العربيات الجنوبية .

كما لم أقف بالذات عن من تنبه إلى نفض الغبار عن هذه الآثار فى هذا الصقع

غير أن جواد على نوه أن بعثة بريطانية قامت بأعمال الحفر فى موضع يقال له «الحريضة» مذاب قديما عثرت على معبد الإله « سين » وهو يرمز إلى القمر ، ولم يتوصل إلى نتيجة قطعية لتاريخ هذا المعبد ومن قبيل الظنون أنه يرجع إلى القرن السادس أو الرابع قبل الميلاد كما عثر على عدة كتابات تبين أن بعضها سبئية وعثر أيضا فى مدينة «ميفعة» التى تعتبر اليوم من بلاد الواحدى وفى شبوة أيضا وغيرهما .

وتتفاوت أقوال الباحثين للعربية الجنوبية عن مملكة حضرموت فيقول البعض أنها اندمجت ردحا من الزمن بدولة معين ، ويقدرها « فابى » بقرابة ثلاثة قرون إلى نحو ٦٥٠ قبل الميلاد وتشير بعض النقوش إلى الروابط المتينة بين معين وحضرموت وتستقل حينا آخر ثم تندمج فى سلطان السبئيين أو القتبانيين وهذا هو القول المعول عليه إلى أن يقول صاحب الملحق ص ٢٧٤ :

وعلى كل حال فالنقوش التى تحت تصرفنا لا تمدنا بشخصيات هامة استطاعت أن تعتلى عرش حضرموت إبان فترة تبلغ نحو ثلاثة قرون أو أكثر بالرغم من كثرة الآثار التى عثر عليها منذ أن كتب « هومل » فصله الخاص بالتاريخ مع التنويه بالذكر بالفائدة العظمى التى عادت علينا منها فى فهمنا لحضرموت داخل إطار الدول العربية الجنوبية الأخرى إذ لا يوجد نقش من هذه النقوش يشير عن قريب أو بعيد إلى ملك حضرمى جلس على عرشها قبل عام ٢٠٠ ق . م وأن جاءت عدد من الملوك لا نعرف شيئا عن الزمن الذى جلسوا فيه على عرش حضرموت إلى آخر كلامه .

أما ملوك حضرموت كما يذكرهم عدد كبير من المؤرخين من بينهم « فلبى » فهم كما يلى :

(١) ١٠٢٠ ق . م « صدق إل » ابن ملك حضرموت ومعين وقد حكم فى تقديره حوالى سنة ١٠٢٠ ق . م .

(٢) ١٠٥٠ ق . م شهر على (ابن الملك السابق) ملك حضرموت أخوه الأكبر المسمى « اليفع يشع » خلف الوارث على عرش معين .

(٣) ٩٨٠ ق . م . معدى كرب (ابن اليفع يشع) .

٩٦٠ ق . م ابنا الملك الثالث لم يُخْلِفَاهُ على عرش حضرموت الذى اندمج فى مملكة معين « معين » وهكذا على طيلة ثلاثة قرون حتى عام ٦٥٠ ق . م كما سبق التنبيه على ذلك .

(٤) ٦٥٠ / ٥٩٠ ق . م إل سمع ذبيان (ابن ملك كرب) ويدع إل .

(٥) « ابن سمه يفع » ٥٩٠ ق . م اندمجت حضرموت فى سبأ أو قتبان ٥٤٠ ق م أصبحت حضرموت جزءاً من سبأ حتى عام ١٨٠ ق . م .

(٦) ١٨٠ ق. م يدع إل بين (ابن رب شمس) أصبح مؤسس مملكة حضرموت الجديدة وعاصمتها « شبوة » منذ عام ١٧٥ ق . م

(٧) ١٦٠ ق . م إل ريام يدم (ابن الملك السابق) .

(٨) ١٤٠ ق . م يدع اب غيلان (اخ الملك السابق)

(٩) ١٢٠ ق . م . إل عز (ابن الملك السابق اخ أمين)

(١٠) ١٠٠ ق . م . يدع اب غيلان (ابن أمين وابن اخ الملك السابق) .

(١١) ٨٠ ق م . يدع إل بين « ابن الملك السابق » .

(١٢) ٦٠ ق . م . فجوة فى التاريخ غير معروفة

(١٣) ٣٥ ق . م (عم ذكر ابن) ربما لم يملك .

(١٤) ١٥ ق . م. إل عز يلط (ابن السابق)

(١٥) ٥ ق . م . الهن اود صلقن « ابن السابق » .

(١٦) ٢٥/٦٥ م إل عزياط [ابن السابق آخر من جلس على عرش حضرموت الذى يحتمل أن تـكون قد اندمجت فى مملـكة سبا

(١٧) ٦٥ م . اب بسع بن أبى مكرب ولم يكن ملـكا

(١٨) ٨٥ م . يرعش ابن السابق « « «

(١٩) ١٢٥/٢٩٠ م . لا نعرف مكربا ولا ملـكا فى هذه الفترة لـكن يحتمل أن حضرموت كانت تُحكم بواسطة مكربين تحت سيادة سبا وذوريدان حتى اندمجت فيها فى عام ٢٩٠ م

هذه قائمة « فلبى » وقد اقتصرنا عليها رعاية للاختصار ويخالفه البرايت وغيره فارجع إلى الملحق ص ٢٧٧ وجواد على ٢٥ - ٩٠

هذا ويظهر من خلال الدراسة أن العلم قد وقف صامتا إزاء أعمال هذه الدولة وما قامت به من نشاط عمرانى وسياسى واجتماعى فلم تحدثنا المصادر المذكورة آنفا التى تعتمد على النقوش بشىء يبعث على الارتياح غاية ما فى ذلك أنها تحدثنا عن الآلهة والقرابين غير أن الأستاذ فؤاد حسنين على يقول فى ملحقه ص ٣٧٩ :

وإذا انتقلنا إلى نظام الحـكم والحالة الاجتماعية للشعب وجدنا أنفسنا أمام مملـكة كغيرها من الممالك العربية الجنوبية فبالرغم أن الملك يستمد قوته من حقه المقدس إلا أنه كان يحكم مملـكته حكما دستوريا إلى جانبه كان يوجد مجلس عام كما أن المدن كانت تحكمها حكومات محلية تشبه نظام الأقيال وكان هؤلاء الأقيال : « العُمدَ » فى عرف بعض الأقطار الشقيقة يُعيّنون بالانتخاب ويعاونهم مجلس من الشيوخ كما يعبرون اليوم « بالمجلس البلدى » .

أما الشعب فكان فى مجموعه شعبا ارستوقراطيا (يريدُ نظام الطبقات) ويقر

الرق ، وكان متدينا متسامحاً يحترم المرأة ، ويقدس نظام الأسرة ، مخلصاً لوطنه ومليكه .

ويُرجّحُ أن بعض أنظمة الحكومات العربية الجنوبية قد نقلت إلى الفينيقيين وإلى بعض شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط ، وكثير من المدن اليونانية .

وتعتبر مدينة « ميفعة » الواقعة فى بلاد الواحدى اليوم وكانت من حضرموت العاصمةُ الأولى لدولة حضرموت

وثانيهما « شبوة » بفتح الشين المعجمة وسكون الباء الموحدة وفتح الواو وبعدها هاء وهى مدينة قديمة أثرية تقع على الجادة من حضرموت إلى مكة ومنها إلى اليمن الأم والعواصم القديمة (تُمنا ومارب ومعين ونجران) وغيرها فهى ملتقى القوافل ومحط الرواحل فى العالم القديم .

ولاتزال آثارها ماثلة للعيان وبها أنقاض معابد وقد عُثِرَ بها على نقوش وتماثيل وغير ذلك وأشار إلى هذه الآثار الرائد الأول للاستشراق (نيبور) المتقدم الذكر وتقوم على تل مستدير الشكل وبها اليوم أهل وسكن ولا زالت تابعة لحضرموت إلى عهدنا هذا .

كما أنها غنية بالبترول ولعل بعض مؤرخى اليمن السابقين لمح إلى وجود « النفط » بها .

وذكرها « لسان اليمن » فى كتبه كلها وأشاد بها ، وتسمى فى آداب اليونان والرومان (سُيونا) .

وتبعد عن مارب بثلاثة أيام شرقاً .

مملكة أوسان أو إمارة أوسان

أَوْسان بفتح الهمزة وسكون الواو وآخره نون بطن من حضرموت ثم من حمير الأصغر

ولم يتكلم عن هذه الدولة أو الأمة أحد من كتاب العرب لا فى معاجم اللغة ولا فى كتب التاريخ ولا فى الأنساب ولا فى معجم البلدان .

والذى يعود له الفضل فى ذكرها هو مؤرخنا الشهير « لسان اليمن » والإمام نشوان بن سعيد الحميرى والهمدانى هو المجلى فى جميع محافل العلم والمعارف فقد نوه بأوسان فى جميع كتبه الموجودة تحت أيدينا وأورد نسبها فى ج ٢ - ٢٦٩ من الإكليل وأنها من ولد حضرموت بن سبأ الأصغر وكانت أولا فى حضرموت وتنقلت بها الأحوال إلى أن استوطنت (وادى ضهر) شمال صنعاء ولهم بقية وكان قبيلا كبيراً فيهم الأقيال والأذواء .

ومنهم محمد بن أحمد الأوسانى أحد أساتذة الهمدانى الذى تلقى معارفه وعلوم اليمن القديمة منه وكان يحسن جيداً قراءة الكتابات العربية بالمسند .

واقتداء بلسان اليمن فقد حلينا جيد هذا التأليف بذكر هذه الدولة وتبعاً للعلامة جواد على ج ٢ — ٩٣ والأستاذ الدكتور فؤاد حسنين على فى ملحقه لكتاب التاريخ العربى القديم ص ٢٩٨

أما جرجى زيدان فلمح إلى هذه الدولة لمحا فى عرض وسرد قائمة قبائل ذكرها اليونان والرومان كما يأتى فى آخر هذا البحث .

وأيضاً ذكرناها كيلا ننسب إلى الجفاء والعقوق لأجدادنا الذين ضربوا الرقم القياسى فى الرق والحضارة ولتعرف الناشئة من أبنائنا كل ما قد طفا على

سطح الخضراء من أسلافه بفضل النقوش التى أنارت للسالكين معالم المدنية الزاهرة .

وهذا ملخص ما وقفنا عليه يقال إن سبب ظهور أوسان على مسرح التاريخ أن الضعف قد دب إلى دولة « سبأ » وأخذت قبائل أخرى تظهر على المسرح السياسى وتُنافس سبأ فى السياسة مثل خولان وهمدان وسمعى وشامر وذو ريدان وغيرها ، وقد أضر هذا التطور السياسى « بسبأ » ضررا بليغاً إذا انتهزت دولة أخرى الفرصة ووطدت أقدامها فى جنوب غرب البلاد السعيدة وأخذت تنافس سبأ من ناحية وحضرموت من ناحية أخرى واستمرت هذه المنافسة عدة أجيال ، وأخيرا فرضت دولة أوسان نفسها فرضا .

ويعتقد جواد على أن أرض أوسان جزء من مملكة « قِتبان » ومناطق أخرى كانت تابعة لهذه المملكة وعدد أماكن — نأتى عليها فى آخر البحث — مستدلا بالنقش الذى عُثِرَ عليه والذى مؤداه نشوب حرب بين الملك « كرب إل وتار » وبين « أوسان » فاستولى الملك السبئى المذكور على مدينة « شرجب » وساق جيوشه إلى أوسان فقتل ستة عشر ألف رجل وأسر أربعين ألفا واحتل أماكن كانت تابعة لأوسان وقبائل أخرى ثارت على قتبان وانفصلت عنها ودخلت القبائل الأخرى فى هذه المملكة .

ولم يشر أحد من المؤرخين المذكورين إلى أول من اكتشف هذه المملكة من المستشرقين غير ما تكلم به جواد على بقوله ان هذه المملكة الصغيرة لم تَجُدْ علينا حتى الآن بعدد كثير من الكتابات ووهبت لنا بضعة من التماثيل من رخام يجوز أن تعد من أنفس ما عثر عليه من النفائس فى شبه جزيرة العرب وهى تماثيل بعض ملوك أوسان وتعد أول تماثيل تصل إلينا من تماثيل ملوك العرب .
هذا رأى المؤرخ جوادعلى



يصدق إيل فرعم عت ملك أوسان
ابن معد إيل سلحان ملك أوسان



زيدم سيلان بن معد إيل
ملك أوسان



معد إيل سلحان بن يصدق ايل ،
ملك أوسان



رأس ملك سبئي ،
أو قيل

ولا يعرف من هؤلاء الملوك شيئاً يذكر من أعمالهم . أنظر رسوم الملوك الثلاثة .

ويعتقد « فلبى » أن أول ما ظهرت المَلَكِيَّة فى أوسان كان حوالى عام ٣٣٠ ثلاثين وثلثمائة قبل الميلاد وقد ظلت قائمة حتى حوالى عام ١١٥ ق. م. خمس عشر ومائة قبل الميلاد ولعل أشهر ملك جلس على عرشها فى تلك الفترة هو (يصدق إل فرعم شرح عت) وهو كما يظن « فلبى » ابن « معدل سلحان » وهذه شجرة النسب نوردها كما فى الملحق :

(١) ٦٢٠/٦٠٠ ق. م. موتو بن ، ذُكِرَ كملك لأوسان وقد هزمه الملك السبئى كرب إلّ وتار

(٢) ٢٣٠ ق م. زيد بن من قبيلة بغيثات أوّل ملك

(٣) ٢١٠ ق. م معدل سلحان ابن الثانى

(٤) ٩٠ ق م. يصدق إلّ فرعم شرح عت . . ابن الثالث وكان أخا زيد سلن سيلان وكانت له أخت

(٥) ٢ — ١٧٠ ق م معدل إلّ سلن ابن الرابع ، أى سيلان

(٦) ١٥٠ ق م. يصدق إلّ فرعم عم يثع ابن الخامس

(٧) ١٣٥ ق. م فرعم زمهان إلّ شرح ابن السادس

(٨) ١٢٠ ق. م. عَمّ يثع غيلان لحى ابن السابع

١١٥ ق.م. ضُمّت أوسان إلى سبأ وذوريدان بعد انتصار يَهَحْضب

وَثَمّ رأى آخر يغاير رأى (فلبى) وأن أوسان غير ما يصورها (فلبى) ولكن لم يبرز هذا الرأى إلى حيز الوجود .

وهذه أسماء القرى أو المدن التى ذكرها « جواد على » المأخوذة عن النقش الذى اطلع عليه نضعها جملة ثم نعرفها بما وصلنا من العلم عنها بعد البحث الدقيق وهى توافق رأيه أن هذه المواضع كانت جُزءاً من مملكة قتبان .

حمان ، وانعم ، و . . حبن ، ودياب ، ورِشا ، وجرْدان ، ودتنت ، وتفد ودَهَس ، وتَبْنى ، وأودم ، ونعمان ، وشرجب .

وإليك ما وقفنا عليه من معرفة هذه البلدان ومواقعها بعد البحث من المراديين وأهل بيحان وهم من مراد أيضاً (١) .

«حمان» بفتح الحاء المهملة والميم وآخره نون : أنقاض موضع بأعلا «مرخة» المعروفة شرق بلاد البيضاء ، و « رشا » بكسر الراء : أنقاض بلدة تقع فى بنى عبد من مراد جنوب الجوبة ، و«جردان» ضبطه الإمام نشوان الحميرى فى شمس العلوم بضم الجيم وسكون الراء آخره نون بزنة فُعْلان ، بلد شرق اليمن تسكنه جعفى من مذحج وذكره «لسان اليمن» فى كتابه صفة جزيرة العرب وهو معروف اليوم من جنوبنا اليمنى قرب«مرخة» وقد ذكرناه فى محله من هذا التأليف ، و«دهس» بفتح أوله وسكون ثانية آخره سين مهملة ، و«تبنى» بفتح التاء المثناة من فوق وسكون الباء الموحدة وآخره ألف مقصورة : موضعان متاخمان لمرخة وشرقى مسورة مرومذحج بلاد البيضاء ، و « نعمان» و «شرجب» موضعان أعلا وادى بيحان ، وليس كما قال «جواد على» فى شرجب أنه بين الجوف ونجران فذلك وهم ، وشرجب أيضاً شرق مدينة «جبن» من بلاد رداع وشرجب أيضاً من المعافر : الحجرية .

هكذا أفادنا الوالد الشيخ عبد الحقَ القِبَلى المرادى وغيره من البيحانين المراديين فيما فسرناه من الأماكن ، أما بقية المواضع وهى : حبن ــ وربما تكون

---

(١) راجع صفة جزيرة العرب بإخراجنا

جُبن (بضم الجيم) – وديان ، ودننت ، وتند ، وأودم ، فلم نقف عليها ولا يبعد أن تكون قريبة من هذه الأماكن .

والذى أراه شخصياً أن أوسان انتقلت من حضرموت إلى وادى مرخة ، وأسست مملكتها على أنقاض مملكة سبأ وقتبان ، وتوسعت على حساب الدولتين ، بدليل النقوش والتماثيل والمساند ، والقطع الذهبية الموجودة حالياً فى متحف التواهى ، وبدليل الأماكن السالفة الذكر التى أوضحنا معالمها .

ولما ذهب ريحها وأفل نجمها انتقلت جماعة منهم إلى وادى ضهر ، كما سلف قريبا عن الهمدانى .

هذه هى الدول الكبرى الحضارية الرئيسية أو شبه كبرى كأوسان التى كانت مصدر إشعاع للحضارات من أقدم القرون السحيقة كما كان لها صدى عظيم فى عالم النور بفضل اكتشاف الآثار التى جاءت مصداقاً لما فى ورق مؤرخى العرب لدول الخضراء الذين يسمون بها دولة حمير ، وذهبت باطلا مزاعم الذين فى قلوبهم غلٌ الذين أقاموا حضارة راقية عريقة تَفيّء فى ظلالها دول أخرى .

أما الدويلات الفرعية أو الصغيرة التى ذكرها « لسان اليمن » فى الجزء الثامن من الإكليل ، وفى صفة جزيرة العرب منخرطة فى سلسلة دولة حمير ، وهى كما يلى :

سخيم التى كانت مساكنها فى « شبام القصة » الذى يقال له تارة « شبام الفراس ، وشبام ذى مرمر » الواقع شمال شرقى صنعاء .

وكذا معاهر ، الذى وردت بذكره المساند فى وعلان « ردمان » وسارع ، ويسمى اليوم « المِعْسَال » شرق رداع .

وشمر ينعم بن شراحيل صاحب مدينة « حصى » فى السرو البيضاء .

وذو الجناح فى المعافر : الحجرية .

وذو يهرّ صاحب بيت حنبص فى الجنوب الغربى من صنعاء .

وغير هؤلاء فهم أشبه بأقيال كبار ، كانت لهم مقاطعات كبيرة تمكنوا من أن يقيموا أبهة الملك وزينته ، كما وإنا قد استوفينا الكلام عنهم فى غير هذا الموطن .

أما ما ذكره « جرجى زيدان » عن اليونان دون أن يتعرضوا لأعمالهم ، ولا لمدنهم سوى تجارتهم فحسب ، كما أنهم لم يذكروا فى الكتب العربية فهم كما يلى :

الجبائيون ، والقريون ، فنرجح أن الجبائيين أمة من المعافريين نسبوا إلى مدينتهم « جبَاء » الأثرية المشهورة قديماً بعاصمة المعافر ، الواقعة فى فجوة جبل صبر[1] ، والمعافريون لهم نشاط معروف وملموس فى التجارة وانسياح فى تضحية ومغامرة لمزاولة الاتجار حتى أنهم استعمروا فى القديم سواحل أفريقيا الشرقية إلى ساحل الذهب .

أما القِرّيون فورد ذكرهم فى الأنساب باسم «القِرِّيّة» بكسر القاف وتشديد الراء المكسورة ، والياء المثناة من تحت مشددة ، وآخره هاء ـ ابن عنس بن مذحج ، ولهم بقية فى مساكن متاخمة لمساكن رعين . أو إلى قَرِيَّة بفتح القاف وكسر الراء ، وتشديد الياء ، ثم هاء ـ ابن الحارث بن أصبح من حمير ، كذا فى الإكليل ج ٢ ص ١٦١ ـ ١٧٤ ، والأمر يحتاج إلى استقصاء .

---

(١) انظر صفة جزيرة العرب بإخراجنا

هذا ما سنح تسجيله فى هذا المكان ، ولنا لفتة نحو هذه المواضع إذا بقى لنا متسع من العمر إن شاء الله .

حملة اليوس غالوس

إتماما للفائدة ونباهة لقدر الخضراء وشأنها وأنهم - كما وصفهم الله على لسان ملكتهم - « أولو قوة وأولو بأس شديد » وأنهم من أباة الضيم وبلادهم أمنع من عقاب الجو نذكر هذه الحملة أو الغزوة ملخصة .

لم يذكر هذه الحملة « كُتّابُ العرب » ولا مؤرخيهم ولا دارت فى خلد عالم منهم لأنهم لم يقفوا عليها لا على عين ولا على أثر لا فى النقوش ولا فى الورق ، ولم يسجلها غير مؤرخى الرومان واليونان الذين كانوا منها بمرأى ومشهد وإن كان فى بعضها تحيز ومجانفة ثم نقلت إلى تواريخ العرب المعاصرين الذين يهتمون بالوطن العربى ككل ويحاولون جاهدين رفع شأوه إلى مكانته اللائقة به وإلى عصوره الزاهية الزاهرة حياهم الله وخلاصتها كما يلى :

ساد الرومانُ العالمَ القديمَ ولكنهم لم يسودوا العرب ، فحملتهم الشهيرة التى جردوها من مصر عام ٢٤ ق م. برأسها والى مصر إيليوس غالوس باءت بالفشل الذريع .

وقد تألفت هذه الحملة من جيش قوامه ١٠٠,٠٠٠ (مائة ألف) مقاتل يناصرهم أحلافهم الأنباط ، وذلك فى مُلْك « أوغسطس قيصر » ، وكان غرضهم بهذه الحملة الاستيلاء على طرق النقل التى احتكرها عرب الجنوب ، وفى نفس الوقت استغلال مرافق اليمن ومواردها الطبيعية لمصلحة « رومة » .

ولقد أقلعت هذه الحملة من السويس تؤازرها قوة الأسطول البحرى ، وكان قائدها من الأنباط ، وبعد أن مضت شهور على توغلها فى الجنوب صادفت من العقبات ما اضطرها إلى النكوص ، بعد أن فتكتها الطوارىء فتكا ذريعاً ، وبعد أن خلفت قتلى وجرحى كثيرين .

ثم انقلبت عائدة إلى نجران ، التى قد كانت قد احتلتها ، وهى ساحبة ذيل الخزى وعار الهزيمة ، متجهة نحو البحر الأحمر ، واستغرقت العودة ستين يوماً .

ويقول الجغرافى اليونانى « استرابون » مؤرخ تلك الحملة ، وصديق قائدها « ايليوس غالوس » :

إن المصاعب والأخطار التى جابهتها هذه الحملة إنما تعزى إلى خيانة الدليل « سيلاوس » سفير الأنباط .

وهذه مبررات من المؤرخ المذكور ، وإنما هى قوة اليمنيين وصلابتهم ، وذودهم عن حياض حماهم وعرين عزهم .

هكذا نقل مؤرخوا العرب المعاصرين هذه الحادثة عن المؤرخ والجغرافى اليونانى « استرابون » .

وكما قلنا آنفاً إنه تجانف عن الحقيقة ، فقد جاء الأستاذ « مكسيم دامنتو » الأستاذ فى جامعة السربون ، ومؤلف « جنوب الجزيرة العربيّة » فكشف القناع عن هذه المعركة التى كانت فى نجران بتفصيل وافٍ عثر عليه بين أنقاض الآثار .

وخلاصة ما كشف عنه الأستاذ مكسيم أن المعركة كانت بين اليمنيين والرومان انتهت بانتصار اليمنيين، وسحق الجيش الروماني، لا أنّ الصحراء ابتلعتهم، والأخطار والأمراض التهمتهم، ولا هنالك خيانة من الأنباط كما زعم استرابون المؤرخ المذكور.

بل هذا هو المصير الذى آل بأول وآخر غارة ذات بال قصدت بها دولة أوربية لاكتساح داخل الجزيرة العربية، وهو أيضاً نفس المصير لكل غاز للبلاد السعيدة، كما ننوه بذلك فيما بعد. انتهى هذا الموضوع وبانتهائه انتهى الفصل الرابع، والله ولى التوفيق.

الفصل الخامس

الحبشة وخبر ذى نواس

تطلق الحبشة على هضبة مرتفعة مستديرة الشكل تحيط بها أرض منخفضة من جميع الجهات فهى تطل من الشمال ، والغرب على سهول السودان ، ومن الجنوب على هضبة كينيا القليلة الارتفاع ، أما الشرق فيفصلها عن البحر الأحمر والمحيط الهندى صحراء الدناكل ، والأوجادين[1]

والذى أسماها « الحبشة » هم أجدادنا القدامى لأن أول من نزلها قبيلة يمنية تسمى « الحبشة »[1] التى لا زال لمسماها قبائل فى الوطن الأصلى اليمن تمت بصلة وثيقة إليها كبنى حُبيش وجبل حُبيش والحُبيشية ، وأماكن تسمى « ذوحَبَشان » بأسماء أقيال وأذواء إلى غير ذلك من الأسماء التى توجد بين ثنايا البقاع والناس كما كانت تسمى فى الآداب المصرية « نوبت » وفى التوراة « كوش » وأسماها اليونان « أثيوبيا » أى الوجه المحترق ، أو الأسود .

ويقول الجيولجيون : « إن اليمن والحبشة أو بعبارة أشمل أن قارة أفريقيا وقارة آسيا كانتا رتقا وقطعة واحدة متصل بعضها ببعض ، وذلك قبل عصور التاريخ ثم جاءت عصور لا يعرف مداها ففتقت ما بينهما أى ما بين القارتين أو اليمن والحبشة بوجه خاص لقربهما وانفصل أحدهما عن الآخر .

وهذا القول يحقق لنا الأسطورة التى يتناقلها خلفنا عن سلفنا وكأنها حقيقة واقعية — أن بعض ملوك حمير قام بعملية الفصل والفتق ما بين اليمن والحبشة

---

(١) راجع تاريخ حق ج ٧٣٦ ، وتاريخ أثيوبيا — ٧

بحفر مضيق باب المندب وأوصل البحرين بلتقيان البحر العربى بالبحر الأحمر فهذه الأسطورة لها أصل تؤيده نظرية علماء طبقات الأرض ، والله من وراء العلم .

ومهما يكون الفصل سواء كان طبيعياً أو سياسياً فقد دفعت الخضراء موجات بشرية كبرى من أقوى هذه القبـــائل القادمة من قبيلة يمنية تسمى « الحبشة » وهى التى أعطت البلاد اسمها الذى عرفها به العرب كما سبق ذلك قريبا واستمرت هذه الموجات والهجرات تتدفق على الحبشة عن طريقين : اريتريا ، والصومال .

ولكى نفهم كيفية دخول العنصر اليمنى على مر السنين إلى الحبشة هو ما نشاهده اليوم ونلاحظه مما هو حادث الآن فأهل اليمن بما فيهم حضرموت تغص بهم جميع بلاد (الحبشة) الصغيرة منها والكبيرة يحترفون التجارة ويسيطرون على المرافق الحيوية ويزرعون ويقلعون مما دعى سكان البلاد الأصليون إلى أن يضيقوا بهم ذرعا وهذه ظاهرة يمكننا اعتبارها استمراراً لما حدث فى الزمن القديم والأقرب منا عهدا فى دولة القواسم[1]

وقد كان هؤلاء القادمون أكثر ثقافة من أهل الوطن الأصلى وأرقى حضارة وكان زنوج البلاد على درجة كبيرة من البَداوة ولا يحسنون من الزراعة إلا الزراعة البدائية بينما القادمون يمارسون الزراعة بدرجة متقدمة باستعمال الآلات الزراعية فعلم القادمون أهل البلاد هذه الزراعة المتقدمة كما علموهم تخطيط الأرض وجعلها قطعاً وشرفات ترتفع على جوانب الطريق كما علموهم تخطيط الأرض وفن بناء المنازل والدور بدلا عن الأخصاص والأكواخ وكذا الخزانات من أجل الاستفادة من مياه الأمطار الموسمية وكذا وسائل التجارة ومعاناة المعاوضة وعلموهم أيضاً الكتابة

---

(١) راجع قصيدة الحافظ محمد بن إسماعيل الأمير

إلى غير ذلك من وسائل العلم واستقر بهم المقام وطاب بفضل سلاحهم المتقدم ونشاطهم وخبرتهم فوضعوا الحجر الأساسى لدولة حبشية ذات مدنية راقية وعمران زاهى واستطاعوا أن يكتبوا لأنفسهم السيادة على العناصر القديمة التى ما فتئت أن ادركت من الحضارة درجة لم تكن لزنوج البلاد الأصليين أن يبلغوها لولا إندماج العرب بهم(١) .

وأنت إذ جُلت اليوم بلاد الحبشة وَجَدْتَ العنصر الفعال للحياة وتبادل المنافع وإقامة المتاجر وبناء الدور واتخاذ المزارع هو العنصر اليمنى الأمر الذى أوجد عليهم حساسية وغيظا وحنقا من السكان الأصليين .

وقد فضل هؤلاء العرب لذكائهم ووجود شبه بلادهم اليمن الخضراء بطباع بلاد الحبشة التى نزلوها أن يسكنوا الجهات المرتفعة من الهضبة وتركوا الوديان والجهات المنخفضة للسكان الأصليين يعيشون فيها كما كانوا يفعلون من قبل وهربوا من المنخفضات لما فيها من المستنقعات وكثرة الحرشات التى تولد الحميات والوباء فكونوا هؤلاء العرب القادمون من اليمن مملكةً فى الركن الشمالى للهضبة التى تتكون منها مجموع الحبشة عرفت فيما بعد بمملكة اكسوم .

ولما توالدوا وتكاثروا وتكيفوا بكيفية البلاد وطبعتهم بطابع اللون الحبشى الزنجى وتناسوا أصلهم وبلدهم وانفصلوا عنها وانفصلت عنهم وخاق فيهم جوّ من الطموح والغرور وأحبُّوا التوسع فلما عادوا إلى اليمن عادوا فاتحين ودعاةً للمسيحية التى اعتنقوها فى القرن الرابع الميلادى فى إحدى الغزوات كما قيل وما اسم أبرهة ابن الصباح الذى خرج مع أرياط ثم قتله إلاّ من تلك السلالات اليمنية وكذلك اكسوم وأبويكسوم وبلد أكسوم .

---

(١) تاريخ حق وتاريخ أثيوبيا.

قال لسان اليمن ج ٢ – ١٥٧ من الإكليل فى نسب أبرهة بن الصباح بن شرحبيل وكان أبرهة الفيل سمى أبايكسوم ولم يزل هذا الاسم فى حمير منها كيسم وكسيم واكسوم بن الأسود « ومنها وطن كسمة فى ريمة جُبْلان : الأشايط »[١].

هذا هو الرأى السائد عند أكثر الباحثين من أن أصل الأحباش عرب هاجروا من اليمن قبل إزمان التاريخ مستدلين بتشابه اللسان وأحرف الكتابة

---

(١) والذى أراه شخصياً أن أبرهة بن الصباح الذى خلف أرياطاً فى مملكة اليمن باسم الأحباش هو يمنى المحتد للأسباب الآتية :

(١) إنما اعتنق النصرانية عن كثب طمعاً فى الملك والسيادة ثم تعصب لها باستمرار

(٢) أن اسمه واسم أبيه أسماء يمنية وتحمل طابعاً يمنيا لذلك التاريخ .

(٣) أنه لما عاث ارياط فى وطنه وأذل قومه ساءه ذلك فانتقم منه بالقتل بتلك الحيلة المشهورة فى تواريخ العرب ولكى يتوصل إلى ما تطمح إليه نفسه وهو الملك ثم استرضاء ملك الحبشة بتلك العلالة التافهة المذكورة بالتواريخ ورضى بها خوفا من خروج اليمن بأسره إلى يد أهله

(٤) أن الكتابة التى فى سد مارب تعطينا صورة حية أنها كتابة باللغة اليمنية وبالقلم المسند الحميرى ولو كان حبشى الأصل لزبر ذلك بالقلم الأمهرى الذى هو فرع من الحميرى ليخلد ذكر الدولة الحبشية فى زبرهم هذا .

(٥) أن الغزاة الفاتحين قل ما يقومون بإصلاح أو تجديد ما هدموه وإنما يحاولون طمس كل أثر من آثار من سلفهم ومحوه بالكلية كما هو طبيعة الملك وحب الأثرة وإنما يحاول الفاتح أن يبنى له حسبا جديدا ومفاخر خداعة للجيل الذى هو فيه ولمن بعده بزعم إصلاح البلاد وإنما يهمه الاستغلال وإذلال الأمة.

(٦) أن الوفود اليمنية التى تقاطرت إلى مارب لتهنئة أبرهة وأعانته من ملوك الحيرة اللخميين بالعراق ومن الغساسنة ملوك الشام ومن الكنديين ملوك نجد ليس الدافع لهم رابطة الدين بل رابطة القربى والرحم مضافاً إلى أنه يهمهم ترميم السد الذى هو مظهر من مظاهر مجدهم وعزهم ومعجزة من حضارتهم ولو كان أبرهة حبشى الأصل لما قدموا عليه وستكشف الأيام ما يوافق هذا الرأى .

والاتصال المباشر وبما أسلفناه من نشاط الرجل اليمنى وكسل الزنجى يوخى واقع بلده وما مرت عليه من أدوار التاريخ .

ومن المحتمل أن تَفَرّق قبائل اليمن حوالى منتصف القرن الأول الميلاد من انفجار سد مارب أسفر عن هجرة بعض القبائل إلى الشام والعراق قد أدى إلى نشاط حركة الانتقال إلى الحبشة أيضاً وازدياد الجالية اليمنية وكانت قد تقاطرت جموع العرب إلى ساحل إفريقية الشرقية قبل الفتح الإسلامى ومن بعد حيث اختلط دمهم بدم السكان الأصليين .

وما القلم الأمحرى المستعمل الآن فى الحبشة والقبيلة التى تسمى امحر وكذا القبيلة التى تسمى الأجعز الموجودة فى الحبشة إلى اليوم ، والتى ذكرها الهمدانى فى ج ٢ ص ٢٣٦ من الإكليل ، وأنها من يحصب إلا تصحيف القلم الحميرى والقبيلة الحميرية ، وقبيلة الأجعز المعروفة إلى اليوم ، وكذا اللغة الأجعزية المؤدبة لا زالت فى الحبشة .

وقال فى التاريخ العربى القديم ص ٣١ تحت عنوان «الحبشة» وليس الساميون الذين خلفوا لنا فى بلاد الحبشة آثاراً وآدباً هم الذين ما زالوا حتى اليوم يقيمون فى بلادهم العنصر الأصلى الذى يتكون منه السكان الأصليون فيها بل هم فيما أعتقد أولئك الذين هاجروا إليها من البلاد العربية السعيدة لأن لغتهم عبارة عن لهجة عربية جنوبية وما تزال اليوم قريبة من العربية بالرغم من وجود العناصر الحامية لها ، أما اللغة أما الخط أما الثقافة فسبائية منذ البداية .

ذلك لأن المهاجرين من بلاد العربية الجنوبية نزحوا إلى البلاد فيما يظهر فى قرون بعيدة قبل الميلاد وأسسوا هنالك ووضعوا الأسس لدولة الحبش التى أخضعت فيما بعد فى القرن السادس الميلادى ـ بلاد العرب الجنوبية لسلطانهم انتهى .

وقوّى هذا الرأى العلامة « هومل » ، والعلامة « جلازر » ، والمؤرخ « سديوه » الألمانى فى التاريخ العام ، و« كارل بروكلمان » فى تاريخه الشعوب الإسلامية ص ١٥ ، وغيرهم .

وهذا هو القلم الأمحرى الحبشى مع الحروف الحميرية والعربية

	الأمحرى	الحميرى	العربى	الأمحرى	الحميرى	العربى	الأمحرى	الحميرى
ا	አ	𐩱	س	ሰ	𐩪	ك	ከ	𐩫
ب	በ	𐩨	ش	ሠ	𐩦	ل	ለ	𐩡
ت	ተ	𐩩	ص	ጸ	𐩮	م	መ	𐩣
ث	...	𐩻	ض	ፀ	𐩳	ن	ነ	𐩬
ج	ገ	𐩴	ط	ጠ	𐩷	و	ወ	𐩥
ح	ሐ	𐩢	ظ	...	𐩼	ه	ሀ	𐩠
خ	ኀ	𐩭	ع	ዐ	𐩲	ى	የ	𐩺
د	ደ	𐩵	غ	...	𐩶			
ذ	...	𐩹	ف	..	𐩰			
ر	ረ	𐩧	ق	ቀ	𐩤			
ز	ዘ	𐩸						

وأنت ترى أن القلم الحبشى الأمحرى مختزل من الحميرى ، وقد أسقطوا من حروف الهجاء الثاء والذال المعجمة والظاء المشالة ، والغين المعجمة أيها ما أنها مستقلة بذاتها وليست مأخوذة من القلم الحميرى ، وقد وضعنا إزاءها القلم العربى للحروف اليوم والقلم العربى الحميرى القديم لتفهم جيداً أن الشبه بين القلمين الحميرى والأمحرى قوى جداً ، وإن كان فيه تحوير وتبديل واختزال .

الاحتلال الحبشى والملك ذو نواس

اشتهرت الأمة اليمنية بين الأمم القديمة أنها الأمة التى لم يدنس أرضها قدم فاتح ولا حنت عنقها لنير الاستعمار ، ولم تنكسف فى يوم من الأيام على ممرّ التاريخ شمسُ حريتها بل تحطمت عنجهيتها على صفاة إبائها وارتدت عن أبوابها خاسرة ذليلة كما فى حملة « اليوس » ، وكما قيل أخيراً « أنها مقبرة الغزاة » ، وكما يمر بك فى العصور الإسلامية[1] .

فلما دب إليها عوامل الضعف ، وأشفت على الشيخوخة والهرم ، وتحكم فيها الاختلاف ، ودخلتها الأديان المتضاربة التى أدت إلى وهنها .

وكانت الحبشة التى نسيت أصلها العربى فى إبان نهضتها ، وعنفوان مجدها ، وعزة عظمتها قد أغراها ماتعانيه اليمن من التدهور والاضطراب ، وغرّتها الأطماع ولأسباب سياسية ودينية دفعها القياصرة لغزو اليمن ، فجردت حملة قوامها سبعون ألفاً لغزوها وضمها إلى ممتلكاته ، فلم تلق صعوبة ، ولم تجابه قوة مماثلة .

ويذكر المؤرخون المعاصرون أن للحبشة عدة وثبات لغزو اليمن فى إحداها أنها احتلت السهول التهامية ، ولم تلبث طويلا حتى طردت ساحبة ذيل الهزيمة ، وهذه الغزوات لا شأن لنا بها ، لأنها لم تؤيد بقائم من الأدلة ، كما أنها محتاجة إلى دراسة وتمحيص خالص من شائبة الدغل ، ولم تسمح الظروف لاستكمال البحث واستيفاء الدراسة ، لهذا أرجئنا الكلام عنها لفرصة سانحة .

والذى يُهمنا فى هذا البحث هو الاحتلال الذى ذكره مؤرخوا العرب ، والذى كان له أثره البالغ فى تغيير مجرى تاريخ اليمن الخضراء .

واختلف المؤرخون المذكورون فى الأسباب التى دعت الحبشة إلى فتح اليمن ، فمؤرخوا اليمن يعزون هذا الفتح إلى الصراع الدينى الذى قام بين اليهودية

---

(١) قال الإمام هشام بن محمد الكلبى : لم يزل ملك اليمن لايطمع فيه طامع حتى ظهرت الحبشة ، ابن جريج — ٥٤٥ .

والنصرانية التى ذكرناها فى حديثنا عن نجران كما وعدنا الاستيعاب هنا فحال دون التمام أنها وصلتنا كتبٌ قيمةٌ بهذا الصدد، ونقوش ذات بال، والكتاب قد كمل تبييضه، فأعقبناه بهذه الكلمة .

وكانت اليهودية قد انتشرت فى اليمن، وأصبحت دين الدولة الرسمى، إذ اعتنقها الرؤساء والأقيال والأذواء، ومَنْ دونهم .

الملك ذو نواس

وكان على عرش التبابعة ومملكة ريدان : ظفار الملك وسبأ وحضرموت ويمنات شاب فى مقتبل العمر لم يُطَرّ شاربه، ولا بَقَلَ عارضاه، أبلج، كريم المختبر والمحتد، جميل الطلعة، صبيح الوجه، باسم الثغر، أوتى بسطة من العلم والجسم، عريق الجدين، سهل الخدين، مُعِمّ، مُخول، يقطر ماء الجود والكرم من محياه، من بيت المملكة، وصُبَابة حمير، ذاك هو زرعة بن عمرو بن حسان ينتهى نسبه إلى التبع أسعد الكامل، وأمة سلمى، أو مسكية من بنى عبد المدان بن قطن سادة نجران وهامة مذحج، ويقال : إن خاله عبد المدان .

وتسمَّى يوسف لجماله، وقيل : لمّا تهوّد، وَنُبِزَ بذى نواس لأنه كان له ذؤابتان تنوسان على رأسه، ولما كان لذى نواس من المكانة التى تضرب بها الأمثال، قال عمرو بن معدى كرب الزُّبَيْدِي يرد على عمر بن الخطاب رضى الله عنهما لمّا قسا فى خطابه له :

أتوعدنى كأنك ذو رعين ... بأغبط عيشة أو ذو نواس
وكائن كان قبلك من نعيم ... وملك ثابت فى الناس راسى
قديم عهده من عهد عاد ... عظيم قاهر الجبروت قاسى
فأمسى أهله بادوا وأمسى ... يحوّل من أناس فى أناس

ويعرف بصاحب الأخدود ، وتسميه المصادر اليونانية « دميانوس »[1] .

ومن ولد ذى نواس بنو سُخْط أهل مدينة مَنْـكَث بحقل يحصب وهو بيت مخصوص بالشرف والسؤدد .

وكان ذو نواس ـ كما وصفنا شديد التمسك باليهودية متعصبا لها فبلغه انتشار النصرانية فى « نجران » كما قوى عزيمته أحبار اليهود الطارئين فغزاهم كى يعيدهم إلى اليهودية فلاقى صلابة فى إيمان وإصرار فى يقين الأمر الذى دفعه إلى حفر أخدود وجمع فيه الحطب وأضرم فيه النار وكان يخيرهم بين الرجوع عن النصرانية أو قذفهم بالأخدود فاختاروا القتل والإحراق بنار الأخدود فكانوا يلقون بدون شفقة أو رحمة وفى ذلك يقول الله تعالى: «قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ إذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بالمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، ومَا نَقَمُوا مِنْهُم إلا أنْ يُؤْمِنوا باللهِ العَزِيزِ الحَمِيد»[2] فكان القتل وكان التمثيل وكان الإحراق والخراب لبِيَعَتِهِم وكانت معركة شديدة الضراوة وفى منتهى الوحشية والفظاعة حتى قيل إنه بلغ القتلى إلى عشرين ألف نسمة[3] .

وكان هناك رجل من الأعيان يقال له «دوس ذو ثعلبان» استطاع أن يفر مع

---

(١) فى كتاب الشهداء الحميريون العرب الذى وصلنا مؤخرا: من الوثائق السريانية أن الملك اليهودى المضطهد لنصارى نجران اسمه مسروق وبهذا الاسم عرفه يوحنا يسلطوس نحو سنة ٦٠٠ وبه أيضاً عرفه مؤلف تاريخ النساطرة المعروف بتاريخ « سعرت » فيقول عنه مايلى :

– «وبعد مدة من الزمان ملك على تلك البلاد ملك يهودى يقال له مسروق وكانت أمه يهودية سبيت من أهل نصيبين وابتاعها أحد ملوك اليمن وولدت مسروقا وعلمته اليهودية وملك مكان أبيه وقتل خلقاً من النصارى» انتهى فهذا يؤيد رواية ياقوت الآتية ولنا مزيد بحث إن شاء الله .

(٢) البروج —   (٣) الطبرى ح ١ — ٥٤٤

رفاق له من وجه الظلم والاضطهاد[1] واخترقوا طريق الرمل الآنفة الذكر وكتبت لهم النجاة والتجأوا بقيصر الروم فشكا له الحادث وفضاعته فاعتذر له ببعد بلاده ومشقة إنجاده ولكنه طمنه واسعفه برسالة إلى النجاشي المُعَرَّب عن « انجوس »[2] وأمره بغزو اليمن وإنقاذ النصرانية من اضطهاد اليهودية وأخذه الثأر وحظه على ذلك فجهز النجاشي جيشاً كثيفاً كامل العُدَّة والمدد تحت قيادة أحد رجاله المدعو « إرياط »[3] يرافقه فى هذه الحملة « ابرهة بن الصباح » الملقب الأشرم فانحدرت هذه الجيوش على « باضع » مُصَوَّع ومن « زيلع » ونزلت باب المندب ، وغلافقه : غليفقة .

---

(١) نورد هنا بهذه المناسبة نظرية قد تكون مقبولة ولها مساس بموضوعنا ولها نظائر فى العهود الإسلامية وهى أن الغزاة والفاتحين لأى قطر من الأقطار قد يكون لقادتهم والمتربع على عرشهم أطماع فى التوسع والامتلاك ، ولكن لا يتم لهم الإخضاع الكامل لذلك القطر إلا بمسعدة من الأقدار أو بمناصرة الذين استدعوه وهم المضطهدون أو الذين يأنفون من الظلم والمغلوبين على أمرهم ، أو بدافع حب الانتقام من الخصوم ، أو فى حالة الفوضى والانحلال . وفى مثل هذه الأحوال يجد الفاتح طريقه مفتوحاً فيجوس خلال الديار يتقدمه هؤلاء الناس مقدمين له كل عون ومساعدة ، يضعون له الخطط ويدلونه عن المسالك ومعابر البلاد ويذللون له كل صعب كما فعل دوس ذى ثعلبان وكما حدث فى آخر الإخشيديين فى مصر الذين دعوا إليهم العبيديين ، وغير ذلك مما سنشير إليه بوضوح فى محاله إن شاء الله

(٢) قرر فى كتاب الشهداء الحميريون العرب إن اسم ملك الحبشة هو كالب .

(٣) قال الإمام نشوان فى شرح قصيدته المشهورة ص ١٤٨ أن ملك الحبشة بعث قائدا يقال له كالب فى ثلاثين ألفاً إلى اليمن فلقيهم ذو نواس بالطاعة وفرقهم على المخاليف ثم كتب إلى رؤساء حمير أن يذبحوا كل ثور أسود عندهم فوثبوا على الحبشة فقتلوهم حتى أفنوهم فعلم النجاشي فوجه قائدين إلى اليمن بجيش عظيم هما إرياط وإبرهة الأشرم انتهى وأنت ترى أنه قد ورد ذكر كالب فى النصوص العربية .

وعلى غِرّةٍ وغفلة استولت هذه الجيوش على المناطق الساحلية فما عتم أن بلغ ذا نواس الحميرى حتى جمع جموعه وانقض من الجبال انقضاض الصاعقة فدارت معارك حامية الوطيس بذل فيها ذو نواس من الجهد والبسالة ما يعذر معها الرجل الشجاع وكانت النهاية فى صالح الأحباش.

ولما عرف ذُو نواس أن دفة النصر مع الحبشة وكاد أن يخسر المعركة ويصير فى أيديهم فضل أن يموت كريماً بطلا دون أن تمتهن كرامته فاقتحم بفرسه البحر وكان آخر العهد به ولقب فيما بعد ذا النون لأن الحوت التقمة والنون: الحوت

وفى ذلك يقول علقمة بن ذى جدن يذكر ذا نواس:

ابك أخا الحرب ذا نواس إذ لقمته فى البحر نونُ

وقال أيضاً:

أو ما سمعت بقَيل حمير يوسف أكل الثعالف لحمه لم يقبر

والثعالف: الحيتان

ورأى بأن الموت خيرٌ عنده من أن يدين لأسود أو أحمر

ويبدو أن القوتين غير متكافئتين وأن الغزو كان مفاجأة وبغتة ولم يستجمع ذو نواس أمره إلا وقد دخل الغزاة مناطق تهامة واحتلوها.

وهناك نكتة جديرة بالملاحظة وهى أن رجال الجبال أو الجيش الذى يهبط منها لا يقوى فى زمن الحر على المقاومة فى أرض التهائم فهم بالصدفة قد وقعوا بين نارين نار الحرب الضروس ونار أرض التهائم ولهذه الملاحظة أشباه ونظائر تأتى فى عصور الإسلام، علاوة على أن جيوش ذى نواس لم تكن أتمت استعدادها.

أضف إلى ذلك عاملا أساسياً هوان الدولة الحميرية كانت قد بلغت سن الشيخوخة وتكاد أن تلفظ أنفاسها الأخيرة وفى حالة يرثى لها واسمع لقول المورخ ابن جرير ج ١ ـ ٥٤٦:

وسمع بهم ذو نواس فجمع إليه حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن فاجتمعوا إليه على اختلافٍ وتفرّقٍ لانقطاع المدة وحلول البلاء والنقمة ا هـ

ثم جمع النعمان بن عفير وهو والد سيف بن ذى يزن فلولَ الجيش ومن تبعه من أهل اليمن فقاتل الحبشة قتالا مريراً فى عدة معارك ومنها معركة السحول التى اندحرت فيها قوة الحميريين وتتبعت الحبشة آثار الفلول ثم نشبت معركة فى حقل شرعة وكانت شديدة وشرسة ولكن توالى الهزائم — والمنهزم لا يرده شىء — قد خامرت نفوس اليمنيين فلم يتمكنوا من الصمود طويلا وانتصرت الأحباش واستولوا على جميع سهول اليمن فيما بين « صنعاء » و « عدن » دون معاقلها وحُصونها[1] ، وعملت معاول الهدم على كل ما وصلت إليه أيديهم من الهياكل والمعابد والقصور والأبراج كبينون وظفار الملك وسلحين، بمارب والقشيب هنالك وقصور صرواح وضوران وغيرها مما يطول ذكره وقد قيلت فى ذلك أشعار كثيرة تنوح على مُلك وملوك وقصور حمير ذكر البعض منها فى الجزء الثامن من الأكليل كما أثبتنا هنا لك ماليس موجوداً فيه ومنها قول علقمة ذوجدن :

هَوْنَك ليس يَرُدّ الدمع مافاتا لاتهلكى أسفاً فى ذكر من ماتا
أبعد بينون لا عين ولا أثر وبعد سلحين يبنى الناسُ أبياتا

واتخذت الأحباش « صنعاء » عاصمة بدلا عن « ظفار الملك » ، واعتصم الأقيال والاشراف فى المعاقل والحصون والقلاع هذه هى الرواية الصحيحة .

وفى رواية أن الذى خلف ذا نواس فى القيادة هو ذو جدن وإنه كان سبيله سبيل ذى نواس فى إلقاء نفسه فى لجة البحر خوف العار وأنّ دوس ذا ثعلبان خاض البحر إلى الحبشة ولم يستنجد بقيصر بل بالحبشة.

---

(١) نقولات عن الجزء السادس من الاكليل ، ومن تفسير الدامغة ص ١٤٩

والرأى السائدان أن مقاومة اليمنيين استمرت على طول الطريق المؤدية إلى صنعاء التى بدأ نجمها يتألق كعاصمة للدولة حتى غُلِبَ على أمر اليمنيين ولم يبق فى أيديهم غير الخضوع للأمر الواقع والالتجاء إلى الحصون والمعاقل .

ولقد كان الغزو الحبشى هو الضربة الأولى القاضية التى على أثرها انهارت الحضارة اليمنية القديمة إذا أنها بعد ذلك وقعت فريسة بين دولتى الرومان وفارس كما أن طرق التجارة وقعت تحت أشراف الدولتين فى حالة الاحتلالين واختفى عن المسرح رجال اليمن فى المعاقل .

والذى تعاقب من الأحباش على ملك اليمن هم أربعة أولهم إرياط بن أصحمة أو كالب على أحد الروايتين المعروفة والثانى إبرهة بن الصباح أبو يكسوم الملقب الأشرم والذى أشرنا إليه قريبا أن أصله يمنى وهو صاحب قصة الفيل الذى غزى بهمكة وأنزل فيها قرآن يتلى «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الفِيلِ الخ» ولقى حتفه ومات « بذات عش » من أرض كتنة قرب مدينة « جرش » منصرفة من غزوة الفيل وحمل إلى صنعاء ثم ملك بعده ابنه يكسوم بن إبرهه ثم أخوه مسروق بن أبرهة .

قال حمزة الاصفهانى . زعموا أن غلبه « الحبشة على اليمن فى زمن »« قباذ بن فيروز » ثم خرج سيف بن ذى يزن إلى العراق لاستجاشة الحبشة فى ملك . . كسرى بن قباذ » فملكت الحبشة من ذلك .

عدد	ملك الحكم	
١	٢٠	إرياط
٢	٢٣	إبرهة بن الصباح قاتل أرياط المسمى الأشرم
٣	١٧	ابنه يكسوم بن إبرهة
٤	١٢	أخوه مسروق بن أبرهه
	٧٢	

فجملة ماملكت الحبشة اثنتان وسبعون سنة وهكذا عند المسعودى .

وكان مسروق مسرفاً فى الفساد والعبث أطلق لنفسه عنان التصرف الأهوج حتى أحنق اليمنيين وآذنت شمس حظه بالزوال .

وهناك رواية فى قدر مدة ملك الحبشة لليمن تخالف الرواية السابقة وأنها دون هذا القدر وأنا أرجح الرواية الأولى لأن هنا نكتة طريفة يؤدوها نوردها قد تكون مقياساً وقد تكون من قبيل المصادفات ألا وهى أنّ أعداد السبع سنين أو السبعينات أوهما معاً تحمل معنى يثير الإعجاب والغرابة وفيها خاصية تكادان تكون قاعدة أساسية مطردة لاسيما فى الأحداث فالله جل شأنه قد خلق السموات والأرض فى سبعة أيام وجعل أيام الأسبوع سبعاً وغير ذلك مما يطول سرده (وأرجع إلى « كتاب الاسعاد » فى سُبَاعيات الاعداد للعلامة الوصابى) ولهذا يضرب المثل فى عدد السبعين لما كثر منه والمبالغة فيه واسمع إلى قوله تعالى : « اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » ، التوبة — ٨٥ وتقول الاعراب وغيرهم لما عظم من الأمر « سبعين سنة » .

وأيضاً أن لهذا الأعداد ظاهرة فى الأحداث ومدد الدول كما يمر بك فى العصور الإسلامية فهذه مدة حكم الأحباش فى اليمن اثنتان وسبعون سنة خذها مثلا لدولة بيت حميد الدين الذين هم منا على مقربة من زوال دولتهم فأنهم حكموا قرابة هذه المدة وزيادة بسيطة فدعوة المنصور محمد ابن يحيى سنة ١٣٠٧ هـ سبع وثلاثمائه وألف هجرية وانقضت دولتهم بمحمد المخلوخ سنة ١٣٨٢ هـ فكانت مدة حكمهم خمس وسبعون سنة وكذلك دولة آل طاهر كان ابتدائها بقيام الملك على بن طاهر وأخيه عامر سنة ٨٥٣ هـ وانتهت بقتل السلطان عامر بن عبد الوهاب سنة ٩٢٣ هـ ثلاث وعشرين وتسعمائة فكان مدة حكمهم سبعين سنة وإن كان دولة آل طاهر قد تماسكت بعض الوقت فى المناطق الجنوبية إلى سنة ٩٤٥ هـ وانقرضت نهائياً بقتل عامر بن داواد الطاهرى وكذلك آل حميد الدين فقد خلقوا لليمن مع حليفهم آل سعود مشكلة الحرب الطاحنة

التى أكلت الأخضر واليابس لمدة سبع سنوات وحسابهم على الله راجع كتابنا التورة ظاهرها وباطنها .

هذا والذى سقناه هى أقوال مؤرخى العرب فى أسباب غزو الحبشة لليمن .

أما مؤرخو اليونان والرومان فينسبون أسباب الغزو إلى سبب تجارى وذلك أن اليمنيين لما تضعضعت أحوالهم بتقهقر دولتهم وخروج مقاليد التجارة من أيديهم كان الرومان ينشرون نفوذهم فى الشرق بواسطة النصرانية وتيسر لهم التجارة بالمرور فى بلاد اليمن بين البحر الأحمر والخليج العربى يحملون تجارة الهند إلى الحبشة ثم إلى مصر ، والعرب يشق عليهم ذلك ولا حيلة لهم فى منعهم فجعلوا يضايقونهم فى تسيارهم ، وأراد الفرس فى أثناء ذلك أن يعرفوا مساعى الروم أعدائهم القدامى فى متاجرهم عن طريق جزيرة العرب فأرسل القيصر « جوستين » إلى بنى حميران يردوا الفرس عنهم ، وبعث من الجهة الأخر إلى الأحباش أن يأخذوا بأيدى تجار الروم فى ذلك السبيل وكذا فعل « جوستيان » لما تولى ولم يطل عهد الوفاق فعاد اليمنيون إلى معارضة قوافل الروم ، واتفق فى أوائل القرن السادس أن الحميريين تعدوا على تجارة الروم فى أثناء اجتيازهم اليمن بتجارتهم إن الهندية وقتلوا جماعة منهم فتوقفت حركة التجارة فشق ذلك على الأحباش فتجندوا لفتح الطريق وقطعوا البحر الأحمر تحت راية « هداد »[1] فقتلوا ملكهم « دميانوس » ذى نواس ، وجددوا المعاهدة مع قيصر القسطنطينية « جستنيان » على شروط وارسلو إلى الاسكندرية وفداً يطلبون قسيساً يعمدهم . أى يغسلهم بماء المعمودية ويعلمهم فأرسل إليهم رجلا تقياً عاقلا إسمه « يوحنا » صار بعد ذلك اسقفاً على أكسوم مملكة الحبشة .

وبعد أن اقتص الأحباش من الحميريين انسحبوا إلى بلادهم فعاد الحميريون إلى

---

(١) هذا مما لم يرد عند مؤرخى العرب .

ما كانوا عليه وعادت التجارة إلى الانقطاع فعاد اليسباس»[1] ملك الحبشة الكرة وفتح بلاد العرب بحملة كبيرة حارب بها الحميريين وغلبهم على بلادهم وولى عليهم أميراً مسيحياً من امرائه اسمه « اسيمائيوس » : السميفع »[2] واوعز إليه أن يحمل أهلها على النصرانية استنجاداً بالدين على السياسة واستعان بأسقف اسمه « جريجنتوس » كان خطيباً مفوهاً وعالماً كبيراً على أن يبذل جهده فى هذا السبيل وعقد مجلساً جمع فيه بين الأسقف وحبر يهودى اسمه « هربان » وأمرهما بالمناقشة فى الدين ـ فتناقشا وكتب الأسقف بعد ذلك كتاباً نسب فيه الفوز لنفسه وذكر أعجوبة حدثت أثناء الجدال عمى بها كل الحاضرين من اليهود فصلى الأسقف والتمس لهم شفائهم فعادت إليهم أبصارهم فأفحمو وتنصروا ولم يطل حكم « اسيافيوس » على حمير لأنهم ثاروا عليه وخلعوه فأرسل « اليسباس » جنداً لأخضاعهم فانضم الجيش إلى العصاة فلما يئس الملك من إذلالهم قنع بعقد الصلح بينه وبين بنى حمير.

هذه هى أقوال اليونان كما يرويها لنا « جرجى زيدان ـ ١٤٩ » ثم أورد مسندين بالقلم الحميرى ذكر فيهما بعض أسماء القواد من الحبشة واحد المسندين يويد رواية العرب والآخر يؤيد رواية اليونان « وقد حاول جرجى زايدان أن يُوفّق بين ما جاء فى المسندين نخانه التوفق[3] .

والموضوع مفتقر إلى بحث دقيق وانعام نظر ومزيد من الكشف للآثار والنقوش لتزيح الستار عن ما يَكْتَنِفُ الموضوع من شكوك .

هذا والذى أراه شخصياً أن الغزو الحبشى هو سياسى قبل أن يكون صراعاً

---

(١) اليسباس زنة الشجرة المعروفة عندنا ذات القرون الحريفة وهذا الأسم عن اليونانين أما صاحب كتاب الشهداء الحميريون العرب فيؤكدان إسمه (كالب) ـ ص ٢١٧ أو هو اليسباس بالياء المثناه من تحت بعد للالف واللام .

(٢) جاء إسم السميفع فى أنساب الحميريين راجع الجزء الثانى من الاكليل .

(٣) من حيث أن النصين لم يكونا حول القضية المذكورة بالذات والنقش هو نقش حصن غراب الذى فى حضرموت

دينياً ولكنه مُغلّفٌ بغلاف الدين وبتحريض الداعية الكبير دوس ذى ثعلبان الحيرى الذى ربما كان مضطهداً سياسياً كما سلف فالدين طالما جعل فى جميع أطوار التاريخ سياجاً يكمن تحته الأغراض السياسية ، ويستخدم لأهداف شخصية وبهذا يتم التوفيق بين القولين .

ولا يبعدان يكون غزو الملك ذى نواس لاضطهاد النصرانية فى نجران من هذا القبيل ومن النوع السياسى قبل أن يكون دينياً ، فقد روى هشام بن محمد الكلبى أن سبب غزو ذى نواس أهل نجران أن يهودياً كان بنجران فعدا أهلها على ابنين له فقتلوهما ظلماً فرفع امره إلى ذى نواس وتوسل إليه باليهودية واستنصره على أهل نجران فحمى له ولدينه[1] .

فأنت ترى من هذه الرواية التى تنم على خطر داهم على ذى نواس من قبيل هذا الوجه إذ أحس بخطر النصرنية وأن وراءها يكمن تقويض عرشه لما شعر ان هناك خطوطاً عريضة للمؤامرة تحاك بين الحبشة والقياصرة بواسطة الدين النصرانى فبادر بالقضاء على هذه الظاهرة الدينية فى مهدها وتحت شعار الانتصاف للمظلوم اليهودى والقصد هو الاحتفاظ بعرشه قبل أن ينتشر هذا الدين الجديد ويظهر الغرض السياسى وراءه فأطفأ النار التى تحت الرماد بنار أذكا للحسم .

ودليل ذلك أنه لما قتل ذو نواس نصارى نجران استنجد بقيتهم ومن فاز بالفرار بالحبشة أو بالقيصر على كلا الروايتين كيلا ينبت حبل تلك المؤامرة فانجدوهما فكانت تلك الحروب .

بقى أمر لابد من لفت النظر إليه فكثيراً ما دارت حوله المذكرة مع إخوان أعلام كرام جمعتنا بهم الصدف والمبادىء .

ذلك الأمر هل الملك ذو نواس هو الذى قام بعملية المجزرة والمذبحة التى تشمئز لها النفوس بتحريق المؤمنين بالأخدود فى «نجران» أم هو غيره من الاقيال

(١) ابن جرير ج ١ — ٥٤٥

أو أمير من قبله كانوا كافرين غير مؤمنين باليهودية ولا النصرانية وهذا مايعنى القلم بتسجيله وتحليله[1] .

ويلوح من الدراسة والبحث الدقيق أن ذا نواس لم يكن بطل هذه القصة ولم يكن له حظ فيها ولا نصيب للأسباب الآتية .

الأول أن هذه الجزرة الواقعة بالذات فى نجران بين اليهودية والنصرانية لم يوردها اليونان فى تواريخهم كاعرفت .

ومنها أن العلامة ياقوت الحموى رحمه الله بعد أن زَيف رواية بن إسحاق عن وهب بن منبه عن النجرانيين فى قصة الاخدود فى مادة « نجران » وهى الرواية التى تكادان تكون كلمة إجماع مؤرخى العرب واورد رواية أخرى وإليك كلامه ملخصاً .

قال عُبَيْد الله الفقير إليه فاختلفوا ههنا فى حديث رواه الترمذى من طريق ابن أبى ليلى عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن الملك لما رمى الغلام فى رأسه وضع الغلامُ يدَه على صدغه ثم مات فقال أهل نجران : لقد علم هذا الغلام ما علمه أحد فإنا نؤمن برب هذا الغلام قال فقيل للملك أجزعت إن خالفك ثلاثة فهذا العالم كله قد خالفوك نخد أخدوداً ثم ألقى فيه الحطب والنار ثم جمع الناس وقال من رجع عن دينه تركناه ومن ولم يرجع ألقيناه فى هذه النار فجعل يلقيهم فى ذلك الاخدود فذلك قوله تعالى : « قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ النَّارِ ذاتِ الوُقُود » حتى بلغ العزيز الحميد .

وأما الغلام فانه دُفن وذكر أنه أخرج زمن عمر بن الخطاب واصبعه على صدغة كما وضعها حين قتل[2] روى هذا الحديث عن محمود بن غيلان عن عبد الرزاق عن مَعمرٍ ورواه مسلم عن هداب بن خالد عن حماد بن سلمة ثم اتفقا عن سالم عن

---

(١) سبق قريباً كلام كتاب الشهداء

(٢) راجع تفسير الدامعة وشرح قصيدة نشوان وغيرها

ابن أبى ليلى عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم وأخرج الحديث عبد الرزاق وابن أبى شيبه وأحمد وعبد بن حميدو مسلم والنسائى والطبرانى كلهم عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر ياقوت بعض رواية حديث ابن إسحاق كالمقارنة بين الحدثين إلى أن قال : قال عبيدالله الفقير إليه خبر الترمذى ومسلم أعجب إلى من خبر ابن إسحاق لأن فى خبر ابن إسحاق أن الذى قتل النصارى ذو نواس وكان صحيح الدين انبع اليهودية بايات رآها ، ودين عيسى إنما جاء موائداً مسدداً للعمل بالتوراة ويكون القاتل والمقتول من أهل التوحيد والله قد ذم المحرق والقاتل لأصحاب الأخدود فَبَعُدَ إذاً ما ذكره ابن إسحاق ، وليس لقائل أن يقول : إن ذا نواس بدّلَ أو غيّر دين موسى عليه السلام لأن الأخبار غير شاهدة بصحة ذلك .

وأما خبر الترمذى أن الملك كان كافراً وأصحاب الاخدود مؤمنين فصحٌ إذاً انتهى كلام ياقوت فانت ترى ماذا ينم كلام الحموى المدعوم بالحديث والآية القرآنية التى تنفى عن ذى نواس ملابسة تلك الجريمة .

ولنا مناقشة على رأى الحموى قد تكون وجيهةً وواردة ألا وهى أنه قد كان قد دب الخلاف والبغضا والشنآن بين الدّيانتين اليهودية والنصرانية وتراشقوا بمفتريات ذات بال بدليل قوله تعالى : «وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْء ، وَقَالَتْ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهودُ عَلَى شَيْء»[1] وبما يحدثنا التاريخ أن بعض قياصرة الرومان اضطهد اليهودية فى فلسطين الأمر الذى فضل ببعض اليهود المهاجرة إلى

(١) سورة البقرة ١١٣ .

بلاد العرب[1] .

ومن الأسباب المرجحة لما ذهب إليه « ياقوت » هو أن ذا نواس، كان له قرابة وصهورة فى « نجران » كما سبقت الاشار إلى ذلك فى أول البحث .

ومن المحال أن يقدّم ذو نواس على ارتكاب هذه الجريمة دون أن يحسب لخؤولته أى حساب وعلى الأقل يدخل معهم فى مفاوضة كى يرجعهم عن معتقدهم فلا يؤاذنهم بالحرب إلا بعد بذل النصح والمداراة وبعد المراوضة وهو حريص على مساندتهم فى سياسته .

ومنها أن ذا نواس كان قد بلغ المرحلة الهزيلة التى تتطلب منه المزيد فى استجلاب رضا الناس وضم شمل قلوبهم عليه والاستكثار من المعين والناصر لا سيما خؤولته لما لهم من السلطان والسيادة علما أن أعدان يتربصون به الدوائر وأنهم على الأبواب لضعف أمره وتضعضع مملكته التى أوشكت على الأنهيار .

ومنها أنه وفد علينا كتاب الشهداء الحميريون العرب » وكتابنا جاهز للطبع وذكر أن بطل معركة نجران يسمى مسروقاً وهذا مما يثير الشكوك حول صحة نسبة ذلك إلى الملك ذى نواس .

هذه أراء مناقشة وضعناها تجاه القراء لتمحيصها وعرضها على مخبر الفحص والتحليل العلمى ، وفوق كل ذى علم عليم .

وما يدرينا أن الأيام تفاجئنا بشىء غريب ممتع برفع القناع عن هذه المسألة

---

(١) بل كان ذلك بعد ظهور عيسى ونفاستهم له ، وإن تشتت اليهود عقب قضاء الرومان على دولة إسرائيل ، وهدم الأمبراطور « تيتوس » لمعبدى سليمان فى أورشليم بيت المقدس دليل لما قلناه .

ولا سيما ولنا أمل كبير بشاب نبيل كريم له اتجاه سليم وفحولة فى الرأى وتعمق فى القلم المسند واشتغال متواصل بالآثار الحميرية وحفظها وفك رموز مسندها ألا وهو الولد المطهر بن على بن يحيى الإريانى اليحصبى .

آخر جوهرة فى آخر تاج

المنقذ الأعظم سيف بن ذى يزن الحميرى وجيش التحرير

وسيف استعلت به همتُه   حتى رمى أبعد شأو المُرتمى
فجرّع الأحبوش سماً ناقعاً   واحتل من غمدان محراب الدمى [1]

نؤلف رواية للملك سيف بن ذى يزن الحميرى ومغامرته أروع صورة من صور البطولة والبسالة وامتع قصة من ضروب المجازفة بالنفس والنفيس والتى كانت ولا تزال مضرب المثل العالى فى بعد المغار وعلو الهمة والتضحية فى إباء وشمم فقد طلب العز له ولقومه فناله .

كما حازت سيرة هـذا البطل وأنباء حروبه مقاما عظيما فى حـكايات الفروسية وسمو النفس فى القصص العربى ثم قيض الله فى مصر قلب العروبة النابض من نقح مادتها وهذب ألفاظها وحسن فصولها وذلك فى أثناء القرن الرابع عشر فأصبحت بهجة السامعين ومتعة القارئين تتناقلها ألسنة القصاصين إلى اليوم فى مجالس القاهرة وبغداد ودمشق وبيروت وصنعاء والعواصم العربية .

كما أنى أهيب بكل يمنى أن يلقن أولاده هذه الصورة البطولية المجسدة فى أمجاده لتخلق منه بطلا فى أرض الأبطال ودرساً يـكون منه قدوة حسنة ومثالا أسمى وأن لا يستجدى البطولة من غيره بطولة العمل والذود عن حياضة وعمارة الأرض ليـكون من عباد الله الصالحين الوارثين لها .

---

(١) مقصورة ابن دريد الازدى .

ونحن إذ نتحدث عن بطولة هذا الملك المنقذ الأعظم ، فإنما نتحدث عن بطل من عظماء الخضراء انتزع حقه من يد الغاصب بحد الشفار :

* وإنما تؤخَـذ الدنيا غلابا *

ولن نتوغل فى الموضوع ونسهب فيه لضيق المقام ، ولأن قصة سيف متداولة ، وفى مخيلة كل عربى ، وفى بطون كتب التواريخ مبثوثة ، ولو لم تكن إلا تلك القصة الروائية المذكورة لـكانت كافية ، ولـكننا نلخصها كى لا يخلو كتابنا من هذه الجوهرة الثمينة فى عقده المنتظم .

لقد أشرنا قريباً إلى أن سادات اليمن وأشرافها وأقيالها بعد أنْ غُلِبوا على أمرهم وخانهم القدر اعتصموا فى شماريخ الذرى ورءوس المعاقل كجبل صبر ، والتعـكر ، وحب ، والشوافى ، وشبام حراز ، وكوكبان ، وحُفَاَّر ، ومِلحان ، ومَسْور ، وحضور ، وحِقْل فى بلاد السودة وغيرها من قلاع الخضراء المنيعة المنيفة ، ولم تستطع الأحباش منازلتهم و إخضاعهم ، فارتضوا بما فى أيديهم من السهول فيما بين صنعاء وعدن[1] .

وظلت هذه المعاقل الشماء تقذف بحممها على الأحباش شواظا من نار وتنزل بهم أقصى الضربات وأشد النكايات ، وهكذا ما فتئت تراوحهم القتال وتغاديهم ولم يهتدوا إلى إخضاعها سبيلا .

ولطول المدّة مَلّ الأقيال والأشراف هذه الحياة الانعزالية التى صاروا فيها أشبه بمحصورين ، كما ملت الأمة اليمنية هذا الاحتلال البغيض الذى لا زال يمتهن كرامتهم ويبسط سوط نقمته على المدنيين الوادعين والرعايا المسالمين .

---

(١) سبق ذلك عن الجزء السادس من الإكليل .

وكان القيل الكبير النعمان بن عفير اليزنى معتصماً هو وأولاده فى حصن ملحان المسمى « ريشان » والقيل المذكور هو الرأس باليمن والمنظور إليه ، ففزع إليه القادة والأقيال وتجمعوا إليه من جميع المعاقل والحصون ليتشاوروا فى حل للمأساة التى نزلت بهم وبأوطانهم ، وكيف يطردون الدخيل المستعمر ، وينفضون العار عنهم ، وليس عندهم القدرة الكافية للذود عن حياضهم وعن بلادهم وطرد الدخيل ، إذ لا يزال شبح الهزيمة ومأساة الحرب والدمار والفظائع ماثلة أمام أبصارهم ، وفى الوقت نفسه كانت بيزنطة « قياصرة الروم » تقوى نفوذ الأحباش ، وتساندهم ماديا ومعنويا ، فأجمع رأيهم على أن ينزع سيف بن ذى يزن النعمان بن عفير الملقب أبا المنذر ، وأخوه عمرو بن النعمان برسائل من أبيهما إلى كل من ملك العراق بالحيرة ، النعمان بن امرىء القيس اللخمىّ ، وإلى ملك الشام بدمشق النعمان بن الحارث الغسانى ، ليتوسطا لدى كسرى ملك فارس ، ولدى قيصر ملك الروم لإنجاد اليمن فى طرد الحبشة من اليمن[1] .

وقد اختار النعمان بن عفير وساطة الملكين العربيين اليمنيين لما يمت إليهم بصلة القربى ووشناجة الرحم ، إذ هما يمنيان والوطن وطن الجميع ، فهو يأمل فيهما نعم العون والنصير .

سيف بن ذى يزن وأخوه عمرو عند العاهل الغسانى بالشام

ذهب الزعيمان المذكوران إلى الملك الغسانى بالشام على رأس وفد منتقى من صفوة رجالات اليمن وأقيالها يحملان رسالة أبيهما ، ومن الهدايا وتحف اليمن ما يجل عن الوصف ، وحلوا ضيوفاً على الملك الغسانى بعد أن تلقاهم بمباهج السرور ومظاهر الحفاوة والتكريم ، وأنزلهم دار كرامته ومجبوح نعمته ، ومكثوا أياماً وهم موضع رعايتـه وعنايته حتى زال عنهم وعثاء المشقة وعناء بُعد الشقة ، وقدّموا له الرسالة التى من أبيهما ، وهو بدوره قدم بهم على الملك القيصر

(١) راجع ج ٢ ص ٢٥٨ من الإكليل .

عما يعانونه من الذل والهوان، فلم يجنح إلى رغبتهم واعتذر عن ذلك، ووجدوه يحامى عن الحبشة لموافقتهم إياه على دين النصرانية ولحماية التجارة، فانكفوا راجعين[1].

وفى نظرنا أن هذه الزيارة أو مهمة الوفد إلى قيصر لم تكن يقصد بها طلب العون والمساعدة الحقيقية من القيصر، بل استجلاب رضاه واستخذائه وذر الرماد على الساسة، إذ هم على علم من سياسة الرومان إزاء الأحباش، ودعمهم ماديا ومعنويا، وأنه لايمكن بحال أن ينقذهم من الاستعمار الحبشى أو يتخلى عن هؤلاء، وإنما المراد بهذه الزيارة هو تخفيف الضغط ومساومتهم بالخداع وتقليل مساعدتهم للأحباش على أقل الأحوال، ولهذا لمّا رأوا منه الاعتذار وَلّوا وجوههم نحو كسرى ملك فارس عدو الرومان التقليدى، واليمنى ذكى بالطبع بمجارى السياسة ونتائجها فلا يغامر مغامرة كهذه غير عارف بمصائر الأمور.

الملك سيف وأخوه عمرو عند عاهل العراق

انقلبوا موهمين أهل الشام أنهم عادوا أدراجهم بخيبة الأمل والحالة هذه أنهم اجتازوا أرض السماوة متوجهين إلى العاهل اللخمى النعمان بن امرىء القيس اللخمى، ويقال: إنه عمرو بن هند اللخمى، فنزلوا « الحيرة » عاصمة العراق آنئذٍ فأقاموا فى ضيافته مبجلين حتى نفض عنهم غبار السفر، ثم استدعى الوفد إليه وسلم سيف له رسالة أبيه النعمان بن عفير، وقدم له من تحف اليمن، ولاطَفه، وأزال عنه وحر الصدر وحرج النفس، وطمنه وأراح باله، ووعده بخير، وأفهمه أن له وفادة على كسرى فى كل عام، ثم صرفه إلى منازل العز والكرامة حتى يحل موعد الوفادة.

---

(١) ابن جرير ج ١ ص ٥٦٢، وفى اليعقوبى ج ١ ص ٢٢٦، أنه أجابهم بقوله: « هم قوم على دين النصرانية لا أحاربهم ».

ولما حَلّ الوعد أردف سيف وأخاه وخرج بالوفد إلى كسرى ، فلما دخل على كسرى وفرغ من حاجته أعلمه بموضع سيف بن ذى يزن وأخيه ، وما جاءا لأجله ، وشرفهما فى قومهما ، وسأله أن يأذن لهما ، وحرضه على مساندة اليمن ، وجلاء الأحباش ، فلما دخل سيف بن ذى يزن مع الوفد أوسع له الملك اللخمى ، فلما رأى كسرى ذلك علم أن عمراً لم يصنع به ذلك بين يديه إلا لشرفه ، فأقبل عليه فلاطفه وأحسن مسألته ، وقال له : ما الأمر الذى نزع بك ، فكشف سيف بن ذى يزن القناع لكسرى ، وطلب منه المعونة والنجدة .

وطبيعى أن الإجابة لمثل هذا الأمر الخطير لا يمكن التسرع إليه والبت فيه قبل أن تجول فيه الآراء وتقدح فيه النبع ، فاعتذر له كسرى ببعد أرضه ، وقلة خيرها(1) ، وما يعترض تنفيذ هذه الفكرة من صعوبة وعقبات كأداء قد تسبب إلى نكوص الدولة فى عقر دارها ، وفى نفس الوقت سبر غور نفوس الوفد ، وهل لديهم التصميم والقدرة على البقاء مدة طويلة ليعرف مظلمتهم ، وهم على حق من ذلك ، أم جاءوا يزخرفون له القول كى يزجوه فى صدام مسلح مع عدوه التقليدى الرومان الذى لا يدرى ما تخفيه له الأيام .

ثم أجاز الوفد بجوائز سنيّة ، وخصّ سيفاً وأخاه بالمال الدثر من العَين والوَرِق ، والكسوة الفاخرة التى تهدى لمثله من الملوك عادة ، وفى ذلك إغراء لسيف لصرفه عما جاء من أجله ، فتقبلها سيف وأخوه والوفد شاكرين ، فما جاوز سيف عتبة قصر الملك كسرى حتى نثر الدنانير والوَرِق على الناس الذى بباب الملك فانتهبوه ، وإلى الكسوة فوزعها كذلك ليشعر كسرى باستخفافه بالمال وزهادته عنه ، فبلغ كسرى ما عمل سيف ، فطلبه فوراً إليه وعاتبه بقوله :

---

(١) يقلب من شأنها ، راجع الطبرى ج ١ ص ٥٦١

« عمدت إلى حِباء الملك الذى حباك تنثره على الناس » فأجابه سيف فى ثبات : « إنما جئت لتمنعنى من الظلم وتدفع عنى الذل ، ولا حاجة لى بهذا فما جبال بلادى وأرضها إلا ذهب وفضة » فأجابه كسرى : « أقم عندنا حتى ننظر فى أمرك » وصرفه مع الوفد إلى أعز مقام وأسمى مكان .

ثم إن كسرى استدعى وزراءه ومرازبته وأهل الرأى ممن كان يستشيرهم فى أمره وقال : ما ترون فى أمر هذا الرجل ؟

وطال الأخذ والرد ، وأدخلوا فى اعتبارهم قوة عدوهم التقليدى الرومان والمنافس الخطير لهم ، وما ينجم عن هذه المساعدة العسكرية ، إذ الصراع قائم بين السياستين وبين الدين والوثنيّة .

وطال المقام بسيف ورفاقه ، وسئم من حياة الاستجداء ، وتبرم من البقاء فى صَبْرٍ وجَلد ، وبينما هم فى تلك الحال وفى الجوّ القائم ، لم يشعر فى يوم من الأيام إلا وقد قدم إليه البشير يبشره بأنه قد تم الاتفاق بإجماع الآراء : الملك ومرازبته ومن ضمهم مجلس مشاورته على تنفيذ طلبه ، وإرسال نجدة لتطهير بلاده من دنس الاستعمار .

وكانوا قد قرروا تجريد حملة عسكرية قوامها ثمانمائة جندى من الأبطال الشجعان ، كذا فى أكثر الروايات ، وفى رواية : ستة آلاف وخمسمائة جندى[1] وهو الذى يتفق وواقع الحرب وأسرار الفتح والغزو ، علماً أن قدّامهم جيشاً حبشياً قوياً تسانده قوى أجنبيّة ولو معنوياً[2] .

---

(١) ابن خلدون ج ١ ص ٩٦ ، عن ابن قتيبة .

(٢) وانظر إلى ما يأتى كيف أرسل كسرى للمرة الثانية أربعة آلاف جندى واليمن فى حوزته وفيها حامية قوية ، ولا يرسل هذه المرة وفيها جيش الاحتلال إلا ثمانمائة جندى ذهبت منه ضحية مائتان فالراجح هو رواية ابن قتيبة ستة آلاف وخمسمائة جندى .

ويقال : إن هـذا الجيش مكوّن من أهل الجرائم الـكبار الذين زُجّوا في غياهب السجون ينتظرون الفتك بهم بين حـين وآخر ، والإطاحة بهم ليرتاحوا منهم ، وكان حل هذه المشكلة بالنسبة إلى نفوس المساجين ، كما قال أبو نواس الشاعر :

* وَدَاوني بالتي كانت هي الداء *

وفعلاً كونت الحملة وترأسها « وَهرز » وكان من أمهر القواد المجربين ، كما كان يعتبره كسرى بألف فارس ، وكان قد بلغ من السن عتياً ، وجهزوا بكامل عُدَدهم وعَدَدهم ، وأقلع الأسطول الحربي من موانىء خليج العرب في سنة ٥٧٥[1] متوجهاً صوب « عدن وباب المندب » وظل يمخر في البحر العربي أياماً ، ويقال : إن سفينتين غرقتا بمن فيهما من الجنود ، حتى أرست في موانىء عدن وباب المندب .

ولا صحة لمن يروى أن الجيش الفارسي نزل « مثوب» من موانىء حضرموت فقد فند ذلك « لسان اليمن » ، راجع معجم ما استعجم .

جيش التحرير الوطني اليمني ينزل من القلاع وينبعث من الأودية

فما ترامت الأخبار إلى مسامع أهل اليمن بقدوم الملك سيف بن ذي يزن المنقذ الأعظم ترافقه حملة فارسيّة لتطهير البلاد وطرد الأحباش حتى هبّوا من كلّ فجّ عميق بتدافع شديد من قمم الجبال وشماريخ القلاع وبطون الأودية ، وهم من كل حدب ينسلون ليلتقوا بالقائد المنقذ ، وليشتركوا في عملية التطهير ومعركة الإنقاذ ، والانضمام إلى صفوف الجيش المنتصر يحدوهم الفرح ، وأعلام النصر تخفق عليهم .

---

(١) التاريخ العام لسديو

كما أن مسروقا الحبشى سار فى مائة ألف من الحبشة ومن ضم إليه من الأعراب أهل الأطماع وتواجه الفريقان والتقى الجيشان قيل فى ساحل « عدن » وقيل فى ساحل « باب المندب » وهى رواية صحيحة .

ودار حوار بين القائدين ومراشقة بالكلام وكل حرض جيشه فما عتم أن التحم الفريقان ونشبت المعركة واشتد أوارها فكان النصر وكانت الهزيمة، النصر لسيف ووهرز قائد الفرس والهزيمة لمسروق الحبشى وجنوده ، وأسفرت عن قتل مسروق فى المعركة، والمهزوم لايلتفت إلى شىء ولا يرده شىء فقد تطايرت الحبشة فى كل وجه وتفرقت شذر مذر يتتبعهم اليمنيون فى كل صوب ومضيق ومنعرج حتى أفنوهم وسلمت بقية ضئيلة اتخذهم سيف خولا فكانوا سبب نهايته كما نبينه وفى ذلك يقول سيف بن ذى يزن :

ولقد سموت إلى الحُبوش بعصبة ... أبناء كل غضنفر أسوار
من كل أبيض فى الحروب كأنه ... أسدٌ ببيشةَ شابك الأظفار
خيمت فى لجج[1] البحار فلم يكن ... للناس غير ترَجّم الأخبار
قالوا ابن ذى يزن يسير إليكم ... لحذار منه ولات حين حذار
والعام عام قدومه ولعله ... نابت عليه نوائب الأقدار
حتى إذا أمنوا المغار عليهم ... وافيتُ بين كتائب الأحرار
مازلت اقتل فُلّهم وشريدهم ... حتى اقتضيت من العبيد بثارى

وقد ترك لنا أجدادنا صورة حية للبطولة والنضال القومى وأنهم صُدُق اللقاء فى الهيجا فقد عثر على حجر فى جبل عر عدن . شمسان رقمت بالمسند بما معناه :

---

(١) هذا يدل أن الجيش خرج إلى ساحل «عدن»

« هَجَمْنا بسوط الغضب على الأحباش والبرابرة وتقدمنا ببأس وشدة على حُثالة الجنس البشرى »[1] .

ثم واصل الأميران المذكوران زحفهما متجهين نحو العاصمة صنعاء وكلما مرا على مخلاف من المخاليف تلقوهم بمظاهر الزينة ومباهج السرور وأنزلوهم على سواد الأحداق وحر الوجوه وحَبات القلوب ، وهكذا ظلوا يترحلون بين مهرجانات شعبية ضخمة محفوفين بالإجلال والإعظام ودخلوا العاصمة « صنعاء » ونزلوا قصر غمدان الشهير .

سيف يلبس التاج ، وتقاطر وفود العرب إلى صنعاء

دخل الملك سيف بن ذى يزن العاصمة دخول الفاتح المنتصر واستقر به المقام ومالبث أن أقيم حفل رائع ومهرجان شعبى عظيم حضره جم غفير من أقاصى البلاد وأدانيها لم تشهده العاصمة منذ آماد بعيدة .

وفى موجة من السرور والابتهاج وفى حفل من الأقيال والأذواء وأبناء الملوك توج الملك الحميرى بتاج ملوك حمير المشهور المرصع بأنفس الجواهر وأثمن الأعلاق النفيسة وقلد سيفاً من السيوف اليمنية المأثورة البتارة والتى من صنع المصانع اليمنية وتربع على عرش التبابعة ونودى به ملكا للبلاد .

وبعث القائد الفارسى « وهرز » وفدا إلى كسرى يهنيه ببشرى الفتح وبتتويج الملك سيف بن ذى يزن وأهداه من جواهر اليمن ونوافج العنبر والمسك وأعواد الطيب مالا يوصف وعاد الوفد بجواب كسرى يستدعى « وهرز » إليه ويترك حامية يسيرة بصنعاء تكون ردءا لسيف بن ذى يزن كما فرض عليه فريضةً يؤديها فى كل سنة وعاد وهرز إلى بلده موفوراً .

(١) هدية الزمن — ١٠ .

وتسابقت أخبار سيف بن ذى يزن وتطاير خبره إلى أنحاء الجزيرة العربية فتقاطر إليه أشراف العرب وزعماؤها يأمون دار الملك صنعاء يهنئونه بعودة الملك إلى نصابه والسيف إلى قرابه وهو بدوره يكرمهم ويحسن وَفادتهم ويسنى جوائزهم ويعودون إلى أوطانهم لسان شكر وثناء .

وفى مقدمة الوفود وفد مكة والطائف والحجاز وعلى رأس الجميع عبدالمطلب ابن هاشم بن عَبدمناف جد النبى صلى الله عليه وسلم ، وخويلد بن عبد العزى بن أسد بن عبدالعزى بن خويلد وجد أمية بن أبى الصلت الثقفى وقيل أبو الصلت أبو أمية فأنزلوا دار الكرامة وفى المقام اللائق بهم .

وفى يوم من الأيام أستأذنوه بالدخول إليه فدخلوا عليه وهو فى أعلا غرفة فى قصر غمدان معقودا عليه التاج الحميرى وعن يمينه المقاول وأبناء المقاول وهو مضمخ بالمسك والعنبر فى مفرقه وعارضية وعليه حلل القز والحرير وسيفه بين يديه .

فتكلمت الخطباء ونطقت الزعماء وتقدمهم عبد المطلب فاستأذنه بالكلام . فقال : سيف إن كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك وأبناء الملوك فدونك .

فخطب خطبة رائعة حُفظ منها : إن الله قد أحلك محلا رفيعاً منيعاً شامخا باذخا وأنبتك منبتا طابت أرومته وعزت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه فى أكرم معدن وأطيب موطن وأنت أبيت اللعن رأس العرب الذى به تنقاد وعمودها الذى عليه العماد ، ومعقلها الذى يلجأ إليه العباد ، وربيعها الذى تخصب منه البلاد سلفك خير سلف وأنت فيهم خير خلف ولم يخمل ذكر من أنت سلفه ولن يهلك من أنت خلفه ، أيها الملك نحن أهل حرم الله وسدنة بيته الحرام أشخصنا إليك أيها الملك الذى أبهجنا من ذكر ما سرنا لا الكرب الذى فدحناه والغم الذى أقلقناه والهم الذى أكربنا فنحن وفد التهنئة لا وفد الترزئة فهذا الذى أوفدنا إليك أيها

للملك. فقال له الملك سيف : أيهم أنت المتكلم؟ فقال : أنا عبد المطلب بن هاشم ابن عبدمناف ، فقال الملك سيف: ابن أختنا؟[1] قال نعم، قال : أُدْنُ منى ثم أقبل عليه وعلى النفر الذى معه فقال : مرحباً وأهلاً وسهلاً ، وناقة ورحلا وملكا ربحلاً[2] ، يعطى عطاء جزلا ، قد سمع الملك مقالكم وعلم كلامكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم وأنتم أهل الليل والنهار لكم الكرامة ما أقمتم ولكم الحِباء إذا ظعنتم .

ثم قام أبو الصلت أبو أمية بن أبى الصلت الثقفى وأنشده قصيدته المشهورة التى منها :

لايطلب الثأر إلا كابن ذى يزن ... فى البحر خيم للأعداء أحوالا

أتى هرقلا وقد شالت نعامته ... فلم يجد عنده بعض الذى سالا

ثم انثنى نحو كسرى بعد سابعة ... من السنين لقد أبعدت إيغالا

حتى أتى ببنى الأحرار يقدمهم ... تخالهم فوق ظهر الأرض أجبالا

من مثل كسرى شهنشاه الملوك له ... أو مثل وهرز يوم الجيش إذ صالا

لله درهم من عصبة خرجوا ... ما أن رأيت لهم فى الناس أمثالا

غر جحاجحة بيض مرازبة ... أسد تربت فى الغيطان أشبالا

يرمون عن شدق كأنها غبط ... فى زمجر يعجل الرمى إعجالا

أرسلتَ أسداً على سود الكلاب فقد ... أمسى شريدهم فى الأرض فُلالا

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً ... فى رأس غمدان داراً منك محلالا

قصر بناه أبوه القيل ذو يزنٍ ... فهل ترى أحداً نال الذى نالا

---

(١) لأن أم عبدالمطلب من الخزرج أنصار النبى صلى الله عليه وسلم وهم من الأزد وهى قبيلة يمنية

(٢) الربحل : بكسر الراء وفتح الباء الموحدة ثم لام الكثير العطاء

منطقا بالرخام المستزاد له ترى على كل ركن منه تمثالا
وأطلِ بالمسك إذ شالت نعامتهم وأسبل اليوم فى برديك إسبالا
تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبا بماء فعادت بعدُ أبوالا

ثم قام أمية بن شمس بن عبد مناف وأنشد :

جلبنا المدح تحمله المطايا إلى أكوار أجمال ونوق
مغلغلة مرابقها تعالى إلى صنعاء من فج عميق
تؤم بنا ابن ذى يزن وتفرى ذوات بطونها أم الطريق
وترعى فى مخايلها بروقا توافقه الوميض إلى البروق
فلما وافقت صنعاء وصارت إلى ذى الملك والحسب الوثيق
إلى مَلكٍ أدرّ لنا العطايا بحسن بشاشة الوجه الطليق

ثم نهضوا إلى دار الضيافة والوفود فأقاموا بها شهراً لايؤذن لهم بالوصول إليه ولا الوقوف بين يديه ولا يؤذن لهم بالانصراف وأجريتَ عليهم الأرزاق والجرايات بأوفر ما يكون ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبدالمطلب فأدنى منزله وقرب مكانه من مكانه وأكرم مجلسه ثم أفضى إليه بحديث سُرّ به عبدالمطلب[1] .

ثم أمر لكل واحد منهم بمائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر إماء وعشرة أرطال من التبر وعشرة أرطال من الفضة وكرش مملوء من عنبر وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك .

قال المسعودى فى مروج الذهب :

---

(١) راجع السيرة الجامعة للامام نشوان الحميرى .

ووفد على سيف مشيخة قريش وعظماء العرب لمهدهم من أبناء إسماعيل وأهل بيتهم للتصوب لحجهم فوفدوا فى عشرة من رؤسائهم فيهم عبدالمطلب فأعظمهم سيف وأجلهم وأوجب لهم حقهم ووفر من ذلك قسم عبدالمطلب من بينهم وسأله عن بنيه حتى ذكر شأن النبى صلى الله عليه وسلم وكفالته إياه بعد موت عبد الله فأوصاه به وحضه على البلاغ فى القيام عليه والتحفظ به من اليهود وأسرَّ إليه بالبشرى بنبوته وظهور قريش قومه على جميع العرب ، وأسنى جوائز هذا الوفد بما يدل على شرف الدولة وعظمها لبعد غايتها فى الهمة وعلو نظرها فى كرامة لوفد وبقاء آثار الترف فى الصبابة شاهدٌ لشرافة الحال فى الأوّل ، وأجاز سائر الوفد بمائة مائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر وصائف وعشرة أرطال من الوَرِق والذهب وكرش ملآ من العنبر وأضعاف ذلك بعشرة أمثاله لعبدالمطلب . انتهى .

وبعد ما انتظم الملك لسيف وانتهت مراسيم الوفود انصرف إلى تمهيد أمور الدولة وإقامة قواعدها وسن القوانين وبعث الأمراء إلى المخاليف فأقام العدل وأزال كل أثر كان الحبشة قد عملوه ولا زال يقتبع آثار الحبشة ويبقر النساء عما فى بطونها حتى أفناها إلا بقايا ذايلة قليلة فاتخذهم خولا وجعل منهم جمازين : سعاة بين يديه بحرابهم كما قام بأعمال عمرانية وإصلاحية كبيرة كبناء خزانات المياه التى منها « سد الخانق » بصعدة الذى أخربه « الجزار إبراهيم بن موسى العلوى » فى سنة ٢٠٠ مائتين للهجرة كما يأتى ذكره وعبّد الطرقات وغير ذلك من الإصلاحات :

كما كانت له أيام ووقائع يطول ذكرها أورد الهمدانى منها جزءاً يسيراً فى الجزء الأول والثانى ومنها فى الجزء السادس من الإكليل وفى كتاب « الأيام » المفقودين .

وطالت مدته وتمتع بالملك وفى ذات يوم خرج إلى (الرحبة) شمال صنعاء بمسافة أربعة أميال وكانت غابة وهيجة عظيمة ليتصيد بها وانفرد عن كوكبة فرسانه وأدرك أولئك الأحباش انفراده وعلى غرّة وثبوا عليه بالحراب فأفروه وقتلوه وتغيبوا عن الأعين ، ويقال : إنه وثب بالأحباش رجل منهم فقتل باليمن وأفسد[1] .

وكان مُلك سيف بن ذى يزن الحميرى عشرين سنة وبموت الملك سيف بن ذى يزى ولت السعادة عن البلاد السعيدة وكان آخر جوهرة عصماء هوت من آخر تاج حميرى وبغيابه غابت تلك الشموس الساطعة فى ظلام دامس وغياهب مدلهمة .

وفى رواية أن مدة حكم الملك سيف بن ذى يزن أقل من ذلك كما سبق التنويه إليه فى الجداول والذى أراه أن العشرين سنة هى الأصح لأنها رواية « لسان اليمن » فى تفسير الدامغة ولما تنطوى عليه ولاية العشرين سنة من الظاهرة الغريبة والعجيبة .

وهى أن كل من تولى اليمن كله أو الجزء الأكبر منه وكان غالب إقامته فى صنعاء وطالت مدته عن العشرين سنة فأكثر فإن نهايته القتل وأضرب لك مثلا : يعلى بن أمية الصحابى فإنه تولى أيام أبى بكر الصديق وأيام عمر ابن الخطاب وأيام عثمان بن عفان ، وهى أكثر من عشرين سنة ثم قتل فى صفين ومنهم يوسف بن عمر الثقفى فإنه تولى اليمن من قبل هشام بن عبدالملك الأموى وشاركه ابنه الصلت وكانت مدتهما عشرين سنة فقتل يوسف فى العراق قتلته اليمانية ، ومنهم الأمير الكبير محمد بن يعفر بن عبدالرحمن الحوالى فإنه تملك

---

(١) ابن جرير ج ١ – ٢٦١

اليمن كله بما فى ذلك حضرموت إلا بعض الجزء التهامى وطالت مدته زيادة على عشرين سنة فقتل فى شبام كوكبان سنة ٢٧٠ ﻫ سبعين ومائتين ومنهم الملك الكامل على بن محمد الصليحى فإنه حكم اليمن كله عشرين سنة وكان مقر عزه صنعاء ثم قتل فى المهجم سنة ٤٥٩ ﻫ تسع وخمسين وأربعمائة هجرية .

ومنهم الملك المنصور عمر بن على رسول فإنه تملك اليمن سنة ٦٢٦ ، وقتل فى سنة ٦٤٧ فى الجند فكانت مدة حكمه واحد وعشرين سنة .

ومنهم الملك السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهرى فإنه ملك اليمن عشرين سنة ثم قتل سنة ٩٢٣ ﻫ ثلاث وعشرين وتسعمائة حوالى صنعاء .

ومنهم الإمام يحيى حميد الدين فإنه ملك معظم اليمن قرابة أربعين سنة وكانت مقر ملكه صنعاء ثم قتل فى سواد حزيز سنة ١٣٦٧ ﻫ سبع وستين وثلثمائة وألف وسيمر بك الحديث عن هذه القضايا فى مواطنها من العصور الإسلامية إنشاء الله .

هذا ثم نهض بأعباء المُلْك بعد المَلِك سيف بن ذى يزن ـ أخوه شرحبيل بن النعمان بن عفير اليزنى ومكث ثلاث سنوات ولا ندرى من أحواله شيئاً غير هذا كما فى ج ٢ ـ ٢٥٨ الإكليل وتفسير الدامغة .

وبعد أن كانوا مساعدين صاروا محتلين

لقد ظلت الحامية الفارسية التى تركها « وهرز » بجانب الملك سيف بن ذى يزن مخلصة وَفيّه تؤدى واجباتها كما ينبغى تساند سيفاً بكل معانى الشرف والكرامة فلما قتل سيف بن ذى يزن بتلك الصورة وقام أخوه شرحبيل مقامه طيرت الخبر بالحادث إلى « كسرى أنو شروان » فانزعج كسرى لما بلغه وخالجته الظنون فدعا « وِهْرز » وكان لايزال على قيد الحياة وأمره بالتوجه على رأس جيش مؤلف من

أربعة آلاف جندى فارسى ، وأمره أن لا يترك باليمن أسود ولا ولد عربية من أسود إلا قتله صغيراً أو كبيراً ولا يدع رجلا جعداً قططا قد شرك فيه السودان إلا قتله فأبحر الأسطول بالجيش من موانىء فارس ولا زال يواصل إبحاره حتى أرسى بالموانىء اليمنية ثم توجه إلى صنعاء مواصلا سفره إليها وامتثل بما أمره « كسرى » ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أوصاه الملك المذكور إلا طبقه بالفعل ثم كتب إلى كسرى بذلك فاقره على ولاية اليمن .

وبعد أن كانوا مساعدين صاروا محتلين فقد تولى اليمن من ولاة فارس العدد الذى يلى هذا بدون ذكر مدة الحكم لأنا لم نقف على ذلك من التواريخ التى تحت أيدينا :

عدد

١ وهرِز

٢ ابنه المرزبان بن وهرز

٣ ابنه البينجان بن المرزبان بن وهرِز

٤ ابنه خرخره بن البينجان

٥ باذان الذى بعثه كسرى إلى اليمن من فارس بعد أن غضب على خرخرة وأدبه بالوصول إلى كسرى ، وهو باذان الذى بعث بإسلامه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأقره على عمله إلى أن قتله الأسود العنسى كما يأتى فى العصور الإسلامية .

هذه رواية ابن جرير ج ١ ـ ٥٦٥ فى ولاة فارس على اليمن كما أن المؤرخ المسعودى يخالف بعض المخالفة فارجع إليه ج ٢ ـ ٨٧ .

وكذا فى سيرة ابن هشام وغيرها .

هذا وما تبقى لنا من القول أو الرأى أو مزيد من المعلومات من ولاة فارس باليمن فقد أرجئناه إلى الجزء الثانى «اليمن حامل لواء الإسلام» من سلسلة تاريخنا فى العصور الإسلامية وبانصرام الكلام عن ولاة فارس وخبر الأحباش ينصرم الفصل الخامس شارعاً بالفصل السادس وأوله «الدولة القحطانية خارج اليمن» سائلا من الله الفوز والإعانة .

وتحفيزاً للناشئة المساحة بالإيمان والعلم والعمل والأخلاق الكريمة ـ أختم هذا الفصل ـ فى مرارة وحزن بكلمة المستشرق «برنار لويس» فى كتابه «العرب فى التاريخ» :

«لم يبق للعربية السعيدة ـ اليمن ـ من كل ما تملكه فى القدم إلا الاسم» .

الفصل السادس

الدول القحطانية خارج اليمن

فى هذا البحث المتواضع ننتقل بالقارىء من البلاد السعيدة إلى خارجها ، كخاتمة لدول اليمن فى داخلها وخارجها ، ولكى نعيد إلى ذاكرته عظمة أمجاده ، وأنهم أولوا حضارة سامقة ، وتمدن عريق مجيد ، وشوكة وبأس شديد ، امتدّ سرادق نفوذهم على الجزيرة العربيّة حيناً من الدهر ، واتسعت رقعة المملكة وبسطت سيادتها على كثير من البلدان أحياناً ، وأسسوا حكومات ذات نظام ، ودولا بعيدة الصوت .

ولم تكن حضارتهم وقفاً عليهم ، بل أشعلوها وضاءة فى كل مكان ، ومن نضجهم الفكرى والسياسى ، كما سبق الإلماع إلى ذلك .

كما وأن الخضراء كانت مصنع العروبة ، ومستودع فيضان الموجات البشرية كما سبقت البراهين بذلك ، فكانت بنو قحطان تفيض بقبائل كبيرة مفارقة أوطانها البلاد السعيدة طلباً للتوسع أحياناً ، ولتزاحم السكان ، وتضاعف النسل ، وطلب الارتزاق أحياناً أخرى ، ولنشاطهم وذكائهم كونوا مستعمرات وممالك لها شأن عظيم .

فاتجهت الموجة الأولى بنو جرهم الأولى إلى مكة المشرفة فى أزمان متوغلة فى التاريخ وسكنوها حتى جاءهم النبى إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ، وصاهرهم ، وأخذ عنهم اللسان العربى ، وقبضوا على زمام الأمور ، كما جابوا غالبين على بابل فى عصور قديمة ، واستولوا على مصر ذلك الحين باسم الرعاة

والهيكسوس ، ويظهر أن العمالقة الذين يعدون من فصيلة الرعاة والهيكسوس في العصور الخالية نزلوا « يثرب » وغيرها ، ومنهم الفراعنة[١] .

وقد يستدل على هذا الرأى بأن بقايا آثارهم لدينا باليمن لا تزال ماثلة ، فإنه يوجد فى وادى السر وادٍ تسمى بوادى « فرعون » والجرام السكاسك : بلاد الجند .

وجاب « آل أذينة » متخطين الحواجز ، فملكوا سوريا الشرقية ، وبعض العراق .

والملكة « الزباء » زنوبيا ، صاحبة مملكة تدمر الشهيرة ذات الآثار العظيمة الواقعة فى برية السماوة[٢] .

وقبيلة طىء التى نزلت جبلى « أجا » و « سلمى » المشهورين ، واللذان تسميا باسم القبيلة ، فيقال : جبلا طىء ، وقد سكنتهما طىء من قبل الإسلام بقرون ، واشتهر ذكرها حتى عند « السريان » والفرس يسمون كل العرب « طيئا »[٣] .

وفى ذلك يقول بعض طىء :

وبالجبلين لنا معقـــل صعدنا إليه بسمر الصعاد
ملكناه فى أوليات الزمن من بعد نوح ومن قبل عاد[٤]

وقال فى تفسير الدامغة : أن طيئا انتقلت من الجوف ، وذكر هناك خبراً

---

(١) التاريخ العام لسديو ص ٣٤ ، ٣١ .
(٢) التاريخ العام ص ٤١ .
(٣) فجر الإسلام ج ١ ص ٧
(٤) راجع ج ١ – ٩٠ الإكليل .

ويسمى اليوم الجبلان « جبل شمر » ولا زال لطيء بقية كبيرة في الجبلين المذكورين ، والجزيرة الفراتية[1] ، ولمع منها قادة ، وفرسان ، وأدباء ، وعلماء ، ونبلاء[2] .

ومنها قبائل قضاعة الحميرية التي منها « سليح » و « الضجاعم » نزلت مشارف الشام والعراق ، وكان لها مدينة « الحضر » المشهورة الواقعة في صحراء « سِنجار » بين دجلة والفرات ، والتي يقول فيها الشاعر المشهور عدي بن زيد العِبادي من قصيدة له :

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تجبى إليـه ، والخابور
شاده مرمراً وجلله كِلْساً فللطير في ذراه وُكور
لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبـابه مهجور

وغير هذه القبائل مما يطول الحديث عنهم ، ونكتفي بالإشارة إليها دون استقصاء أخبارهم ، لأن ذلك يخرجنا عن شرطنا ألا وهو الاختصار .

ولأنها تحتاج إلى بحث جدّ كبير ، ونفاذ بصيرة ، وتحليل ، وغربلة ، وربما نصطدم بطبقة كثيفة من الغموض .

وننتقل الآن إلى الموجات اليمنيّة الأخيرة التي هي أوضح من سابقتها ، والتي تعرضت لأسباب معقولة ، والتي أسلمها خراب سدّ مأرب إلى النزوع إلى خارج السعيدة ، والنزوح عنها مكرهين .

---

(١) راجع كتب الأنساب .

(٢) راجع كتب التواريخ .

خراب سد مأرب وتفرق قبائل سبأ

كان لانفجار سد مأرب وتصدعه أثر عميق فى نفوس اليمنيين ، بل فى الجزيرة العربية جمعاء ، وشؤم على الحميريين ، ونكبة حادة ، وحدث تاريخى جلل غيَّرَ مجرى تاريخ « الخضراء » السياسى ، والطبيعى .

ولروعة الفاجعة ، وعظم الكارثة نوّه بها القرآن الكريم وفى محكم التنزيل ذاكراً ما كانوا عليه من عز ونعمة وما آل من أمرهم من النقمة والبلاء ، والشتات والتفرق ، فقال عز من قائل :

« لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُور » إلى آخر الآيات .

وقد سبق وصف ما كانوا عليه من العيش الهنىء والحال الرخى والسعادة والرفاهية بنص القرآن وأخبار العلماء .

وكانت مأرب وتلك العواصم الكبيرة المتقاربة المتشابكة العمران والمكتظة بالسكان تضم أكبر أمة وأعظم الشعوب حيوية وثقافة ورجولة ، فعلى أثر تصدع السد تفرقت تلك القبائل فى الآفاق ، ومصداق ذلك قوله تعالى : « وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّق » .

وبما أن خراب السد أحدث دوياً فى أصقاع الجزيرة العربية ضربت بهم العرب المثل فقالوا : تفرقوا أيدى سبأ ، وذهب بنو فلان أيدى سبأ .

وحاول التبابعة إعادة سالف رونقهم ، وبريق حضارتهم ، ورغيد عيشهم على غير جدوى ، ولما عرفوا أنهم معرضون لفيضانات دورية ، هجر أكثرهم بلاده ليقيم مملكة « الحيرة » ومملكة « غسّان » .

وتنشىء خزاعة الأزدية «مستعمرة» الظهرين : وادى فاطمة اليوم ، وخَلَفَتْ جرهم فى سدانة البيت الحرام ، إلى أن أخذها منهم « قصى بن كلاب » جد النبى صلى الله عليه وسلم مقابل مال سلمه لأبى غبشان الخزاعى الأزدى والقصة مشهورة راجع تفسير الدامغة

ونزلت بنو الأوس والخزرج أبناء حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقيا بن عامر « يثرب » وجعلوها دار قرارهم ومعقل عزهم ثم صارت فيما بعد متبوء النبى الكريم ومأواه ومهوى أفئدة ملايين المسلمين .

تفرق الأزد ودولة الغساسنة

قال لسان اليمن « فى كتابه صفة جزيرة العرب » : ولما خرج عمرو بن مزيقيا بن عامر ماء السماء هو ومالك بن اليمان من مارب فى جماعة الأزد وظهرا إلى مخلاف خولان وعنس ، وحقل « صنعاء » فاقبلوا لايمرون بماء إلا أنزفوه ولا كلأً إلا سحقوه لما فيهم من العدد والعُدَد والخيل ، والإبل والشاء ، والبقر وغيرهم من الأجناس السوام ، وفى ذلك تضرب لهم الرواد فى البلاد وتلتمس لهم الماء والمرعى وكان من روادهم رجل من بنى عمرو بن الغوث خرج لهم رائداً إلى بلاد إخوانهم همدان فرأى بلاداً لاتقوم مراعيها بأهلها وبهم فأقبل آتياً حتى وافاهم وأنشد شعراً[(١)] .

وكان من روادهم رجل يقال له عائذ بن عبد الله من بنى نَصْر بن الأزد خرج لهم رائداً إلى بلد إخوتهم حمير فرأى بلاداً وعرة لاتحملهم مع أهلها فأقبل آتيا حتى وافاهم فقام فيهم منشداً[(١)] .

---

(١) راجع صفة جزيرة العرب

ثم إنهم أقاموا بأزال « صنعاء » وجانب بلد همدان فى جوار ملك حمير فى ذلك العصر حتى استحجرت خيلهم ونعمهم وماشيتهم وصلح لهم طلوع الجبال فطلعوها من ناحية سهام ورمع وهبطوا على « ذؤال »[١] وغلبوا على غافق بطن من عك وأقاموا بتهامة ما أقاموا حتى وقعت الفرقة بينهم وبين كافة عَك[٢] فساروا إلى الحجاز فصار كل فخذ إلى بلد فمنهم من نزل السروات ومنهم من تخلف بمكة وما حولها وهم خزاعة ، ومنهم من خرج إلى العراق ومنهم من سار إلى الشام ، ومنهم من قصد عمان ، واليمامة ، والبحرين فأزد السروات سبق ذكرهم فى ص ١٦٨ .

وأما ساكن عمان من الأزد فيحمد وحدان ومالك ، والحارث وعتيك وجُديد ويُقال لهم أزد عمان .

وأما من سكن الحيرة ، والعراق فدوس ، وأما من سكن الشام فآل محرق والحارث وآل جفنة ابنى عمرو مزيقيا .

وأما من سكن « المدينة » فالأوس والخزرج وأما من سكن مكة ونواحيها فخزاعة ثم ذكر بقية الأزد ومساكنها فارجع إليه .

وقال المسعودى ج ١ — ١٩٠ « وسار عمرو بن عامر ببنى مازن حتى نزلوا بلاد الأشعريين وعك على ماء يقال له « غسان » بين واديين يقال لهما زبيد ورمع وهما مما يلى صدورها بين صعيد يقال له صعيد الحسك وبين الجبال التى تدفع به فى زبيد ورمع فأقاموا على « غسان » وشربوا منه فسموا « غسان » وغلبوا على أسمائهم فلا يعرفون إلا به قال شاعرهم[٣] :

إما سألتِ فإنا معشر نجب الأزد نسبتنا والماء غسّانُ

---

(١) ذؤال بضم الذال بطن من وعك وواد راجع كتب الأنساب وصفة جزيرة العرب وقرة العيون .

(٢) راجع شمس العلوم والإكليل ج ٢ .

(٣) هو شاعر الإسلام حسان بن ثابت الأنصارى .

والذين سموا آل غسان من بنى مازن الأوس ، والخزرج أبناء حارثة بن ثعلبة ابن عمرو مزيقيا والتوأم ، وعدى ابناء حارثة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن ابن الأزد . انتهى كلام المسعودى

وغسان الماء المذكور لا يزال معروفا إلى يوم الناس هذا بأسفل وادى رمع ونوه به « لسان اليمن » .

وقد ذكره اليونان فى أواسط القرن الثانى من الميلاد فى جملة بلاد تهامة وشواطىء البحر الأحمر .

أما القبيلة المذكورة « غسان » فذكرها « بطليموس » فى أواسط القرن الثانى للميلاد قال : إنهم يقيمون على شواطىء جزيرة العرب الغربية نحو ما هو موجود الآن بتهامة .

وغلب اسم « غسان » أو الغساسنة أو الغسانيون على آل جفنة بن عمرو مزيقيا الذين لازال لهم بقية بالشام ولبنان إلى عهدنا هذا ومنهم ملوك اليمن آل رسول الآتى ذكرهم فى العصور الإسلامية .

ونزلت غسان من آل جفنة مشارف الشام وفيها الضجاعمة من قضاعة ثم من سليح فغلبوهم على مابأيديهم فى خبر طويل ذكرناه فى غير هذا الموطن وفى تعليقنا على ج ١ ص ١٨٣ من الإكليل .

وكان سلبهم لمملكة الضجاعم على سبيل التدرج وطبيعة ناموس التطور والارتقاء ، وأنشأوا لأنفسهم دولة عربية تحت رعاية الروم فيما يسمى اليوم « حوارن والبلقاء » عرفت « بدولة الغساسنة أو بنى غسان » وكانت عاصمتهم « بصرى » فى حوران ، وتعرف أنقاضها «رتاسكى شام» وكان بها دير الراهب « بحيرى » الذى جاء ذكره فى السيرة النبوية ، وتارة تكون عاصمتهم « جِلَّق» قرب دمشق — أو هى دمشق نفسها — قال شاعر الإسلام حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه يمدح ملوك غسان ويذكر عاصمتهم جِلّق :

لله دَرُّ عصــابةٍ نادمتهم يوماً بجلّق فى الزمان الأول
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
أبناء جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الــكريم المفضل
يغشون حتى ما تَهِرُّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
يسقون من ورد البريص عليهم بَرَدَى[1] يصفق بالرحيق السلسل

أسماء ملوك غسان

أحسن ماوصل إلينا وتلقفته أيدينا عن تسلسل ملوك غسان هو كتاب « سنى ملوك الأرض » لحمزة الأصفهانى فإنه ركّز تفـكيره على تحقيق أسماء الملوك ومدد حكمهم ، ومعاصريهم غير ملتفت إلى أعمالهم .

وقد اعتمدناه دون أن نتقيد برأى من آراء المؤرخين الآخرين ابتعاداً عن الخلافات التى بين مؤرخى العرب أنفسهم وعن ما أبداه المستشرق الأستاذ نولدكه الألمانى ، الشهير من المناقشة فى ذلك وكذا المؤرخ جرجى زيدان فإنه مال إلى كلام المؤرخ « أبى الفداء » المشهور فى مدة حكم دولة الغساسنة بعد المقايسة والمقارنة .

ونحن اختصرنا ذلك كى نعطى للقارىء عن ملوك غسان صورة صافية سريعة العلوق بذهنه وبدون عناء وهذه أسماء الملوك مع مدة الحـكم على رواية حمزة الأصفهانى غير ذاكرين المعارض لهم من ملوك الروم :

(١) بردى نهر دمشق وهذا دليل أن عاصمتهم كانت دمشق

عدد	أسماء الملوك	مدة الحكم	عدد	أسماء الملوك	مدة الحكم
١	جفنة بن عمرو مزيقيا	٤٥	١٨	الحارث الثالث بن الأيهم	٢٢
٢	عمرو بن جفنة	٥	١٩	النعمان بن الحارث الثالث	١٨
٣	ثعلبة بن عمرو	١٧	٢٠	المنذر بن النعمان	١٩
٤	الحارث الأول بن ثعلبة	٢٠	٢١	عمرو »	٣٣
٥	جبلة بن الحارث الأول	١٠	٢٢	حِجر » »	١٢
٦	الحارث الثانى بن جبلة ابن مارية	١٠	٢٣	الحارث بن الرابع بن حجر	٢٦
٧	المنذر الأكبر بن الحارث الثانى	٣	٢٤	جبلة بن الحارث الرابع	١٧
٨	النعمان » »	١٥	٢٥	الحارث بن جبلة بن أبى شَمِر	٢١
٩	المنذر الأصغر	١٣	٢٦	النعمان بن الحارث أبو كرب	٢٧
١٠	جبلة بن الحارث الثانى	٣٤	٢٧	الأيهم بن جبلة بن الحارث	٢٧
١١	الأيهم » »	٣	٢٨	المنذر » »	١٣
١٢	عمرو » »		٢٩	شراحيل » »	٢٥
١٣	جفنة بن المنذر الأكبر	٢٦	٣٠	عمرو » »	١٠
١٤	النعمان » »	٣٠	٣١	جبلة بن الحارث	٤
١٥	النعمان بن عمرو بن المنذر	٢٧	٣٢	جبلة بن الأيهم أسلم فى عهد عمر بن الخطاب وهو صاحب القصة المشهورة مع الأعرابى الفزارى	٣
١٦	جبلة بن النعمان	١٦			
١٧	النعمان بن الأيهم	٢١			

فمدة سيادة الغسانيين — على رواية حمزة — نحو ٦٠٠ ستمائة سنة أى من أوائل القرن الأول للميلاد إلى ظهور الإسلام.

ملوك غسان فى تاريخ اليونان

أول من ذكره اليونان من أمراء غسان أمير اسمه «جبلة» لم يذكروا والده ولا لقبا يمتاز به وإنما ذكروا أنه نَصَر الرومَ وأخمد ثورةً أقلقت راحتهم سنة ٥٤٧ م[1] فمنحوه رتبة « فيلارك » أى أمير أو رئيس قبيلة وجعلوه عاملا على « بطرا » من أعمال الشام[1] .

الحارث بن جبلة عند الروم[1] :

كان للحارث هذا مقام رفيع عند الروم ، وكانو يهابون سطوته ويعجبون بشجاعته وقد بالغوا فى تقريبه وترقيته والخلع عليه حتى أسموه ملكا ، وبطريقاً وهو لقب أشراف الروم وعمالهم وعرف من ذلك الحين «البطريق الحارث» وشاع ذلك وعرفه السريان واليونان ولم يعرف مؤرخو العرب من ألقابه غير الملك .

وبلغ من شهرته فى الشجاعة وشدة البأس أن كانت النساء يخوفن أولادهن باسمه فإذا بكى الطفل أو تمرد قالت له أمه : « اسكت وإلا أتيتك بالحارث بن جبلة » .

وكان الحارث هذا من أكبر أعوان « بليزاريوس » القائد الرومانى فى محاربة الفرس سنة ٥٣١ ، لرِدّ هجمات الفرس والعرب المناذرة عن مملكة الروم .

وكان كسرى أنوشروان قد خلف أباه قباذ على عرش فارس فى تلك السنة وكان على مملكة الروم القيصر « جوستنيان » العظيم فتعاصر الملكان وكلاهما شديد البأس ، وكان جند الروم فى حرب أوربا وافريقية وقائدهم الأكبر بليزاريوس

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام جرجى زيدان — ٣١٤ ، ٣١٥ ، وفى الأصل من جرجى زيدان —٩٤٧ وهو وهم إذ هذا التاريخ فى عصر الإسلام وربما كانت هفوة مطبعية

المتقدم الذكر فسعى « جوستنيان » فى مصالحة الفرس ليتفرغ لتلك الحروب فصالحه أنوشروان على شروط ارتضاها ثم أدرك أنوشروان ما اكتسبه عدوه بتلك المصالحة فندم على صلحه ولم يتعود النكث فلجأ إلى عامله على العرب ملك الحيرة المنذر ماء السماء اللخمى ، وكان ذا دهاء ، ولم يدخل فى المعاهدة المذكورة .

والمنافسة بين المنذر هذا وبين الحارث الغسانى طبيعية يومئذ وكانا على نزاع دائم على طريق الماشية فى جنوبى «تدمر» يزعم المنذر أنها من مملكته ويقول الحارث إنها له ، وتحاربا وانتصر كسرى للمنذر وكأنه أوعز إليه أن يوغل فى ممتلكات الحارث غزواً ونهبا ففعل فعادت الحرب بسبب ذلك بين الدولتين فارس والروم ، وحمل كسرى على سوريا وآسيا الصغرى وكاد يفتح القسطنطينية ونصيره الملك المنذر المذكور واهتزت مملكة الروم وارتعدت فرائص القيصر فاستنهض قائده بليزاريوس من أفريقية واستنصر بالغساسنة وعلى رأسهم الملك الحارث وخلع عليه فمشى جند الروم بقيادة هذين الرجلين وتقدم بليزاريوس فى معظم هـذا الجيش حتى خالف جيش كسرى فى الطريق فنزل ما بين النهرين وتجاوز نصيبين إلى بلاد الفرس وخَلَّفَ الحارث بن جبلة وراءه ليستأثر هو بثمار الفتح والنهب وأدرك الحارث غرضه فقطع أخباره منه ، وبلغ كسرى ما فعله الروم فرجع إليهم وأخرجهم من بلاده ، ولم يفلح الروم فى حملتهم هـذه لأسباب لا محل لذكرها هنا .

ثم تقاتل الغساسنة واللخميون وطالت الحرب بينهما وانتهت بواقعة آلت إلى دخول قِنَّسْرِين فى حوزة الحارث بعد أن قتل أحد أبنائه ، وقتل المنذر بن ماء السماء اللخمى ، وهى المعركة التى يسميها العرب يوم ذات الخِيار أو عين أباغ[1] .

---

(١) راجع ابن الأثير ، والأغانى لهذه الأيام .

وعقب يوم أباغ «يوم حليمة» التى ضرب بها المثل «ما يوم حليمة بسر» وفيه حل المنذر بن المنذر المقتول «تولى سنة ٥٨٢» للأخذ بثأر أبيه فلاقاه الحارث الأعرج وهو (غير ابن أبى شمر) فى مكان «مرج حليمة» ودارت الحرب بينهما أياما لا ينتصف أحدهما من صاحبه فجعل الحارث ابنته حليمة زوجة لمن يقتل المنذر بن المنذر فقتله لبيد بن عمرو الغسانى ، وكانت وقعة هائلة اجتمع فيها عرب العراق كافة تحت راية المنذر وعرب الشام كلهم تحت راية الحارث .

وشخص الحارث بن أبى شمر الغسانى سنة ٥٦٣ إلى القسطنطينية لمخابرة القيصر بشأن ابنه المنذر ليكون خلفاً له على ملك الشام وفيما ينبغى اتخاذه من الوسائل على صاحب الحيرة ، وهو يومئذ عمرو بن هند مضرط الحجارة .

وهى أول مرة زار الحارث عروس المدائن « القسطنطينية » فأدهشه مارآه فيها من العظمة والأبهة والثروة كما دهش أهلها من رؤية الحارث الذى طالما سمعوا به وخوفوا أبناؤهم باسمه فرأوه رجلا ذا هيبة وقامة وجلال .

أما هو فلم يستأنس بالمدينة ولا بأهلها لبعدها عما ألفه من طلاقة البادية وسذاجة عيشها .

والحارث هذا هو الذى توسط لامرىء القيس الشاعر المشهور فى الذهاب إلى قيصر القسطنطينية بعد أن أودع السموأل أدراعه فى القصة المشهورة وتوفى الحارث سنة ٣٦٩ .

وقد قضى أربعين سنة فى الحروب والغزوات ، ونال من المنزلة والسطوة ما لم ينله سواه وخلفه ابنه المنذر ، والروم يسمونه المنذوس .

وكان على الحيرة قابوس ، أخو عمرو بن هند فحاربه المنذر فغلبه ، وكان المنذر

قد حارب مع جند الروم فى حياة أبيه وهو أمير فلما خلف أباه سماه بطريقا وأعان الروم فى مواقع كثيرة وحاز فوق ماحاز أباه من الاحتفاء ، فشخص إلى القسطنطينية سنة ٥٨٠ ثمانين وخمسمائة مع ولديه فاحتفل به الروم وقيصرهم يومئذ طيباريوس ، فألبسه التاج وسماه بعض مؤرخى الروم لذلك « المنذر ملك العرب » .

وذكر الروم بعد المنذر ابنه النعمان حكم سنة ٥٨٢ م ولم يطل حكمه وآخر ملوك غسان عند الروم حجر بن النعمان ، فلما نهض هرقل لاسترجاع سوريا من الفرس ظهر بين الغسانيين جبلة بن الأيهم ، وخبره مع عمر بن الخطاب فى صدر الإسلام مشهور[1] .

مملكة الغساسنة وآثارها

لما نزل آل غسان الشام كما سبق الكلام عند ذلك خيموا فى باديتها من جهة حوران ثم سكنوا البلقاء وأذرح ، واتسعت مملكتهم باتساع سلطانهم فبلغت معظم اتساعها فى أيام الحارث بن جبلة المذكور وأولاده وأصبحت كلمة الغساسنة نافذة فى حوران وسائر مشارف الشام وفى تدمر وعلى سائر عرب سوريا وفلسطين ولبنان البدو منهم والحضر وشاد الغسانيون كثيرا من القصور والأديار وأنشأوا المدن والقرى ، وبنوا القناطر ، وأصلحوا الصهاريج .

ومما ينسبون بناءه إليهم من المواضع والبلاد ، قصر « قسطل » بالبلقاء وفيها ، يقول كُثَيِّر :

سقا الله حيا بالموقر دارهم   إلى قسطل البلقاء ذات المحارب[2]

---

(١) راجع تفسير الدامغة   (٢) ياقوت ج ٣

ومنها أذرح من أعمال الشراة بالأردن ، والجرباء بجانبها .

ومن القصور صرح الغدير ، والقصر الأبيض ، والقلمة الزرقاء وقصر المشق وقصر الصفا وقصر للنار وقصر السويداء ، وقصر بركة ، وقصر أبين وغيرها .

ومن الأديرة دير حالى ودير الـكهف ، ودير هند ودير النبوة .

ومن الأبنية الأخرى القناطر وجسر عاملة ودير الـكهف وإصلاح صهاريج الرصافة (رصافة الشام) وذكر لهم العرب أبنية أخرى يصعب معرفة أما كنها لقلة العناية بالتنقيب عن آثار هذه الدولة .

وآخر من عنى بالتنقيب عن تلك الآثار الأستاذ « درسو » الفرنسى فإنه ارتاد جبال حوران وغورها ، وشاهد عدة حصون ومن جملة ما رأى أنقاض القصر الأبيض مبنيا فى منبسط من الأرض مربع الشكل حوله سور فيه برج عال .

ويمتاز القصر الأبيض من بينها بنقوش جميلة فيها صور وطيور وخيول وفهود وأسود وبقر وأفيال حتى السمك .

ويقول «غستاف لوبون» فى حضارة العرب ص ١٢١ : وظهرت عظمة مملكة غسان على الخصوص من حل الـكتابات الحميرية المنقوشة على جدران مبانيها القريبة من عاصمتها القديمة « بصرى » الواقعة على حدود سوريا ، ومن آثار قنواتها التى تشهد بما كان عند سكانها من الاستعداد الـكبير للقيام بالأعمال العظيمة .

وقال المسعودى فى كتابه «التنبيه والأشراف» نشره غويه ليدن سنة ١٨٥٣م من ص ٢٠٢ : وقد كانت غسان تؤرخ بانفجار السد جاعلة تلك الحادثة فاتحة عهد جديد .

انتهى القول باختصار حول دولة غسان القحطانية خارج اليمن فى العصور الذهبية قبل الإسلام .

دولة اللخميين بالعراق

هذه هى الدولة القحطانية الثانية التى أرست قواعدها خارج الخضراء بعد طول عناء ونزلت العراق ، وتسمى على السواء دولة آل نصر نسبة إلى نصر بن ربيعة بن الحارث بن مسعود بن مالك بن عمم بن نمارة بن لخم أوبال لخم أو اللخميين نسبة إلى لخم وهو مالك بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن حمير بن سبا أوبال عمرو ن عدى بن نصر المؤسس الأول لهذه الدولة و ملوك الحيرة لمدينتهم التى هى أول مانزلوا بها واتخذوها عاصمة للكهم، أو المناذرة لكثرة ما جاء فى أسماء ملوكهم بالمنذر كما يأتى ذكرهم .

أجمع المؤرخون بأن اللخميين قبيلة قحطانية بحتة ولا معول على فلسفة المؤرخ جرجى زيدان إذ هى مبنية على أصل غير صحيح ومقدمات فاسدة لا تأتى بنتيجة مقبولة .

ولم تشر المصادر التى بين أيدينا إلى الأماكن التى كانت تسكنها هذه القبيلة فى داخل الخضراء ولا إلى تحديد الزمن الذى انتقلوا فيه منها إلى العراق

وبعد لأى وبحث دقيق تبين من ملامح ما تصيدته من تفسير الدامغة أن قبيلة لخم كانت تسكن بلاد سبأ فلما تفرقت قبائل سبا للحادث المشئوم كانت لخم إحدى القبائل التى نزحت عن مارب مع إخوتها قبائل سبأ مصاحبة لقبيلة دوس الأزدية التى عقدت حلفاً مع قضاعة اليمن التى نزلت العراق سابقا واجتمعت إليهم قبائل من العرب كأياد وغيرها وسميت كلها تنوخا لأنهم تقنخوا العراق أى أقاموا به وَملكوا عليهم مالك بن فهم بن غنم الدوسى فى خبر طويل ثم وقفت على كلام لابن جرير ج ١ ص ٣٤٦ نقلا عن هشام ابن محمد الكلبى بأنهم أى اللخميين انتقلوا من تهامة ، والله أعلم أى حين كان ذلك

وألم حمزة الأصفهانى بشىء من ذلك فى مبتدأ أمرهم وكيف صار إليهم الملك.

ويمتاز تاريخ هذه الدولة بأنه أوضح من تاريخ آل غسان ، وأثبت لأنه كان مدونا فى كتب الحيرة مثبتا فى بيعهم وأشعارهم ، وفيها أنسابهم وأخبارهم ومبالغ أعمارهم ، وعليهم كان معول المسلمين ، فيما ورد من أخبار هذه الدولة وفى مقدمتهم إمام هذا الفن هشام بن محمد الكلبى الذى أنار الطريق للمؤرخين جميعا ولكن للأسف الشديد قد ضاعت كُتُبُه إلا النادر اليسير .

كما أن لسان اليمن تحدث عن هذه الدولة ودولة غسان فى كتبه المفقودة وأشار إلى ذلك فى بعض كتبه الموجودة[1] .

وقد ظلت هذه الدولة تتمتع بسلطانها منذ أسست كيانها إلى أن أزالها الفتح الإسلامى سنة ١٢ اثنى عشر من الهجرة ودخلت مناصرة للاسلام بحكم عروبتها والاعتزاز بقوميتها ، ولمع منهم فى العصور الإسلامية قادة وملوك ونبلاء كان لهم أعمق الأثر فى توطيد الإسلام فى البلاد النائية ومنهم القائد المشهور موسى ابن نصير فاتح الأندلس سبانيا سنة ٩٢ اثنين وتسعين هجرية وولديه عبد الملك وعبدالعزيز ، ومنهم ملوك أشبيلية وقرطبة بالأندلس بنوعبّاد اللخميين الذى منهم المعتمد بن عباد المشهور الشاعر والملك ومنهم الحافظ المشهور صاحب المعاجم فى الحديث «الطبرانى» ولهم بقية بالشام والعراق ولبنان منهم الأرسلانيون الذى منهم كاتب الشرق شكيب أرسلان .

واعتمدنا فى بحثنا هذا عن دولة آل نصر اللخميين على تاريخ « حمزة الأصفهانى » فإنه استوفى تاريخهم ومبالغ أعمار الملوك منهما وأورد كل ملك ومدة حكمه ومن عاصره من ملوك الفرس ومدة معاصرة كل ملك .

---

(١) ج ١ — ٩٠ الإكليل .

كما أن المؤرخ جرجى زيدان أبدى ملاحظة قيمة وذلك فى تعيين بداية حكم كل واحد منهم ونهايته مع ملاحظة قرائن أخرى اقتضت التعديل فى بعض الأحوال ولا سيما فى مدة حكم بعض الملوك التى جاوز حد المعقول كمدة عمرو بن عدى فقد جعلها حمزة ١١٨ مائة وثمانية عشر سنة ومدة خلفه امرىء القيس ١١٤ مائة وأربع عشر سنة فعدل ذلك وأمثالها بالتطبيق على مدد حكم المعاصرين لهم من الفرس وغيرهم وبقرائن أخرى .

وقد نهجنا هـذا التعديل لأنه الذى ينطبق على واقع العقل وطبيعة عمر الإنسان . وإن كانت بعض أعمار الرجال تشذ عن العمر الطبيعى .

وهذا جدول بأسماء ملوك الحيرة وبداية تاريخهم .

جدول ملوك « آل لخم » فى الحيرة

عدد	إسم الملك العربى	سنة الحكم	مدة الحكم
١	عمرو بن عدى	٣٦٨ م	٢٠
١	امرؤ القيس بن عمرو	٢٨٨ م	٤٠
٣	عمرو بن امرىء القيس	٣٢٨ م	٤٩
٤	أوس بن قلام	٣٧٧ م	٥
٥	امرؤ القيس المحرق بن عمرو	٣٨٢ م	٢١
٦	النعمان الأعور بن امرىء القيس	٤٠٣ م	٢١
٧	المنذر بن النعمان الأعور	٤٣١ م	٤٢
٨	الأسود بن المنذر	٤٧١ م	٤٢٠
٩	أخوه المنذر بن المنذر	٤٩٣	٧
١٠	ابن أخيه النعمان بن المنذر	٥٠٠	٥

عدد	أسماء الملوك	سنة الحكم	مدة الحكم
١١	علقمة ابن يعفر	٥٠٤	٣
١٢	امرؤ القيس بن النعمان	٥٠٧	٥
١٣	المنذر بن أمرىء القيس الملقب ابن ماء السماء	٥١٤	٤٩
١٤	والحارث بن عمر الكندى		
١٥	عمرو بن هند مضرد الحجارة	٥٦٣	١٦
١٦	أخوه قابوس بن هند	٥٧٨	٤
١٧	فيشهرت (أو زيد)	٥٨١	١
١٨	المنذر بن المنذر بن ماء السماء	٥٨٢	٣
١٩	النعمان بن المنذر أبو قابوس	٥٨٥	٢٨
٢٠	إياس بن قبيصة الطائى	٦١٣	٥
٢١	زاديه	٦١٨	١١
٢٢	المنذر المغرور	٦٢٨	٤

فعدد ملوك الحيرة ٢٢ اثنان وعشرون ملكا تولوا الملك ٣٦٧ سبع وستين وثلثمائة سنة وكلهم من نسل عمرو بن عدى اللخمى إلا ستة من غيرهم أربعة من العرب واثنان فارسيان وهم أوس بن قلام والحارث بن عمرو بن حُجر الكندى وعلقمة بن يعفر الذميلى وإياس بن قبيصة الطائى ، والفارسيان هما فيشهرت ، وزاديه .

وكانت عاصمة ملكهم جميعاً « الحيرة » بكسر الحاء المهملة التى تبعد عن الكوفة بثلاثة أميال وقرب الموضع المسمى اليوم « النجف » على ضفة الفرات

الغربية وهى اليوم أنقاض منذ أزمان بعيدة وتقع فى الجنوب الشرقى من مشهد على ابن أبى طالب رضى الله عنه .

وسميت الحيرة لأن تبع أسعد أبو كرب بن ملكيكرب خلف بها من لم تكن له قوة من جيوشه ومن لم يقو على المضى معه من الناس ولا الرجوع إلى بلاده فتحيروا هنالك حتى رجع إليهم وأقاموا فأقرهم على حالهم وانصرف راجعاً إلى اليمن قال كعب بن جعيل التغلبى[1] :

وغزا تُبعُ فى حمير حتى نزل الحيرة من أهل عدن

وذكرت فى مؤلفات السريان بأنها مدينة « العرب » وحيرة النعمان أو حيرة المنذر .

واشتهرت الحيرة بصحة هوائها لقربها من هواء البرية النقى حتى قالوا « يوم وليلة فى الحيرة خير من دواء سنة » ، وظلت الحيرة عامرة بعد الإسلام عدة أجيالٍ ، وكان بجوارها قصران كبيران هما الخورنق ، والسدير كالقلاع ، والأول منهما على مرتفع مشرف على الحيرة على نحو ميل فى شرقيها وسيأتى ذكرهما وللحيرة تاريخ مجيد وعظيم ربما نأتى عليه فى بعض كتبنا إنشاء الله تعالى وعثر فيها على كتابات حميرية .

وحيث أن أخبار هذه الدولة واضحة الملامح فلا بأس أن نلم من أخبارها ما يسوغه لنا المقام فأولهم .

---

(١) صفة جزيرة العرب » تاريخ ابن جرير ج ١ – ٣٤٩ .

(١) عمرو بن عدى من سنة ٢٦٨ ـ ٢٨٨ :

تقدم نسبه فى صدر البحث تولى عدى شراب جَذِيمة الأبرش فى أثناء دولته وكان لجذيمة أخت اسمها رقاش فأحبت الشاب عدى واحتالت فى تزوجه ، وتواطأت معه على أن يسقى أخاها خمرا حتى يسكر ثم يخطبها ففعل فأجابه جذيمة وهو سكران فلما صحا ندم فخاف عدى فهرب ووضعت رقاش غلاماً جميلا جاء به بعضهم إلى جذيمة فأحبه لجماله وذكائه وسماه عمراً وشب عمرو وترعرع بأحسن ما يكون من الفتيان فطوقه خاله جذيمة الأبرش طوقا من ذهب فلما كبر عمرو بن عدى أرادوا نزع الطوق منه فقالوا « شب عمرو عن الطوق » فصارت مثلا .

وكان جذيمة بن مالك يلقب تارة بالأبرش وتارة بالوضاح لأنه كان به برص فأكبرته العرب أن تنعته إعظاما فسمته الأبرش والوضاح وكان جذيمة ثاقب الرأى بعيد المغار شديد النكاية ظاهر الحزم وهو أول من غزا بالجيوش فشن الغارات على قبائل العرب واستولى على سواد العراق إلى ما بين الحيرة والانبار وغير ذلك مما هو مذكور فى التواريخ وقصته مع الملكة الزباء مشهورة .

ولما قتل فى حادثة الزباء قام ابن أخته عمرو بن عدى مقامه وأخذ بثأر خاله بحيلة على يد رجل من لخم اسمه « قصير » الذى يضرب به المثل « لا يطاع لقصير أمر » و «لأمرما جدع قصير أنفه » فقتل الزباء «زنوبيا» فى خبر طويل .

واتخذ عمرو «الحيرة» منزلا خاصاله وبأهل دولته فى أوائل الدولة الساسانية فعاصر سابور الأول والبهرامات الثلاثة .

(٢) امرؤ القيس بن عمرو « من سنة ٢٨٨ ـ ٣٢٨ م » .

وهو امرؤ القيس الأول بن عمرو بن عدى اللخمى ويسمونه البدء ، وقد اتسع

سلطانه وطالت مدة حكمه وبالغ العرب فيها فجعلها بعضهم مائة سنة وثمانية عشر وهى لاتزيد على أربعين سنة .

وامرؤ القيس هذا أول ماوقف المنقبون على اسمه من ملوك لخم منقوشاً على قبره وفيه تاريخ وفاته(١) .

وعاصر امرىء القيس من ملوك الفرس بهرام الثالث وترسى وهرمز بن ترسى وسابور ذى الأكتاف .

(٣) عمرو بن امرىء القيس « من سنة ٣٢٨ – ٣٧٧ م » .

ولما توفى امرؤ القيس بن عمرو خلفه ابنه عمرو بن امرىء القيس ، وأمه هند بنت كعب بن عمرو ، وطالت مدة حكمه نحو نصف قرن فعاصر ذا الأكتاف معظم حكمه ، ولا نعرف عنه شيئاً إذ أن أيامه كانت أيام سلم ورخا فلم يذكره التاريخ وأقل الناس ذكرا فى التاريخ أقربهم إلى السعادة .

(٤) أوس بن قلام « العليقى من ٣٧٧ – ٣٨٢ م »

هذا دخيل فى دولة آل نصر ليس له نسب فيهم . حكم خمس سنين فى أيام أردشير بن سابور ، حتى قتله أحد بنى نصر فعادت حكومة الحيرة إليهم .

(٥) امرؤ القيس بن عمرو بن امرىء القيس « من سنة ٣٨٢ – ٤٠٢ م »

ويعرف بامرىء القيس البدن وهو محرق الأول لأنه أول من عاقب بالنار وذكره الأسود بن يعفر النهشلى فى شعر له :

ماذا أؤمل بعد آل مُحَرِّقٍ　　والقصر ذا الشرفات من سنداد

---

(١) راجع جرجى زيدان .

وحكم ٢١ واحد وعشرين سنة فى أيام سابور بن سابور ، وبهرام بن سابور ، ويزدجرد الأول ، وليس لدينا من أخباره ما يستحق الذكر .

(٦) النعمان بن إمرىء القيس الأعور السائح « من سنة ٤٠٣ — ٤٣١ م » :

هو من أشهر ملوك الحيرة ، حكم ٢٨ سنة عاصر فيها من ملوك الفرس يزدجرد الأول وبهرام جور ، وكان من أشد ملوك العرب نكاية بأعدائه وأبعدهم مغاراً غزا الشام مراراً وأكثر من المصائب فى أهلها وسبى وغنم وجند الجند على نظام عرف به ، وكان عنده من الجيش كتيبتان أحدهما مؤلفة من رجال الفرس إسمها « الشهباء » والأخرى من تنوخ اسمها « دوسر » فكان يغزو بهما من لايدين له من العرب ، وكان صارما حازما ، واجتمع له من الأموال والرقيق ، والخول ما لايملكه أحد من ملوك الحيرة .

وهو الذى اتخذ « الخورنق » وقد شيده على مرتفع يشرف على النجف وما إليه من النخل والبساتين والجنان والأنهار مما يلى المغرب وعلى الفرات مما يلى المشرق فأعجبه ما رأى فى البر من الخضرة والنَّوْر والأنهار الجارية ولُقَاط الكمأة ورعى الإبل. وصيد الظباء والأرانب ، وفى الفرات من اللاحين والغواصين وصيادى السمك وفى الحيرة من الأموال ، والخول من يموج فيها من رعيته ، ففكر فى ذلك وقال فى نفسه : « أى درك فى هذا الذى قد ملكته اليوم ويملكه غداً غيرى » فبعث إلى حُجَّابه فنحَّاهم عن بابه فلما جن الليل التحَفَ كساه وساح فى الأرض فلم يره أحد وسمى السائح ، وفيه يقول عدى بن العبادى يخاطب النعمان بن المنذر الآتى ذكره :

وتفكر رب الخورنق إذ أشـــرف يوماً وللهدى تفكير

سره حاله وكثرة ما يملـــك والبحر معرضا ،والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غبطة حي إلى الممات يصير

والنعمان بن امرىء القيس هو صاحب القصة مع سنمار البانى لقصر الخورنق وهى مشهورة يتناقلها الناس وفى بطون التواريخ مزبوره وضربت به العرب الأمثال قال الشاعر :

جزاء بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما جوزى سنمار

وقال المتلمس :

جزانى أبو لخم على ذات بيننا جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

وخلاصتها أنه أمره أن يبنى له قصراً لايرى الناظر إليه مثيلاً ففعل فلما أكمل بناه ارتفع إلى سطح القصر ليريه أعجوبته التى صنع النعمان فجازاه على صنيعه هذا بأن ألقاه من أعلا القصر فخر ميتاً كيلا يبنى لأحد مثله .

ويورد مؤرخو العرب أخبارا كثيرة عن النعمان هـذا تركناها رعاية الاختصار .

(٧) المنذر بن النعمان بن امرىء القيس « من سنة ٤٣١ ـ ٤٧٣ م » .

ذكر حمزة الاصفهانى : أن أم المنذر هذا هند بنت زيد مناة بن زيد بن عمرو الغسانى وأنه حـكم (٤٤ سنة) أربع وأربعين سنة وعاصر ملوك فارس بهرام جور يزدجرد الأثيم ، ويزدجرد بن بهرام ، وفيروز بن يزدجرد ومع ذلك فهم يقولون : « أنه تولى تربية بهرام جور دفعه أبوه يزدجرد الأثيم ليربيه من الرضاعة فما بعدها فلما بلغ خمس سنين أحضر له مؤدبين علموه الـكتابة والرمى والفقه بطلب من بهرام بذلك وأحضر له حـكيما من حـكماء

الفرس فوعى كلما علمه فلما بلغ ١٢ اثنى عشر سنة فاق معلميه فأمرهم المنذر بالانصراف وأحضر معلمى الفروسية فأخذ عنهم كل ما ينبغى له ، ثم صرفهم وعلمه سباق الخيل العربية والرمى والصيد وغير ذلك ومات أبوه وهو عند المنذر فتعاهد العظماء وأهل الشرف من فارس أن لا يملكوا أحداً من ذرية يزدجرد لسوء سيرته ونشوء بهرام عند العرب وتخلقه بأخلاقهم وملكوا رجلا من عقب أزدشير بن بابك فاستنصر بهرام المذكور بالمنذر ورد إليه الملك بالسيف وأطاعه الجميع فى حديث طويل .

وللمنذر هذا فضل كبير على بهرام جور وعلى أبيه يزدجرد لأنه أعانه على حروب كثيرة من جملتها حرب الروم التى اكتسح فيها المنذر سوريا وهدد القسطنطينية وأوقع الرعب فى قلوب الروم وعمدوا إلى الصلاة والاستعاذة من ذلك الأسد العربى ، ولو دخل العرب والفرس عاصمة النصرانية يومئذ لتغير وجه أوربا كما تغير لما فتحها العثمانيون بعد ذلك بنيف وألف سنة ولكن أوربا نجت يومئذ باضطراب وقع فى معسكر المنذر اضطره إلى عقد الصلح [1] .

(٨) الأسود بن المنذر بن النعمان « من سنة ٢٧٣ — ٤٩٣ م »

ثم ملك بعد المنذر ابنه الأسود بن المنذر وأمه هُرّ بنت النعمان من لخم — عشرين سنة منها فى زمن فيروز بن يزد جرد عشر سنين وفى زمن بلاش بن فيروز أربع سنين وفى زمن قباذ بن فيروز ست سنين .

واشتهر هذا الملك بمعركة حارب بها الملوك الغساسنة وأسر عدة من ملوكهم

---

(١) ابن الأثير ج ١ ص ٥٧١ — جرجى زيدان ص ٥٣٠

ثم أراد أن يعفو عنهم وكان له ابن عم اسمه أبو أذينة قتل آل غسان أخاً له في بعض الوقائع فقال أبو أذينة في ذلك قصيدة يغري بها الأسود على قتلهم ، مطلعها :

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا ولا يُسَوِّغُهُ المقـدور ما وهبا
وأنصف الناس من أن فرصة عرضت لم يجعل السبب الموصول مقتضبا

إلى أن قال :

والعفو إلا عن الأكفاء مكرمة من قال غير الذي قد قلته كذبا
قتلت عمراً وتستبقي يزيد لقد رأيت رأياً يجرّ الويل والحربا
لا تقطعنّ ذنب الأفعى وترسلها إن كنت شهما فاتبع رأسها الذنبا

فقتلهم .

(٩) المنذر بن المنذر وأخوه « ٤٩٣ — ٥٠٠ م » :
ليس له حوادث تستحق الذكر .

(١٠) النعمان بن الأسود « ٥٠٠ — ٥٠٤ م » :

لم يورد له العرب خبرا هاما ولكن جاء في كتب اليونان أنه قضى مدة حكمه الصغيرة وهو خارج الحيرة يحارب الروم في سوريا والجزيرة الفراتية وأبلى بلاء حسنا .

وفي أيامه تعدت بكر وتغلب على حدود العراق فجرد النعمان المذكور إليهم جيشا فلم يقو عليهم وقتل منهم كثيرون ولم يحضر المعركة بنفسه ولكنه مات في ذلك العام وهو محاصر « للرها » مع قباذ وهي ممتنعة عليهم وينسب مؤرخو النصرانية وفاته إلى معجزة دينية وكان معاصرا لقباذ والد كسرى أنوشروان .

(١١) علقمة بن يعفر الذميلي « من سنة ٥٠٤ — ٥٠٧ م » :

كان معاصرا لقباذ وهو من غير آل نصر اللخميين وليس له خبر يستحق الذكر .

(١٢) امرؤ القيس بن النعمان «من ٥٠٧ — ٥١٤ م» :

ثم ملكوا ابنا للنعمان الأسود يقال له امرؤ القيس بن النعمان بن امرىء القيس وامرىء القيس هو الذى غزا قبيلة بكر بن وائل يوم أوارة فى عقر دارها وهو يوم مشهور ذكرته العرب فى أشعارها ، وابن دريد فى مقصورته وفى التواريخ .

وكانت بكر أنصار بنى آكل المرار الكنديين ، فهزمهم ، وهو أيضا بانى الحصن المسمى الصنبر على يد البنّاء « سِنمَّار » المتقدم الذكر وفى هذا الحصن يقول الشاعر :

ليت شعرى متى تجنب به الناقـــة نحو العذيب ، والصنبر

وهو أيضا قاتل سنمار المذكور هذه رواية حمزة ، وقد سبق الكلام عن الرواية الأخرى ولم يتحدث جرجى زيدان عن امرىء القيس هذا سوى قوله : شأنه شأن علقمة .

(١٣) المنذر بن امرىء القيس بن ماء السماء « من ٥١٠ — ٥٣٣ م» :

هو أشهر ملوك لخم وأكثرهم عملا لأنه عاصر ملوك الفرس قباذ المذكور وابنه أنوشروان ، ومن قياصرة الروم «جستنيان» ومن الغساسنة الحارث بن جبلة وكلهم من كبار الرجال اجتمعوا فى عصر واحد ، وفى أيامه غزا الأحباش اليمن وكان المنذر أحد الوفد الذين وفدوا على أبرهة من الصباح عند ترميمه لسد مأرب كما تقدم ذلك .

وكان يدعى ذا القرنين وأمه ماء السماء ماوية بنت عوف من النمر بن

قاسط ويقال : بل هى أخت كليب ومهلهل . وسميت ماء السماء لجمالها وحسنها ، وملك اثنتين وثلاثين سنة فى قول حمزة من ذلك فى زمان قباذ بن فيروز ست سنين ، وفى زمن أنوشروان بن قباذ ستا وعشرين سنة .

وهو صاحب يوم « أباغ » وقتله الحارث بن جبلة الأعرج وهو الحارث الوهاب الجفنى الغسانى المتقدم الذكر ، وفى رواية أخرى تخالف هذه الرواية :

وظهر فى أثناء أيامه مذهب « مزدك الفارسى » وغايته الاشتراك فى الأموال والأشياء ، وكان أعيان الفرس وأشرافهم قد أحرزوا أموالا طائلة ومجوهرات وعقارا لا تقدر بثمن فأراد قباذ أن يستعين بهذا المذهب على مشاركتهم فيها فانتحله وتعصب لصاحبه وحمل رجاله عليه ومنهم من أطاع ومنهم من أبى ، والمنذر ممن أكبروا هذه البدعة فلم يتبعها فأغرى به ملوك كندة وتصدى له الحارث الكندى للولاية فولاه قباذ ، الحيرة وأخرج المنذر منها فظل مختبئا بقية أيام قباذ فلما تولى أنوشروان ، وكان على غير رأى والده أقبل عليه للمنذر فرحب به ثم أعاده إلى منصبه بعد أن قتل « مزدك » وهرب الحارث ونجا ، كما يأتى ذكره فى ملوك كندة وأصلح أنوشروان ما أفسده أبوه ، ومزدك .

والمنذر المذكور هو صاحب الغريين ويومى البؤس ، والنعيم وهى مذكورة فى التاريخ مشهورة وخلاصتها :

أنهم ذكروا أن سبب ذلك أنه كان للمنذر نديمان من بنى أسد ثملا يوما من الخمر فراجعا الملك مرة فى بعض كلامه فأمر وهو سكران فحفروا لهما حفرتين فى ظهر الحيرة ودفنوهما حيين ، فلما صحا ندم وأمر ببناء صومعتين عليهما وأمر ألا يمر أحد من العرب إلا بينهما وجعل لهما فى السنة يوم بؤس ويوم نعيم يذبح فى يوم بؤسه كل من يلقاه ويطلى بدمه الصومعتين ويحسن إلى من يأتيه فى يوم

النعيم ، ولبث على ذلك برهة من الدهر ، حتى جاء عبيد بن الأبرص الأسدى ممتدحا واتفق قدومه يوم البؤس فشق على المنذر فقتله ولم ير بدأ من البر بقسمه فى حديث لطيف لا محل له ، وقيل إنه عمرو بن الأخنس الطائى الذى كفل عليه شريك بن عمرو الشيبانى فى قصة لطيفة وهو الصحيح راجع معجم البلدان ٤٤ ـ ١٩٨ وج ١ ـ ٣٧١ من الإكليل .

وقيل أن يوم أوارة كان للمنذر فى ماء السماء وهذه رواية .

(١٤) الحارث بن عمرو الكندى :

قد دخل بعض خبره فى خبر المنذر بن ماء السماء ويأتى كال أخباره ونسبه فى ملوك كندة قريبا إن شاء الله ومدة ولايته للحيرة داخلة فى مدة حكم المنذر .

(١٥) عمرو بن هند مضرط الحجارة س ٥٣٢ — ٥٧٨ م) :

هو عمر بن المنذر بن امرىء القيس ، ويسمونه المحرق الثانى ويعرف باسم أمه هند بنت عمة امرىء القيس الكندى الشاعر المشهور ، وولدت للمنذر بن ماء السماء عمرا هذا وقابوساً .

وكان عمرو شديد السلطان وقد غزا بنى تميم فى دارهم وقتل من بنى دارم كثيرين يوم أوارة الثانى ، وبالغ فى العظمة والكبرياء حتى توهم فى نفسه الفضل على الناس كلهم ، وخيل له أنه ليس من أمير فى العرب لا يخدمه ، ويتمنى رضاه ، وكانت تلك الدعوى سبب قتله ـ وذلك أنه قال يوماً لجلسائه : هل تعرفون أحدا من أهل مملكتى يأنف أن تخدم أمه أمى ؟ ؟ قالوا : ما نعرفه إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبى ، فإن أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل ، وزوجها كلثوم وابنها عمرو ، فسكت مضرط الحجارة على ما فى نفسه ، وبعث إلى

عمرو بن كلثوم يستزيره ويأمره أن تزور أمُّه أمَّهُ فقدم ابن كلثوم فى فرسان من تغلب ومعه أمّه ليلى فنزل على شاطىء الفرات وبلغ عمرو بن هند قدومه ، فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات وصنع طعاما دعا إليه وجوه أهل دولته فقرب لهم الطعام على باب السرادق ، وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه فى السرادق ولأمه هند قبة فى جانب السرادق وليلى أم عمرو بن كلثوم معها فى القبة ، وكان مضرط الحجارة قد قال لأمه : إذا فرغ الناس من الطعام ، ولم تبق إلا الطرف نحّى خدمك عَنْكِ فإذا دنت الطرف استخدمى ليلى ومريها فلتناولك الشىء بعد الشىء ، ففعلت فلما استدعى الطرف قالت هند لليلى : « ناولينى هذا الطبق » فقالت ليلى : « وَاذلاّها يا آل تغلب » فسمعها ولدها ابن كلثوم فثار الدم فى وجهه ، والقوم يشربون فعرف عمرو بن هند الشر فى وجهه ونهض ابن كلثوم إلى سيف ابن هند وهو معلق فى السرادق وليس هناك سيف غيره فأخذه وضرب به مضرط الحجارة فقتله وخرج فنادى « يا آل تغلب » فنتهبوا مال عمرو بن هند وخيله وسبوا النساء ولحقوا ببلادهم ، وعاصر عمرو المذكور كسرى أنو شروان .

وسمى مضرط الحجاز لشدة بأسه وخوف العرب منه حتى لقبوه بهذا اللقب .

(١٦) اخوه قابوس بن المنذر من « ٥٧٨ ، ٥٨١ م .

هو أخو عمه المتقدم الذكر وكان ضعيفا وفيه لين وسموه فتنة العرس أو « قينهْ العرس » وله مع بنى يربوع « يوم طخفة وهو مذكور فى كتاب الأيام وقد قتله رجل من يشكر وسلب ما كان عنده وعليه .

(١٧) فيشهرت أوزيد « ٥٨١ — ٥٨٢ م .

ليس له خبر يذكر

(١٨) المنذر بن المنذر بن ماء السماء من (٥٨٢ — ٥٨٥ م) .

هو صاحب يوم حليمة المتقدم الذكر فى خبر الملك الغسانى ، وكان للمنذر هذا اثنا عشر ولداً يسمون الأشاهب لجمالهم .

(١٩) النعمان بن المنذر أبو قابوس من ٥٨٥ — ٦١٣ م .

ثم ملك بعد أبيه المنذر ابنه النعمان بن المنذر أبو قاموس ويقال له أبيت اللعن[1] . وهو قاتل عدى بن زيد العِبادى الشاعر والكاتب المشهور وصاحب النابغة الذبيانى المشهور وغير ذلك .

ويقال : إنه دخل فى النصرانية ، وكان عابد وثن ، وان عدى بن زيد العِبادى هو الذى نصّره ، وسبب ذلك أنه خرج ذات يوم راكباً معه عدى ابن زيد فوقف بظاهر الحيرة على مقابر مما يلى النهر فقال له عدى بن زيد أبيت اللعن : أتدرى ما تقول هذه المقابر قال : لا قال : إنها تقول :

أيهـــا الركب المخبون على الأرض مجـدّون
مثـــل ما أنتم حيينا وكما نحن تكونون

فقال له أعد فقال : إنها تقول :

رب ركب قدأناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم وكذا الدهر حالاً بعد حال

فارعوى وتنصّر ، وأمه سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فدك ، وتملك اثنتين وعشرين سنة على قول حمزة وفى تعديل جرجى زيدان ثمان وعشرون سنة من ذلك من زمان هرمز بن أنو شروان سبع سنين وثمانية أشهر وفى زمن كسرى بن هرمز فانقطع الملك عن لخم بسبب قتله وحرب ذى قار .

---

(١) كانت تحية للعرب

وكان للنعمان بن المنذر أولاد منهم المنذر وهو المغرور وبه سمى نفسه وهند وحرقة ، وحريقة وعنفقير .

وبلغت الدولة فى أيامه منتهى الترف والرخاء وكانت له أيام وأخبار مع العرب وفارس يطول ذكرها وهى فى كتب التواريخ مبثوثة .

(٢٠) إياس بن قبيصة الطائى من سنة ٦١٣ — ٨١٦ م :

فلما مات النعمان بن المنذر السابق الذكر استعمل كسرى إياس بن قبيصة الطائى مكانه ، وأمره أن يجمع ما خلفه النعمان ويرسله إليه فبعث إياس إلى هانىء ابن مسعود بارسال ما استودعه النّعمان فأبى فغضب كسرى فأشار عليه أحد أعداء شيبان وسائر بكر بن وائل أن ينتظر ريثما ينزلون « ذى قار » فيبعث من يأخذهم بالقوة فصبر كسرى حتى نزلوا المكان فبعث إليهم أن يسلموا ما خلفه النعمان عندهم أو الحرب فاختاروا الحرب فحمل عليهم إياس بن قبيصة ومعه جند الفرس ، والعرب بالأفيال والعدة الثقيلة ، أما هانىء بن مسعود ففرق سلاح النعمان فى رجاله وعزم على الفرار خوفا من كثرة جند الفرس فاعترضه رجل من عجل اسمه حنظلة بن ثعلبة وقال : « يا هانىء أردت نجاتنا فألقيتنا فى الملكة » فرد الناس وقطع وضُن الهوادج : « أحزمتها » وضرب على نفسه قبة ، وأقسم ألا يفر حتى تفر القبة فرجع الناس واستقوا ماء لنصف شهر فانهزم الفرس بصفوفهم وخيولهم ، وثبت العرب ثباتا جميلا فانتصروا وفر الفرس مع كثرة عددهم سنة ٣٠٠ ثلاثمائة للبعثة ، وتعرف هذه الواقعة فى تاريخ العرب بيوم ذى قار وهو أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، ونقمت العرب على إياس .

(٢١) زاديه « ٦١٨ - ٦٢٨ م » :

ملك زاديه بن مهرابنداد الهمذانى - بالذال المعجمة - سبع عشر سنة من ذلك فى زمن أبرويز أربع عشر سنة وثمانية شهر وفى زمن شيرويه ابن أبرويز ثمانية أشهر وفى زمن أزدشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر وفى زمن

بوران بنت أبرويز شهرا واحد هذا على رأى حمزة الأصفهانى ، وعشر سنين بتعديل جرجى زيدان .

ولتسع وعشرين سنة من ملك أبرويز كانت الهجرة ، وليس له خبر يذكر غير هذا .

(٢٢) المنذر بن النعمان بن المنذر المغرور من سنة ٦٢٨ — ٦٣٢ م :

ثم ملك المنذر بن النعمان بن المنذر وسمته العرب المغرور لأنه سمى نفسه بذلك وهو المقتول بالبحرين يوم جواثا .

وكان ملكه ومدة غيره إلى أن ورد خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر وهو آخر ملوك آل نصر بالحيرة .

ويقال إنه لم يمت بالحيرة من الملوك اللخميين أحدا إلا قابوس بن المنذر وإنما ماتوا فى غزواتهم ، ومتصيدهم وذلك لصحة هواء الحيرة .

وقال حمزة : وكان قدوم خالد بن الوليد الحيرة فى زمن بوران بنت ابرويز وذلك لاثنتى عشرة سنة مضت من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم فى آخر ولاية أبى بكر ملكت بوران بنت أبرويز ثم ملكت بوران بعد قدوم خالد الحيرة سبعة أشهر من ذلك فى ولاية أبى بكر ثلاثة أشهر وفى ولاية عمر بن الخطاب أربعة أشهر .

أرزمين دخت بنت أبرويز

ثم ملكت أرزمين بنت أبرويز ستة أشهر فى ولاية عمر .

يزدجر بن شهر يار

ثم ملك يزدجر بن شهريار بن أبرويز تسع عشر سنة من ذلك بالمدائن قبل

قبل دُنوّ العرب منها وتنحيه عنها أربع سنين فى ولاية عمر وبعد ذلك إلى أن قتل « عمرو » خمس عشر سنة منها فى ولاية عمر خمس سنين وثمانية أشهر وفى ولاية عثمان تسع سنين وأربعة أشهر .

وبمقتل يزدجرد بن شهريار خلت فارس كلها من ملوكها ودخلت فى دين الإسلام وحوزة الخلفاء الراشدين والأموية والعباسية .

انقضى الكلام على دولة اللخميين .

دولة كندة

هذه الدولة الثالثة من دول قحطان التى تعرضنا لهـا فى هذا المختصر ، وحكمت خارج اليمن الخضراء » وبسطت نفوذها على ربوع نجد وبلاد معد كلها .

نسبها

نسبت هذه الدولة أو القبيلة إلى كنده ـ بكسر الكاف ، وهو ثور بن مرتع بن معاوية بن كندى عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن حمير بن سبأ الأكبر وورد ذكرها فى المساند باسم كنده تارة وكدة بحذف النون حينا آخر .

ولازل لهذه القبيلة بقية بحضرموت وغيرها ونبغ منها الملوك والقادة والفرسان والعلماء والنبلاء والشعراء والأدباء ، ويأتى لهـا مزيد من الذكر فى العصور الإسلامية إنشاء الله .

مساكنها

لأول مرة يتضح لنا جلياً اين كانت مساكن هذه القبيلة كندة وإن كان

المفهوم الطبيعى يعطينا أن موطن المرء مسقط رأسه وهى بدون تردد قبيلة يمنية من جذم قحطان فموطنها الأصلى إذاً هى « اليمن الخضراء » .

والذى وضعنا فى هـذا الشك هو كلة المؤرخين المضطربة ونحن ننقلها للقارىء برمتها .

فالأكثرية الساحقة تقول : إن مساكن كندة كانت فى « البحرين والمشقر » حصن هناك وغمر ذى كندة : موضع يبعد عن مكة بيومين ثم أجليت عنها إلى حضرموت فى الجاهلية الجهلاء وفى زمن غير محدد ، وهو الذى يشتم من كلام « لسان اليمن » واسمع إلى كلامه قال فى ج ٢ – ١٤ من الإكليل .

إن مرتع بن معاوية بن كندى بن عفير أولد ثورا وهو كنده ومالـكا وأمهما امرأة من حمير ، قالوا ثم وقع بين مرتع وبين حلاله من حضرموت الأكبر بن قحطان مباعدة فاستنصروا بعض ملوك حمير ، واستنجد أخوتهم السلف ابن قحطان ، واقتتلوا فوقعت الدائرة على حضرموت والسلف ابنى قحطان فخرجوا منهزمين حتى دخلوا « شبوة » وأقاموا بها وفيهم أختهم ، وهى امرأة مرتع ومعها مالك ابنها صغيراً فنشأ فى أخواله وتزوج فيهم ، فلما انقطع عن أبيه قال لأبيه ثور : إنى لأظن أن أخاك مالـكا صدَف عنا أى مال فسمّى الصدف من يومئذ .

فأنت ترى من كلام لسان اليمن هنا أن كندة كانت فى حضرموت منذ البداية ولـكنه لم يبين لنا كيف انتقلت إلى البحرين والمشقر وغمر ذى كنده واسمع إلى كلمته فى كتابه «صفة جزيرة العرب» قال فى ص ٨٥ :

وكان فى حضرموت الصدف من يومهم ثم فاءت إليهم كندة بعد قتل يوم

شعب جَبَلَة[1] لما انصرفوا من الغمر غمر ذى كندة وفيها الصدف وتجيب والعباد من كندة بنو معاوية بن كندة ، وبنو يزيد بن معاوية وبنو وهب وبنو بَدّا بن الحارث ، ومن الحارث ، ومن السكون الخ .

وفى ص ٨٨ قال : وفى حضرموت سكنت بعد أن أُجليت عن البحرين والمشقر وغمر ذى كندة بعد قتل ابن الجون ، وكان الذى نقل منهم عن هذه البلاد إلى حضرموت نيفا وثلاثين ألفاً .

ويقول اليعقوبى فى تاريخه ج ١ ص ٢٤٥ :

وكانت بين كندة وحضرموت حروب أفنت عامتهم وكانت كندة قد اجتمعت على رجلين أحدهما سعيد بن عمرو بن النعمان بن وهب ، وكان بنو الحارث ابن معاوية بن عمرو بن يزيد وشرحبيل بن الحارث على السكون واجتمعت على السكون ، واجتمعت حضرموت على عدة رؤساء منهم سعد بن مسعر وسلامة ابن حجر وشراحيل بن مرة ، وبعد هؤلاء فزال هؤلاء كلهم وطالت الحرب بينهم وفنت رجالهم ودامت حتى ضرستهم وكثر القتل فى كندة وملكت حضرموت علقمة بن ثعلبة وهو يومئذ غلام فلانت كندة بعض اللين وكرهت محاربة حضرموت ، ودخل أهل اليمن التشتيت والتفريق .

فلما افترق أهل اليمن وانتشروا فى البلاد مَلك كل قوم عظيمهم وصارت كندة إلى أرض « سعد » فجاورتهم ثم ملكوا رجلا منهم كان أول ملوكهم يقال له مرتع .

---

(١) جبلة بالتحريك ويقال شعب جبلة : الموضع الذى كانت فيه الواقعة بين بنى عامر وتميم وعبس وذبيان وفزارة . وهى هضبة حمراء بنجد ياقوت ج ٣ — ٥١

والنتيجة مما سقناه من كلام الهمدانى واليعقوبى يتضح أن مساكن كندة الأصلى كان بحضرموت وإنما انتقلت إلى المشقر والبحرين وغمر ذى كندة بأسباب الحروب الطاحنة بين حضرموت وكنـدة وتشتت شمـل كندة إلى أرض سعد ، وإن كانت أختها الصدف التى منها تجيب والسكون قد بقيت منها بقية فى مواطنها مسقط رأسها حضرموت بجانب قبيلة حضرموت حتى قامت كندة بالرجوع من المشقر والبحرين وغمر ذى كنده بسبب حروب مماثلة بينها وبين رجال وقبائل من معد كما تفيده عبارة « لسان اليمن » : بعد قتل ابن الجون . وابن الجون هذا من كبراء كندة .

ولم يبين ياقوت ولا غيره من المؤرخين الذين كتبهم بين أيدينا العوامل التى بسببها انتقلت كنده من البحرين والمشقر وغمر ذى كندة إلا أن الهمدانى لمح إلى واقعة : شعب ذى جَبَلة ، كما أنه سيأتى أن بقية من كنده قد بقيت حيناً من الدهر فى غمر ذى كندة .

ويهمنا فى هذه العجالة هو ظهور دولة « كندة » على المسرح التاريخ خارج اليمن وفى بلاد معد نجدو الحجاز .

ومما لاريب فيه أن كندة وأرض حضرموت كانت خاضعة للتاج الحميرى وكانوا على وئام دائم وكانت بينهم صهارة ورحامه وتزاوج فيما بينهم ولهذا كان الحميريون يستخدمون كبار كندة على وجه الخصوص فى بعض المصالح الحكومية ويؤمرونهم ويدخلونهم فى حاشيتهم وبطانتهم .

وكانت نجد والحجاز تابعة لحمير ومَن قبلهم من الدول الحضارية كما سبق التنويه بذلك .

واتفق على عهد الملك « حسان بن تبع » أن حجر بن عمرو سيد كندة دخل فى خدمته لقرابة بينهما لأن حسانا وحجراً كانا أخوين لأم وكان تبع حسان قد غزا طسم وجديس إلى اليمامة والبحرين وأباد خضرائهم كما هو مشهور مدون وتقرر هذا الحادث بالنقوش ونص الآثار ، وكان حجر معه فلما أراد تبع الرجوع إلى اليمن رأى أن يختصه بكرامة فولاه على قبائل مَعَدّ كلها وهى كما علمت من قبائل البادية التى لا تجمعها دولة فولاه عليها ورجع إلى بلده « اليمن » فدانت « معد » كلها لحجر بن عمرو الكندى المعروف بآكل المرار ، ولقب بآكل المرار » لأن بعض ملوك كندة حالفه فى بعض غزواته فاكتسح له مالا وسبى له جارية وأوغلوا بالجارية يدبرون المال خوف أن يقبموا فأقبلت الجارية تلفت فقيل لها : ماتلفتك فقالت : كأنى بحجر قد كر بكم فاغراً فاه كأنه جمل آكل المرار فلم يعتم أن لحقهم على تلك الهيئة فسمى آكل المرار وأولاده من بعده يقال لهم : بنو آكل المُرار :

وفى رواية المؤرخ ابن جرير ج ١ - ٥١٧ ، عن هشام بن محمد الكلبى قال: كان يخدم الملوك من حمير فى زمان ملكهم أبناء الأشراف من حمير وغيرهم من القبائل فكان ممن يخدم « حسان بن تبع » : « عمرو بن حجر الكندى » — وكان سيد كندة فى زمانه — فلما سار « حسان بن تبع » وملك مكانه اصطنع « عمرو بن حجر الكندى » وكان ذا رأى ونبل ، وكان مما أراد عمرو إكرامه به وتصغير بنى أخيه حسان أن زوجه ابنة حسان بن تبع فتكلمت فى ذلك حمير ، وكان عندهم من الأحداث التى ابتلوا بها لأنه لم يكن يطمع فى التزويج إلى ذلك البيت أحد من العرب ، وولدت ابنة حسان بن تبع لعمرو بن حجر الحارث بن عمرو ، وملك بعد عمرو بن تبع « عبدُ كلال بن مثوب » وذلك أن ولد حسان كانوا صغاراً إلا ما كان من تبع بن حسان فإن الجن استهامته وأخذ

الملك عبد كلال بن مثوب مخافة أن يطمع فى الملك غير أهل بيت المملكة فوليه بسن و تجربة وسياسة حسنة وكان فيما ذكروا على دين النصرانية الأولى وكان يسر ذلك من قومه وكان الذى دعاه إليه رجل من غسان قدم عليه من الشام. فوثبت حمير بالغسانى فقتلته فرجع تبع بن حسان من استهامة الجن إياه صحيحاً وهو أعلم الناس بنجم وأعقل من تعلم فى زمانه وأكثره حديثاً عما كان قبله وما يكون فى الزمان بعده فملك تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرن فهابته حمير والعرب هيبة شديدة فبعث بابن أخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندى فى جيش عظيم إلى بلاد معد ، والحيرة وما والاها فسار إلى النعمان بن امرىء القيس ابن الشقيقة « اللخمى » فقاتله فقتل النعمان وعدة من أهل بيته وهزم أصحابه ، وأفلت المنذر بن النعمان الأكبر وأمه ماء السماء امرأة من النمر فذهب مُلك آل النعمان ، ومَلِك الحارث بن عمرو الكندى ما كانوا يملكون » هذه رواية ابن جرير عن هشام بن محمد الكلبى .

وذكر بعض المؤرخين زلّ عنى اسمه واسم مؤلفه ولعله ياقوت الحموى فى سبب تملك حجر بن عمر الكندى على عرب الشمال سبب آخر وهو أن سفهاء قبيلة بكر غلبوا عقلائها على أمرهم وأكل القوىّ الضعيفَ ، فنظر العقلاء فى أمرهم فرأوا أن يملكوا عليهم ملكا يأخذ للضعيف من القوى ورأوا مع ذلك أن ذلك لا يستقيم بأن يكون الملك منهم أو يطيعه قوم ويخالفه آخرون فأجمعوا على أن يسيروا إلى تبع اليمن « حسان » ـ وكان التبابعة للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين ـ وطلبوا إليه أن يولى عليهم ملكا ، وكان حجر المذكور ذا رأى ووجاهة فولاه عليهم هذا خلاصته .

ومع اختلاف الروايات فى الصورة كما سقناها فإن المغزى واحد وهو أن دولة كندة تابعة لدولة حمير أقامت حكومة فى خارج البلاد السعيدة لها كيان وسلطان شديد .

قال ياقوت : فقدم حجر بن عمرو الكندى إلى نجد ونزل بطن عاقل ـ وكان اللخميون : « ملوك الحيرة » ، قد ملكوا كثيراً من تلك البلاد ولاسيما بلاد بكر بن وائل فنهض حجر بهم ، وحارب اللخميين وأنقذ أرض بكر منهم فاجتمعت كلمة القوم على احترامه ومازال كذلك حتى مات ودفن فى بطن عاقل .

ملوك كندة

بعد موت حجر بن عمرو الكندى أفضى الملك إلى ابنه عمرو بن حجر بن عمر آكل المرار الكندى ويسمونه المقصور لأنه اقتصر على ملك أبيه ، وليس له فيما بين أيدينا أعمال تذكر .

وليس لدينا أيضاً معلومات كافية متى تولت دولة كندة على معد كولاة لحمير ويذهب « فيليب حتى » إلى أن ذلك حوالى سنة ٤٨٠ م ، ثمانين وأربعمائة ميلادية .

الحارث بن عمرو

هذا هو ثالث ملوك كندة على أرض معد ، وكان الملك الحارث شديد الملك واسع الصوت كبير المطامع ، وفى أيامه فتح الأحباش اليمن وذهبوا بدولة حمير فضعف شأن كندة لأنها تنتمى إليها فوجه الحارث التفاته إلى بنى لخم وكان يحسدهم على تقربهم من الأكاسرة ومازال يترقب الفرص حتى رأى تغير قلب قباذ على المنذر ابن ماء السماء بسبب المزدكية كما تقدم فوافقه الحارث الكندى عليها وحارب المنذر وافتض مملكته وتولى على الحيرة ، فعظم أمره فى أعين القبائل واستضعفوا بنى لخم وتوافدوا إليه وفيهم الأشراف من معد يهنئونه ويتقربون إليه بالطاعة وطلبوا منه أن يولى عليهم من أبنائه من يحكمهم ليبطل ما قام

بينهم من القتل حتى كاد أن يفنيهم ففرق فيهم أربعة من أولاده تولى منهم بعض تلك القبائل على هذه الصورة :

عدد	اسم الملك	اسم القبائل
١	حجر بن الحارث	تولى بنى أسد وغَطَفان
٢	شرحبيل بن الحارث	تولى بكر بن وائل بأسرها وبنى حنظلة بن زيد مناة وبنى دارم وغيرهم
٣	معديكرب بن الحارث	تولى قيس عيلان وطوائف غيرهم
٤	سلمة بن الحارث	تولى تغلب والنمر بن قاسط

ويذهب بعض الباحثين إلى أن حكم الحارث بن عمرو الكندى لمدينة الحيرة وعلى مملكة بنى لخم كان بين سنة ٢٥ و ٥٢٨ م فى إبّان ظهور المزدكية فى إيران والرأى الأول عندى هو الأصح .

أما أبوهم الحارث بن عمرو فلم يطل سلطانه على الحيرة فما هو إلا أن مات قباذ وتولى ابنه أنو شروان حتى أرجع المنذر بن ماء السماء وسانده على محاربة الحارث فأدرك ذلك ففر بماله وأولاده على المجن فتبعه المنذر على الخيول من تغلب وإياد وبهراء فلحقه بأرض كلب ولجا فانتهبوا ماله وهجانه .

وفى ذلك يقول حفيده امرؤ القيس بن حجر الكندى الشاعر المشهور :

ملوك من بنى حُجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة أصيبوا ولكن فى ديار بنِى مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل ولكن فى الدماء مُرَمَّلينا
تظل الطير عاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا

أما الحارث أبوهم فظل ملكا على بنى كلب وأولاده على تلك القبائل إلى

أن قتل واختلفوا فى سبب قتله ويقال . أن وفاته ٥٢٨ م . وكان قد اتجه نحو الروم فى أخريات أيامه لمنحه « جستنيان » لقب فيلارجوس .

وبقى أولاده على ما ملكوه ولكن موت أبيهم أضعف نفوذهم ، وحمل المنذر بن ماء السماء صاحب الحيرة على الانتقام لنفسه ، فسعى فى الإفساد بينهم بالتحاسد على الهدايا وذلك أنه وجه إلى أحدهم سلمة بن الحارث أمير تغلب بهدايا ودس إلى أخيه شرحبيل بن الحارث من قال له : « أن سلمة أكبر منك وهذه الهدايا تأتيه من المنذر » فقطع الهدايا عنه ثم أغرى بينهما حتى تحاربا فقتل شرحبيل فى معركة تعرف بيوم « الكُلاَب »[1] خرج كل منهما بمن تحت رعايته من قبائل عدنان واقتتلوا فعادت العائدة على شرحبيل وخاف الناس أن يخبروا أخاه سلمة بقتله فلما أعلم جزع جزعاً شديداً وأدرك أن المنذر إنما أراد أن يقتل بعضهم بعضا فأصبح لا يأمن على نفسه وخرج من تغلب والتجأ إلى بكر بن وائل فأذعنت له وحُسدت عليه وقالوا لا يملكنا غيرك ، فبعث إليهم المنذر يدعوهم إلى طاعته فأبوا فحلف ليسيرن إليهم فإن ظفربهم ليذبحنهم على قمة جبل أوارة حتى يبلغ الدم الحضيض ، وسار إليهم فى جموعه فالتقوا بأوارة فاقتتلوا قتالا شديداً وانجلت الواقعة عن هزيمة بكر وأسر يزيد بن شرحبيل الكندى فأمر بهم فذبحوا على جبل أوارة فجعل الدم يجمد فقيل له : أبيت اللعن ، لو ذبحت كل بكرى على وجه الأرض لم يبلغ دمهم الحضيض ، ولكن لوصببت عليه الماء ففعل فسال الدم إلى الحضيض وأمر بالنساء أن يحرقن بالنار وتسمى هذه المعركة فى تاريخ العرب يوم أوارة الأول .

فلما قتل الأخوان سلمة وشرحبيل وذهب سلطانهما ضعف نفوذ أخويهما

---

(١) راجع ياقوت

الآخرين حجر صاحب بنى أسد ومعد يكرب صاحب قيس عيلان ، ورأى بنو أسد تضعضع تلك الدولة فتنكروا لحجر ملكهم وساءت سيرته فيهم فاجتمعوا على خلافه وبدأوا بنبذ الطاعة ، وأمسكوا عن الإتاوة وضربوا الجباة الذين أرسلهم فى طلبها ، فحمل عليهم حجر بجند من ربيعة فأعمل فيهم السيف وأباح الأموال وحبس الأشراف ومنهم عبيد بن الأبرص الشاعر فقال شعراً يستعطفه فرق لهم فبعث فى إطلاق سراحهم فخرجوا وفى أنفسهم غل فلما وصلوا إليه قتلوه طمعاً وانهزم رجاله وهو والد امرىء القيس بن حجر الكندى الشاعر المشهور وكان قتل حجر بن الحارث بقر عزه فى برقاء حجر على طريق حاج البصرة من بنى أسد(٢)

امرىء القيس بن حُجْر الكندى الشاعر المشهور

لما قتل حجر بن الحارث المذكور كان ولده امرىء القيس الشاعر غائبا فى صنعاء وقيل فى دمون من حضرموت الوطن الأصلى لكندة .

وكان امرؤ القيس قد خالف أباه فى سيرته وشذ عن طباع الملوك ومال إلى طبائع السوقة وأصبح زير نساء وحليف لهو وغرام ومعاقرة خمر ودنان فقلاه أبوه ونابذه فلما بلغه قتل أبيه صادفه ذلك وهو مشاغفاً لزملائه فى حانة من حانات الخمر بصنعاء فقال كلمته التاريخية « اليوم خمر وغداً أمر »

وفى اليوم الثانى استنهض حمير فأمدته بخمسمائة جندى عليهم قائد محنك كما استنجد كندة حضرموت فجهزت معه جيشاً فغزا بهم بنى أسد فأفرى وقتل منهمماينوف على ستمائة رجل .

---

(١) ياقوت ج ٣ — ٢٢٥ معجم البلدان

(٢) ياقوت ج ٣

والقصة ذات فصول ومغامرات وطويلة الذيول قيلت فيها أشعار وأمثال ولغرابتها وطرافتها وأثرت فى القصص العربى تأثيراً بليغاً وألفت فيها روايات شيقة وظريفة جداً .

ثم إنَّ بقيَّة السيف من بنى أسد ونسائهم ذهبوا إلى ملوك الحيرة يستنصرونهم فاستجابوا لهم وتألبت على امرىء القيس العرب فلم يجد من ينجده من القبائل ولم يجيره أحد وهو فى وسط نجد وبلاد معد فلاذ بالالتجاء إلى السموأل بن عادياء الأزدى الغسانى المشهور بالوفاء صاحب حصن الأبلق بتيماء قرب وادى القرى ومنتهى أرض الحجاز فاستجاره فأجاره فاستودعه أدراعه وأمتعته وهو لايرى مرجعاً يستنصره على أعدائه إلا قيصر الروم لأن ملوك الحيرة ، نصروا أعدائه على جارى عادة العرب فى ذلك العهد إذا تظلموا من إحدى الدولتين استنصروا الأخرى وذلك أمر طبيعى ولم يكن لأمرىء القيس سبيل إلى القيصر فوسط الحارث بن أبى شمر الغسانى صاحب الشام[1] والنفوذله عند الروم يومئذ وطلب إليه أن يوصله إليه ففعل فسار امرؤ القيس إلى القيصر واستنجده على قتلة أبيه فأجاب دعوته وسمع مدائحه .

وهنا تختلف الرواية فرواية تقول : إن ابنة القيصر هوته وتعلق قلبها به وبلغ ذلك قيصر فوعده أن يتبعه الجنود إذا بلغ الشام أو يأمر من بالشام من جنوده فلما كان بأنقرة بعث إليه بحلل ثياب مسمومة فلما لبسها تساقط لحمه وشعر بالهلاك وقال :

---

(١) سبق ذكره فى ملوك الغساسنة وتقول المصادر العربية : إن الحارث هذا هو الذى بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الأسدى ليسلم وأنه مات عام فتح مكة .

رب طعنة مثعنجره وخطبـــة مستحنفره

تبقى غداً بأنقـــره

هذه رواية ياقوت ج ١ . والرواية الأخرى أن بعض بنى أسد وشى به إلى القيصر فألبسه حلة مسمومة فقتله ، وعلى كل فإن أمرىء القيس قتل ولم ينل إربا .

وبعد قتل امرىء القيس تضعضعت دولة كندة ، ولم يبق من ملوكها غير معدى كرب بن الحارث على قيس عيلان ، وأمراء صغار لهم سيادة على بعض القبائل هى بقية نفوذ آبائهم وربما حكم الواحد منهم بلدا أو واديا .

وأشهر فروع تلك الدولة أربعة فى الأماكن الآتية :

(١) دومة الجندل : بالضم والفتح : حصن وقرى فى آخر أعمال الحجاز بين الشام والمدينة المنورة .

(٢) فى البحرين مشهورة إلى يوم الناس هذا ومنها حصن المشقر الشهير عند العرب .

(٣) نجران : غير نجران اليمن وهى ما بين نجد والعراق .

(٤) غمرة كندة : موضع وراء وجرة بينه وبين مكة مسيرة يومين .

وكل هذه الفروع دولة صغيرة قائمة بنفسها حتى ظهر الإسلام فذهبت جميعها ويأتى لها ذكر فى العصور الإسلامية .

ويعتبر على القول الأصح أن حُجر بن عمرو آكل المرار الكندى هو المؤسس الأول لدولة كندة فى أرض معدّ وابتداء ظهوره هنالك وعليه فقد تولى بعده أربعة من أعقابه فيهم أمرؤ القيس الشاعر وكان معاصرا للحارث بن جبله الغسانى المتوفى سنة ٥٦٩ م فإذا اعتبرنا وفاة امرىء القيس فى القرن السادس سنة ٥٦٠ م

ستين وخمسمائة وحسبنا ما ذكروا من مدد الحكم لحجر وابنه عمرو وجعلنا ما بعدها على تلك النسبة تتكوّن لنا القائمة التى تلى عن زمن وفاة كل ملك من ملوك كندة على وجه التقريب :

عدد	أسماء الملوك	الوفاة
١	حُجر بن عمرو آكل المرار	توفى ٤٥٠ م
٢	عمرو بن حُجر بن عمرو	« ٥٤٠ م
٣	الحارث بن عمرو معاصراً لابن ماء السماء	توفى ٥٤٠ م
٤	حجر بن الحارث والد امرىء القيس	« ٥٥٠ م
٥	امرؤ القيس بن حُجر	« ٥٦٠ م

أما اليعقوبى فقد ذهب إلى أن عدة ملوك كندة كما يلى :

عدد	أسماء الملوك	مدة الحكم
١	مرتع بن معاوية بن ثور	٢٠
٢	ثور بن مرتع	حكم مدة قصيرة
٣	الحارث بن معاوية بن ثور	٤٠
٤	وهب بن الحارث	٣٠
٥	حُجر بن عمر آكل المرار	٢٣
٦	عمرو بن حُجر بن عمرو	٤٠
٧	الحارث بن عمرو بن حُجر	كان معاصرا للمنذر بن ماء السماء

هذا ما ذكره اليعقوبى فى تاريخه فإنْ أراد ملوك كندة بدون حصر ولا تحديد المكان الذى حكموا فيه لا بحضرموت ولا بأرض معد ففيه ما ينم

عن عدم القبول لقوله إذ هم أكثر من ذلك كما نص على ذلك الهمدانى فى كتابه صفة جزيرة العرب أنه كان فى كندة سبعون متوجا ، وإن أراد بهم ملوك نجد والحجاز فهو واهم فى ذلك إذ الأكثرية المطلقة من مؤرخى العرب قد نصوا أن ملوك كندة فى أرض معد كانت بدايتهم من حُجر آكل المرار والأمر محتاج إلى استقصاء وبحث دقيق والله من وراء العلم .

انتهى الكلام على دولة كندة .

أما الكلام على أيام العرب ووقائعها سواء أكانت فى داخل اليمن بين قبائلها أو بينها وبين جاراتها وأخواتها عرب الشمال فى فترة انحلال دولة حمير وانهيار سلطتها ودخولها تحت الاحتلال فهى كثيرة تضمنتها مطولات التاريخ كما خصص بعض علمائنا الأعلام كتبا قيمة كمثل كتاب الأيام لأبى عبيدة مَعْمر بن المثنى وغيره مما ذهب بجناية الدهر .

كما أن « لسان اليمن » لم يقصر فقد خصص لوطنه فى هذا الشأن كتابا أسماه « كتاب الأيام » لا يزال مفقودا يسر الله وجوده كما أنه أتى بنزر يسير فى الجزء الأول من الإكليل والعاشر والثانى واستوعب كثيرا فى تفسير الدامغة وربما نتعرض لشىء منها فى الجزء القادم « اليمن حامل لواء الإسلام » .

هذا ما وافتنا به المعلومات عن أخبار هذه الدول أوجزناها فى هذه العجالة التى ينتهى به الفصل السادس وبانصرامه ينصرم الجزء الأول من تاريخ « الخضراء مهد الحضارة » ويتلوه سلسلة تاريخ عصور الإسلام أولهُ :

الجزء الثانى « اليمن حامل لواء الإسلام »

سائلا من الله العلى الأعلا الذى بيده كل شىء العالم بخائنة الأعين وما تخفى الصدور أن ينسأ فى الأجل ويرخى خيط العمر حتى أحقق ما أصبو إليه وأرجوه

لإكمال ما أخذت على عاتقي وأن يجعل التوفيق مصاحبي والدقة والأمانة رائدي والإخلاص طريق عملي ، وأن يكون هذا العمل أثرا من آثار سعيي وكسبي لأجزا به يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يُرى يا من لارب غيرك ولا إله إلا سواك وياخير مدعو يُدعى .

كما أني ولله الحمد أشعر بسعادة عظيمة وغبطة تثلج الصدر أني قد أديت بعض ما عليّ وساهمت في هذا الواجب القومي والوطني الذي هو أربى من أعظم الواجبات ، واني كما أرضيت نفسي بهذا العمل الجليل أرضيت بني قومي .

ويعلم الله أني بذلت قصارى جهدي وأقصى ما أمكن من طاقة وحيوية ونشاط ارهقت لأجل هـذا العمل الشاق أعصابي ومشاعري وسهرت للبحث والتنقيب سواد مقلتي وقطمت لزبره بأناملي الليالي ذات العدد وتحريت الدقة والحقيقة جُهد طاقتي وما تحملت من مسئولية الأمانة ، فإن أحسنت فذلك ما أرجوه لا أبتغي حمدا ولا شكرا وان قصّرت أو زل القلم وجمح عن الجادة فأنا طالب علم ومستزيد فائدة أطلب المغفرة عن زلتي وإقالة عثرتي والتوجه والإرشاد بحسن نية . وكرم نفس .

مرحبا بكل نقد بناء يهدف إلى الحقيقة وإلى تقويم ما قد يكون فاتني أو تعثر به القلم وشطح لأني إنسان يعتريه ما يعترى البشر من الخطأ والخطل

من الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

وقلت هذه الأبيات عفو الساعة :

وحسبيَ أني امرؤ مخلص لمجد الجدود ومجد اليمن
وأبعثها صرخةً في الشبـــاب تدوى فيرتاع منها الزمن
بأن يلحقوا الركب قبل الفـوات ويقفوا آثار تلك السنن
فبلقيس والتبعون الذي أقاموا الحضارة فوق القُنَن

يطلون من شرفات الوجود عليكم وأعينهم فى حزن
لجدد بعزمك عهد الألى وشيدوا السدودوابنوا المدن
وبرهن بأنك من نبعة تطاول رضوى وشم الزعن
وإنك من حمير فى الصميم ومن ذى رعين ومن ذى يزن
وأزجى شكرى لمن عاننى وأسدى إلىّ عظيم المنن

والحمد أولا وآخرا والصلاة والسلام على رسوله الأمين ومن تبعه من أهل ملته على سننه وعلى هداه .

محمد على الأكوع الحوالى

تعز ١٠ الاثنين شهر رمضان الكريم ١٣٨٧ هـ
١١ « « ديسمبر ١٩٦٧ م

شكر وتقدير

كنت أجملت شكرى العميق لكل من أسدى إلىّ عارفةً من معارفه وعلومه ، وادخرت ذلك فى سويداء قلبى ، ولكن فى آخر لحظة والكتاب يمر فى تجارب ملازمه الأولى من الطبع أسدى إلىّ يدا لا تفكر « الأخ العلامة المجاهد الأكبر والمناضل الأول مندوب الجمهورية العربية اليمنية بجامعة الدول العربية محمد بن محمد الخالدى الحميرى » وتلك اليد هى مقابلة تلك التجارب على الأصول ، وفى أثنائها كان يبدى ملاحظة قيمة كان العمل بها ، فجزاه الله أفضل الجزاء وشكر مساعدته بأوفى المثوبة ، وأوفر الشكر والثناء ؟

فهرست موضوعات الكتاب

فهرس الأعلام

(غ)

(ف)

(ه)

(ى)

الأصنام أو الآلهة التى كانت تعبد من دون الله

فهرس القبائل والأمم والجماعات

(أ)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

فهرس البلدان والأماكن والمياه والمنازل

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ش)

(غ)

فهرس الفرق والطوائف والملل والنحل والمذاهب

ثبت المراجع

القرآن الكريم

أحسن التقاسيم للبشاري، مطبعة ليدن

الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف الأمير شكيب أرسلان المتوفى سنة ١٣٦٦ هـ، مطبعة المنار

الاستعمار البريطاني في معركتنا العربية في جنوب اليمن لقحطان بن محمد الشعبي

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٣ هـ، مطبوع

الأصنام لهشام بن محمد الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ، مطبعة دار الكتب بإخراج شيخ العروبة أحمد زكي باشا

أطلس الدول العربية

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦ هـ، مطبوع

الإكليل لجميع أجزائه الموجودة للسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني المتوفى سنة ٣٦٠ هـ، مطبوعات

أنباء الزمن في تاريخ اليمن ليحيى بن الحسين بن المنصور، مخطوط

بغية المستفيد في أخبار صنعاء وزبيد لعبد الرحمن بن الديبع المتوفى سنة ٩٤٢ هـ، مخطوط

بغية الفلاحين في الأشجار والثمار والرياحين للملك الأفضل العباس بن الملك المجاهد الرسولي الغساني المتوفى سنة ٧٧٨ هـ مأخوذ بالتصوير الشمسي

بلوغ الأرب في أحوال العرب للألوسي تحقيق محمود شكري، مطبوع

تاريخ إثيوبيا لزاهر رياض

« الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ

« الجندي «السلوك في طبقات العلماء والملوك»

« الدول الإسلامية لمحمد طلعت حرب – مطبعة القاهرة

« سني ملوك الأرض لحمزة الأصفهاني، طبع بيروت

« الشعوب الإسلامية – كارل بروكلمان

« عدنان ترسيسي « حضارة اليمن » طبع بيروت

التاريخ العام لكلية المدارس لفيليب فارس الأمريكي، المطبعة الأمريكية

تاريخ العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان، طبع دار الهلال

« العرب العام لسديو الألماني، تعريب عادل زعيتر

التاريخ العربي القديم وملحقه، تعريب وتأليف فؤاد حسنين علي، طبع مصر

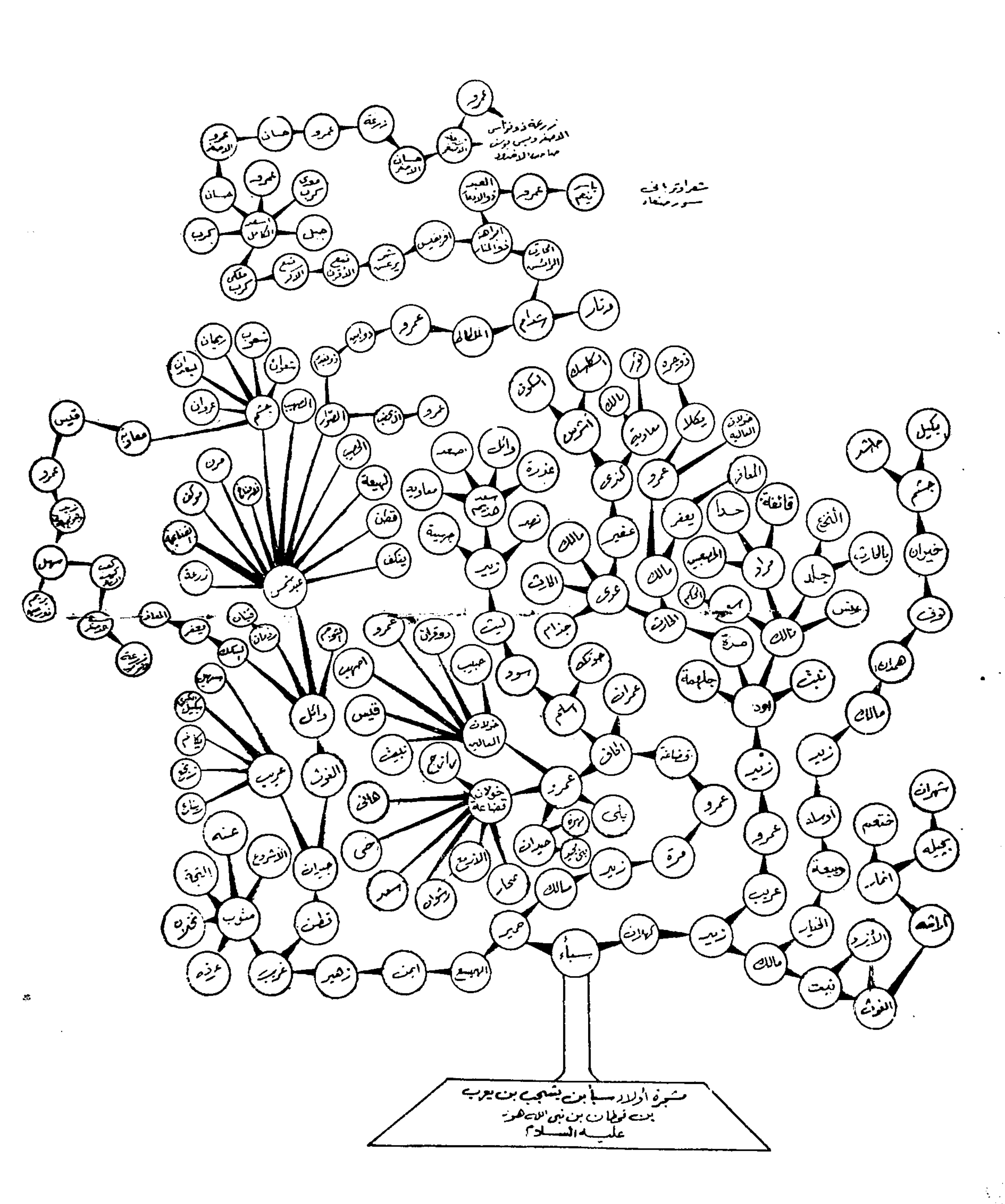
تاريخ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب المعروف بابن واضح، مطبعة دار الفكر ببيروت

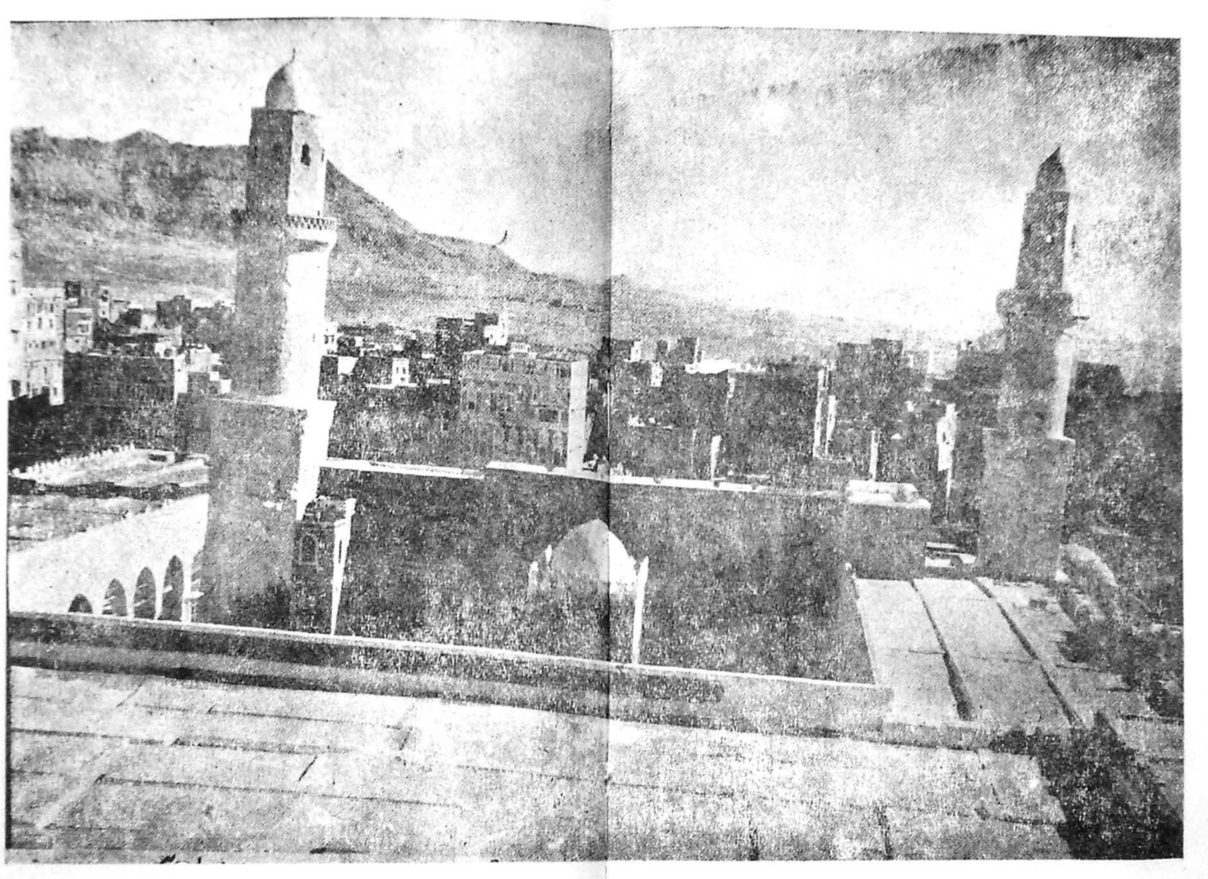
تاريخ العرب ، لفيليب حتى
تاج العروس شرح القاموس لمحمد المرتضى الزبيدى ، طبع القاهرة
تعليقات الأمير شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون ، للغرب
تفسير البيضاوى ، مطبعة الآستانة
تفسير الدامغة لابن الهمدانى ، مخطوط
التنبيه والاشراف لعلى بن الحسين المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ ، طبع لندن
التوراة
التمدن الإسلامى لجرجى زيدان
جبال تهامة لعرام السلمى ، مطبعة القاهرة
جريدة النصر اليمنية فى أعداد مخصوصة
جزيرة العرب لجان جان بيرونى الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦٠ م
جزيرة العرب لحافظ وهبه ، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤ هـ
جغرافية طه الهاشمى ، مطبعة العراق
حضارة العرب لجستاف لوبون الفرنسى ، تعريب عادل زعيتر
حضرموت وعدن لصلاح البكرى اليافعى
خزانة الأدب للبغدادى ، مطبوع
خلاصة تاريخ اليمن للأستاذ أحمد وصفى زكريا الدمشقى
دائرة المعارف لمحمد فريد وجدى
ديوان الأعشى ، ميمون بن قيس ، المطبعة النموذجية القاهرة
ديوان امرىء القيس الكندى ، مطبعة بيروت
ديوان الجعدى
ديوان الهذليين ، مطبعة مصر
رحلة ابن بطوطة ، محمد بن عبدالله الطنجى ، المطبعة الأزهرية سنة ١٣٤٦ هـ
رحلة أمين الريحانى ، مطبعة لبنان
رحلة إلى البلاد السعيدة لنزيه العظم ، مطبعة الحلبى القاهرة
الروض الأنف للحافظ السهيلى الخثعمى ، مطبعة القاهرة
السيرة الجامعة لملوك حمير للامام نشوان بن سعيد الحميرى ، المطبعة السلفية بإخراج على المؤيد وإسماعيل الجرافى
سيرة ابن هشام ، محمد بن عبد الملك المعافرى المتوفى سنة ٢١٨ هـ ، طبع بالقاهرة
سيرة الهادى يحيى بن الحسين لعلى بن محمد العباسى ، مخطوط
الشريعة المتوكلية لأحمد بن عبد الرحمن المعلمى ، مطبوع
شمس العلوم لنشوان بن سعيد الحميرى ، المطبوع منه والمخطوط
الشهداء الحميريون العرب فى الوثائق السياسية تأليف أغناطيوس يعقوب ، طبع دمشق

صفة جزيرة العرب للهمدانى ، المطبوع منها والمخطوط
طبقات ابن سمرة ، عمر بن على الجعدى ، مطبعة السنة
صرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب للملك الأشرف الرسولى ، مخطوط
فجر الإسلام لأحمد أمين ، الجزء الأول
فهرس ابن النديم محمد بن إسحاق المتوفى سنة ٢٧٧ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة
فى ربوع عسير لعمر رفيع طبع القاهرة فى بلاد عسير لفؤاد حمزة طبع القاهرة
فى شرق اليمن لصلاح البكرى اليافعى القاموس المحيط للفيروزباذى المتوفى سنة ٨١٧
قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون : لعبد الرحمن الديبع سالف الذكر ، مخطوط
الكامل لابن الأثير ، على بن محمد الشيبانى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ، المطبعة المنيرية
كتاب الخراج لقدامة الكاتب ، طبع أوربا كنوز بلقيس لفيندل فيلبس ، بيروت
اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير المذكور ، طبع القدسى
مجلة المصور ، دار الهلال
محاضرة الدكتور أحمد فخرى « ماضى اليمن وحاضرها »
المحبر لمحمد بن حبيب الهاشمى ، طبع الهند
مختصر لغة الجنوب العربى لفوندى، مطبعة مصر
مذكرة الأمير عبد الله بن الحسين ملك شرق الأردن
مروج الذهب لعلى بن الحسين المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، مطبعة السعادة
المزهر للحافظ السيوطى ، مطبعة السعادة
المسالك والممالك لابن خرداذبة المتوفى سنة ٣٠٠ تقريبا ، طبع ليدن
معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، طبع بيروت والخانجى
معجم ما استعجم للوزير البكرى : عبد الله بن عبيد الله المتوفى سنة ٤٨٧ هـ
مقدمة ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ، طبع مصر
مقصورة ابن دريد محمد بن الحسن الأزدى المتوفى سنة ٣٢١ هـ، طبع القاهرة
المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد لنجم الدين عمارة اليمنى المتوفى سنة ٥٦٩ بإخراجنا
طبع القاهرة
نثر الدر المكنون فى فضائل اليمن الميمون ، طبع القاهرة
نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف لزبارة محمد بن محمد ، طبع القاهرة
النضرة فى تاريخ المدينة المنورة
النقوش والمساند الحميرية

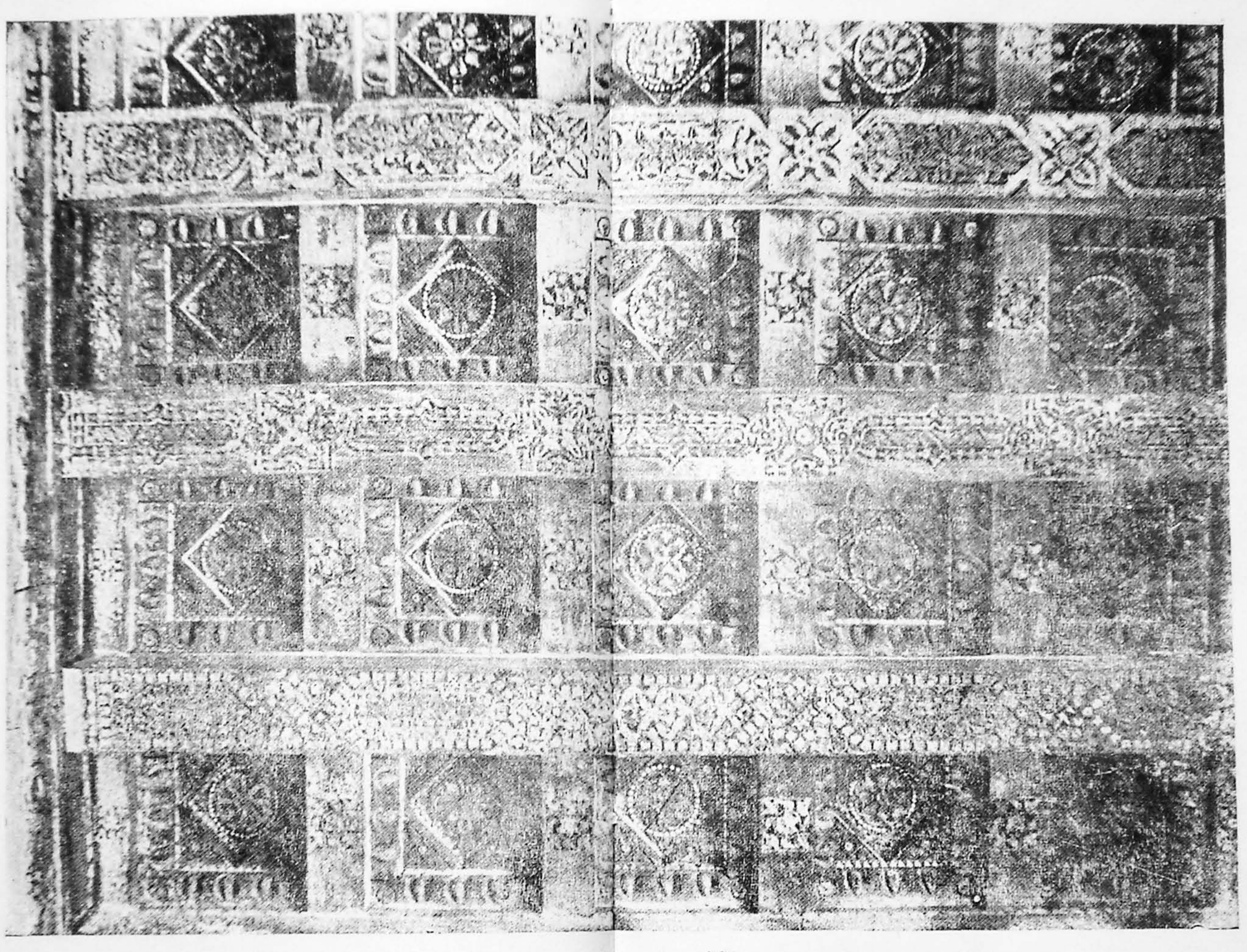
للمؤلف

١ – اليمن الخضراء مهد الحضارة
٢ – الوثائق السياسية من قبل البعثة الى سنة ٣٣٠هـ
٣ – عالم وامير
٤ – صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي
٥ – اليمن حامل لواء الاسلام
٦ – اليمن في عهود استقلاله
٧ – الدولة الهمدانية
٨ – الدولة الحميرية
٩ – دولة بني زياد ومواليهم
١٠ – دولة بني ايوب
١١ – دولة آل رسول الغساسنة
١٢ – دولة آل طاهر
١٣ – دولة الجراكسة وآل عثمان
١٤ – العلويون باليمن
١٥ – صراع ثلث قرن
١٦ – الثورة ظاهرها وباطنها
١٧ – المشايخ وآل قران
١٨ – عالم وامير
١٩ – طفيلي التاريخ على الشيخ
٢٠ – في بلاد الرافدين
٢١ – المطرفية والحسينية والنشوانية باليمن
٢٢ – المعجم المفهرس لبلدان اليمن
لسان اليمن من اعلام العرب

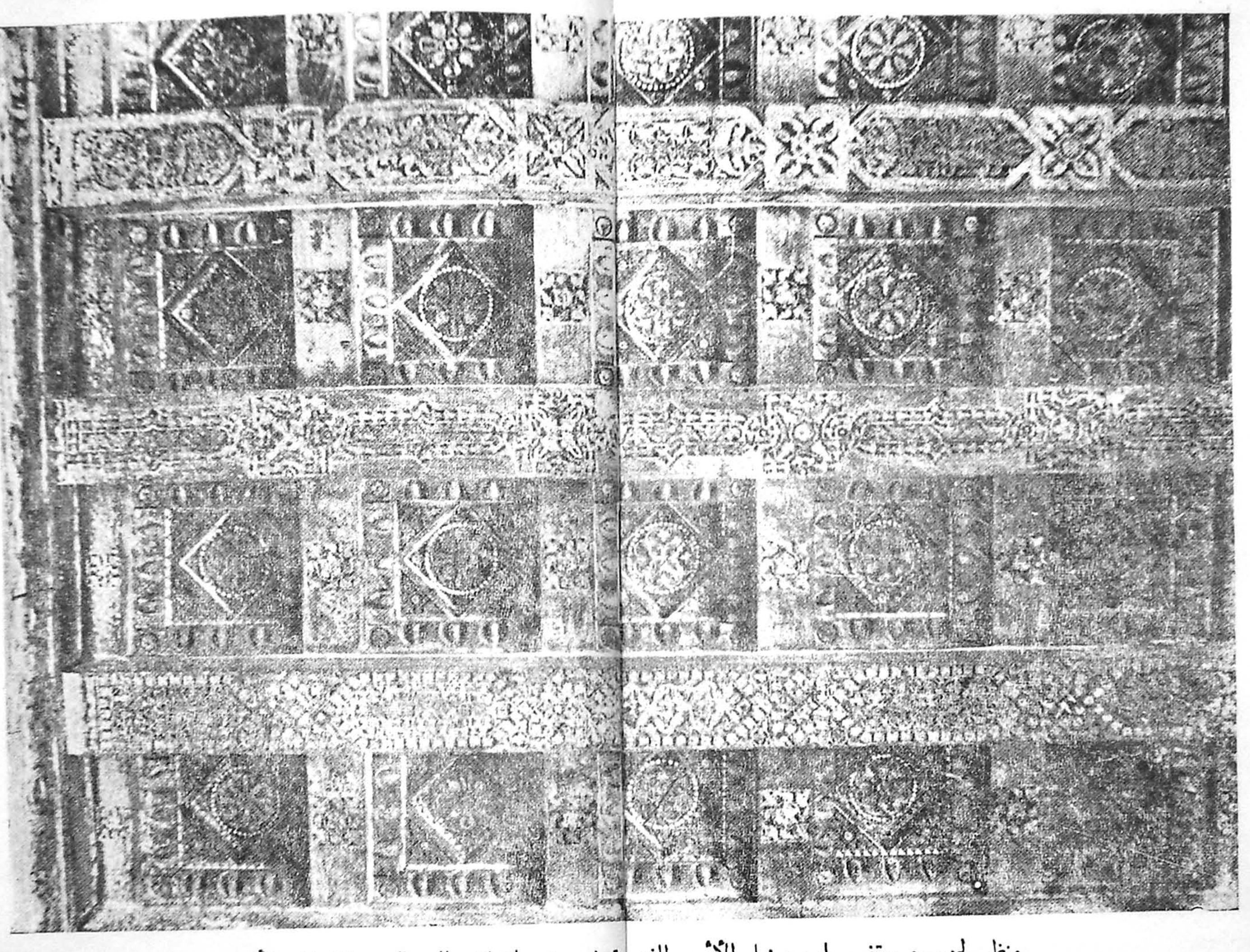

سبأ
كهلان
حمير
زيد
مالك
عريب
عمرو
الهميسع
أيمن
زهير
عريب
قطن
الغوث
وائل
عبد شمس
خولان
قضاعة
الحاف
عمران
أسلم
سود
ليث
جذام
عدي
الحارث
مالك
نبت
أدد
جلهمة
مرة
مراد
يعفر
المعافر
كندي
عفير
معاوية
يكلا
جشم
خيران
مالك
زيد
الأزد
أنمار
بجيلة
خثعم
الغوث
نبت
مالك
الخيار
وديعة
أوسلة
همدان
حمير
معاوية
قيس
عمرو
هان
زرعة
شجرة أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب
بن قحطان بن نبي الله هود
عليه السلام



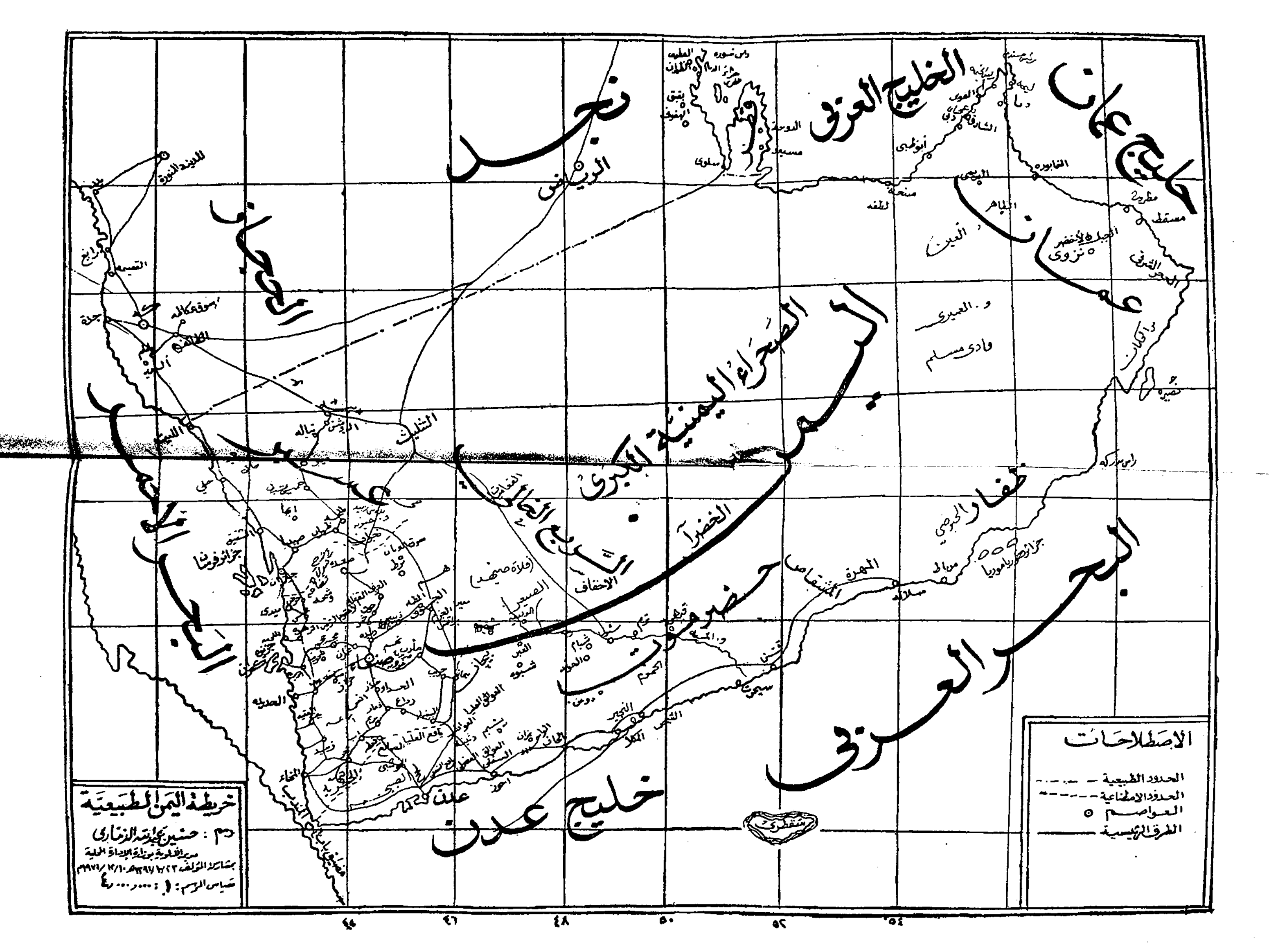
منظر لجامع صنعاء الذى جدده أمير اليمن الكبير « محمد بن يعفر الحوالى » سنة ٢٦٦ هـ
والبنايات التي من شرقيه هي موضع قصر غمدان ، ويرى جانباً من جبل نقم
(تصوير الفنان على بن محمد السمه)



منظر لجزء من سقف جامع صنعاء الأثرى الذى يكشف منه مبلغ الفن اليمنى للعصر الإسلامى الأول
(تصوير الفنان على بن محمد السمه)



منظر لجزء من سقف جامع صنعاء الأثرى الذى يستشف منه مبلغ الفن اليمنى للعصر الإسلامى الأول
(تصوير الفنان على بن محمد السمه)



خريطة اليمن الطبيعية
الاصطلاحات
الحدود الطبيعية
الحدود الاصطناعية
العواصم
الطرق الرئيسية
خليج عمان
الخليج العربي
نجد
الحجاز
عسير
البحر الأحمر
عمان
الربع الخالي
الصحراء اليمنية الكبرى
حضرموت
الأحقاف
ظفار
البحر العربي
خليج عدن
عدن
صنعاء
مسقط
الرياض
المدينة المنورة
مكة
جدة
الطائف
نجران
صعدة
تعز
الحديدة
المكلا
المخاء
سقطرى
قطر
الدوحة
أبوظبي
دبي
الشارقة
صحار
نزوى
البريمي
القابوره
مطرح
صور
مسندم
الجبل الأخضر
رأس الحد
مصيرة
جزر كوريا موريا
الخضراء
المهرة
سيحوت
الغيضة
الشحر
سيئون
شبام
شبوة
بيحان
العبر
مأرب
الجوف
البيضاء
إب
ذمار
زبيد
المخا
ميدي
الطوال
جيزان
جزر فرسان
أبها
بيشة
الثليث
وادي مسلم
و. العبيدي
الحوف
الليث
رابغ
أبوطبي
مسيعيد
سلوى
يبرين
الهفوف

